

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

مختصر
مجلد ابو الفضل برائے

کتابخانہ المکتبۃ العظمیٰ
پریس البانی، بعلبکی و شیشکوة

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد



الجزء التاسع عشر

١٩٦٣

دار النجاة للطباعة والنشر
بيروت - لبنان



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

بيان

يشتمل هذا الجزء على شرح طائفة من مختار حكم أمير المؤمنين ومواعظه وأجوبة مسائله والكلام القصير الخارج في سائر أغراضه ؛ وهو القسم الثاني مما اختاره له الشريف الرضى في كتاب "نهج البلاغة" ؛ وينتهى هذا القسم في أثناء الجزء الثاني . وقد روجع على الجزء الرابع من المجموعة الخامسة من النسخة المصورة عن أصلها المحفوظ بمكتبة المتحف البريطاني برقم ١٢٦ ، وهي التي رمزت لها بالحرف ا . وأصل هذا الجزء يقع في ٩٠ ورقة مسطرتها ٢٥ سطرا ، في كل سطر ١٣ كلمة تقريبا ، مكتوب بخط نسخ معتاد قليل الشكل ، ولم يتضح اسم ناسخه ولا تاريخ نسخه ، ويبدو أنه كتب في القرن الحادي عشر .

كما روجع على مايقابله من المجلد الأخير من النسخة المحفوظة بدار الكتب برقم ١٨٦٨ - أدب ؛ وهي التي رمزت لها بالحرف د ، وسبق وصفها في مقدمة الجزء السادس عشر من هذه الطبعة . وعلى النسخة المطبوعة في طهران سنة ١٢٧١ عن أصلها المخطوط في هذا التاريخ ، والتي رمزت لها بالحرف ب . والله الموفق للصواب .

محمد أبو الفضل إبراهيم

{ ٢ ربيع الأول سنة ١٣٨٣ هـ
٢٨ يوليو سنة ١٩٦٣ م }



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد
(٥٨٦ - ٦٥٦ هـ)

بتحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء التاسع عشر



مرکز تحقیقات کلام و علوم اسلامی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد العدل

(١٨٦)

الأفضل :

إِنَّمَا الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا غَرَضٌ تَلْتَصِلُ فِيهِ النَّيَا ، وَنَهَبُ تَبَادُرِهِ لِلصَّائِبِ ؛ وَمَعَ
كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقٌ ، وَفِي كُلِّ أَرْكَلَةٍ غَصَصٌ ، وَلَا يَنَالُ الْعَبْدُ نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقٍ
أُخْرَى ، وَلَا يَسْتَقْبِلُ يَوْمًا مِنْ عَمْرِهِ إِلَّا بِفِرَاقٍ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ ؛ فَتَحْنُ أَغْوَانُ
النُّونِ ، وَأَنْفُسُنَا نَصَبُ الْخُتُوفِ ، فَمِنْ أَيْنَ نَرْجُو الْبَقَاءَ ؛ وَهَذَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لَمْ
يَرَفَعَا مِنْ شَيْءٍ شَرْقًا ، إِلَّا أَسْرَعَ الْكُرَّةُ فِي هَذِهِ مَا بَنِيَا ، وَتَفَرَّقَا مَا جَمَعَا !

البيان :

قد سبق ذكره^(١) من هذا الكلام في أثناء خطبته عليه السلام ، وقد ذكرنا نحن أشياء
كثيرة في الدنيا وتقلبها بأهلها .

ومن كلام بعض الحكماء : طوبى للهارب من رخارف الدنيا ، والصاد عن ذهرة
دميتها ، والخائف عند أمانها ، والتمهم لغلمانها ، والباكي عند ضحكها إليه ، والمتواضع
عند إعزازها له ، والناظر بعين عقله إلى فضائنها ، والمتأمل لقمح مصارعها ، والطارق

(١) ذكره : أي طوبى .

لكلاهما على جيفها ، والكذب لمواعيدها ، والتمنيظ لخدعها ، والمرض عن ثمنها ،
والعامل في إمهاها ، والمتزود قبل إجمهاها .

قوله : « تنتضل » التّضل شيء يرمى ، ويروى « تبادره » أى تتبادره ،
والغرض : الهدف .

والتهب : اللال المنهوب غنيمة ، وجمعه نهاب .

وقد سبق تفسير قوله : « لا ينال العبد نعمة إلا بفراق أخرى » ، وقالنا : إن الذى
حصلت له لذة الجماع حال ما هي حاصلة له ، لا بد أن يكون مفارقاً لذّة الأكل والشرب ،
وكذلك من يأكل ويشرب يكون مفارقاً حال أكلي وشربه لذّة الرّكنض على الخيل
في طلب الصيد ، ونحو ذلك .

قوله : « فتحن أعوان التّون » ؛ لأننا نأكل ، ونشرب ، ونجماع ، ونركب الخيل ،
والإبل ، ونصرف في الحاجات والمآرب ؛ والموت إنما يكون بأحد هذه الأسباب ، إيمان
أخلاط تملأها المآكل والمشارب ، أو من سقطة يسقط الإنسان من دابة هو راكبها ،
أو من ضعف بلعته من الجماع المفرط ، أو لمصادمات واصطكاكات تصيبه عند تصرفه
في مآربه وحركته وسعيه ، ونحو ذلك ؛ فكأننا نحن أعنا الموت على أنفسنا .

قوله : « نصب الختوف » يروى : بالرفع والنصب ، فمن رفع فهو خبر للمبتدأ ، ومن
نصبه جعله ظرفاً .

الأصل :

لَا خَيْرَ فِي الصَّمْتِ مِنَ الْحُكْمِ ، كَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي الْقَوْلِ بِالْجَهْلِ .

...

البيان :

قد تكرّر ذكرُ هذا القول ، وتكرّر منّا شرحُه ^(١) وشرحُ نظائره .
 وكان يقال : ما الإنسان لولا اللسانُ إلا بهيمةٌ مُهْمَلَةٌ ، أو صورةٌ ممثّلة .
 وكان يقال : اللسانُ عضوٌ إن مَرِثَهُ مَرَنٌ ^(٢) ، وإن تَرَكَهُ خَزَنٌ ^(٣) .

الأصل :

يا بَنَ آدَمَ ، مَا كُتِبَ فَوْقَ قُوَّتِكَ ، وَتَ فِيهِ حَازِنٌ لِعَبْرِكَ .

الشرح :

أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى بَعْضُهُمْ ؛ فَقَالَ :

مَا لِي أَرَاكَ الْفَقِيرَ تَمَحُّجُ دَائِبًا أَيْ تَحْمِلُ عِزِّيكَ لَا أَمَّا لَكَ تَمَحُّجُ ؟
 وعاد الحسن البصريُّ هذا الله بن الأَهم في مرضه الذي مات فيه ، فأقبل عبدُ الله
 يصرف نصرته إلى مَلُوقٍ في جانب البيت ، ثم قال للحسن : يَا أَبَا سَعِيدَ ، فِيهِ مِائَةُ أَلْبِ
 لَمْ يُوَدَّ مِنْهَا رَكَاةٌ ، وَلَمْ تَوْصِلْهَا رَجِيمٌ ؛ قَالَ الْحَسَنُ : تَسَكَّلْتُكَ أَتُكُّ ! فَلِمَ أَعْدَدْتَهَا ؟
 قَالَ : لِرَوْعَةِ الرِّمَانِ ، وَمُكَائِرَةِ الْإِحْوَانِ ، وَحَمَوَةِ السَّاطِلِ .

ثم مات ، فحضر الحسن جنازته ، فماد من صَفَقٍ^(١) بإحدى راحتيه الأخرى ، وقال :
 إِنَّ هَذَا نَاءَ شَهْطَانِهِ ، لَحْدَرَهُ رَوْعَةُ رِمَانِهِ وَحَمَوَةُ سَاطِلِهِ ، وَمُكَائِرَةُ إِحْوَانِهِ ، فَمَا
 أَسْتَوْدَعَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ فَادَّحَرَهُ ؛ ثُمَّ حَرَجَ مِنْهُ كَثِيرًا حَرِيْبًا ، لَمْ يُوَدَّ رَكَاةً ، وَلَمْ يَصِلْ رَجِيمًا .
 ثُمَّ التَفَتَ فَقَالَ : أَيُّهَا الْوَارِثُ ، كُلْ هَيْثَ ، فَقَدْ أَتَاكَ هَذَا الْمَالُ حَلَالًا ، فَلَا يَكُنْ عَلَيْكَ
 وَهَالًا ، أَنَاكَ مَنْ كَانَ لَهُ جَمُوعًا مَبْنُوعًا ، يَرَسُمُ فِيهِ لُحَجُّ الْبَحَارِ ، وَمَعْدُورُ الْيَقَارِ ، مِنْ بَاطِلٍ
 جَمْعِهِ ، وَمَنْ حَقَّقَ مَقْعَهُ ، لَمْ يَسْتَمِيعْهُ فِي حَيَاتِهِ ، وَنَصْرُهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، جَمْعُهُ فَأَوْظَاهُ ، وَشَدُّهُ
 فَأَوْزَكَهُ^(٢) إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ؛ يَوْمَ ذِي حَسَرَاتٍ ، وَإِنْ أَعْظَمَ الْحَسَرَاتُ أَنْ تَرَى مَالَكَ
 فِي مِيزَانٍ عَيْرِكَ ؛ بَحْتَ بِمَالِ أَوْبِنَتِهِ مِنْ رِزْقِ اللَّهِ أَنْ تَسْقِيهِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، عِزُّهُ
 لِعَبْرِكَ ، فَأَمَقَّهُ فِي مَرَحَةِ رُثَى ، بِأَلَا حَسْرَةً لَا تُقَالُ ، وَرَحَةً لَا تُسَالُ ! يَا اللَّهُ
 وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ !

(١) انصفيق : ضرب له صوت مثل الصق

(٢) أَوْزَكَهُ : أَحْكَمَ رِجْلَهُ ، مِنَ الْوُكَاةِ ؛ وَهُوَ رِبَاطُ الْقَرْنِ

الأصل :

إِنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وَإِقْبَالَ، وَإِذَا مَرَأَ؛ فَأَتَوْهَا مِنْ قِبَلِ شَهْوَتِهَا وَإِقْبَالِهَا ، فَإِنَّ
الْقَلْبَ إِذَا أُكْرِهَ عَمِيَ .

الشرح :

قد تقدم القول في هذا المعنى .

والعلة في كون القلب يعنى إذا أُكْرِهَ على ما لا يحته ، أن القلب عضو من الأعضاء
يقب وبستر يح كما تنقب الحنة عند استمها وأحبالها ، وتستر يح عند ترك العمل ، كما
ينقب اللسان عند الكلام الطويل ، وتستر يح عند الإمساك ، وإذا تواصل^(١)
إكراه القلب على أمر لا يحته ولا يؤثره قيب ، لأن عمل غير المحبوب مُتَبِ : ألا يرى
أن جماع غير المحبوب يحدث من الصف أصعاف ما يحدثه جماع المحبوب ؛ ولزكوب إلى
مكان غير محبوب مُتَبِ ولا يُشْتَهَى ، بسبب الدن أصعاف ما يتبعه الركوب إلى
تلك المسافة إذا كان المكان محبوبا ، وإذا أتى القلب وأغيا ، عجز عن إدراك ما كفه
إدراكه ، لأن فعه هو الإدراك ، وكل عضو يقب إليه محتر^(٢) عن فعه الخاص به ،
وإذا محتر القلب عن فعه خاص به وهو اليد والإدر ؛ فذات هو عماه .

الأصل :

ولم عليه لسرم يقول :

مَتَى أَشْفِي عَيْظِي إِذَا غَضِبْتُ ! أَلْحِينَ أَغْمَرُ عَنِ الْإِسْتِقَامِ فَيَقَالُ لِي : لَوْ صَبَرْتَ !
أَمْ حِينَ أَقْدِرُ عَلَيْهِ ، فَيَقَالُ لِي : لَوْ عَفَوْتَ !

البنج :

قد تقدم القول في العصبية فهاهنا .

وهذا العمل فصيح لطيف لئس : قال : لا سبيل لي إلى شعاء عَيْظِي عند عصبى ،
لأنى إما أن أكون قادراً على الانتقام فيصدنى عن تعجيله قول القائل : لو عفوت
لكان أولى ! وإما ألا أكون قادراً على الانتقام فيصدنى عنه كوى غير قادر عليه ؛
فإذن لا سبيل لي إلى الانتقام عند العصب .

وكان يقال : العقل كالمرآة ، عيونه يُصدِّثه العصب ، كما تصدأ المرأة بالخل ، فلا يثبت
فيها صورة القبح والحسن .

واحتج شعبان الثورى وفصيل^(١) بن عياض هذا كرا الرهد ، فأجما على أن
أفضل الأعمال الحلم عند العصب ، والصبر عند الطمع .

الأصل :

وقال عليه السلام وقد مرَّ بِقَدَرٍ على مَرْنَلَةٍ : هَذَا مَا مَحَلَّ بِهِ الْيَاخُلُونَ .
وفي خبر آخر أَنَّهُ قَالَ : هَذَا مَا كُنْتُمْ تَتَنَافَسُونَ فِيهِ بِالْأَمْسِ !

البيان :

قد سبق القول في مثل هذا ، وأن الحسن النعماني مرَّ على مَرْنَلَةٍ ، فقال : انظروا
إلى نعلهم ودجاجهم وحلوانهم وعصاهم وشبههم ؛ والحسن إنما أحده من كلام أمير المؤمنين
عليه السلام ، وقال ابن وكيع في قول للنبي :

لو أفكر العاشق في مُنتهى حُسن دى يَسِيه لم يَسِيه^(١)

إنه أراد : لو أفكر في حاله وهو في القبر ، وقد تميزت بحالته ، وسالت عينه ، قال
وهذا مثل قولهم : لو أفكر الإنسان فيما ينزل إليه لعدم لادته حسه .

وقد صرَّب العلماء مثلاً للدينا وبخالفة آخرها أولف ، مصادة مآديها عواقبها ،
فقالوا : إن شهوات الدنيا في القلب لذيذة كشهوات الأصمعة في العسلة ، وسيعبد
الإنسان عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والنس والقبح ما يحده للأطعمة
اللدنية إذا طبعتهما المبدء وباعت عانة مُصنعه ، وكأن الطعام كذا كان ألد طعماً وأظهر
حلاوة ، كان رحيقه أهدر وأشدَّ نفاً ، فكذلك كل شهوة في القلب أشهى وألذ وأقوى ،

فإن تنهأ وكرهتها والتأذى بها عند الموت أشد ، بل هذه الحال في الدنيا شاهدة ، فإن [من] ^(١) مهت داره ، وأحد أهله وولده وماله ، تكون مصيبتة وألمه وتفتحه في الذي فقد ، فقد رلدته به ، وحته له ، وحرصه عليه ، فكل ما كان في الوجود أشهى وألذ ، فهو عند انقضاء أدهى وأمر ، ولا معنى لموت إلا فقد ما في الدنيا .

وقد روى أن النبي صلى الله عليه وآله قال للصديق سفيان السكلائي : أنت تؤثى طعامك وقد قرح ومالح ^(٢) ، ثم تشرب عليه اللبن والماء ! قال : بلى ، قال : وإلى ماذا يصير ؟ قال : إلى ما قد عمت يا رسول الله ؛ قال : فإن الله عز وجل صرّب مثل الدنيا بما يصير إليه طعام ^(٣) ابن آدم .

وروى أني سكت رسول الله صلى الله عليه وآله قال : إن أنت صرّت من لاس آدم فانظر ما يخرج من من آدم ، وإن كان قرحه وملحه إلى ماذا صار . وقال الحسن رحمه الله : قد رأسهم يطعمونه بالطيب والأفاره ^(٤) ثم يرمونه حساً . أستم ، قال الله عز وجل : ﴿ فيسطر الإنسان إلى طعامه ﴾ ^(٥) ، قال ابن عباس : إلى رجيومه .

وقال رجل لابن عمر : إني أريد أن أسألك وأستعجي ، فقال : لا تستعج وسئ ؛ قال : إذا قصي أحداً حاجته فقام ، هل ينظر إلى ذلك منه ؟ فقال : نعم ، إن الملك يقول له : انظر هذا ما تحلت به ، انظر إلى ماذا صار !

(١) تكة من د .

(٢) يقال : قرح المراكب ؛ جعل فيها برر الصل وتال

(٣) الأفاره : جمع أمواه ؛ وهي الخوايل - (٤) سورة عبس ٢٤

(١٩٢)

الأمنل :

لم يذهب من مالك ما وعظمتك .

الشنخ :

مثل هذا قولهم : إن المصائب أثمان النعائب .

وقيل لعالم فقير بعد أن كان عبياً . أين ملك الظالم ^(١) تحرش فيه ، فانتعت به تحرقة

الناس والوقت ، فاستعدت أشرف الموصفين ^(٢) : *تسبى يوم يسرى*

الأصل :

إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَيْدَانُ ، فَاسْتَمُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ .

الشرح :

هذا قد سكر ، وتكرر ما ذكر ما قيل في إحكام النفس والنفس عنها من
 كَرَبِ الْخِدِّ رُوحِ الْإِحْمَاسِ ^(١) وقسربا معنى قوله عليه السلام : « فاستموا لها طرائف
 الحكمة » وقلنا : المراد ألاَّ يَحْمِلَ الْإِنْسَانُ وَقْتَهُ كُلَّهُ مَصْرُوقًا إِلَى الْأَنْطَارِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْبَرَاهِينِ
 الْكَلَامِيَّةِ وَالْحِكْمِيَّةِ ، بل يَهْتَمُّ مِنْ ذَلِكَ أحيانًا إِلَى الْبَطْرِ فِي الْحِكْمَةِ الْخُلُقِيَّةِ فِيهَا
 حِكْمَةٌ لَا تَحْتَاجُ إِلَى إِنْصَابِ النَّفْسِ وَالْخَاطِرِ .

فَأَمَّا الْقَوْلُ فِي الدُّعَاءِ فَقَدْ دُكِّرْنَا أَيْضًا فِيهَا تَقْدِيمٌ ، وَأَوْصَحْنَا أَنَّ كَثِيرًا مِنْ
 أَعْيَانِ الْحُكَمَاءِ وَالْعُلَمَاءِ كَانُوا ذَوِي دُعَاءٍ مُقْتَصِدَةٍ لَا مُسْرِقَةٍ ، فَإِنَّ الْإِسْرَافَ فِيهَا يُخْرِجُ
 صَاحِبَهُ إِلَى الْخِلَاعَةِ ، وَلَقَدْ أَحْصَى مِنْ قَالَ :

أَفِذْ طَبِيعَتُكَ الْمَكْدُودَ بِأَعْدَ رَاحَةٍ يَجْمُوعُ وَعَلَّاهُ شَيْءٌ مِنَ الْفَرْحِ ^(٢)
 وَلَكِنْ إِذَا أُعْطِيَهِ دَانَتْ فَلْيَكُنْ بِمَقْدَارٍ مَا يُعْطَى الطَّعَامُ مِنَ الْمَلِيحِ ^(٣)

الأصل :

وقال عليه السلام لنا سمع قول الخوارج : لا حكم إلا لله ، كلمة حق يراد بها باطل .

• • •

البشرح :

معنى قوله سبحانه : ﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ (١) ، أى إذا أراد شيئاً من أفعالي نفسه فلا بد من وقوعه ، بخلاف غيرهم من القادرين بالقسرة فإنه لا يجب حصول مرادهم إذا أرادوه ، ألا ترى ما قلناه هذه الكلمة : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ حاف عليهم من الإحسان بالعين إذا دخلوا من باب واحد ، فأمرهم أن يدخلوا من أبواب متفرقة ، ثم قال لهم : « وما أغني عنكم من الله من شيء » ، أى إذا أراد الله بكم شيئاً لم يدمع عنكم ذلك الشيء ما أشرت به عليكم من التفرق ؛ ثم قال : ﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ أى ليس حق من الأحياء يتفد حكمه لا محالة ومراده لما هو من أضالته إلا الحق القديم وحده ، فهذا هو معنى هذه الكلمة ، وصلت الخوارج عندها فأسكروا على أمير المؤمنين عليه السلام موافقته على التعكيم ؛ وقالوا : كيف يحكم وقد قال الله سبحانه : ﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ فمأطوا الموضع اللفظ المشترك ، وليس هذا الحكم هو ذلك الحكم ، فإذن هي كلمة حق يراد بها باطل ، لأنها حق على المفهوم الأول ، ويريد بها الخوارج بى كل ما يسمى حكماً إذا صدر عن غير الله تعالى ، وذلك باطل ، لأن الله تعالى قد أمضى حكم المخلوقين في كثير من الشرائع .

فهو صادرٌ عن العامة والموغاه ، لأنهم تسعة الأنبياء والمُعرُون^(١) بين الصفا ،
والنمائمون بين الأوداء^(٢) ، ومنهم القصوص ، وقُطاع الطريق ، والطراروز^(٣) ،
والمختالون والساعون إلى السلطان^(٤) ، فإذا كان يوم القيمة حُشِرُوا على عاقبتهم في السَّديهِ
فقالوا : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكَرَّهْنَا فَاصْلُوا السَّبِيلَا ، رَبَّنَا آتِهِمْ صِدْقِيكَ مِنْ
الْعَذَابِ وَالْعَنَّهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا^(٥) 》 .

(٢) في د د الأولياء .
(٤) ١ : الحكم .

(١) في د د والفرقون ٢ .
(٣) الطرادون : المروحون للسلح .
(٥) سورة الأحزاب ٦٧

الأصل :

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ أَنَّى يَحْجَانِ وَمَعَهُ غَوْغَاهُ فَقَالَ : لَا مَرْحَبًا بِوُجُوهِ لَا تُرَى إِلَّا عِنْدَ كُلِّ سَوَاءٍ .

البرج :

أَخَذَ هَذَا الَّلَظَّ لِلتَّعْيِينُ بِاللَّهِ وَقَدْ أَذْجَلَ عَلَيْهِ ابْنُ أَبِي الثَّوَارِبِ الْقَاصِي وَمَعَهُ الشُّهُودُ لِيَشْهَدُوا عَلَيْهِ أَنَّهُ قَدْ خَلَعَ نَفْسَهُ مِنَ الْخِلَافَةِ وَبَايَعَ لِلْعِزِّ بِاللَّهِ ، فَقَالَ : لَا مَرْحَبًا بِهَذِهِ الْوُجُوهِ الَّتِي لَا تُرَى إِلَّا يَوْمَ^(١) سَوَاءٍ .

وَقَالَ مِنْ مَدْحِ الْمَوْغَاءِ وَالْعَامَةِ : إِنَّ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ : إِنَّ اللَّهَ يَنْصُرُ هَذَا الدِّينَ بِقَوْمٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ .

وَكَانَ الْأَحْنَفُ يَقُولُ : أَكْرِمُوا سُفَهَاءَكُمْ فَإِنَّهُمْ يَكْفُونَكُمْ النَّارَ وَالْعَارَ .

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَأَنَّى لَأَسْتَبْقِيَ أَمْرًا الدَّوَى عُدَّةً لَمَذُودَةً عَرَّيْصَ مِنَ النَّاسِ جَائِبٍ^(٢)
أَخَافُ كِلَابَ الْأَبْعَدِينَ وَهَرَّشَهَا إِذَا لَمْ تُحْلَوْ بِهَا كِلَابُ الْأَقْلَرِ

(١) د د لا عهد السوء .

(٢) الجائب : المنفل من مكان إلى مكان .

الأصل :

إِنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ مَلَكَيْنِ يَحْفَظَانِهِ ، فَإِذَا جَاءَ الْقَدَرُ حَايَا بَيْتَهُ وَبَيْتَهُ
وَإِنْ الْأَحْلَ حَتَّى حَصْبَةٍ .

الشرح :

قد تقدم هذا ، وقاما : إنه ذهب كثير من الحكماء هذا المذهب ، وإن الله تعالى
ملائكة موكلة تحفظ البشر من التردى في بئر ، ومن إصابتهم معترض في طريق ،
ومن زحف دابة ، ومن هتر حبه ، أو تسع عثر ، ونحو ذلك . والشرائع أيضا قد وردت
مثله [وإن]^(١) الأهل حنة ، أي درع ، ولقد في علم الكلام محرح صحيح ، وذلك
لأن أصحابنا يقولون : إن الله تعالى : إذا عيّن نبي أو نبي أو نبي إلى وقت كذا لطف له أو
لغيره من المكلفين صدق من يهتم بدينه عن قتله بالظلمة بعتها تصدده عنه أو تصرفه
عنه بصروف ، أو يمنعه عنه مانع ، كي لا يقطع ذلك الإنسان بقتل زيد الألفاظ
التي يعلم الله أنها مقرنة من الطاعة ، ومبعدة من المعصية^(٢) لزيد أو لغيره ، فقد بان أن
الأجل على هذا التقدير حنة حصية لزيد ، من حيث كان الله تعالى باعتباره ذلك الأجل
مانعا من قتله وإبطال حيزه ، ولا حنة أحسن من ذلك .

(٢) د « عن التفسير »

(١) من د ، و ب : « وأما »

الأصل :

وقال عليه السلام : وقد قال له طليحة والرُبَيْرُ : يَا يُمُكَّ عَلَى أَنَّا شُرَكَاءُكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ ؛ فَقَالَ [لَا] (١) : وَلَيْسَ لَكَ شَرِيكَانِ فِي الْقُوَّةِ وَالْإِسْتِعَانَةِ ، وَعَوْنَانِ عَلَى الْعِزِّ وَالْأَوْدِ .

الشرح :

قد ذكرنا هذا فيما تقدم حيث شرحنا بيعة الممين للملّة عليه السلام كيف وقعت بعد مقتل عثمان ، ولقد احسنَ فيها قال لها ما سألاه أن يُشْرِكَاهُ في الأمر ، حال : أما المشاركة في الخلافة فكيف يكون ذلك ؟ وهل يصحُّ أن يدترأ أمر الرعيّة إمامان .

• وهل يُجْمَعُ السَّيِّئَانِ وَيُحْكَمُ فِي غَدِّهِ (٢) •

وإنما تُشْرِكُ كَانِي الْقُوَّةِ وَالْإِسْتِعَانَةِ أَيُّ إِذَا قَوِيَ أَمْرِي وَأَمْرُ الْإِسْلَامِ فِي قَوِيَّتِهِمَا أَنَّمَا أَيْضًا ، وَإِذَا عَجَزَتْ عَنْ أَمْرٍ أَوْ نَزَدَتْ عَنْ أَمْرٍ أَيُّ أَعْوَجَّ - كَمَا عَوْنِي لِي وَمُسَاعِدَتِي عَلَى إِصْلَاحِهِ .

فإن قلت : فما معنى قوله : « وَالْإِسْتِعَانَةُ » .

قلتُ : الإِسْتِعَانَةُ هَاهُنَا الْعَوْنُ وَالطَّفَرُ ، كَمَا بَوَّاهُ الْقَامِرُ بِمَوْرَقْدُوحٍ : قَدْ حَرَّيْ أَسَاعِيَانِ . وَهِيَ حَطَّانٌ يُحَطَّنُ فِي الْأَرْضِ يَرْجُرُ سَهْمَا الطَّيْرِ ، وَاسْتِعَانُ الْإِنْسَانِ ، إِذَا قَالَ وَقْتُ الطَّفَرِ وَالْقَلْبَةِ هَذِهِ الْكَلِمَةُ .

(٢) عجزت أي دُوب الهمل ، وصدره :

(١) تكملة من « د » .

• تَرْبِدِينَ كَيْفًا تَحْمِيْنِي وَحَالِدًا •

الأصل :

أَيُّهَا النَّاسُ ، اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِنْ قُلْتُمْ سَمِعَ ، وَإِنْ أَصْرْتُمْ عَلِمَ ، وَنَادِرُوا
 الْمَوْتَ الَّذِي إِنْ هَرَّيْتُمْ مِنْهُ أَذَرَ كَيْفَكُمْ ، وَإِنْ أَقَمْتُمْ أَحَدَكُمْ ، وَإِنْ
 نَسِيتُمْوهُ دَكَّرَكُمْ .

الشرح :

قد تقدم منا كلامٌ كثير في ذكر الموت ؛ ورأى الحسنُ التصريحَ رجلاً يحود
 بنفسه ، فقال : إِنْ أَمْرًا هَذَا آخِرُهُ لَجْدِيرٌ أَنْ يُرْهَدَ فِي أَوَّلِهِ ، وَإِنْ أَمْرًا هَذَا أَوَّلُهُ لَجْدِيرٌ
 أَنْ يُخَافَ مِنْ آخِرِهِ .

ومن كلامه : صَحَّ الْمَوْتُ الدُّنْيَا .

وقال خالد بن صفوان : لو قال قائل . الْحَسَنُ "صَحَّ" النَّاسُ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ لِمَا كَانَ مُحِطًا .
 وقال لرجل في حازقة : أَرَى هَذَا الْمَتَّ لَوْ عَلَا فِي الدُّنْيَا لَكَانَ يَعْمَلُ عَمَلًا صَاحِبًا ؟ قَالَ :
 نَعَمْ ، قَالَ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فَكُنْ أَسَ ذَاكَ .

الأصل :

لَا يُزْهَدَنَّ فِي الْمَعْرُوفِ مَنْ لَا يَشْكُرُهُ لَكَ ، فَقَدْ يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مَنْ
لَا يَسْتَمْنَعُ شَيْءَ مِنْهُ ، وَقَدْ يُدْرِكُ مِنْ شُكْرِ الشَّاكِرِ أَكْثَرُ مِمَّا أَصَاعَ الْكَافِرُ ،
وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ .

الشرح :

قد أخذتُ أنا هذا المعنى فقلتُ من جملة قصيدة لي حكيمة :

لَا تُسَدِّدَنَّ إِلَى ذِي الْقُوَّةِ مَيَّكِرِيَةً بِهِ سَوَّحٌ لَا تُسَبُّ الشُّعْرَا
فَإِنْ زَرَعْتَ فَمَحْفُوظٌ تَصْنَعُهُ وَكَأَنَّ رَزْعَكَ شُكْرُ الْعَبْدِ إِنْ كَفَرَا
وَقَدْ سَقَى مِنْ كَلَامٍ طَوِيلٍ فِي شُكْرٍ .

ورأى العباس بن المأمون يوماً عصمه المتعصم حاتماً بيد إبراهيم بن المهدي ،
فاستحسسه ، فقال له : ما قصُّ هذا الحاتم ، ومن أين حصلته ؟ فقال إبراهيم : هذا حاتم
رهنه في دولة أريك ، رافقك كذبه في دولة أمير المؤمنين ؛ فقال العباس : فإن لم
تشكراني على حفيته دمت وانت لا تشكر أمير المؤمنين على فكه حاتمك .

وقال الشاعر :

كَمَثَرُكَ مَعْرُوفٌ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ	وَي أَهْلِهِ إِلَّا كَمَثَرِ الْوَدَانِعِ
فَسُتَوَدِّعُ صَدَقَ الَّذِي كَانَ عِنْدَهُ	وَسُتَوَدِّعُ مَا عِنْدَهُ غَيْرُ صَانِعِ
وَمَا النَّاسُ فِي شُكْرِ حَسْبَةِ عَدَمِهِ	وَي كَمَثَرِهَا إِلَّا كَبَقْصِ الْمَرَارِعِ
فَمَرْزَعَةُ طَابَتْ وَصِيفَ تَنْتَبَهَا	وَمَرْزَعَةُ أَكْدَتْ عَلَى كُلِّ زَارِعِ

الأصل :

كُلُّ وَعَاءٍ يَصْبِقُ نَمًا جَمِيلَ فِيهِ إِلَّا وَعَاءَهُ لَعْلَامُ قُوَّةُهُ يَنْفَعُ بِهِ .

الشرح :

هذا الكلام نغده سرٌّ عظيم ، وذرثر إلى معنى شريف عامص ، ومنه أحد مثبتو النفس الناطقة الحقّة على قولهم : ومحصول ذلك أن القوى الحسائية يكيدها ويتمها تكرار أفعالها عسب ، كقوة السمع يتبعها تكرار إدراك الثمرات ، حتى رتعا أدهمها وأطلقها أصلا ، وكذلك قوة السمع تتبعها تكرار الأصوات عليها ، وكذلك غيرها من القوى الحسائية ، ولكننا وحدنا القوة العاقلة بالعكس من ذلك ^(١) ، فإنّ الإنسان كلّ تكررت عليه المعقولات اردادت قوته العقلية سعة وابتساطا وبتعدادا لإدراك أمور أخرى غير ما أدركته من قبل ، حتى كان تكرار المعقولات عليها يشجدها ^(٢) ويصقها ، فهي إذن محالفة في هذا حكم للقوى الحسائية ، فليست منها لأنها لو كانت معها لكان حكمها حكم واحد من أحوتها ، وبلا لم تكن حسائية فهي محرّدة ، وهي التي سميناها بالنفس الناطقة .

الأصل :

أَوَّلُ عَوَصٍ الْحَلِيمِ مِنْ حِفْهِ أَنَّ الْكَسَّ أَنْصَارُهُ عَلَى الْخَاطِلِ .

الشرح :

قد تقدم من أقوالنا في الحلم ما لم نذكره كناية .

وفي الحكم القديمة : لا تَشْنُ حُشْنَ الْفَقْرِ قُتْحَ الْإِسْتِقَامِ .

وكان يقال : اعفُ عَنِ أَبْطَاحِ الدَّيْبِ ، وأسرع إلى التَّدَمِّ .

وكان يقال : شاور الأمانة والنَّشْتَ ، وذا كِرِ الحِصْبَةِ^(١) عند هَيْعَاسِهَا مَا فِي عَوَاقِبِ

الْمَقُوبَةِ مِنَ الدَّمِّ ، وخصَّصَهَا بما يُوْدَى إِلَيْهِ الْحَمُّ مِنْ لَاحِظَاتِ .

وكان يقال : ينبغي للعارف أن يقدم على عدائه وصعجه تعريب المدَّيْبِ بما حناه ،

وَالْأُتَيْبِ حُلْمَهُ إِلَى الْعَمَلَةِ وَكَلَامِ حَدِّ الْعِطَةِ . وقالت الأنصار للنبي صلى الله عليه

وآله يوم فتح مكة : إنهم فعلوا بك ثم فعلوا . يُعْرَوْنَهُ قَرِيْشٌ ؛ فقال : « إنما سميت

محمدًا لأُحْمَدَ » .

الأصل :

إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيمًا فَتَحَلَّمْ ، قُوَّةُ قَلْبٍ مِنْ تَشَبُّهِ بِقَوْمٍ إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ
يَكُونُوا مِنْهُمْ .

• • •

البشرح :

التحلم : تكلف الحلم ، والذي قاله عليه السلام صحيح في مساهج الحكمة ، وذلك
لأن من تشبه بقوم وتكلف التحلق بأخلاقهم ، والتأدب بأدابهم ، واستمر على ذلك
ومرّن عليه الرمان الطويل ، اكتسب راحة قوية ، ومملكة تامة ، وصار ذلك التكلف
كالطبع له ، وانتقل عن الخلق الأول ، ألا ترى أن الأعرابي الخلف الجاني إذا دخل
المدن والقرى وحالط أهلها وطال مكثه فبهم تنقل عن خلق الأعراب الذي نشأ
عليه ، وتلطّف طبعه ، وصار شبيهاً ساكناً بالمدن ، وكالأحبي عن ساكني الوديان ، وهذا
قد وجدناه في حيوانات أخرى غير البشر كالسري والصقر والعهد التي ترأض حتى
تدبّل ونأس وتترك طبعها القديم ، بل قد نشاهد في الأسد ، وهو أبقد الخيوان
من الإنسان .

ودكر ابن الصائغ أن عَصْدَ الدَّوْنِ مِنْ بُوَيْهِ كَانَتْ لَهُ أَسُودٌ يَصْطَادُ بِهَا كَمَا يَصْطَادُ
فَتَمْسِكُهُ عَلَيْهِ حَتَّى يُبْدِيَهُ كَمَا يَبْدِيهِ ، وَهَذَا مِنْ أَعْدَابِ الطَّرِيقَةِ .

الأصل :

مَنْ حَاسِبَ نَفْسَهُ رَيْحًا ، وَمَنْ غَفَلَ عَنْهَا حَيْرًا ، وَمَنْ حَافَ أَمِينَ ، وَمَنْ أَعْتَبَرَ
أَنْصَرَ ، وَمَنْ أَنْصَرَ فَيَهُمَّ ، وَمَنْ فَيَهُمَ عَالِمٌ .

الشرح :

قد جاء في الحديث المرفوع : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تمحسبوا » .
قوله « ومن حاف أمين » أي من اتقى الله أميناً من عذابه يوم القيامة .
ثم قال « ومن اعتبر أنصر » أي من قاس الأمور بعضها ببعض واتمظ نآيات الله
وأبامه أصامت بصيرته ، ومن أصامت بصيرته فهم ، ومن فهم علم .

فإن قلت : الفهم هو العلم ، فأي حاجة له إلى أن يقول : « ومن فهم علم ؟ »
قلت : الفهم هاها هو معرفة المقدمات ، ولا بد أن يستعقب معرفة المقدمات معرفة
النتيجة ، فمعرفة النتيجة هو العلم ، فكأنه قال : من اعتبر نمور قلبه بنور الله تعالى
ومن تنور قلبه عقل المقدمات البرهانية ، ومن عقل المقدمات البرهانية علم النتيجة الواحية
عنها ، وتلك هي الثمرة الشريفة التي في مثلها يتنافسون .

الأصل :

وقال عليه السلام :

لَتَمُطِّقَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا نَعْدَ شَمَامِيهَا عَطَفَ الصُّرُوسِ عَلَى وَلَدِهَا . وَتَلَا عَقِيبَ ذَلِكَ : ﴿ وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ .

الشرح :

الشماس : مصدر شمس العرس إذا منع من طهره .

والصُّرُوس : الناقة السيئة الخلق تعضُ حالبها ، والإمامية تزعم أن ذلك وعدٌ منه بالإمام الغائب الذي يملك الأرض في آخر الزمان . وأصحابنا يقولون : إنه وعدٌ بهمام يملك الأرض ويستولى على الممالك ، ولا يلزم من ذلك أنه لابد أن يكون موجودا ، وإن كان غائبا إلى أن يظهر ، بل يكفي في صحة هذا الكلام أن يُخلق في آخر الوقت .

وبعض أصحابنا يقول : إنه إشارة إلى ملك السعاح والنصور وابن النصور معه . فإنهم الذين أزالوا ملك بني أمية ، وهم بنو هاشم ، وطريقهم عطف الدنيا على بني عبد المطلب عطف الصُّرُوس .

وتقول الريدية : إنه لابد من أن يملك الأرض هضمي يتنوه جماعة من العاطفيين على مذهب زيد ، وإن لم يكن أحد منهم الآن موجودا .

الأفضل .

اتَّقُوا اللَّهَ تَقَاةً مِّنْ سَمَرٍ تَحْرِيْدًا ، وَجَدَّ تَشْيِيرًا ، وَأَكْمَشَ فِي مَهَلٍ ، وَبَادَرَ عَنْ
وَحَلٍ ، وَنَظَرَ فِي كَرَّةِ الْمَوْتِ ، وَعَايَنَةَ الْمَصْدَرِ ، وَمَعْنَةَ الْمَرْجِعِ .

الْبَزْخُ :

لو قال : « وحرّد تشييراً » لكان قد أتى سوع مشهور من أنواع البديع ؛ لكنه
لم يجعل بذلك ، وحرى على مقصى طمعه من الملاعة الخالصة من النكلف والتصنع ، على
أن ذلك قد روى ، والمشهور الرواية الأولى .

وأكش . جدّ وأسرع ، ورحل كيش ، أى حادّ .
وفى مهل : أى في مهلة العمر قبل أن يصيب عليه وقته بدو الأخل .

الأصل :

الْجُودُ حَارِسُ الْأَعْرَاضِ ، وَالْحِلْمُ هِدَامُ السَّيْبِ ، وَالْأَمْنُ زَكَاةُ الظَّمْرِ ، وَالسُّلُوُ
 عِوَضُكَ يَمْنٌ عَدَرَ ، وَالِاسْتِشَارَةُ عَيْنُ الْهِدَايَةِ .
 وَقَدْ حَاطَرَ مَنْ اسْتَعَى بِرَأْيِهِ ، وَالصُّرُّ بِأَصِلِ الْخِذْلَانِ ، وَالْجُرْعُ مِنْ أَعْوَانِ
 الرِّمَاحِ ، وَأَشْرَفُ أَلْيَى ، تَرَكَ الْمَوِي .
 وَكَمْ مِنْ عَقْلِ أَسِيرٍ عِنْدَ هَوَى أَمِيرٍ ، وَمِنْ التَّرْفِيفِ حِفْظُ التَّخَرُّبِ ، وَالْمُودَّةُ
 قَرَانَةُ مُتَمَادَّةٍ ، وَلَا تَأْمَنَنَّ مَلُولًا .

التبسيط :

مثل قوله : « الجود حارس الأعراض » قولهم : كلن عيب قالكرم ينطيه .
 والهدام : خرقه عمل على فم الإبريق ، فشه دخل بها ، فإنه يرد السمية عن السفة
 كما يرد الهدام الحر عن خروج القدي منها إلى الكأس .
 وأما « والقفور زكاة الظفر » فقد تقدم أن لكل شيء زكاة ، وزكاة الجاه رفق
 الستمين ، وزكاة الظفر القفور .
 وأما « السلو عوضك بمن عذر » ، فمعناه أن من عذر بك من أحيائك وأصدقائك
 فأسل عنه وتسامه ، واذكر ما عاتلك به من العذر ، فهت تساو عنه ، ويكون ما استمدته
 من السلو عوضاً عن وصاله الأول ؛ قال الشاعر :

أَعْتَمَقَ سَوْءَ مَا صَنَعْتَ مِنَ الرَّقَى فَيَا بَرْدَهَا عَلَى كَيْدِي
فَصِرْتُ عَبْدًا لِسَوْءِ فَيْكِ وَمَا أَحْسَنَ سَوْءَ قَتْلِي إِلَى أَحَدٍ
وَقَدْ سَقَى الْقَوْلُ فِي الْأَمْتِشَارَةِ وَأَنْ الْمُسْتَفَى بِرَأْيِهِ مُحَاطِرٌ ، وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي الْعَصِيرِ .
وَالْمُنَاصَلَةِ : الْمَرَامَةُ .

وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي الْجَزَعِ ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا جَرَّعَ عِنْدَ الْمَصِيبَةِ فَقَدْ أَطَانَ الزَّمَانَ
عَلَى نَفْسِهِ ، وَأَصَافَ إِلَى نَفْسِهِ مَصِيبَةً أُخْرَى .
وَسَبَقَ أَيْضًا الْقَوْلُ فِي الْغَى ، وَأَتَاهَا مِنْ ضَائِعِ النَّوْكَى (١) .
وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي الْهَوَى ، وَأَنَّهُ يَمِيلُ لِلرَّأْيِ وَيَأْسِرُهُ .
وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي التَّجَرُّبَةِ ؛ وَقَوْلُهُمْ : مَنْ حَارَبَ الْمَجْرُبَ حَلَّتْ بِهِ الْقِدَامَةُ ، وَإِنْ
مِنْ أَصَاعِ التَّجَرُّبَةِ فَقَدْ أَضَاعَ عَقْلَهُ وَرَأْيَهُ .
وَقَدْ سَبَقَ الْقَوْلُ فِي الْمَوَدَّةِ ، وَذَكَرْنَا قَوْلَهُمْ : الصَّدِيقُ سَبَبُ الرُّوحِ ، وَالْأَخُ
نَسِيبُ الْجَسَمِ . وَسَبَقَ الْقَوْلُ فِي الْمَلَالِ .
وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ :

لَوْ كُنْتُ طَائِبَةً لَكُنْ عَيْنِي أَمَلِي وَصَالِكِي وَزُرْتُ غَيْرَ مُرَاقِبِ
لَكُنْ مَلَّتْ فَلَمْ يَكُنْ لِي حِمْلَةٌ صَدُّ الْمُلُولِ خِلَافَ صَدِّ الْعَاتِبِ

(١) جَمِيعُ أَنْوَاكٍ ؛ وَهُوَ الْأَخَى .

(٢٠٨)

الأصل :

عُجِبَ الرَّءِيفُ بِنَفْسِهِ أَحَدُ حُسَّادِ عَقْلِهِ .

• • •

الشرح :

قد تقدّم القول في العُجْبِ ، ومعنى هذه التسمية أن الحاسد لا يراى محتشداً في إظهار معائب المحسود وإخفاء محاسنه ، فلما كان مُعْجِبُ الإنسان نفسه كاشعاً عن نقص عقله كان كالحاسد الذي دأبه إظهار عيب المحسود ونقصه
وكان يقال : مَنْ رَمَى عَنْ يَمِهِ كَثْرَ السَّاحِطُ عَلَيْهِ .
وقال مطرّف بن الشَّخِير : لَأَنْ أَيْتَ بَأْمِي ، وَأَصْبَحَ نَادِمًا ، أَحِبُّ إِلَى مَنْ أَنْ أَيْتَ قَاتِمًا وَأَصْبَحَ نَادِمًا ^(١) .

(١) ١ « متصفاً » .

(٢٠٩)

الأفضل :

أَغْضِي عَلَى الْقَدَى وَالْأَلَمِ تَرْضَى أَدَا .

• • •

التبنيح :

نظير هذا قول الشاعر :

وَمَنْ لَمْ يُعْمَرْ عَيْنُهُ عَنْ حَسَدِهِ وَعَلَى بَعْضِ مَا فِيهِ يَمْتَّ وَهُوَ طَائِبُ
وَمَنْ يَنْسَحْ حَاسِدًا كُلَّ عَدُوِّهِ بِحَسَدِهِ وَلَا يَسْلَمْ لَهُ الدَّهْرُ صَاحِبُ

وقال الشاعر :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ صِرَارًا عَلَى الْقَدَى طَمِئْتُ وَأَيُّ النَّاسِ نَصْفُ مِثَارِبِهِ^(١)
وَكُنْ يُقَالُ : اغْضِي عَنِ الدَّهْرِ وَإِلَّا صَرَعَكَ .

وكان يقال : لا تحارب الأيام وإن جمحت دون مطلوبك منها ، واصحبها بسلاسة
القياد ، فإنك إن تصحبها بذلك تعطيت بعد البيع ، وتبين لك بعد القساوة ؛ وإن أتيت
عليها فادتك إلى مكروه صروفها .

الأضل .

مَنْ لَانَ عَوْدُهُ كُنْثَتْ أَغْصَانُهُ .

• • •

البيِّنَج :

تُكَادُ هذه الكلمة أن تكون إيحاء بحقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الطَّيِّبُ يُخْرِجُ سَائِهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾ ^(١) ؛ ومعنى هذه الكلمة أن مَنْ « حَسَّ حُلُقَهُ ، وَلَاتَ كَلْتَهُ ، كَثُرَ مَحْوُهُ ، وَأَعْوَانُهُ وَأَتْبَاعُهُ .

ونحوه قوله : « مَنْ لَانَ كَلْتُهُ ، وَجِثَ مَحْتُهُ » .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَطًّا غَلِيطَ الْقَبِّ لَا مَقْصُورًا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ ^(٢) ، وأصل هذه الكلمة مطابق للقواعد الحكيمية ، أعنى اشجرة ذات الأعصان حقيقة ، وذلك لأن النبات كالحيوان من القوى النعاسية ، أعنى العدنة والتمية ، وما يحكم العاذية من القوى الأربع ؛ وهى الجاذبة ، والماسكة ، والدافعة ، وخاصة ؛ فإذا كان اليبس عالما على شجرة كانت أغصانها أحب ، وكان عودها أدق ، وإذا كانت الرطوبة عالية كانت أغصانها أكثر ، وعودها أغلظ ؛ وذلك لاقتضاء اليبس الدورل ، واقتضاء الرطوبة العِلْط والمبالاة والصحامة ، ألا ترى أن الإنسان الذى غلب اليبس على مراحه ، لا يزال مهلوساً ^(٣) نحيها ، والذى غلبت الرطوبة عليه لا يزال ضغماً غثلاً .

(١) سورة الأعراف ٥٨

(٢) سورة آل عمران ١٥٩

(٣) رجل مهلوس - هله الداء وحمره .

الأصل :

الْخِلَافُ يَهْدِمُ الرَّأْيَ .

• • •

الْبَزْخُ :

هذا مثل قوله عليه السلام في موضع آخر : « لا رأى لمن لا يطاع » .
ويروى : لا إمرة لمن لا يطاع .

وفي أخبار قصر وجدية : « لو كان يطاع لقصر أمر » .
وكان يقال : اللجاج يشخذ الزجاج ، وبشر المعالج .
وقال دريد بن الصمة .

أمرتهم أمري بمنعرج اللسوى فلم يستقيموا النصيح إلا صحتي العدى^(١)

فلما عصوني كمت منهم وقد أرى غوايتهم وأتى غير مهتدي

وكان يقال : أهدى رأى الرجل ما عذ حكمة ، فإذا خولف غدا .

ومن كلام أعلامون : اللجاج عسر انطباع المقولات في النفس ، وذلك إما لفرط

جدة تكون في الإنسان ، وإما لعلط طبع فلا ينقاد للرأى^(٢) .

(١) ديوان الحماسة ٢ : ٣٠٤ - بصرح لبري (٢) ١ : « رأى » .

الإسفل :

مَنْ نَالَ أَسْفَلَ .

البرج :

يُحَوِّزُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ : مَنْ أَثَرَى وَمَالَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى اسْتَطَالَ عَلَى النَّاسِ .



وَيُحَوِّزُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ : مَنْ جَادَ اسْتَطَالَ بِهِ .

يَقَالُ : مَالِي فَلَانٌ مَكْدَا أَيُّ جَادٍ بِهِ عَلَى رُحْلِ طَائِفٍ أَيُّ جَوَادٍ ذُو مَائِلٍ ، وَمِنْهُ ^(١)

رُحْلٌ طَائِفٍ أَيُّ ذُو طَيْنٍ ، وَرُحْلٌ مَالٍ أَيُّ ذُو مَالٍ .

(٢١٣)

الأصل :

فِي تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ ، عِلْمُ حَوَاطِرِ الرُّحَالِ .

الشرح :

معناه لا تُعَمَّ أخلاق الإنسان ، لا بالتحركة ، واختلاف الأحوال عليه .
وقد يما قيل :

رَأَى الْعَتَابَ كَالْخَلِّ وَمَا بِفَرْكٍ مَا الدَّخْلُ^(١)

وقال الشاعر

لَا تَحَبَّ لِي أَمْرًا حَقَّ تَحَرُّبُهُ وَلَا تَذُمَّهُ إِلَّا تَحْرِيبُ

وقالوا التحركة محك ، وقالوا ، إن الإنسان مثل البطيخة ، طاهرها موق ، وقد
يكون في باطنها سم وبود ، وقد تكون حمصا وبقيا .
وقالوا للرجل المحترَب يمدحونه : قد آل وائل عليه .

وقال الشاعر يمدح :

مَا رَأَى يَحَابُ هَذَا الدَّهْرَ أَشْغَرَهُ^(٢) كَوْنُ مَبْنًى طَوْرًا وَمَسَا

حَقِّي اسْتَمَرَّتْ عَلَى شَرِّ مَرَبْرَةٍ مَسْحَكُ الرَّأْيِ لَافَحُمَا وَلَا صَرَاعًا^(٣)

(١) مثل ، وانظر ميداني ١ : ٩٩

(٢) يحلب أشغره ، أي أنه قد حرك الأمور وعاناها ، والكلام على التمثيل

(٣) في اللسان عن الجوهرى : « شح فعم ، أي « ش فعم » ، وفي حديث ابن عمر « ألقى حادما
لا يكون قضا قاب » ولا صغيرا صرعا ، « شح » شح هم السك « . الصرع » الصاوي الجسم الضعيف

الأصل :

حَسَدُ الصَّدِيقِ مِنْ سُمْ أَلْمَوَدَّةِ .

الْبَرْجُ :

إذا حسدك صديقك على نعمة أعطيتها لم تكن صدقه صحيحة ، فإن الصديق حاد
من يجرى نجرى معيك ، والإنسان لم يحمد نفسه

وقيل للحكيم : ما الصديق ؟ فقال : إنسان ، هو أنت ، لأنه غيرك
وأحد هذا المعنى أبو الطيب فقال :

مَا الْخَلَّ إِلَّا مَنْ أَوْدُ قَدْبِهِ وَأَرَى نَظْرِي لَا يَرَى بِسَوَائِهِ^(١)
ومن أدعية الحكماء :

اللهم اكهمى بوائق الثقات ، واحفظنى من كيد الأصدقاء .
وقال الشاعر :

احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة
فلربما انقلب الصديق ففكار أعرف بالصره
وقال آخر^(٢) :

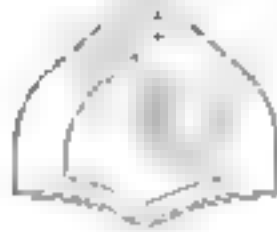
احذر مودة مادي شاب المرارة بالخلاوة^(٣)

يحمي الذنوب عليك أيتام الصداقة للعداوة

وذكر خالد بن صفوان شيب بن شيبة ، فقال : ذاك رجل ليس له صديق في السر
ولا عدو في العلانية .

وقال الشاعر :

إذا كان دَوَّامًا أخوك مصادمًا موجبة في كل أوسر ركائنه
نحل له ظهر الطير ولا تكرر مطية رَحَالٍ كثير مذاهنة



مكتبة جامعة القاهرة

الأصل :

أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ الْمَطَامِعِ .

الشرح :

قد تقدم مما قول في هذا المعنى^(١) .

ومنه قول الشاعر^(٢) :

طَلَبْتَ نَلِيلَ أَرْبَعٍ وَإِنَّمَا^(٣) تُقَطِّعُ أَعْلَى الرَّحَالِ الْمَطَامِعِ^(٤)
وقال آخر .

إِذَا حَسَدْتَنِيكَ انْقَسُ أُنْكَ قَادِرٌ عَلَى مَسْحُوتِ أَيْدِي الرَّحَالِ فَكَدُّ
وَإِيَّاكَ وَالْأَطْمَاعَ إِنَّهُ وَعُودَهَا رَدِّقِي آلٍ أَوْ بَوَارِقُ حُلْبٍ^(٥)

(١) هو المصون ، ديوانه ١٨٩ ، ويسبب نفيس من دربع ، ويسبب أيضاً طلبت ، وانظر تخرجه في الديوان

(٢) تربع : ترحم وتعود ؛ كذا فصره صاحب اللسان ، واستشهد بالبيت وسه إلى البيت

(٣) بعده في الديوان .

ودأبت ليلى في حلاء ولم يكن^(٤) شهود على حلى عدول مقارع

(٤) الرقولي : السرايا .

الأصل :

لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ الْقَصَاءُ عَلَى ثِقَةٍ بِالطَّنِّ .

البرج :

هذا وإنَّ قول أصحاب أصول الفقه . لا يجوز نَسْحُ القرآن والسنة المتواترة بحبر الواحد ، لأنَّ المَصْنُوعَ لا يَرْفَعُ الْمَعْنُومَ .

ولفظ الثقة هاهنا مرادفٌ للفظ العِلْمُ ، فكأنَّه قال : لا يجوز أن يزال ما عُلِمَ بطريق قطعيةٍ لأمرٍ حَلِيٍّ

فإنَّ قلت : أليس البراءة لأصلية معنوية ماسقة ، ومع ذلك تُرْفَعُ بالأمارات الطننية كأحبار الآحاد ؟

قلت : ليست البراءة لأصلية معنوية ماسقة مطلقا ، بل مشروطة بعدم ما يرفعها من طريق عِلْمِيٍّ أو طَنِيٍّ ، ألا ترى أنَّ أكلَ الماء كُفْرًا وشربَ الماء مَعْنُومٌ بالعقل حسبه ، ولكن لا مطلقا ، بل بشرط استثناء ما يقتضي فسخه ، فإنَّما لو أخبرنا إنسانٌ أنَّ هذه الماء كُفْرًا أو هذا الماء مسمومٌ قَطْعُ مَتِّ الإِفْدَاءِ عَلَى تَبَوُّعِهَا ، وإنَّ كان قولُ ذلك المخبر الواحد لا يعيد العِلْمَ الْقَطْعِيَّ (١) .

الأصل :

بَشَرٌ أُرَادُ إِلَى الْعَادِ ، الْعَدَوَانُ عَلَى الْعَادِ .

البنج :

قد تقدم من قولنا^(١) في اعتم العدو ما فيه كلام .
 وكان يقال : عَصَا لِمِ عُوْمِلٍ فَتُحْمَبُ ، إِذِ عَمِلَ كَيْفَ يَعْلَمُ ، وَأَنْجَحَ مِنْ
 عُوْمِلٍ فَظَلِمَ إِذَا عَمِلَ كَيْفَ يَصِلُ !
 وكان يقال : الْعَدُوَّ عَدَوَانٍ : عَدُوٌّ صَمْتُهُ ، وَعَدُوٌّ صَلَمَتُهُ ، فَإِنْ اصْطَرَّتْ الدَّهْرُ إِلَى
 أَحَدِهِمَا فَاسْتَمِنَ بِالَّذِي ظَلَمَتْكَ ، فَإِنْ الْآخِرَ مَوْتُورٌ .

الأصل :

مِنْ أَشْرَفِ أَعْمَالِ الْكَرِيمِ غَفَّتْهُ عَمَّا يَعْلَمُ .

البرزخ :

كان يقال : التعافل من الشؤم .

وقال أبو تمام :

بِئْسَ الْعَمَى بَيْسِدٌ فِي قَوْمِهِ لَكَرَّ سَيْدُ قَوْمِهِ الْمُتَعَايِ (١)

وقال طاهر بن الحسين بن مصعب :

وَيَكْفِيكَ مِنْ قَوْمٍ شَوَاهِدُ أَمْرِهِمْ فَخَذَ صَفْوَهُمْ قَبْلَ امْتِحَانِ الضَّائِرِ

فَإِنَّ امْتِحَانَ الْقَوْمِ يُوحِشُ مَسْهُمُ وَمَا لَكَ إِلَّا مَا نَرَى فِي الظَّوَاهِرِ

وَإِنَّكَ إِنْ كَشَفْتَ لَمْ تَرُ خَيْصًا وَتَذَى لَكَ التَّجْرِبُ حَيْثُ السَّرَائِرِ

وكان يقال : بعض (٢) التعافل نصيلة ، وتقام الجود الإمساك عن ذكر المواهب ،

ومن الكرم أن تصفح عن التوبيخ ، وأن تتس ستر (٣) هتك الكريم .

(٢) ساقطة من أ

(١) ديوانه ١ : ٩٣

(٣) الستر : تغطية الشيء ؛ والى الحديث : لا إن الله حتى ستر يحب السر .

الأصل :

مَنْ كَسَاهُ الْحَيَاءُ ثَوْبَهُ ، لَمْ يَرِ النَّاسُ عَيْتَهُ .

•••

• التبرج :

قد سبق منا قول كثير في الحياء .

•••

[فصل في الحياء وما قيل فيه]

وكان يقال : الحياء تمام الكرم ، وإعلم تمام سقى .

وقال بعض الحكماء : الحياء انقصاص النفس عن القباح ، وهو من حصائص الإنسان ، لأنه لا يوجد في العرمن ولا في السم والبقر ، ونحو ذلك من أنواع الحيوانات ، فهو كالصنك الذي يختص به نوع الإنسان ، وأول ما يظهر من قوة الفهم في الصبيان الحياء ، وقد حث الله تعالى الإنسان ليرتدع به عما تنزع إليه نفسه من القبيح ، فلا يكون كالمهمل ، وهو حقيق مركب من حنين وعفة ، ولذلك لا يكون المستعنى فاسقاً ، ولا الفاسق مستعنياً^(١) لساني اجتماع العفة والفسق ، وقلنا يكون الشجاع مستعنياً والمستعنى شجاعاً لتناهي اجتماع الجبن والشجاعة ، ولعزّة وجود ذلك ما يجمع الشراء بين المدح بالشجاعة والمدح بالحياء نحو قول القائل :

يَحْمَرُّ الْحَيَاءُ الْقَصْرُ مِنْ قَسَمَاتِهِمْ فِي حَبْنٍ يَحْمَرُّ مِنْ أَكْفَمِهِمُ الدَّمُ

(١) ب : مستعنياً .

وقال آخر :

كَرِيمٌ يَمُصُّ الطَّرْفَ فَضْلُ حَيَاتِهِ وَيَذْنُو وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ دَوَانِ

ومتى قصد به الأخصاص فهو مدحٌ للصبيان دون المشايخ ، ومتى قصد به ترك القبيح فهو مدح لكل أحد ، وبالاختبار الأول قيل : الحياء بالأفصل قبيح ، وبالاختبار الثاني وَرَدَ : إن الله يستحي من ذي شئنة في الإسلام أن يعدنه ، أى يترك تعديبه ، ويستقبح لكرمه ذلك .

فأما المجل فخبيرة تنحق الدنس لمزط الحياء ، ويحمدى النساء والصبيان ويذم بالاتفاق في الرجال ،

فأما القصة فمذمومة مكل من ، يدهى انسلخ من الإسماء ، وحقيقتها لحاج النفس في تعاطى القبيح ، واشتقاقها من حافير وقاح أى صلب .

ولهذه المناسبة قال الشاعر :

بَالَيْتَ لِي مِنْ جِلْدِ وَجْهِكَ رُقْعَةً فَعُدَّ مِنْهَا حَافِرًا لِأَشْهَرِ

وما أصدق قول الشاعر :

صَلَاةُ الْوَحْهِ لَمْ تَعَلْ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا سَكَاةً فِيهِ الشَّرُّ وَاحْتِمَا

فأما كيف سكت الحياء ، فمن حق الإنسان إذا هم قبيح أن يتصور أهل من نفسه أنه يراه ، فإن الإنسان يستحي من بكبر في نفسه أن يطلع على عيبه ولعلك لا تستحي من الحيوان غير ساطق ، ولا من الأطفال الذين لا يميزون ، ويستحي من العالم أكثر مما يستحي من الجهل ، ومن الجماعة أكثر مما يستحي من الواحد ، والذين يستحي الإنسان منهم ثلاثة : الشر ، ونفسه ، والله تعالى : أما الشرف فهم أكثر

من يستحي منه الإنسان في غالب الناس ، ثم نفسه ، ثم حاله ، وذلك لقلة توفيقه وسوء اختياره .

واعلم أن من استحيًا من الناس ولم يستحي من نفسه فتمسه عند أحسن من غيره ، ومن استحيًا منهما ولم يستحي من الله تعالى فليس عارًا ، لأنه لو كان عارًا بالله لما استحيًا من المخلوق دون الخالق ، ألا ترى أن الإنسان لا بد أن يستحي من الذي يعطيه ويعلم أنه يراه أو يستمع بحره فيكته ، ومن لا يعرف الله تعالى كيف يستعظمه ! وكيف يعلم أنه بطاع عليه ! وفي قول رسول الله صلى الله عليه وآله : « استحيوا من الله حق الحياء » ، أمر في ضمن كلامه هذا عمره سبحانه وحث عليها ، وقال سبحانه : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ^(١) ﴾ ، تنبيها على أن العبد إذا علم أن ربه يراه استحيًا من ارتكاب الذنوب .

وسئل الحفيد رحمه الله عما يتولد منه الحياء من الله تعالى ؛ فقال : أن يرى الصدق آلاء الله سبحانه ونعمه عليه ، ويرى نقصه في شكره .

فإن قال قائل : فمعنى قول النبي صلى الله عليه وآله « من لا حياء له فلا إيمان له » .

قيل له : لأن الحياء أول ما يظهر من أمار ، يفتش في الإنسان ، وأما الإيمان فهو آخر المراتب ، ومحال حصول المرونة الآخرة من لم تحصل له المرونة الأولى ، فالواجب إذن أن من لا حياء له فلا إيمان له .

وقال عليه السلام : « الحياء شعبة من الإيمان » .

وقال : « الإيمان عريان ، وليس له تقوى ، وربه الحياء » .

الأصل :

بِكثرة الصمت تكون الهيبة ؛ وبالنصفة يكثر الواصلون ، وبالإفضال تنظم
الأقدار ، وبالتواضع تيمم النعمة ، وباحتمال المؤمن يحب الشؤدد ، وبالسيرة العادلة
يقهر المساوي ، وبال حلم عن السعي تكثر الأعمار عنه .

الشرح :

قال يحيى بن خالد : ما رأيت أحدا قط صامتا إلا هتته حتى يتكلم ، فإما أن تزداد
تلك الهيبة أو تنقص . ولا ريب أن الإحصاف سبب إعطاف القلوب إلى المصنف ، وأن
الإفصاف والحدود يقتضي عظم القدر ، لأنه إتمام ، والمسم مشكور ، والتواضع طريق إلى
تمام النعمة ، ولا سؤدد إلا باحتمال لمؤمن ؛ كما قال أبو تمام :

والحدُّ شَهْدٌ لَا تَرَى مُشْتَرَاهَ عَيْيَةٍ إِلَّا مِنْ تَقِيْعِ الْخَطَلِ^(١)

عَلَى الْحَامِلِ وَنَحْبِهِ الَّذِي لَمْ يَوْهْ حَاتِقَهُ حَمِيْفَ الْحَمَلِ

والسيرة العادلة سبب لقهر الملوك الذي يُبْذَرُ بها أعداءه ، ومن حلم عن سعيه وهو
قادر على الانتقام منه نصره الناس كلهم عليه ، واتبعوا كلهم على ذم ذلك السفیه وتقييح
فعله^(٢) ؛ والاب قراء واحتمار اعادات تشهد بجميع ذلك .

(١) ديوانه ٣ : ٤٢

(٢) ب : « فله » تصحیح .

الأصل :

الْعَجَبُ لِقِفْلَةِ الْحَسَادِ ، عَنْ سَلَامَةِ الْأَجْدَادِ !

•••

التفسير :

إعالم يحمّد الحاسد على محبة الجدل لأنه جميع الجدل قد شارك في الصفة ، وما يشارك الإنسان غيره فيه لا يحمّد عليه ، ولهذا أرباب الحمد إذا مرضوا حسدوا الأمتاء على الصفة .

فإن قلت : ظاهراً تعجب أمير المؤمنين عليه السلام ؟

قلت : لكلامه عليه السلام وجه ، وهو أن الحمد لما تمكن في أربابه ، وصار غريزة فيهم ، تعجب كيف لا يتدبى هذا الخلق التميم إلى أن يحمّد الإنسان غيره على ما يشاركه فيه ؛ فإن زيدا إذا أبغض حمرا بغضا عديدا وقد أن تزول عنه يمتد إليه ، وإن كان ذا فينة كينته^(١) ، بل ربما كان أقوى وأحسن حالا .

ومحور أن يريد معنى آخر ، وهو تعجبه من قفلة الحساد ؛ على أن الحمد مؤثر في سلامة أجسادهم ، ومتنفي عنهم ، وهذا أيضا واضح .

(١) : مثل منه .

(٢٢٢)

الأصل :

الطامع في وثاق الدُّر .

الشرح :

من أمثال البختری قوله :

والياسُ إحدى الرِّاحتيْن ولن تَرى تيمًا كظنِّ الخائب المكدود^(١)
وكان يقال . ما طمعتُ إلا ودلت .. تمون التمس .

وفي البيت المشهور :

• تُقطع أعناق الرجال الطامع^(٢) •

وقالوا: عَرٌّ من قَنِيع ، ودَلٌّ من طَمِيع .

وقد تقدم القول في العلم مرارا .

(١) ديوانه ١ : ١٢٧

(٢) المعصوم ، ديوانه من ١٨٩ ، وصدره :

• طَمِيعَتِ بِلَيْلَى ن تَرِيعَ وَإِمَامًا •

الأفضل :

وقال عليه السلام وقد سئل عن الإيمان :

الإيمان معرفة بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان .

الشرح :

قد تقدم قولنا في هذه المسألة .

وهذا هو مذهب أصحابنا المتميزة بتميزه ، لأن العمل بالأركان عندما داخل في معنى الإيمان - أعني فعل الواجبات ، فمن لم يعمل لم يسم مؤمنا وإن عرف قلبه وأقر بلسانه ؛ وهذا خلاف قول المرجئة من الأشعرية والإمامية ، والخصوبة .

فإن قلت : فما قولك في السواد : هل هي دحة في معنى الإيمان أم لا ؟
قلت : في هذا خلاف بين أصحابنا ، وهو مستقص في كنى^(١) الكلامية .

الأصل :

مَنْ أَصْبَحَ عَلَى الدُّنْيَا حَزِينًا ، فَقَدْ أَصْبَحَ لِقِصَاءِ اللَّهِ مَآخِطًا .
 وَمَنْ أَصْبَحَ بِشَكْوِ مُصِيبَةٍ رَكَتَ بِهِ ، فَإِنَّمَا يَشْكُو رَبَّهُ .
 وَمَنْ أَتَى عِيًّا فَتَوَاصَعَ لَهُ لِيَمِدهُ دَهَبٌ ثُلُثًا دِيهًا .
 وَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَكَانَ فَدْخَلَ النَّارَ ؛ فَهُوَ كَانَ مِمَّنْ يَتَّخِذُ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوءًا .
 وَمَنْ كَبَّحَ قَلْبُهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا التَّاطَّ قَبْلَهُ مِنْهَا ثَلَاثَ : هَمٌّ لَا يُسِيئُهُ ، وَحِرْمَانٌ
 لَا يَتْرُكُهُ ، وَأَمَلٌ لَا يُدْرِكُهُ .

البرزخ :

إِذَا كَانَ الرُّزْقُ بِقِصَاءِ اللَّهِ وَقَدَرَهُ ، فَمِنْ حَزَنِ لِقَوَاتِ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَدْ سَخِطَ قِصَاءُ اللَّهِ
 وَذَلِكَ مُصِيبَةٌ ، لِأَنَّ الرِّمَاءَ بِقِصَاءِ اللَّهِ وَاجِبٌ ، وَكَذَلِكَ مِنْ شَكَا مُصِيبَةٍ حَلَّتْ بِهِ ؛ فَإِنَّمَا
 يَشْكُو فَاعِلَهَا لَا هِيَ ، لِأَنَّهَا لَمْ تَنْزِلْ بِهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهَا ، وَفَاعِلُهَا هُوَ اللَّهُ ، وَمَنْ أَشْتَكَى
 اللَّهَ فَقَدْ عَصَاهُ ؛ وَالتَّوَاضُّعُ لِلْأَغْنِيَاءِ تَعْظِيمٌ لِمَعَامٍ أَوْ رَجَاءِ شَيْءٍ عَمَّا فِي أَيْدِيهِمْ فِثْقٌ .
 وَكَانَ يُقَالُ : لَا يُحَمَّدُ النَّبِيُّ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ عَلَى غَيْرِهِ .

فَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « وَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَكَانَ فَدْخَلَ النَّارَ » ، فَهُوَ مِمَّنْ كَانَ يَتَّخِذُ
 آيَاتِ اللَّهِ هُزُوءًا .

فَلْيَقَاتِلْ أَنْ يَقُولَ : قَدْ يَكُونُ مُؤْمِنًا بِالْقُرْآنِ لَيْسَ بِمُتَّخِذٍ لَهُ هُزُوءًا ، وَبِقِرْءِهِ نَمَّ

يدخل النار ، لأنه أتى بكثرة أخرى عو القتل والزنا والفرار من الرّحف
وأمثال ذلك !

والجواب أن معنى كلامه عليه السلام هو أن من قرأ القرآن ثبات قد حل النار
لأجل قراءته القرآن فهو ممن كان يتحد آيات الله هُرُوا ، أي يقرؤه هارثاً به ، ساحراً
منه ، مستهيباً بمواعظه ورواحره ، غير معتقد أنه من عند الله .

فإن قلت : إنما دخل من ذكرت الدار ! لا لأجل قراءته القرآن ، بل لهُزْنه به ،
وحجوده إياه ، وأنت قلت : معنى كلامه أنه من دخل النار لأجل قراءته القرآن
فهو ممن كان يستهري بالقرآن !

قلت بل إنما دخل النار لأنه قرأه على صفة الاستهزاء والشحرة ، ألا ترى أن
الساحد للعتيم يعاقب لسجوده له على جهة المادة والتمظيم ، وإن كان لولا ما يحدثه مصافاً
للعود من أفعال القلوب لما عوقب .

ويمكن أن يحتمل كلامه عليه السلام على تفسير آخر ، فقال : إنه عني قوله : إنه
كما كان ممن تتحد آيات الله هُرُوا : أنه يعتقد أنها من عند الله ، ولكنه لا يعمل بموجها
كما يفعل الآن كثير من الناس .

قوله عليه السلام : « التناط قننه » أي تصيق ولا يُعشّه ، أي لا يأخذه عبثاً ، بل
يلزمه دائماً ، وصدق عليه السلام فإن حثّ الديب رأس كل حطيثة ، وحب الدنيا هو
الموجب للهيم والعم والجور والأمل والخوف على ما أكنسه أن يبعد ، وللشع بما
حوت يده ، وغير ذلك من الأخلاق الذميمة .

(٢٢٥)

الأَمَلُ :
كفى بالقناعة ملكاً ، وَحُسْنُ الخُلُقِ نعيماً .

الْبُشْرُجُ :

قد تقدم القول في هذين ، وهما قناعة وحسن الخلق .
وكان يقال : يستحق الإنسان من حسن خلقه ، ويكاد السقي الخلق بمدح
من الشباع .

وقال بعض الحكماء : حدُّ القناعة هو الرضا بما دون الكفاية ، والرهْد : الأقتصار
على الزهد ، أى الغليل ، وهما متقاربان ، وهى الأعلب إتمام الزهد هو رَفْصُ الأمور
الديوية مع القدرة عليها ؛ وأما القناعة فهى إلزام النفس الصبر عن المشتبهات التى
لا يقدر عليها ، وكلُّ رَهْدٍ حَصَلَ لا عن قناعة فهو ترهّد ، وليس برَهْد ، وكذلك
قال بعض الصوفية : القناعة أول الزهد ، نسيها على أن الإنسان يحتاج أولاً إلى قدح
نفسه وتخصّصه بالقناعة ليسهل عليه تطهير الزهد ، والقناعة التى هى العنى بالحقيقة ، لأن
الناس كلهم فقراء من وجهين : أحدهما لأحقارهم إلى الله تعالى كما قال : ﴿ يَا أَيُّهَا
النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْخَمِيدُ ﴾ ^(١) .

والثانى لكثرة حاجاتهم فدعاهم لا بحالة أنفسهم حاجة ، ومن مدّ معاقره بالمقننات
فما فى أسدادها مطمع ، وهو كمن يرفع الخرق ، بالخرق ومن يسدّها بالاستغناء عنها
بقدر وسعه والاقتصار على تدوّل ضرورياته فهو العنى المقرب من الله سبحانه ، كما أشد
إليه فى قصة طالوت : ﴿ إِنْ لَمْ تُجِبْكُمُ الْيَمُّ فَكُنْ مِنَ الْغَايِبِينَ ﴾ فليس منى ومن لم
يقلعه فبته منى إلا من اعترف عرفه بيده ^(٢) ، قال أصحاب المعاني والباطن : هذا
إشارة إلى الدنيا .

الأصل :

وسئل عليه السلام عن الله عز وجل : (فَلَسْخِيئَةُ حَيَاةٍ طَيِّبَةٌ) ^(١) ، فقال :
هِيَ الْقَاعَةُ .

الشرح :

لا ريب أن الحياة الطيبة هي حياة العبي ، وقد يتأ أن العبي هو القنوع ، لأنه
إذا كان العبي عدم الحاجة فاعنى الناس أفئهم حاجة إلى الناس ، ولذلك كان الله تعالى
أعنى الأعياء ، لأنه لا حاجة به إلى شيء ، وعلى هذا دلّ النبي بقوله صلى الله عليه وآله :
« ليس العبي بكثرة المرمس ، إنما العبي عني نفس » .

وقال الشاعر :

فمن أشرب اليأس كان المصنف ومن أشرب الحرمان كان الفقير

وقال الشاعر :

غنى النفس ما بكفيك من سدّ حلقه من راد شينا عادّ ذاك العبي فقرا
وقال بعض الحكماء : الخير بين أن يستعنى عن الدنيا وبين أن يستعنى بالدنيا
كالخير بين أن يكون مالكا أو مملوكا .

وهذا قال عليه السلام : « تيس عذو الدبير والدريم ، تيس فلا أنتفش ، وشبك
فلا أنتفش » ^(٢) .

(٢) ب : « شك » تحريف ، قلها من الأبر : أى إذا دحت

(١) سورة النحل ٩٧

فيه شوكة لا أخرجها من موضعها ، وهى سمي المتعاش الذى يتفش »

وقيل لحكيم : لم لا تغم ؟ قال : لأنى لم أتحذ ما يعنى قهده .

وقال الشاعر :

فمن سره ألا يرى ما يؤمه فلا يتخذ شيئا يحاف له فقد

وقال أصحاب هذا الشأن : القناعة من وجه صبر ، ومن وجه جود ، لأن الجود ضربان : حود بما فى يدك متزعا ، وحود عما فى يد غيرك متورعا ، وذلك أشرفهما ، ولا يحصل الزهد فى الحقيقة إلا لمن يعرف الدنيا ماهى ؟ ويعرف عيوبها وآفاتهما ، ويعرف الآخرة واعتقاره إليها ، ولا بد فى ذلك من العلم ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ • وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ (٣) .

ولأن الزاهد فى الدنيا راعى فى الآخرة وهو يبيعها بها ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ... ﴾ (٣) الآية .

والسكيس لا يبيع عينا بأثر ، إلا إذا عرفها وعرف فصل ما يتناع على ما يبيع .

الأفضل :

شاركوا الذين قد أقبل عليهم الرزق ، فإنه أخلق للنفس ، وأحذر
يا أقبال الخط .

الشرح :

قد تقدم القول في الخط والبخت .

وكان يقال : الخط يمدى كما يمدى الحرسي ، وهذا يطابق كلمة أمير المؤمنين عليه
السلام ، لأن مخالطة الحدود ليست كمخالطة غير الحدود^(١) ، فإن الأولى تقتضي
الاشتراك في الخط والسعادة ، والثانية تقتضي الاشتراك في الشقاء والحزن .
والقول في الخط وسيع جداً .

وقال بعضهم : البخت على صورة رجل أعمى أعمى أحرس ، وبين يديه حواهر
وحجارة ، وهو يرى بكلتا يديه .

وكان مالك بن أنس قبيصة المديني ، وأحد انفعه عن الليث بن سعد ؛ وكانوا
يزدحمون عليه والليث جالس لا يلتفتون إليه ، فقبل لثيث : إن مالِكاً إنما أخذ
عنك فمالِكٌ خاملاً وهو أسه الناس ذكره^(٢) ، دابق تحت حذر من حذر
يُحْتَنَى حُلٌّ جداً .

وقال الرضي :

أسيح الغيط من نوب الليالي	وما يحف من بالحق الصيغ ^(٣)
وأرحو الرزق من حرق دقيق	يمد حلك حرمان علف ^(٤)
وأرجع لس في كفى منه	سوى عصف البدين على الخطوط

(١) عاره د : « ليست كمخالطة الحدود » ، ولها يستقيم المعنى أيضاً .

(٢) ديوانه ١ : ٤٥٣ (٢) في الديوان : « من خرت » ، والخرت : التلب

الأصل :

وقال عليه السلام في قوله عز وجل :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾^(١) : العدلُ الإنصافُ ، والإحسانُ التفضلُ .

• • •

البشرح :

هذا تفسيرٌ صحيحٌ اتفق عليه المفسرون كافة ، وإنما دخل النذْبُ تحت الأمر لأن له صفةً رائدةً على حسنه ، وليس كالمباح الذي لم صفة له رائدة على حسنه .

وقال الزمخشري : العدلُ هو الواجب ، لأن الله عز وجل عدلٌ فيه على عباده ، فحمل ما فرّضه عليهم منه وأما تحت طاقته ، والإحسان النذْبُ ، وإنما علق أمره بهما جميعاً ، لأن العرض لا بد أن يقع فيه تعريض ، فيجبره النذْبُ ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله لإبراهيم عليه السلام : والله لا ردتُ فيها ولا نقصتُ منها : « أفلح ابنٌ صدق ، صدق الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التعريط ؛ وقال صلى الله عليه وآله : « استقيموا ، ومن تحصوا » ، فليس ينبغي أن يترك ما يجبر كسر التعريط من النواقل^(٢) .

ولقائل أن يقول : إن كان إنما سمي الواجب عدلاً لأنه داخلٌ تحت طاقة المكلف فليس النذْبُ عدلاً لأنه داخلٌ تحت طاقة المكلف ، وأما قوله : إنما أمر بالنذْبُ لأنه يجبر ما وقع فيه التعريط من الواجب ، فلا يصح على مذهبه ، وهو من أعيان المعترلة لأنه لو حُوت أساقفة بالتعريط في واجب لكات واحدة مثله ، وكيف يقول الزمخشري هذا ومن قول مشايخنا : تارك صلاة واحدة من الفرائض لو صلى مائة ألف ركعة من النواقل لم يكفر ثواب عقاب ترك تلك الصلاة !

(٢) تفسير الكشاف ٢ : ٤٩٠

(١) سورة لقن ٥٠

الأصل :

وقال عليه السلام :

مَنْ يُعْطِ بِالْيَدِ الْقَصِيرَةِ يُعْطِ بِالْيَدِ الطَّوِيلَةِ .

قال الرضى رحمه الله تعالى :

وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ مَا يُنْفَعُ الْمَرْءَ مِنْ مَالِهِ وَبَيْتِهِ وَالْجَاهِ وَالْبَرِّ وَإِنْ كَانَ بَيْدًا فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَجْعَلُ الْجَزَاءَ عِنْدَهُ عَظِيمًا كَثِيرًا ؛ وَالْيَدَانِ هَاهُنَا عِبَارَةٌ ^(١) عَنِ النِّعْمَتَيْنِ فَفَرَّقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيْنَ نِعْمَةِ الْعَنْدِ وَنِعْمَةِ الرَّبِّ تَعَالَى دِكْرُهُ ، بِالْقَصِيرَةِ وَالطَّوِيلَةِ ، لِجَمْعِ تِلْكَ قَصِيرَةٍ وَهَذِهِ طَوِيلَةٍ ، لِأَنَّ نِعْمَةَ اللَّهِ أَبَدًا تُصَبُّ عَلَى نِعْمِ الْمَخْلُوقِينَ أَصْعَافًا كَثِيرَةً ؛ إِذْ كَانَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ أَصْلَ النِّعَمِ كُلِّهَا ، فَكُلُّ نِعْمَةٍ إِلَيْهَا تَرْجِعُ ، وَمِنْهَا تُنْزَعُ .

الشرح :

هذا الفصل قد شرحه الرضى رحمه الله ، في عن التمر من شرحه .

الأصل :

وقال عليه السلام لاني الحسن : لا تدعوني إلى مبارزة ، فإن دُعيت إليها فأجب ؛
فإن الداعي إليها باع ، والباغي مضرور .

الشرح :

[مثل من شعاعة على]

قد ذكر عليه السلام الحكمة ، ثم ذكر الآية ، وما سمعنا أنه عليه السلام دعا إلى
مبارزة قط ، وإنما كان يدعى هو نفسه ، أو يدعو من يبارر ، فيخرج إليه فيقتله ، دعا
هو ربيعة بن عبد بن شمس بن هاشم إلى البرار يوم بدر ، فخرج عليه السلام فقتل الوليد
واشترك هو وحررة عليه السلام في قتل عتبة ، ودعا طلحة بن أبي طلحة إلى البرار يوم
أحد ، فخرج إليه فقتله ، ودعا مرثد إلى البرار يوم خيبر فخرج إليه فقتله .

فأما الكروحة التي حرّحها يوم الخندق إلى عمرو بن عبدود فإنها أحل من أن يقال
جيلة ، وأعظم من أن يقال عطيمة ، وما هي إلا كما قال شيخنا أبو الهدى وقد سألته سائل : أيما
أعظم منزلة عند الله ، علي أم أبو بكر ؟ فقال : يا سائل ، والله لمبارزة علي تخمرا يوم الخندق
تعدّل أعمال المهاجرين والأنصار وطاعاتهم كلها ورأي عليها فصلا عن أي بكر وحده . وقد
روى عن حذيفة بن اليمان ما يناسب هذا ، بل ما هو أبلغ منه ، روى قيس بن الربيع عن
أبي هارون السدي ، عن ربيعة بن ميثم السدي ، قال : أثبت حذيفة بن اليمان فقلت :
يا أبا عبد الله ، إن الناس يتحدّون^(١) عن علي بن أبي طالب ومبايعة ، فيقول لهم أهل

(١) ب : « يتحدّون » تحريف

البصيرة : إنكم لتقرطونني تقرظ هذا الرجل ، فهل أنت محدثي بحديث عنه أذكره للناس ؟ فقال : يا ربيعة ، وما الذي تسألني عن علي ، وما الذي أحدثك عنه ! والذي نفس حذيفة بيده لو وضع جميع أعمال أمة محمد صلى الله عليه وآله في كفة للميزان منذ بعث الله تعالى محمدا إلى يوم الناس هذا ، ووضع عمل واحد من أعمال علي في الكفة الأخرى لرجح على أعمالهم كلها ؛ فقال ربيعة : هذا الذبح الذي لا يقام له ولا يُقصد ولا يُحمل ، إني لأظنه إسرافا يا أبا عبد الله ! قد حذيفة : يا لكع ، وكيف لا يحمل ! وأين كان المسلمون يوم الخندق وقد عبر إليهم عمرو وأصحابه فلسكم الملح والجزع ، ودعا إلى المبارزة فأحتموا عنه حتى برز إليه علي فقتله ؟ والذي نفس حذيفة بيده كعمله ذلك اليوم أعظم أجرا من أعمال أمة محمد صلى الله عليه وآله إلى هذا اليوم وإلى أن تقوم القيامة .

وجاء في الحديث المرفوع : « إن رسول الله صلى الله عليه وآله قتل ذلك اليوم حين برز إليه : « برز الإيمان كله إلى الشرك كله » .

وقال أبو بكر بن عيَّاش : قد ضرب علي بن أبي طالب عليه السلام صربة ما كان في الإسلام أئمن منها ، ضربته عمرا يوم الخندق ، وقد ضرب علي صربة ما كان في الإسلام أشأم منها - يسي صربة ابن ملجم آلمه الله .

وفي الحديث المرفوع أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما بارز علي بن عمرا مارا رايا يديه مقبعا^(١) وأنه نحو السماء ، داميا ربه قائلا : اللهم إني أخذت مني عبدة يوم بدر ، وحمزة يوم أحد ، فأحفظ علي اليوم عليا ، فرب لا تغزني فردا وأنت خير الوارثين^(٢) .

وقال جابر بن عبد الله الأنصاري : والله ما شئت يوم الأحزاب : قتل علي بن عمار

إلى البرار سرارا، فلم يقم إليه أحد، فلما أكثَرَ، قام عليّ عليه السلام فقال: أنا أهازله
 يا رسول الله، فأمره بالخلوس، وأعاد عمرو النداء والناس سُكوت كأن على رؤوسهم
 الطير، فقال عمرو: أيها الناس، إنكم تزعمون أن قتلناكم في الجنة وقتلانا
 في النار، أفما يحتمل أحدكم أن يقدم على الجنة أو يقدم عدوا له إلى النار؟
 فلم يقم إليه أحد، فقام عليّ عليه السلام دفعة ثانية وقال: أما له يا رسول الله، فأمره
 بالخلوس، فقال عمرو نغمة مُقبِلا ومدبرا، وجاءت عطاء الأحراب فوقعت من
 وراء الخندق ومدت أعناقها تنظر، فلما رأى عمرو أن أحدا لا يجيبه، قال:

ولقد بُحِثْتُ من النداء بمجموعهم: هل من مُبارز؟
 ووقعت مدجبن الشَّيخ مَوْضِعَ القِرْنِ المُنَاحِزِ
 إني كذلك لم أزل منسرجا قبل المراهز
 إن الشعاع في المقي والحود من حير المرائز

فقام عليّ عليه السلام فقال: يا رسول الله، أئذن لي في مُبارزته؟ فقال: اذن،
 فدنا فقلده سيفه، وعمه نيامته، وقال: امص لشأرك، فلما انصرف قال: «اللهم أعنه
 عليه»، فلما قُرب منه قال له يحيا إياه عن شعره:

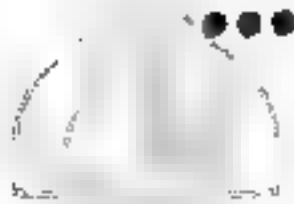
لا نَعَجِبَنَّ فَقَدْ أَتَاكَ حَبِيبُ صَوْتِكَ غَيْرَ طَاجِرٍ
 ذَوِي سَيْفٍ وَتَصِيرَةٍ يَرْحُو بِكَ نَحَاةَ فَارِ
 إني لأُسل أن أقيم عبيت نائمة الجائر
 من صريرة قَوْهاءَ يَسْقِي دِكرُها عد المراهز

فقال عمرو: من أنت؟ وكان عمرو شيئا كبيرا قد حور الثنايين، وكان نديم
 أبي طالب بن عبد المطلب في الحقلية، فانتسب على عليه السلام له وقال: أنا علي بن
 أبي طالب، فقال: أجل، لقد كان أبوك نديما لي وصديقا، فرجع فإني لا أحب أن

أَقْلَكَ - كان شيخنا أبو الخير مصدق بن شبيب النحوي يقول : إذا صرنا في القراءة عليه بهذا الوضع : واقفه ما أمره بالرجوع إبقاء عليه ، بل خوفامته ، فقد عرّف قتلناه بيذر وأحمد ، وعلم أنه إن ناعقه قتلَه ، فاستعيا أن يُطهر القتل ، فأظهر الإبقاء والإبقاء ، وإثمه لكاذب فيهما - قالوا : فقال له علي عليه السلام : لكني أحب أن أهلك ، فقال ابن أبي ، إني لا أكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك ، فارجع وراءك حبرك ، فقال علي عليه السلام : إن قريشا تتحدث عنك أنك قلت : لا يدعوني أحدٌ إلى ثلاثٍ إلا أجبتُ ولو إلى واحدةٍ منها ، قال : أجل ، فقال علي عليه السلام : فإني أدعوك إلى الإسلام ، قال : دُعُ عنك هذه ، قال : فإني أدعوك إلى أن ترجع بمن تبعك من قريش إلى مكة ، قال : إذن تتحدث نساء قريش عني أن غلاما خدعني ، قال : فإني أدعوك إلى البراءة ، حمي عمرو وقال : ما كنتُ أظن أن أحدا من العرب يرومها مني ، ثم نزل ففقر فرسه - وقيل : ضرب وجهه ففر - ونجولاً ، فطارت لها غيرة وارتمها عن الصون ، إلى أن سمع الناس العكبر هتافاً من تحت النخلة ، فظنوا أن علياً قتلَه ، وانجلت النخلة عنهما ، وعليٌ راكب صدره يمز رأسه ، وفر أصحابه ليصبروا الخندق ، فظفرت بهم خيلهم إلا نوفل بن عبد الله ، فإنه قصر فرسه ، فوقع في الخندق ، فرماه المسلمون بالحجارة ، فقال : يا معاشر الناس ، قتلَ أكرم من هذه ، فقل إليه علي عليه السلام قتلَه ، وأحدك الزبير هبيرة بن أبي وهب فصر به فقطع ثمره^(١) فرسه وسقطت دِرْعُ كان حلتها من ورائه ، فأخذها الزبير ، وألقى عسكره ركمه ، ونلوش عمر بن الخطاب ضرار بن عمرو ، فحمل عليه ضرار حتى إذا وجد عمر من الرميح ركمه عنه وقال : إنها كينة مشكورة ، فأخطفها لابن الخطاب ، إني كنتُ آليتُ ألا أُمكِنُ بَدَايَ من قتلِ قريشٍ فأقتله . واصرف ضرار راجعاً إلى أصحابه ، وقد كان جرى له معه مثل هذه في يوم أحد . وقد ذكر هاتين القصةين معاً محمد بن عمر الواقدي في كتاب للمغازي^(٢) .

الإنسان :

يَخَارُ خِصَالِ النِّسَاءِ يَسْرَادُ خِصَالِ الرِّجَالِ : الرُّقُوعُ وَالْجُنُّ وَالْبُخْلُ ، فَإِذَا
كَانَتِ الرَّأَةُ مَرْهُوْمَةً لَمْ تُمْسِكْ مِنْ نَفْسِهَا ، وَإِذَا كَانَتْ بَحِيْرَةً حَفِظَتْ مَالَهَا وَمَالَ
بَعْلِهَا ، وَإِذَا كَانَتْ جَبَانَةً فَرَقَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَمُرُّ مِنْ لَهَا



الشيء :

أَتَدْرِي مَا لِي بِالْمُتَرَانِ دَامَ الْمَسْمُوعُ قَدْرُ

الْجُودِ وَالْإِنْسَانُ فِي خِيَالِهِمْ وَالْبُخْلُ فِي الْفِكَرَاتِ وَالْإِنْفِقُ
وَالْحَقْنُ فِي الْأَحْقَاقِ حَسْبُ مَا لِيهِمْ وَالرَّابِيعَاتُ يَسْلُطُهَا الْأَحْقَاقُ

وله :

قَدْ زَادَ طِبَّ أَحَادِيثِ الْكِرَامِ بِهَا مَا لِكِرَامٍ مِنْ جُنِّ وَمِنْ بَخْلٍ
وَفِي حِكْمَةِ أَفْلَاطُونِ : مِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ وَهَبَّةُ الرَّجُلِ لِامْرَأَتِهِ وَاتِّفَاقُ مَا بَيْنَهُمَا
أَنْ يَكُونَ صَوْتُهَا دُونَ صَوْتِهِ بِالطَّبْعِ ، وَتَمَيُّزُهَا دُونَ تَمَيُّزِهِ ، وَقَلْبُهَا أَضْفَ مِنْ قَلْبِهِ ،
فَإِذَا رَادَ مِنْ هَذَا عِنْدَهَا شَيْءٌ عَلَى مَا عِنْدَ الرَّجُلِ تَلَفَّرَ عَلَى مَقْدَارِهِ ،
وَقَوْلُ : ذَهَبَ الرَّجُلُ عَلَيْنَا فَهُوَ مَرْهُوْمٌ ، إِذَا الْفَخْرُ ، وَكَذَلِكَ نُحْيِيْ فَهُوَ مَسْتَحْوَةٌ ،
مِنَ التَّخَوُّعِ ، وَلَا يَجُوزُ زَهَابُ^(١) إِلَّا فِي لَفْظٍ ضَمِيحٍ .
وَفَرَّقَتْ : خَافَتْ . وَالْفَرَقَ : انْطَوَفَ .

(١) عَنْ ابْنِ السَّكَيْتِ

الأصل :

وَقِيلَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : صِفْ لَنَا الْعَاقِلَ ، قَالَ : هُوَ الَّذِي يَضَعُ
الشَّيْءَ مَوَاضِعَهُ .
فَقِيلَ : فَصِفْ لَنَا الْجَاهِلَ ، قَالَ : قَدْ قُلْتُ .

قَالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ نَعْلَى ، يَمْنَى أَنَّ الْجَاهِلَ هُوَ الَّذِي لَا يَضَعُ الشَّيْءَ مَوَاضِعَهُ ،
مَكَانَ بَرَكَةِ صِفَتِهِ صِفَةً لَهُ ، إِذْ كَانَ بِخِلَافِ وَصْفِ الْعَاقِلِ .

الْبَرْخُ :

هَذَا مِثْلُ الْكَلَامِ الَّذِي تَنَسَّهَ الْعَرَبُ إِلَى الصَّبِّ . ٦٠١ : اخْتَصَمَتِ الصَّبْعُ وَالشَّعْبُ
إِلَى الصَّبِّ ، فَقَالَتِ الصَّبْعُ : يَا أَيُّهَا الْحِلُّ (١) إِنِّي الصَّعْتُ تَمْرَةً ، قَالَ : طَيِّبَاجِيَّتٍ ، قَالَتْ :
وَأَنْ هَذَا أَخْذُهُمْ ، قَالَ : حَفْطُهُمْ أَحْرَزُ ، قَالَتْ : فَإِنِّي لَطَمْتُهُ ؛ قَالَ : كَرِيمٌ
حَقِّ حَقِيقَتِهِ ، قَالَتْ : فَأَطْمَى ، قَالَ : حُرٌّ ائْتَصَرَ ؛ قَالَتْ : أَقْصَى بَيْنَنَا ، قَالَ :
قَدْ فُتُّ .

(١) الحِلُّ : وَلَدُ الصَّبِّ .

(٢٣٣)

الأصل :

وَاللّٰهُ لَدَيَّاكُمْ هَذِهِ أَهْوَاؤُنُ فِي عَيْنِي مِنْ عُرَاقٍ حَنْزِيرِي فِي يَدِي مَحْدُومٌ .

الشرح :

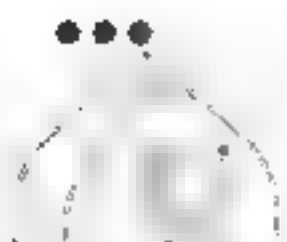
العراق : جمع عرق ، وهو العظم عليه شيء من اللحم ، وهذا من الجوع البادرة ، نحو
رَحَلَ وَرُحَالٌ وَتَوَامٌ وَتَوَامٌ (١) ولا يكون شيء أحقر ولا أبفس إلى الإنسان من عرق
حزيري يدي مجنوم ، فإنه لم يرض بأن يجعله في يدي مخدوم - وهو غاية ما يكون من
التعذيب - حتى جعله عراق حزيري .

ولعمري لقد صدق - وما زال صادقاً - ومن تأمل سيرته في حالتي خلوه من العمل
وولايته الخلافة عرّف صحة هذا القول .

(١) ب : « تام » تحريف .

الأصل :

إِنْ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَغْبَةً فِتْنَتَكَ عِبَادَةُ الشُّجَرِ ، وَإِنْ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَهْبَةً
فِتْنَتَكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ ، وَإِنْ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ شُكْرًا فِتْنَتَكَ عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ .



الشرح :

هذا مقامٌ جليلٌ تنقاصر عنه قوى أكثر البشر ، وقد شرعناه في خدمته ،
وقلنا : إنَّ العبادة لرجاء الثواب نجاسةٌ ومملوكةٌ ، وإنَّ العبادة لخوف العقاب لحرارةٌ من
يستعبد لسلطانٍ قاهر يخاف سطوته .

وهذا معنى قوله : « عبادة العبيد » ، أى خوف السوط والمعصاة ، وتلك ليس عبادةً
نافعة ، وهى كمن يستغفر لى إنسان خوف آذاه ورحمته ، لا لأنَّ ما يستغفر منه قبيح
لا ينبغي له فعله ، فأما العبادة لله تعالى شكراً لأنعمه فعلى عبادة نافعة ، لأنَّ العبادة
شكراً مخصوص ، فإذا أوقفها على هذا الوجه قد أوقفها للوقع الذى وضعت عليه .
فأما أصحابنا المتكلمون فيقولون : يسمى أن يعمل الإنسان الواجب لوجه وجوبه ، ويترك
القبيح لوجه قبحه ، وربما قالوا : يعمل الواجب لأنه واجب ، ويترك القبيح لأنه
قبيح ، والكلام فى هذا الباب مشروح مبسوط^(١) فى الكتب الكلامية .

الأفضل :

للرأه شره كآلهه ، وشره ما فيها أنه لا مد منه .

•••

البشر :

حكاه ابنه عند بعض الحكماء أنه ما دخل بابي شره قط ؛ فقال الحكيم : فين
أين دخلت أمهاتك ؟

وكان بهال : أسباب فتنه النساء ثلاثة ، عين ، بطره ، وصورة مستحسنة ، وشهوة
قادرة ، فالحكيم من لا يردد البطره حتى يعرف حقائق الصورة ، ولو أن رجلا رأى
امراه فافجبه ثم طألبها فامتنعت ، هل كان إلا تاركها ؛ فإن تأبى عقله عليه في مطالبتها
كتأبىها عليه في ماعقتها قدع^(١) نفسه عن لذته قدع العيور إتياء عن حرمة مسلم
وكان يقال : من أتعب نفسه في الحلال من النساء لم يتق إلى الحرام مهنه ،
كالطليح^(٢) منها أن يتريح .

(١) قدع نفسه : منها واحد من شهوتها .

(٢) الطليح : التعب .

الأصل :

مَنْ أَطَاعَ التَّوَنِيَّ صَبَحَ الْخُفُوقَ ، وَمَنْ أَطَاعَ الْوَاثِنِيَّ صَبَحَ الصَّدِيقَ .

البنسخ :

قد تقدم الكلام في التواني والتعجر ، وتقدم أيضا الكلام في الوشاية والسماية .
ورُفِعَ إلى كسرى أروزر أن النصارى الذين يحضرون باب الملك يُمرّمون
بالتعس إلى ملك الروم ، فقال : مَنْ لَمْ يَطْهَرْ لَهُ ذَنْبٌ لَمْ يَطْهَرْ مَا عُقُوبَةُ لَهُ .

ورُفِعَ إليه أن بعض الناس يُنْكِرُ إسماء الملك إلى أصحاب الأحبار ، فوقع : هؤلاء
بمنزلة مداخل الصياد إلى البت المطيم ، وليس تقطع مواد النور مع الحاجة إليه وحده
عند العقلاء .

قال أبو حيدر : أما الأصل في تدبير مصحيح ، لأن الملك محتاج إلى الأحبار ، لكن
الأخبار تنقسم إلى ثلاثة أوجه :

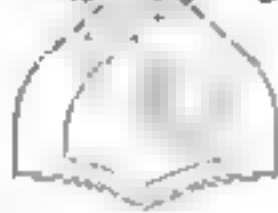
خبر يتصل بالدين ، فالواجب عليه أن يُدْرِعَ ويحتاط في حفظه وحراسته وتحقيقه
ونفى القذى عن طريقه وساحته .

وخبر يتصل بالدولة ورسومها ، فينبغي أن ينيق في ذلك حوا من كيد سعد ،
ونفي يسرى .

وخبر يدور بين الناس في مصيرهم وشؤونهم وحالهم ، متى زاحمتهم فيه أفعالهم

عبيك ، وتمنوا من مُلكك ، رَأَوْا الْعَذَابَ لَكَ ، وَحَمَرُوا إِلَى عَذَابِكَ وَفَتَحُوا
لَهُ بَابَ رَحْمَةٍ يَدُ . .

وإِنَّمَا لِحَقِّ نَاسٍ مِنْ دِمَائِهِمْ هَذَا الْعَذَابُ ، لَأَنَّهُ فِي مَعَ الْمَلِكِ يَتَمَّ عَنْ تَصَرُّفَاتِهِمْ ،
وَنَقَبَاتِهِمْ ، لَمْ يَفِ حُرَّاتِهِمْ ، كَرَّيَا عَلَى قُورِهِمْ ، وَلَهِيَّتَا فِي ضُدُورِهِمْ ، وَلَانْدَلَمَ فِي الدَّهْرِ الصَّالِحُ
وَالزَّوْءَانِ الْمُعْتَدِلُ ، وَاحْصَبَ اتَّبَعُ ، وَالسَّيْلُ الْآمِنُ ، وَاخْتَرِ الْمَتَّصِلُ ؛ مِنْ فُكَاةٍ وَطِيبُ
وَأُسْتِرْسَالٍ وَأُثَرٍ وَظَرٍ ، وَكَلَّ ذَلِكَ مِنْ آثَرِ سَعَةِ الدَّارَةِ ، وَالْقُلُوبِ الْقَدَرَةِ ، فَإِنْ
أَغْضَى الْمَلِكُ نَصْرَهُ عَلَى هَذَا الْقِيَمِ عَاشَرَ مَحَبَاتِهِمْ ، وَإِنْ تَكَّرَ لَمْ يَفِدْ اسْتَأْذَنَ
أَعْدَاءَهُ . وَاسْلَامَ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأصل :

الْحَجَرُ الْعَصْبُ فِي الدَّارِ رَهْنٌ عَلَى حَرَابِهَا .

قال الرضوي رحمه الله تعالى :

وَقَدْ رَوَى مَا يُنَاسِبُ هَذَا الْكَلَامَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا عَجَبَ أَنْ يَشْتَبَهَ الْكَلَامَانِ فَإِنَّ مُنْتَقَاهُمَا مِنْ قَلِيلٍ ، وَمَعْرَعُهُمَا مِنْ ذُنُوبٍ .

البيان :

الذُّنُوبُ : الدُّنُو الْمَلَأَى ، وَلَا يَنْفَالُ لَهَا وَهْيَ فَارِغَةٌ : ذُنُوبٌ ، وَمَعْنَى الْكَلِمَةِ أَنَّ الدَّارَ الْمَبْنِيَّةَ بِالْحِجَارَةِ الْمَصُونَةِ وَلَوْ بِحَجَرٍ وَاحِدٍ ، لَا بُدَّ أَنْ يَتِمَّ حَرَابُهَا ، وَكَأَنَّ ذَلِكَ الْحَجَرَ رَهْنٌ عَلَى حَصُولِ التَّحَرُّبِ ، أَيْ كَمَا أَنَّ الرَّهْنَ لَا بُدَّ أَنْ يُفْتَلِكَ ، كَذَلِكَ لَا بُدَّ لِمَا حُمِلَ ذَلِكَ الْحَجَرُ رَهْنًا عَلَيْهِ أَنْ يَحْصُلَ .

وقال ابن شام لأبي عليٍّ بن مُقَيَّةٍ لما نَبَى دَارَهُ بِالرَّاهِرِ بِمَعْدَادٍ مِنَ الْفُصَّيْ
وَقَطَمَ الرِّعْيَةَ :

بِحَبْلِكَ دَارَانِ مَهْلُومَتَانِ وَدَارُكَ ثَالِثَةٌ تُهْدَمُ
فَلَيْتَ السَّلَامَةَ الْمُصِيفِ نِ دَامَتْ فَكَيْفَ لَنْ يَطْنُمُ

والدّاران : دارُ أُمّ الحسن بنِ الفُرات ، ودارُ مُحَمَّد بنِ داودَ بن الجراح .

وقال فيه أيضا :

قلْ لَأنَّ مُقَلَّةً مَهْلًا لَأنَّكَ مَحِلًّا فَرَمَائَتْ فِي أَضْعَافِ أَحْلَامِ
تَبْنِي بِأَقْصَافِ دُورِ النَّاسِ مَحْنِدًا دَارًا مَقْنَعُزًا أَيْضًا بِمَدِّ أَيْامِ^(١)
وَكَانَ مَا تَفَرَّسَهُ مِنْ بَاقٍ فِيهِ حَقًّا ، فَإِنَّ دَرَهُ قُصِفَتْ حَتَّى سَوَّيَتْ بِالْأَرْضِ فِي أَيْامِ
الرَّاضِي بِاللَّهِ .



الأفضل :

يَوْمُ الْمَطْطُومِ عَلَى الطَّيِّمِ ، أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الطَّائِمِ عَلَى الْمَطْطُومِ .

الْبَيْزِج :

قد تقدم الكلام في الظلم ~~مما ذكرناه~~

وكان يقال : اذكر عدداً لظلم عدل الله تعالى فيك ، وعدد القُدْرَةِ عِندَ الله تعالى عليك .

وإنما كان يومُ العاومِ على الصائم أشدَّ من يومه على المظلوم ، لأن ذلك اليوم يومُ الجِزَاءِ الكَثْفِ ، والأنتقام لأعظم ، وقصارى ^(١) أمرِ الظالم في الدنيا أن يقلَّ عِيره عِيشته ميتةً واحدةً ، ثم لا سبيل له بعد إيمانه أن يُدحَّلَ عليه ألمٌ آخر ؛ وأما يومُ الجِزَاءِ فإنه يومٌ لا يموت الصائم فيه فيُتْرِج ^(٢) ، بل عدائه دائمٌ مسجودٌ ، يعود الله من سُخْطِهِ وعِقَابِهِ .

الأصل :

اتَّقِ اللَّهَ تَعَصَّ الذِّي وَإِنْ قَلَّ ؛ وَاحْمِلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ سِتْرًا وَإِنْ رَقَّ .

البنخ :

يقال في المثل : ما لا يُدْرِكُ كُلُّهُ لا يُبْرِكُ كُلُّهُ .

فالواحد على من عسرت عليه التقوى فاجمع أن يتق الله في السمع ، وأن يحمل بينه وبينه سِتْرًا وإن كان رقيقًا .

وفي أمثال العامة : اجعل بينك وبين الله رُوْرَةً ^(١) ، والرُوْرَةُ لفظة صحيحة مُعرَّاة ، أى لا تحمل ما بينك وبينه مسدودا مظلما بالكلية .

(١) والاسم : «الرورة» بكوة ، وداعكم الحذر وأعلى سلف وعن التهذيب : يقال بالكوة الناعة الرور ؛ قل « وأحبه معرأ

الأصل :

إِذَا اَزْدَحَمَ الْجَوَابُ ، خَبِيَ الصَّوَابُ .

البيان :

هذا نحو أن يورد الإنسان إشكالا في بعض السائل الطَّريفة بحضرة جماعة من أهل النظر ، فيتعالب القوم ويتساقون إلى الجواب عنه ، كلٌّ منهم يورد ما خطر له .

فلارَبَّ أن الصواب يخبى حينئذ ، وهذه الكلمة في الحقيقة أمر للتناظر البَحث أن يصعري الإنصاف في بحثه ونظره مع رفيقه ، وألا يقصد الرأى^(١) والمعالة والقهر .

الأصل :

لَنْ يَكُنْ تَعَالَى فِي كُلِّ نَفْسٍ حَقًّا ، فَسَنُؤَدِّهِ زَادَهُ مِنْهَا ، وَمَنْ قَصَّرَ فِيهِ خَاطَرَ
يُزَوَّلُ نِعْمَتُهُ .



الشرح :

قد تقدم الكلامُ في هذا المعنى .

وجاء في الخبر : مَنْ أُوتِيَ نِعْمَةً فَأَدَّى حَقَّ اللَّهِ مِنْهَا بِرَدِّ الْإِنْفَةِ ، وَاجَابَةِ الدَّعْوَى ،
وَكَشْفِ اللَّطْفَةِ ، كَانَ جَدِيرًا بِدَوَامِهَا [وَمَنْ قَصَّرَ قُصْرًا بِهِ ^(١)] .

الأصل :

إِذَا كَثُرَتِ الْمَقْدُرَةُ قُتِلَتِ الشَّهْوَةُ^(١) .

الشرح :

هذا مثل قولهم : كلُّ مقلوبٍ عليه محمول ، ومثل قول الشاعر .
• وكلُّ كثيرٍ عدوُّ الطَّيِّبَةِ •

ومثل قول الآخر :

وَأَخِرَ كَثُرَتْ عَلَيْهِ حَتَّى مَلَأَتْ وَالشَّيْءُ مَحْمُولٌ إِذَا هُوَ يَرَحُصُ
بِالْيَتَةِ إِذْ بَاعَ وَدَّى بَاعَهُ فَمَرَّ يَزِيدُ عَلَيْهِ لَا مِنْ يَنْقُصُ

ولهذا الحكم علة في العلم العقلي ، وذلك أن النفس عند عتبة بذاتها ، مكتفية بنفسها ، غير محتاجة إلى شيء خارج عنها ، وإنما عرضت لها الحاجة والفقر إلى ما هو خارج عنها لمقارنتها الهيولى ، وذلك ، أن أمر الهيولى بالصحة من أمر النفس في الفقر والحاجة ، وما كان الإنسان مركباً من النفس والهيولى عرض له الشوق إلى تحصيل العدم والقياس^(٢) لانتفاعه بهما ، والتذاذ بهما ، فأما العلوم فإنه يحصلها في شبهة بالحزنة له ، يرجع إليها متى شاء ، ويستخرج منها ما أراد ، أعني القوى النفسانية التي هي محل الصور والمعاني على ما هو مذكور في موضعه . وأما القيات والمحسوسات

(١) : « الشهوة » (٢) : قيات : جمع قبة ؛ بالفهم والكسر : ما اكتسبه الإنسان .

فإنه يروم منها مثل ما يروم من تلك ، وأن يؤدعها خزانة محسوسة خارجة عن ذاته ، لكنه يملط في ذلك من حيث يستكثر منها ، إلى أن يتنبه بالحكمة على ما ينبغي أن يقتضى منها ، وإنما حرص على ما منع لأن الإنسان إنما يطلب ما ليس عنده ، لأن تحصيل الحاصل محال ، والطلب إنما يتوجه إلى المعلوم ، لا إلى الموجود ، فإذا حصله سكن وعلم أنه قد ادخره ، ومتى رجع إليه وخدمه إن كان قد بقي بالله آت خزنة وتوثق إلى شيء آخر منه ، ولا يزال كذلك إلى أن يعلم أن الجزئيات لا نهاية لها ومالا نهاية له ، فلا مطلق في تحصيله ، ولا فائدة في الروع إليه ، ولا وجه طلبة سواء كان معلوماً أو محسوساً ، فوَحِبَ أن يقصد من المعلومات إلى الألف ومن التفتيشات إلى ضرورات البدن ومقاييسه ، ويعدل عن الاستكثار منها ، فإن حصولها كلها مع أنها لا نهاية لها غير ممكن ، وكل فصل عن الحاجة وقدر الكفاية فهو مادة الأخران والمعلوم ، وصروب الكاره ، والمملط في هذا الباب كثير ، وسبب ذلك طمع الإنسان في المي من معدن الفقر ، لأن الفقر هو الحاجة ، والحق هو الاستقلال ، إلى أن يحتاج إليه ، ولذلك قيل : إن الله تعالى عني مطلقاً ، لأنه غير محتاج إليه ، فأما من كثرت قنياه فإنه يستكثر حاجاته بحسب كثرة قنياته ، وعلى قدرها رغبته إلى الاستكثار بكثرة وجوه فقره ، وقد بين ذلك في شرائع الأسى ، وأحلاق الحكماء ، فأما الشيء الرخيص الموجود كثيراً فلأنما يرغب عنه ، لأنه معلوم أنه إذا التمس وجد والعالي فلأنما يقدر عليه في الأحيان ويصيبه الواحد بعد الواحد ، وكل إنسان يتمنى أن يكون ذلك الواحد ليصيبه وليحصل له مالا يحصل لغيره

الأنثى :

احذروا بغلة التمس ، فما كُلهُ شاربٍ يَمْرُدُوه .

• • •

الأنثى :

هذا أمرٌ بالشكر على النعمة وترك اللامس ، لأن اللامس يُزيل التمس كما قيل :

إذا كنت في نعمة فارتعها ، لأن اللامس يُزيل التمس

وقال بعض السلف : كثر إن النسيه بوار ، وظنا أكلت نفرة فرجت في نصابها ،

لمستع شلوةها بالشكر ، واستقيم راحتها بكرم الجوار ، ولا تحسب أن شيوخ
سعد الله عليك غير عظمى مما قليل علك إذا أنت لم ترجع له وظلوا .

وقال أبو عصة : شهدتُ سُفَيَّانَ وَفُضَيْلًا^(١) لما سمعتهما يذكران إلا التمس ،

يقولان : أتم الله سبحانه علينا بكنا ، وقيل بنا كذا .

وقال الحسن^(٢) : إذا استوى يومك فانت ناقص ، قيل له : كيف ذلك ؟ قال :

إن زادك الله اليوم رتسا فليكن أن تراد غدًا له شكرًا .

وكان يقال : الشكر جنة^(٣) من الزوال ، وأتت من الانزال .

وكان يقال : إذا كانت النعمة وسية فاجعل الشكر لها نعمة^(٤) .

(١) هو الحسن البصري

(٤) النعمة : النوبة .

(٢) هو فضيل بن عياض

(٣) جنة : وفاة .

(٢٤٤)

الأصل :

الكرمُ أغلفُ من الرحيمِ .

الشرح :

مثلُ هذا المعنى قولُ أبي تمام لا الهلهم :

إلا يسكن نسبٌ يؤلفُ يثاباً ~~ألفاً~~ المقامَ الوالدِ (١)

أو يختلفُ ماء الوصالِ ~~بما لا~~ عذوً ~~فقد~~ كغمامٍ واحدٍ

ومن قصيدة لي في بعض أعراسي :

ووشائجُ الآدابِ عاطفةُ ۞ مصلاً فوقَ وشائجِ النسبِ (٢)

(١) ديوانه ١ : ٤٠٧ ، وثله .

إن يكدي مطرفُ الإخاءِ قريباً تعذو وتسرى في إحاءة تاليد

(٢) في الأصول : الأسباب ، ولا يستقيم الوزن

(٢٤٥)

الأصل :

مَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْرًا فَصَدَّقْ ظَنَّهُ .

•••

الشرح :

هذا قد تقدم في وصيته عليه السلام لولد له الحسن .

ومن كلام بعضهم : إني لأستحي أن يأتي الرجل بعمره وجهه تارة من الخجل أو
يصفر أخرى من خوف الرمق فدخل علي الخليل وعاتبه عليه وعدا على أن أردّه^(١) خائباً .

(٢٤٦)

الأفضل :

أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ مَا أُكْرِهْتَ بِمَسْكَ عَبْدٍ .

الْبَيْزُ :

لَا رَيْبَ أَنَّ التَّوَابَ عَلَى قَدْرِ الشُّعَةِ ، لِأَنَّهُ كَالْيَوْمِضِ عَنْهَا^(١) ، كَمَا أَنَّ الْيَوْمِضَ
الْحَقِيقَ يَوْمِضٌ عَنِ الْأَلَمِ ، وَلِهَذَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ أَحْمَرُهَا »^(٢) .
أَيُّ اشْتَبَاهَا .

(١) ١ : « مَشَاهِد »

(٢) « عِلَّةُ ابْنِ الْأَثِيرِ » : لِنَهَايَةِ ٩ : ٢٥٨ م : « قَالَ : رَجُلٌ حَلَزَ الْفُرَادَ وَحَمِيزَهُ » أَيُّ شَدِيدٍ

الأصل :

عَرَفْتُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِسَنَعِ الْعَزَائِمِ ، وَحَلِّ الْغُودِ ، وَتَقْصِي الْهِمَمِ .

الشرح :

هذا أصلُ الطُّرُق إلى معرفة البدوي سبحانه ، وهو أن يَعْرِمَ الإنسانُ على أمرٍ ، ويصمُّ رَأْيَهُ عليه ، ثم لا يَلْبَثُ أن يُحِيطِرَ اللهُ تعالى بباله خاطراً صارِقاً له عن ذلك العمل ، ولم يكن في حِسابه ، أى لولا أن في الوجود (١) ذاتاً مدبرة لهذا العالم لما حَطَرَتِ الخواطرُ التي لم تكن محسوسة ، وهذا أصلٌ يتضمنُ كلاماً دقيقاً يذكره المتكلمون في الخاطر الذي يحيطُ عن غيرِ مُوجبٍ لخطوره ؛ فإنه لا يجوز أن يكون الإنسانُ أخطره بباله ؛ وإلا لكان ترحيحاً من غيرِ مَرَحٍ لجانب الوجود على حاسب العلم ، فلا بد أن يكون الخطرُ له ببالٍ شيئاً خارجاً عن ذات الإنسان ، وذلك هو الشيءُ المسمى بصانع العالم .

وليس هذا الموضع مما يحتمل استقصاء القوي في هذا البحث .

ويقال : إن عَصْدَ الدَّوْلَةِ وقعت في يده قصة وهو تصفح القِصص ، فأمر بصَلْبِ صاحبها ثم أتبع الخادمَ حادماً آخر يقول له : قل لمطهر - وكان وريراً - لا يصلُبه ، ولكن أخرجْه من الحبس فاقصع يده اليمنى ؛ ثم أتبعه خادماً ثالثاً ، فقال : بل تقول له : يقطع أعصابَ رجليه ، ثم أتبعه خادماً آخر فقال له : ينقله إلى القلعة يسيرافاً في قيوده فيجعلُه هناك ، فاحتسبت دَواعيه في ساعة واحدة أربع مرات .

الأفضل :

مرارة الدنيا حلاوة الآخرة ، وحلاوة الدنيا مرارة الآخرة .

الشيخ :

لما كانت الدنيا^(١) صدًا لأخرة ، وجب أن تكون أحكام هذه صدًا أحكام هذه ، كالسود يمتع الصبر واليباض يفرق الصبر ، والحرارة توجب الحمة ، والبرودة توجب الثقل . فإذا كان في الدنيا أعمال هي مرارة للذائق على الإنسان قد ورد الشرع بإسائها فذلك الأعمال تقتضي^(٢) وتوجب تفاعلها ثوابًا لحلو للذائق في الآخرة . وكذلك بالعكس ما كان من الشهيات الدبرية التي قد هي الشرع عنها توجب ، - وإن كانت حلوة للذائق - مرارة العقوبة في الآخرة .

(١) : « الحياة الدنيا صد الحياة الآخرة »

(٢) : « تقتضي »

الأصل :

فَرَضَ اللَّهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيراً مِنَ الشُّرْكِ ، وَالصَّلَاةَ تَنْزِيهاً عَنِ الْكِبَرِ ،
وَالزَّكَاةَ تَسْبِيحاً لِلرِّزْقِ ، وَالصَّيَامَ ابْتِلَاءً لِإِحْلَاصِ الْحَقِّ ، وَالْحَجَّ تَقْوِيَةً لِلدِّينِ ،
وَالْجِهَادَ عِزًّا لِلْإِسْلَامِ ، وَالْأَمْرَ بِسُوءِ مَصْلَحَةٍ لِلْعَوَامِّ ، وَالنَّهْيَ عَنِ التُّكْرِ
رَدْعاً لِلشُّمَاءِ ، وَحِيلَةَ الرَّحِمِ مَنَّةً لِلْمَدَدِ ، وَالْقِصَاصَ حَسّاً لِلدِّمَاءِ ، وَإِقَامَةَ
الْحُدُودِ إِعْظَاماً لِلْمَعَارِمِ ، وَتَرْكَ شَرْبِ الْخَمْرِ تَحْصِيماً لِلْعَقْلِ ، وَمُجَاسَّةَ السَّرِقَةِ
إِحْشَاءً لِلنِّفَعِ ، وَتَرْكَ الزُّنَا تَحْصِيناً لِلْمَسْبِ ، وَتَرْكَ الْأَوَاطِ تَكْثِيراً لِلنَّسْلِ ،
وَالشَّهَادَاتِ اسْتِظْهَاراً عَلَى الْجَاهِدَاتِ ، وَتَرْكَ الْكُذِبِ تَشْرِيفاً لِلصِّدْقِ ، وَالسَّلَامَ
أَمَاناً مِنَ الْخَوَافِ ، وَالْأَمَانَةَ بَطْناً بِلَاغَةً ، وَالطَّعَةَ تَعْلِيماً لِلْإِمَامَةِ .

الشرح :

هذا الفصل يتضمن بيان تعليل انسابات إمامنا .

قال عليه السلام : فَرَضَ اللَّهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيراً مِنَ الشُّرْكِ ، وذلك لأنَّ الشُّرْكَ
بجاسة حُكْمِيَّة لا عَيْنِيَّة ، وأى شئ يكون أحسن من الجهل أو أقبح ، فالإيمان هو
تطهير القلب من بجاسة ذلك الجهل .

وَفَرَضَتِ الصَّلَاةَ تَنْزِيهاً مِنَ الْكِبَرِ ، لأنَّ الإنسان يقوم فيها قائماً ، والقيام مُنَافٍ
للكِبَرِ وطاردٌ له ، ثم يرفع يديه بتكبير وقت الإحرام بالصلاة ويصير على هيئة
من يمدَّ عنقه ليوسطه السيِّف ، ثم يستكف كما يفعله العيد الأذلاء بين يدي

السادة العظماء ، ثم ير كع على هيئة من يمدّ عنقه ليصير بها السياف ، ثم يسجد فيصع أشرف أعصائه هو حنّته على أدوار المواضع ، وهو انذاب . ثم تتصنّ الصلاة من الخسوع والخشوع والامتساع من الكلام والحركة للوهمة لمن رآها أن صاحبها خارج عن الصلاة ، وما في عصور الصلاة من أذكار النصّمة الدلّ والتواضع لعظمة الله تعالى .

وقرّضت الرّكاة نسيباً للرق ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَبِهِ يُجْلَمُهُ ﴾ ^(١) ، وقال : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ ﴾ ^(٢) .

وقرّض الصيام ابتلاء لإخلاص الحق ، قال النبي صلى الله عليه وآله حاكياً عن الله تعالى : « الصوم لي وأنا أخير به » ، وذلك لأن الصوم أمر لا يقطع عليه أحد ، فلا يقوم به على وجهه إلا المحيصون .

وقرّض الخجّ تقوية للدين ، وذلك لما يحصل للعاج في صميه من المتاجر والمكاسب ، قال الله تعالى : ﴿ لِيَشْهَدُوا مَعَ لَمْ وَبَدَّ كَرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ رِزْقِهِ الْأَنْعَامِ ﴾ ^(٣) . وأيضاً فإنّ المشركين كانوا يقولون : لولا أن أممات محمد كثير وأولو قوة لما حقوا ، فإنّ الجيش الضعيف يهجر عن الحجّ من السكان البعيد . وقرّض الجهاد عراً للإسلام ، ودبّ طاهر ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ لَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكِنْ لَعَلَّ بَعْضَهُمْ يَتَّقِي ﴾ ^(٤) ، وقال سبحانه : ﴿ وَأَعِذُوا لَمْ مَا اسْتَضَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ ^(٥) .

(٢) سورة الفج ١١

(٤) سورة الفج ٤٠

(١) سورة ساء ٣٩

(٣) سورة الحج ٢٨

(٥) سورة الأهل ٦٠

وفرض الأمر بالمعروف مصلحة للمؤمنين ، لأن الأمر بالعدل والإنصاف وردّ
الودائع ، وأداء الأمانات إلى أهلها ، وقضاء الديون ، والصّدق في القول ، وإيجاز
الوعد ، وغير ذلك من محاسن الأخلاق ، مصالحة للأشّر عظيمة لا محالة .
وفرض النهي عن النكّر ردّعا لتفهاء ، كالتّهي عن الظلم والكذب والسّفه ،
وما يتجرى تجرى ذلك .

وفرض صلاة الرّحم منّة للمعدّد . قال النبي صلى الله عليه وآله « صلاة الرّحم
تزيد في العمر ، وتُتمّى العدّد » .
وفرض القيصاص حقنا للدماء ، قال سبحانه : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ
يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ ^(١) .

وفرض إقامة الحدود إعظاما للمحارم ، وذلك لأنّه إذا أقيمت الحدود امتنع كثير
من الناس عن المعاصي التي تحبّ الحدود فيها ، وظهر عظم تلك المعاصي عند العامة
فكأبوا إلى تركها أقرب .

وحُرّم شرب الخمر تحميّنا للعقل ، قال قوم لحكيم : اشرب القليل معنا ، فقال :
أما لا أشرب ما يشرب عقلي ؛ وفي الحديث المرفوع ، « أن ملكا ظالما حَيّر إنسا
بين أن يُحَامِصَ أمّه أو يَقْتُلَ نفسا مؤمنة ، أو يَشْرَبَ الخمر حتّى يَسْكُرَ ، فرأى أن
الخمر أهونُها ، فشرب حتّى سَكِرَ ، فمّا غلبه قام إلى أمّه فوَطِئَهَا ، وقام إلى تلك
النفس المؤمنة فقتلها » ؛ ثم قال عليه السلام : « الخمرُ جاعلُ الإثم ، الخمرُ أمّ للمعاصي » .
وحُرّمت السّرقة إغناء للعنة ، وذلك لأنّ العفة حَقٌّ شريف ، والطعمُ حَقٌّ
دنيء ، حرمت السّرقة ليتمرّن الناس على ذلك الحَقِّ الشريف ، ويغابوا ذلك
الحَقِّ اللّيم ، وأيضا حرّمت لما في تحريمها من تحصيل أموال الناس .

وَحُرْمُ الزَّامِ تَحْصِينًا لِلنَّبِّ ، فَإِنَّهُ يُفِضِي إِلَى اخْتِلَاطِ الْمِيَاهِ وَاشْتِبَاهِ الْأَسَابِ ،
وَالْأَ تَنْسَبُ أَحَدٌ بِتَقْدِيرِ الْأَ بِشَرَعِ النِّكَاحِ إِلَى أَبٍ ، بَلْ يَكُونُ نَسَبُ النَّاسِ
إِلَى أُمَّهَاتِهِمْ ، وَفِي ذَلِكَ قَسْبُ الْحَقِيقَةِ ، وَعَكْسُ الْوَاحِبِ ، لِأَنَّ الْوَلَدَ مَخْلُوقٌ مِنْ مَاءِ الْأَبِ ،
وَأَمَّا الْأُمُّ وَعَاءٌ وَغَارِفٌ .

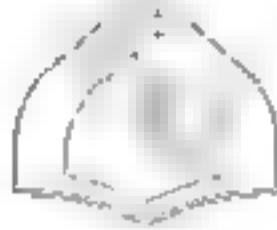
وَحُرْمُ اللُّوَاطِ تَكْثِيرًا لِلنَّسْلِ ، وَذَلِكَ دُرُوطٌ بِتَقْدِيرِ اسْتِفَاضَتِهِ بَيْنَ النَّاسِ
وَالِاسْتِفْنَاءِ بِهِ عَنِ النَّسَاءِ يُفِضِي إِلَى اضْطِغَاعِ النَّسْلِ وَالْقَدَرَةِ ، وَذَلِكَ خِلَافُ مَا يَرِيدُ
اللَّهُ تَعَالَى مِنْ بَقَاءِ هَذَا النَّوْعِ الشَّرِيفِ الَّذِي لَيْسَ فِي الْأَنْوَاعِ مِثْلُهُ فِي الشَّرَفِ ، لِمَكَانِ
النَّفْسِ النَّاظِقَةِ الَّتِي هِيَ نَسْعَةٌ وَمِثْلُهَا لِلْحَصْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَلِذَلِكَ تَمَّتْ الْحِكْمَةُ الْإِنْسَانِ
الْعَالَمِ الصَّغِيرِ .

وَحُرْمُ الْاسْتِمْنَاءِ بِالْيَدِ وَإِثْبَانُ الْبَهَائِمِ لِمَعْنَى الَّذِي لِأَجْلِ حُرْمِ اللُّوَاطِ ، وَهُوَ
تَقْلِيلُ النَّسْلِ ؛ وَمَنْ مَسَّحَنَ الْكَلِمَاتِ السُّبُوتِ قَرْنَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْاسْتِمْنَاءِ بِالْيَدِ :
« ذَلِكَ الْوَادُ اتَّخَذَ » ، لِأَنَّ الْجَاهِلِيَّةَ كَانَتْ تَبْدُو النَّاتِ أَيْ تَقْتُلُنَّ حَقًّا ، وَقَدْ
قَدْ مَنَّا دَكْرَ سَبَبِ ذَلِكَ ، فَشَبَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِبْطَالُ الْمَطْعَةِ الَّتِي هِيَ وَلَدٌ بِالْقُوَّةِ بِإِتْلَافِ
الْوَلَدِ بِالْفِعْلِ .

وَأَوْجَبَتِ الشَّهَادَاتُ عَلَى الْحَقِّقِ اسْتَظْهَارَ عَنِ الْمَحَادَثِ ؛ قَالَ السَّيِّدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ : « لَوْ أُعْطِيَ النَّاسُ بِدَعَاوِيهِمْ لَاسْتَحْلَقُوا قَوْمٌ مِنْ قَوْمِ دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ » ، وَوَجَبَ
تَرْكُ الْكَذِبِ تَشْرِيفًا لِلصِّدْقِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ مَصْلَحَةَ الْعَامَةِ بِإِعْمَالِهِمْ وَتَنْظِيمَ بِالصِّدْقِ ،
فَإِنَّ النَّاسَ يَبْنُونَ أَكْثَرَ أُمُورِهِمْ فِي مَعَامِلَاتِهِمْ عَلَى الْأَخْبَارِ ، فَإِنَّهَا أَعَزُّ مِنَ الْبَيَانِ
وَالْمُشَاهَدَةِ ، فَإِذَا لَمْ تَكُنْ صَادِقَةً وَقَعَ الْخَطَأُ فِي التَّحْدِثَاتِ ، وَفَسَدَتْ أَحْوَالُ الْخَلْقِ .
وَشُرْعَ رَدُّ السَّلَامِ أَمَانًا مِنَ الْخَوَافِ ، لِأَنَّ تَعْيِيرَ قَوْلِ الْقَائِلِ : « سَلَامٌ عَلَيْكُمْ » ،
أَيَّ لَا حَرْبَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، بَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ السَّلَامُ ، وَهُوَ الصَّلَاحُ .

وَفُرِضَتِ الْإِمَامَةُ نَظَامًا لِلْأَمَّةِ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْخَلْقَ لَا يَرِيعُ الْمَرْجِعَ وَالْعُتْفَ وَالْعِلْمَ
وَالنَّصَبَ وَالسَّرِقَةَ عَنْهُمْ إِلَّا بِوَازِعٍ قَوِيٍّ ، وَلَيْسَ بِسَكِينٍ فِي امْتِنَاعِهِمْ قُبْحُ الْقَبِيحِ ،
وَلَا وَعِيدُ الْآخِرَةِ ، بَلْ لَا يَدَّ لَهُمْ مِنْ سَطْوَانِ قَاهِرٍ يَعْلَمُ مَصَالِحَهُمْ ، فَيَرُدُّ عَنْ ضَالَّتِهِمْ ، وَيَأْخُذُ
عَلَى أَيْدِي سَفَهَاتِهِمْ .

وَفُرِضَتِ الطَّاعَةُ تَعْطِيلًا لِلْإِمَامَةِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ أَمْرَ الْإِمَامَةِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِطَاعَةِ الرِّعَايَةِ ،
وَالْأَقْوَى عَصَتْ الرِّعَايَةَ إِمَامَتُهَا لَمْ يَنْتَعَمُوا بِإِمَامَتِهِ وَرِثَايَتِهِ عَلَيْهِمْ .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأصل :

وله عليه السلام يقول :

أَخْلَفُوا الطَّالِمَ إِذَا أَرَدْتُمْ بِمِيَّةٍ يَأْتُهُ مِنْ حَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ ،
قِيَّةً إِذَا خَلَفَ بِهَا كَاذِبًا عُوجِلَ ، وَإِذَا حَبَّ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَمْ
يُجَاجِلْ ، لِأَنَّهُ قَدْ وَحَّدَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

الشرح :

[ما جرى بين يحيى بن عبد الله وبين ابن المصعب عند الرشيد]

روى أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني في كتاب "مقاتل الطالبيين" أن
يحيى بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام لما أتمه الرشيد بعد حروجه
بالدبلم و صار إليه نافع في كرامته ورثه ، فسقى به بعد مده - من الله -
الزبيرى إلى الرشيد - وكان مضى - وقال له : إنه قد عاد يدعو إلى عبادة يسرا ، وحسن
له قصص أمائه فأحصره وجمع بينه وبين عبد الله بن مصعب ليناظره في قذفه به ورد به
عليه ، فغضب ابن مصعب محصرة الرشيد ، وأدعى عليه الحركة في الخروج وشق العصا ،
فقال يحيى : يا أمير المؤمنين ، أتصدق هذا علي وتسنصحه ؟ وهو ابن عبد الله بن الزبير ،
الذى أدخل أمالك عبد الله وولده الشعب ، وأصرم عيبيه البار حتى خلصه ^(١) أبو عبد الله
الجليل ، صاحب علي بن أبي طالب عليه السلام ، به عبوة ؟ وهو الذى ترك الصلاة على

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَرْبَعِينَ جُمُعَةً فِي حُطْبَتِهِ ، فَلَمَّا أَلْثَمَ عَلَيْهِ النَّاسُ قَالَ :
 إِنَّ لَهُ أَهْبِيلَ سَوْءٍ إِذَا صَلَّيْتَ عَلَيْهِ أَوْ ذَكَرْتَهُ أَثْلَمُوا أَعْنَاقَهُمْ وَأَشْرَأُوهَا لِدِرْكَرِهِ ،
 فَأَكْزَرَهُ أَنْ أَسْرَمَهُمْ أَوْ أَقْرَأَ عَلَيْهِمْ^(١) ؛ وَهُوَ الَّذِي كَانَ يَشْتُمُ أَبَاكَ وَيُبْلِصِقُ بِهِ الْعَيُوبَ
 حَتَّى وَرِمَ كَبْدُهُ ، وَلَقَدْ ذَبَحْتُ قُرَّةَ يَوْمًا لِأَيِّكَ فَوُجِدَتْ كَبْدُهَا سَوْدَاءَ قَدِ
 نَقِيتُ ، فَقَالَ عَلِيٌّ ابْنُهُ : أَمَا تَرَى كَبْدَ هَذِهِ الْبَقْرَةِ يَا أَبَتِ ! فَقَالَ : يَا بَنِيَّ هَكَذَا تَرَكُ
 ابْنُ الزَّيْرِ كَبْدَ أَيِّكَ ، ثُمَّ نَفَاهُ إِلَى الْعُلَاقِفِ ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ عَلِيٌّ :
 يَا بَنِيَّ إِذَا مِتَ فَاحْلُقْ قَوْمَكَ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَاةَ بِالشَّامِ ، وَلَا تُتِمِّمْ فِي بَلَدِ ابْنِ الزَّيْرِ
 فِيهِ إِمْرَةٌ ، فَاخْتَارَ لَهُ صَحْبَةً يَرِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ عَلَى صَحْبَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْرِ . وَوَالَهُ إِنَّ
 عِدَاوَةَ هَذَا بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَأَجْمَعًا بِمِثْلِهِ سَوَاءٌ ، وَلَكِنَّهُ قَوِيَ عَلَى بَكَ ، وَضَعُفَتْ
 عَمُّكَ ، فَخَرَّابَ بَنِي إِلَيْكَ يَطْعَمُ مِنْكَ بِي بَمَا يَرِيدُ ، إِذَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى مِثْلِهِ مِنْكَ ، وَمَا يَنْبَغِي
 لَكَ أَنْ تُسَوِّغَهُ ذَلِكَ فِيَّ ، فَبَيْنَ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ وَهُوَ أَنْتَ نَسَبًا مِنْكَ إِلَيْهَا
 ذَكَرَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ يَوْمًا قَبْلَهُ ، فَسَاعَدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْرِ عَلَى ذَلِكَ ، فَزَجَرَهُ
 وَانْتَهَرَهُ ، فَقَالَ لِمَا سَاعَدْتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : إِنَّ الْحَسَنَ لِحَيِّ آسِكُهُ وَلَا
 أَوْكِلُهُ . وَمَعَ هَذَا فَهُوَ الْخَارِجُ مَعَ أَخِي مُحَمَّدٍ عَلَى أَيِّكَ لِلْمُصَوِّرِ أَبِي حَمْرٍ ، وَالْقَائِلُ
 لِأَخِي فِي قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ أَوَّلُهَا :

إِنَّ الْحَمَامَةَ يَوْمَ الشَّعْبِ مِنْ حَصْنِ^(٢) هَاجَتْ فَرَادَ تُحِبُّ دَائِمَ الْخَوَرِ
 يُخْرِضُ أَحَى فِيهَا عَلَى الْوُثُوبِ وَالْهَوَاصِ إِلَى الْعِلَاقَةِ ، وَيَمْدَحُهُ وَيَقُولُ لَهُ :
 لَا عَزَّزُكُمْ تَزَارِعُ عِدَّ سَطَوَاتِهَا إِنَّ أَسْلَمَكَ وَلَا رُكْنًا ذَوِي يَمَنٍ
 أَلَسْتَ أَكْرَمَهُمْ عُودًا إِذَا انْتَسَبُوا يَوْمًا وَأَطْلَهُمْ ثَوْبًا مِنَ الدَّرَنِ !

(١) مقال الطالبي : « فلا أحب أن أقر عينهم بدركه » . (٢) كداهي والقد : ٨٧ ،
 وفي مقال الطالبي « دني » .

وأعظم الناس عند الناس منزلةً وأبعد الناس من محب ومن وقر
قوموا ببيعتكم تنهض طاعتها إن الخلافة فيكم يا بني حسن
إنا لنأمل أن ترتد ألفتنا بعد استدأبر والعصاة والإخن
حتى يشأب على الإحسان محيئنا ويأمن الحائث المأخوذ بالدم
وتنفى دولة أحكام قادتها فينا كأحكام قوم عادي ون
فطالما قد برؤ بالجور أعطنا برؤ الصناع قداح النع بالسفر

فتعبر وجه الرشيد عند سماع هذا الشعر ، وتنبط على ان مصعب ، فابتدأ ان
مصعب يحلف بالله انى لا إله إلا هو وبإيمان البيعة أن هذا الشعر ليس له ،
وأنه ليدبف ، فقال يحيى : والله يا أمير المؤمنين ما قاله غيره ، وما حلفت كاذبا
ولا صادقا بالله قبل هذا ، وإن الله عروحل إذا محده العبد في يمينه فقال : والله
الطالب العالب الرحمن الرحيم ، استحي أن يعاقبه ؛ فدعى أن أحلفه بيمين ما حلف
بها أحد قط كاذبا إلا عو حل ، قال لحلفه ؛ قال قد : ترئت من حول الله وقوته ،
واعتصمت بحولى وقوتى ، وتقلدت الحول والقوة من دون الله ، استكباراً على
الله ، واستعلاء عليه ، واستساء عنه ، إن كنت قلت هذا الشعر . فامتنع
عبد الله من الحلف بذلك ، فعصيب الرشيد ، وقال للعصل ر الربيع يا عباسى ماله
لا يحلف إن كان صادقا ! هذا طينانى على ، وهذه ثيابى لو حننى هذه اليمين
أنها لى لحفت . فوكرز الفصل عبد الله برجبه - وكان له فيه هوى - وقال له :
احلف ويحك ! لجعل يحلف هذه اليمين ، ووجهه متمبر ، وهو يرعد ، عصرب يحيى
بين كتفيه ، وقال : بان مصعب ، قطعت عمرتك ، لا تفتح بعدها أبدا !

قالوا : فما برح من موضعه حتى عرّض له أعراض الجذام ، استدارت عيابه ،

وتنفقاً وجهه ، وقام إلى بيته ففطّسع وتشقق لحمه وانتثر شعره ، ومات بعد ثلاثة أيام ،
وحضر الفضل بن الربيع جنازته ، فلما جُمِل في القبر انخسف اللحد به حتى خرجت منه
غبرة شديدة ، وجعل الفضل يقول : التراب التراب ! فطرح التراب وهو يهوى فلم
يستطيعوا سدّه حتى سقّف بخشب ، وطمّ عليه ؛ فكان الرشيد يقول بعد ذلك
للفضل : أرايت يا عباسي ما أسرع ما أدبل ليحيى ^(١) من ابن مصعب ^(٢) !



الإنسان :

يَا بَنَ آدَمَ ، كُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ ، وَاعْمَلْ فِي مَالِكَ مَا تُؤَثِّرُ أَنْ يُعْمَلَ فِيهِ مِنْ بَعْدِكَ .

• • •

الإنسوخ :

لا ريب أن الإنسان يُؤثر أن يُخرج ماله صدق موته في وجوه البر والصدقات والقربات ليصل ثواب ذلك إليه ، لكنه يهين بإخراجه وهو حي في هذه الوجوه لحبه الساحلة وحموه من الفقر والحاجة إلى الناس في آخر العمر ، فيقيم وصيًا يعمل ذلك في ماله بعد موته .

وأوصى أمير المؤمنين عليه السلام الإنسان أن يعمل في ماله وهو حي ما يُؤثر أن يُعمل فيه وصية صد موته ، وهذه حكمة لا يُقدر عليها ^(١) إلا من أخذ التوفيق بيده .

(٢٥٢)

الأصل :

الْحِدَّةُ ضَرْبٌ مِنَ الْحُتُونِ ، لِأَنَّ صَاحِبَهَا يَنْدَمُ ؛ فَإِنْ لَمْ يَنْدَمْ
فَجَبُّوهُ مُنْتَعَكَمٌ .

البنخ :

كان يقال : الحدة كناية الجمل .

وكان يقال : لا يصيح الخديع رأى ، لأن الحدة تُصْدِيُّ الْعَقْلَ كَمَا يُصْدِيُّ الْحُلُ
الرَّاءُ فلا يرى صاحبه وبه صورة حسن فيعمله ، ولا صورة قبيح فيحذره .

وكان يقال : أول الحدة حنون وآخرها بدم .

وكان يقال : لا تَحْمِلَنَّكَ الْحِدَّةُ عَلَى أَقْرَابِ الْإِثْمِ ، فَشَيْ عَيْطَكَ ، وَتُسْقِمَ دِيْبَكَ .

الأصل :

صِحَّةُ الْحَسَدِ ، مِنْ قِلَّةِ الْحَسَدِ .

البيان :

معناه أن القليل الحسد لا يزال مُعَايٍ في بدنه ، والكثير الحسد يُعْرِضُهُ ما يحده
في نفسه من مَصَاصَةِ السُّاقَةِ ، وما يتعرَّضُهُ مِنَ الْعَيْطِ ، ومراجُ البَدَنِ يَنْشَعُ
أحوال النفس .

قال المأمون : مَا حَدَّثْتُ أَحَدًا قَطَّ إِلَّا أَهْ دُلَّيْ عَلَى قَوْلِ الشَّاعِرِ بِهِ :

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَمُو دُلَّيْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَحْتَصِرُهُ^(١)

فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلَّيْ وَتَت الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ

وَرَوَى أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ عَنْ عَبْدِوسِ بْنِ أَبِي دُلَّيْ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، قَالَ : قَالَ :

لِي الْمَأْمُونُ : يَا قَاسِمُ ، أَمْتُ الَّذِي يَقُولُ فَيْكَ عَلَى مَنْ جَلَّةٌ :

• إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلَّيْ •

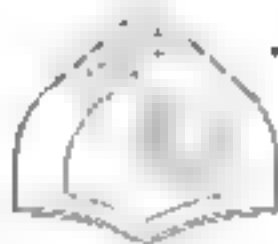
البيتين ، قُتِلَتْ مُسْرِعًا : وَمَا بِمَعْنَى ذَلِكَ ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ قَوْلِهِ فِي :

أَبَا دُلَّيْ يَا أَكْذَبَ النَّاسِ كُلِّهِمْ سِوَايَ فَإِنِّي فِي مَدِيحِكَ أَكْذَبُ

ومع قول بكر بن النطاح في :

أبا دُلَيْبٍ بنَ العَقِيسِ نَعِينَهُ مَنْ يَرْتَحِي جَدْوَى بَدْبِكَ وَيَأْمُلُهُ
أَرَى لَكَ يَا مُعْتَقًا مَتَمَعًا إِذَا عَنَحَوْهُ عَمَكَ فَالْبُؤْسُ دَاخِلُهُ
كَأَنَّكَ مَطْلُ هَائِلِ الصَّوْتِ مَعْجِبٌ حَيًّا مِنَ الْخَيْرَاتِ نَعْسٌ مَدَاخِلُهُ
وَأَعْجِبْ شَيْءَ فَيْكِ تَسِيمُ إِمْرَةٍ ^(١) عَلَيْكَ عَلَى طَلَرٍ وَأَنْتَ قَائِسِلُهُ

* قال : فلما انصرفْتُ قال المأمونُ لِمَنْ حَوْلَهُ : لَقَدْ دَرَرَهُ ! حَفِظَ هَجَاءَ نَعْسِهِ حَتَّى اسْتَفْعَ بِهِ عِنْدِي ، وَأَطْعَمَ لَهَيْبَ النَّافَةِ .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأمنل :

وقال عليه السلام لكميل من ريادة النعمي :

يا كميل، مر أهلك أن برؤحو في كسب لسكرم، ويذلخوا في حاجة من هو
 نائم، هو الذي وسع سمعه الأصوات؛ ما من أحد أودع قلنا سروراً إلا وخلق
 الله له من ذلك السرور لطفاً، فهذا برأت بر نائمة تحرى إليها كالماء في انحداره؛
 حتى يطردها عنه كما تطرده غريبة الليل.

الشيخ :

قال عمرو بن العاص لمعاوية : ما بقي من لذتك ؟ فقال : ما من شيء يصيبه الناس
 من اللذة إلا وقد أصبته حتى ملته ، فليس شيء عندي اليوم ألد من شربة ماء بارد
 في يوم صائف ، ونظري إلى نبي وبناي يدرحون حولي ؛ فما بقي من لذتك أنت ؟
 فقال : أرض أعرضها وآكل ثمرة ، لم يبق لي لذة غير ذلك . فالتفت معاوية إلى
 ورذان غلام عمرو ، فقال : فما بقي من لذتك يا ورذان ؟ فقال : سرور أدخلة قلوب الإخوان ،
 وصنائع اعتقدوها في أعناق الكرام ، فقال معاوية لعمرو : تباً لجلسي ومجلسك ! لقد
 غلبني وعلبك هذا السد ، ثم قال : يا ورذان ، أنا أحق بهذا منك ؛ قال : قد
 أمكنتك^(١) فافعل .

(١) ورد عليك .

فإن قلت : السرور عَرَضٌ ، فكيف يخلق الله تعالى منه لُطْفًا ؟

قلت : مِنْ هَاهُنَا هِيَ مِثْلُ « مِس » فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَتَوَّ نَشَاءَ لَجَعَدْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴾ ^(١) ، أَيْ عِوَضًا مَسْكَم .
ومثله :

فليت لنا من ماء زمزم شربةٌ مبردةٌ بآنتِ على طهْيَانٍ ^(٢)
أَيْ لِيَتْ لَنَا شَرْبَةً مَبْرَدَةً بِآنَتْ عَلَى طَهْيَانٍ ، وَهُوَ اسْمُ جَبَلٍ ؛ بَدَلًا وَعِوَضًا مِنْ
مَاءِ زَمْزَمَ .

الأصل :

إِذَا أُمِّقْتُمْ فَتَاجِرُوا اللَّهَ بِالصَّدَقَةِ .

البشرح :

قد تقدم القول في الصدقة .

وقالت الحكماء : أفضل العبادات الصدقة لأن بها يتمدى ، وتعم الملة والصوم لا يتمدى .

وجاء في الأثر أن علياً عليه السلام عَمِلَ لِيَهُودِيٍّ فِي سَقَى تَحْلِيْلِهِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِمَدْرٍ مِنْ شَعِيرٍ ، غَزَزَهُ قُرْصًا ، فَلَمَّا هَمَّ أَنْ يُفْطِرَ عَلَيْهِ ، أَنَاهُ سَائِلٌ يَسْتَطْعِمُ ، فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ وَبَاتَ طَاوِيًا وَتَاجِرًا اللَّهُ تَعَالَى نَتِجَ الصَّدَقَةَ ، فَمَدَّ النَّاسَ هَذِهِ الْفَعْلَةَ مِنْ أَعْظَمِ السَّخَاءِ ، وَعَدُّوْهَا أَيْصًا مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَادَةِ .

وقال بعض شعراء الشيعة يذكر إعاده الشمس عليه وأحسن فيما قال :

جَادَ بِالْقُرْصِ وَالطَّوْىِ مِلْهُ حَسْبِي ، وَعَافَ الطَّعَامَ وَهُوَ سَعُوبٌ ^(١)
فَأَعَادَ الْقُرْصُ الْمُنِيرُ عَلَيْهِ ، قُرْصَ وَالْقُرْصِ الْكَرَامِ كَسُوبٌ ^(٢)

(١) السعوب : الجائع . (٢) في د « وقرص للكرام » ، وهو وجه أيضا .

الأصل :

الوفاء لأهل العذر عذر عند الله ، والعذر بأهل العذر وفاء عند الله .

البيان :

معناه أنه إذا اعتيد من العدو أن يفر ولا يبق أقواله وأيمانه وعهوده ، لم يحر الوفاء له ، ووجب أن ينقض عهوده ولا يوقف مع العهد للمقود بيننا وبينه ، فإن الوفاء لمن هذه حاله ليس بوفاء عند الله تعالى ، بل هو كالعذر في قبضه ، والمدر بمن هذه ^(١) حاله ليس بقبض ، بل هو في الحس كالوفاء لمن يستحق الوفاء عند الله تعالى .

الأفضل :

كَمْ مِنْ مُسْتَدْرِجٍ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ ، وَمَعْرُورٍ بِاسْتِغْرَائِهِ ، وَمَقْتُونٍ بِحُسْنِ
الْقَوْلِ فِيهِ ، وَمَا اسْتَلَى اللَّهُ سُنْحَانَهُ أَحَدًا يَمِشُّ الْإِمْلَاءَ لَهُ .

قَالَ الرَّمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

وَقَدْ بَصَى هَذَا الْكَلَامُ فِيمَا تَقَدَّمَ ، إِلَّا أَنْ نَبْهَاهَا زِيَادَةُ حَيِّدَةٍ مُفِيدَةٍ .

البيان :

قد تقدم الكلام في الاستدراج والإملاء .

وقال بعض الحكماء : احذر الهمم المتوصية إليك أن تكون استدراجا ،
كما يحذر المحارب من اتباع عدوه في الحرب إذا مر من بين يديه من الكمين ،
وكم من عدو مر مستدراجا ثم إذ هو عاطف ، وكم من صليح عرف يديك ثم
إذ هو خاطف .

الأصل :

ومن كلامه - عليه السلام - المتضمن الداعا من الغريب محتاج إلى تفسير :

قوله - عليه السلام - في حديثه . فإذا كان ذلك ضرب يمسوب الدين بذكره ،
فيجتنبون إليه كما يجتنبون قزع الخريف .

قال الرضى رحمه الله تعالى :

بمسوب الدين : السيد العظيم المالك لأموال الناس يومئذ ؛ والقزع : قطع
القيم التي لا ماء فيها .

الشرح :

أصاب في المسوب ، فاما القزع فلا يشترط فيها أن تكون خالية من الماء ،
بل القزع قطع من السحاب رقيقة ، سواء كان فيها ماء أو لم يكن ، الواحدة قزعة
بالفتح ، وإنما غره قول الشاعر يصف جيشا بالقلة والخلة .

• كات رحمه الله قزع الجهام^(١) •

وليس يدل ذلك على ما ذكره ، لأن الشاعر أراد للبائنة ، فإن الجهام الذي
لا ماء فيه إذا كان أقطاعا متفرقة خفيفة ، كان ذكره أبلغ فيما يريد من التشبيه ؛
وهذا الخبر من أخبار الألاحم التي كان يُخبر بها عليه السلام ، وهو يذكّر فيه المهدي
الذي يوجد عند أصحابنا في آخر الزمان ، ومعنى قوله : « صرب بذنبه » أقام وثبت بعد

اضطرابه ، وذلك لأنَّ العُصْبَ فَعَلَ النَّحْلَ وَسَيِّدُهَا ، وهو أَكْثَرُ زَمَانِهِ طَائِرٌ
يَحْنَأِيهِ ، فَإِذَا ضَرَبَ يَدَّكَ الْأَرْضَ فَقَدْ أَقَامَ وَتَرَكَ الطَّيْرَانِ وَالْحَرَكَةَ .

فَإِنْ قُلْتَ : فَهَذَا يُشِيدُ مَذْهَبَ الْإِمَامِيَّةِ فِي أَنَّ الْمَهْدِيَّ خَائِفٌ مُسْتَرٍ يَنْتَقِلُ فِي
الْأَرْضِ ، وَأَنَّهُ يَظْهَرُ آخِرَ الزَّمَانِ وَيُثَبَّتُ وَيَقِيمُ فِي دَارِ مَلِكِهِ .

قُلْتَ : لَا يَبْعُدُ عَلَى مَذْهَبِنَا أَنْ يَكُونَ الْإِمَامُ الْمَهْدِيُّ الَّذِي يَظْهَرُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ
مُضْطَرِبُ الْأُمُورِ ، مُنْتَشِرُ الْمُلْكِ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ لِمَصْلَحَةِ بَيْتِهَا اللَّهُ تَعَالَى ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ
يُنَبِّتُ مُلْكَهُ ، وَتَنْتَظِمُ أُمُورُهُ .

وَقَدْ وَرَدَتْ لَفْظَةُ الْعُصْبِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ ، قَالَ
يَوْمَ الْجَمَلِ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَتَّابٍ بْنِ أُسَيْدٍ وَقَدْ مَرَّ بِهِ قَتِيلًا : « هَذَا يُعْصِبُ قَرِيشٌ » ،
أَيَّ سَيِّدُهَا .

الأصل :

وفي حديثه - عليه السلام : هَذَا الطَّيِّبُ الشَّخْخُ .
 قَالَ : يُرِيدُ الْمَاهِرَ بِالْحُطْبَةِ ، مُرَاضِي فِيهَا ، وَكُلُّ مَاضٍ فِي كَلَامٍ أَوْ سِتْرٍ
 فَهُوَ شَخْخُ . وَالشَّخْخُ فِي غَيْرِ هَذَا مَوْضِعٌ : التَّخِيلُ الْمُسْكُ .

البنخ :

قَدْ جَاءَ الشَّخْخُ بِمَعْنَى الْفَيُورِ وَالشَّخْخُ بِمَعْنَى الشُّعَاعِ ، وَالشَّخْخُ بِمَعْنَى الْمَوَاطِبِ
 عَلَى الشَّيْءِ الْمَلَامِ لَهُ ، وَالشَّخْخُ . الْحَرِي ، وَمِنْهُ الشَّخْخَانِ .
 وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ قَالَهَا عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَصَّصَةَ سَ صُوحَانَ الْعَبْدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَكَوَى
 صَمَصَةً بِهَا لِحَارًا أَنْ يَكُونَ مِثْلَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، يُتَنَبَّى عَلَيْهِ بِالْمَهَارَةِ وَفَصَاحَةِ الْأَسَانِ ؛
 وَكَانَ صَمَصَةً مِنْ أَفْصَحِ النَّاسِ ، ذَكَرَ ذَلِكَ شَيْخُنَا أَبُو عَمَّانَ الْجَاهِظُ^(١) .

الأصل :

ومنه : إنَّ لِلْخُصُومَةِ قُحْمًا .

قال : يُرِيدُ بِالْقُحْمِ الْمَالِكَ ، لِأَنَّهَا تُفْعَمُ أَصْحَابَهَا فِي لَهَا لِكَ وَالْتَالِفِ فِي الْأَكْثَرِ ، فَيَسْ : ذَلِكَ قُحْمَةُ الْأَعْرَابِ ، وَهُوَ أَنْ تُصِيبَهُمُ السَّهْ فَتَفَرَّقُوا أَمْوَالُهُمْ ، فَدَلَّكَ تَفْعُمُهَا فِيهِمْ . قال : وَقَبْلَ فِيهِ وَجْهٌ آخَرُ ، وَهُوَ أَنَّهَا تَقْعِمُهُمْ بِلَادَ الْكَرِيفِ ، أَيْ تُخَوِّجُهُمْ إِلَى دُخُولِ الْخَضِرِ حِينَ يُحُولُ الْبَدْوُ .

• • •

السنج :

أصلُ هذا البناءُ للدُّخُولِ فِي الْأَمْرِ عَلَى غَيْرِ رَوِّةٍ وَلَا تَبْتُّ ، قَحَمَ الرَّجُلَ فِي الْأَمْرِ بِالْفَتْحِ قُحُومًا ، وَأَقَحَمَ فَلَانٌ فَرَسَهُ الْبَعْرَ فَانْقَحَمَ ، وَاقْتَحَمْتُ أَيْضًا الْبَعْرَ دَخَلْتُهُ مَكَاخِفَةً ، وَقَحَمَ الْفَرَسُ فَارِسَهُ تَحْجِيًا عَلَى وَجْهِهِ ؛ إِذَا رَمَاهُ ، وَخَلَّ مِقْحَامًا ، أَيْ يَفْتَحِمُ الشَّوْلَ مِنْ غَيْرِ إِرْسَالٍ فِيهَا .

وهذه الكلمة قالها أميرُ المؤمنين حينَ وَكَّلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ فِي الْخُصُومَةِ عَهُ ،

وهو شاهد .

وأبو حبيبة لَا يُحْيِزُ الْوَكَالَهَ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ ، وَيَقُولُ : لَا تَجُوزُ إِلَّا مِنْ عَائِدٍ

أَوْ مَرِيضٍ ؛ وَأَبُو يُونُسَ وَعَمْدُ يُحْيِزُهَا أَخْذًا بِفَعْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

الأصل :

ومنه : إذا بلغ النساء نص الحقائق فالمصبة أولى .

قال : ويروى « نص الحقائق » ، والنص منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها كالنص في السير لأنه أقصى ما تقدر عليه الدابة ؛ ويقال : نصت الرجل عن الأمر إذا استقصيت مسأله لتستخرج ما عنده فيه ، ونص الحقائق يريد به الإدراك ؛ لأنه منتهى الصغر ، والوقت الذي يخرج منه الصغير إلى حد الكبر ، وهو من أفصح الكتابات عن هذا الأمر وأعربها ؛ يقول : فإذا بلغ النساء ذلك فالمصبة أولى بالمرأة من أمها إذا كانوا محرماً مثل الإخوة والأعمام ، وتزويجها إن أرادوا ذلك .

والحقائق : محادثة الأم للمصبة في المرأة ، وهو الحدال ، والخصومة ، وقول كل واحد منهما للآخر : أنا أحق منك بهذا ، يقال منه : حاققته حقائقاً ، مثل جادلته حدالاً . قال : وقد قيل إن نص الحقائق بلوغ العقل وهو الإدراك ، لأنه عليه السلام إنما أراد منتهى الأمر الذي تحب به الحقوق والأحكام .

قال : ومن رواه « نص الحقائق » وإنما أراد جمع حقيقة ، هذا معنى ما ذكره أبو عبد القاسم بن سلام .

قال : والذي عندي أن المراد بنص الحقائق هاهنا بلوغ المرأة إلى الحد الذي يجوز فيه تزويجها وتصرفها في حقوقها ، تشبيهاً بالحقائق من الإبل ، وهي جمع حقة وحق ، وهو الذي استكمل ثلاث سنين ودخل في الرابعة ؛ وعند ذلك يبلغ إلى الحد الذي يمكن فيه من ركوب ظهره ونصه في سيره . والحقائق أيضاً : جمع حقة ؛

فلرؤايتان جميعاً ترجعان إلى معنى واحد؛ وهذا أشبهُ بطريقة العرب من المعنى المذكور أولاً .

الشرح :

أما ما ذكره أبو عبيد فربه لا يشي العليل ، لأنه قرر معنى التعم ، ولم يفتر معنى نص الحقائق ، بل قال : هو عبارة عن الإدراك ، لأنه منتهى الصغر ، والوقت الذي يخرج منه الصغير إلى حد الكبر ، ولم يبق من أي وجه يدل لفظ نص الحقائق على ذلك ، ولا اشتقاق الحقائق وأصله ، ليظهر من ذلك مطابقة اللفظ للمعنى الذي أشير إليه .

فأما قوله : « الحقائق هاهنا مصدر حقه يحاقه » ، فيقائل أن يقول : إن كان هذا هو مقصوده عليه السلام فقتل الإدراك بكون الحقائق أيضاً ، لأن كل واحدة من القربات تقول للأخرى : أنا أحق بها منك ، فلا معنى لتخصيص ذلك بحال البلوغ ، إلا أن يرغم زاعم أن الأم قبل البلوغ لها الخصلة ، فلا يبارعها قتل البلوغ في البتة أحد ولكن في ذلك - إذ - كثير من العقراء .

وأما التفسير المذكور هو أن المراد من يحاق منتهى الأمر الذي تحب به الحقوق فإن أهل اللغة لم يفتقر من العرب أنها استت الحقائق في الحقوق ، ولا يعرف هذا في كلامهم .

فأما قوله : « ومن رواء نص الحقائق » ، فإنه أراد جمع حقيقة ، فيقائل أن يقول : وما معنى الحقائق إذا كانت جمع حقيقة هاهنا ؟ وما معنى إضافة « نص » إلى « الحقائق » جمع حقيقة ، فإن أبا عبيد لم يعثر ذلك مع شدة الحاجة إلى تصحيحه !

وأما تفسير الرضي رحمه الله فهو أشبه من تفسير أبي عبيد ، إلا أنه قال في آخره :

والحقائق أيضا جمع حقيقة ، والروايات ترجيحان إلى معنى واحد . وليس الأمر على ما ذكر
من أن الحقائق جمع حقيقة ، وسكن الحقائق جمع حقائق ، والحقاق جمع حقي ، وهو ما كان
من الإبل ابن ثلاث سين ، وقد دخل في الراجعة ، فأستحق أن يحتمل عليه ويُنفع به ،
فالحقائق إذن جمع الجمع لحق لا لحقيقة ، ومثل إخال وأفائل . قال : ويمكن أن
يقال : الحقائق هاهنا الخصومة ، يقال : ماله فيه حق ولا حقائق أى ولا خصومة ،
ويقال لمن يُبازع في صغار الأشياء إنه لبرق الحقائق ، أى خصومته في الدنى من الأمر؛
فيكون المعنى إذا بَلَغَت المرأةُ الحدَّ الذي يستطيع الإنسان فيه الخصومة والجدالَ
فمَصَبَّتْها أولى مهام أمها ، والحدُّ الذي تَكُلُّ فيه المرأة والمُلام للخصومة والحكومة
والجدالِ والمناظرة هو سنُّ المُنْعَجِ

الأفضل :

ومنه ، إن الإيمان يَبْدُو لَمَظَةً في نَفْسٍ ، كُنْما أَرْدَادَ الْإِيمَانِ أَرْدَادَتِ اللَّمَظَةُ .

قال : اللَّمَظَةُ مِثْلُ الشُّكْنِيَّةِ وَتَحْوِي هَاسِمَ الْبَيَاضِ ، وَمِنْهُ قِيلَ : فَرَسٌ أَلْمَطُ إِذَا كَانَ يَحْتَمِلُهُ شَيْءٌ مِنَ الْبَيَاضِ .

هَبْلُج :

قال أبو عبيد : هِيَ لَمَظَةٌ بِضَمِّ اللَّامِ بِمَوْأَلَدَتَيْنِ يَقُولُونَ : لَمَظَةٌ بِالْفَتْحِ ؛ وَالْمَرْوَفُ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ الْعَصَمُ ؛ مِثْلُ الدَّائِمَةِ وَالشَّهْبَةِ وَالْخُمْرَةِ . قَالَ : وَقَدْ رَوَاهُ بَعْضُهُمْ «لَمَظَةٌ» بِالضَّاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَهَذَا لَا نَصْرِيهِ .

قال : وفي هذا الحديث حُجَّةٌ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ الْإِيمَانُ يُزِيدُ وَيَنْقُصُ ^(١) ، أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ : كُنْما أَرْدَادَ الْإِيمَانِ أَرْدَادَتِ اللَّمَظَةُ .

الأصل :

ومنه ، إن أُرْجِلَ إِذَا كَانَ لَهُ الدِّينُ الطُّنُونُ يَحِبُّ عَلَيْهِ أَنْ يُرَكِّبَهُ لِيَا مَضَى
إِذَا قَبَضَهُ .

قَالَ : الطُّنُونُ : الَّذِي لَا يَعْلَمُ مَحَاجِئَهُ أَيْقِصِيهِ مِنَ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ أَمْ لَا ،
فَكَأَنَّهُ الَّذِي يُطْرَقُ بِهِ ذَلِكَ ، فَتَرْتَجِجُهُ ، وَتَرْتَجِجُهُ ، وَتَرْتَجِجُهُ ، وَهُوَ مِنْ أَفْصَحِ
الْكَلَامِ ، وَكَذَلِكَ كُلُّ أَمْرٍ تَطْلُبُهُ وَلَا تَدْرِي عَلَى أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ مِنْهُ فَمَوْظَلُونُ ،
وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الْأَعَشَى :

مَنْ يَحْمِلُ أَخَذَ الطُّنُونُ الَّذِي جُبَّ صَوْبَ اللَّحِبِ الْمَطِيرِ
مِثْلَ الْمَرَاتِي إِذَا مَا طَلَا تَقْذِفُ بِالنُّومِي وَالْمَاهِرِ
وَأَلْجَدُ : الْبَيْتُ الْعَادِيَةُ فِي الصَّخْرَاءِ . وَالطُّنُونُ : الَّتِي لَا يُدْعَمُ هَلْ فِيهَا مَاءٌ
أَمْ لَا .

الشرح :

قال أبو عبيدة : في هذا الحديث من القصة أن من كان له دين على الناس فيس
عليه أن يُرَكِّبَهُ حَتَّى يَقْصِيَهُ ، إِذَا قَبَضَهُ رَكَاهَ لَمَّا مَضَى ، وَإِنْ كَانَ لَا يَرْجُوهُ ، قَالَ :
وَهَذَا يَرُدُّهُ قَوْلُ مَنْ قَالَ : يَتَمَرَّكَاهُ عَلَى الَّذِي عَلَيْهِ الْمَالُ ، لِأَنَّهُ ^(١) لِلتَّفْعِ بِهِ ؛ قَالَ :

(١) : لأنه الذي يتفع به .

وكما يروى عن إبراهيم ، والتعلل عنده على قول علي بن أبي حمزة عليه السلام : فأما ما ذكره الرضا
من أن الجدة هي البئر العادية في الصحراء ، فمعلوم عند أهل اللغة أن الجدة البئر التي
تكون في موضع كثير الكَلَأ ، ولا تسمى بئرَ عادِيَّة في الصحراء المواتِ جُداً ،
وشعر الأعشى لا يدل على ما فسره الرضا ، لأنه إنما شبه علقمة بالبئر والكَلَأ ، يظن أن
فيها ماء لمكان الكَلَأ ، ولا يكون موضع الضحى هذا هو مرادُه ومقصودُه ، ولهذا قال :
الظنون ، ولو كانت عادِيَّة في بَيْدَاء مقيمة لم تكن ظُنُوناً ، بل كان يُعلم أنه لا ماء
فيها ، فسقط عنها اسمُ الظنون .

الأسفل :

ومنه : أنه شيع جيشاً يفزيه فقال : اعزبوا عن النساء ما استطعتم .

ومعناه : اصدفوا عن ذكر النساء وشغل القلوب بهن ، وامتنعوا من المقارنة لهن ، لأن ذلك يفت في عضد الحبيبة ، ويقدح في معاقب العزيمة ، ويكسر عن العدو ، ويلفت عن الإنقاذ في النزوي ، بكل من امتنع من شيء فقد أعزب عنه ، والعارب والعروب : للتمتع من الأكل والشرب .

الشرح :

التفسير صحيح ، لكن قوله : « من امتنع من شيء فقد أعزب عنه » ، ليس بحيد ، والصحيح « فقد عرّب عنه » ثلاثي ، والصواب وكل من امتنع من شيء ، فقد أعزبته عنه عنه فعليه بالهمزة ؛ كما تقول : أفتنه وأقعدته ، والفعل ثلاثي قام وقعد ، والدليل على أن الماضي ثلاثي هاهنا . قوله : « والعارب والعروب الممتنع من الأكل والشرب » ولو كان رباعياً لكان « للعرب » : وهو واضح ؛ وعلى هذا تكون الهمزة في أول الحرف همزة وصل مكسورة ، كافي « اصربوا » لأن الضارع يعرب بالكسر .

الأصل :

ومنه : كالباسر الفاليج ، ينتظر أول فوزة من قداحه .

•••

قال : الياسرون هم الذين يتصلون بالفداح على الجزور ، والعاليج : القاهر
 الغالب ، يقال : قد فلج عليهم وقلعهم قال الرازي :
 • لما رأيت عالجا قد قلعا •

الشرح :

أول الكلام أن المرء اليلم مالم ينش دناة يمشع لما إذا ذكرت ، ويعرى به ثام
 الناس ، كالباسر الفاليج ينتظر أول فوزة من قداحه ، أو قاعى الله ، فاعند الله خير
 للأبرار ، بقول : هو بين حيرتين : إما أن يصير إلى ما يحب من الدنيا ، فهو بمنزلة
 صاحب القدح للمل ، وهو أوفرها نصيبا ، أو يموت فاعند الله خير له وأبقى ^(١) .

وليس معنى بقوله : الفاليج القامير الطالب كما قرره الرضى رحمه الله ، لأن الياسر
 الغالب القامير لا ينتظر أول فوزة من قداحه ، وكيف ينتظر وقد غلب أى حاحة
 له إلى الانتظار ! ولكنه يعنى بالفاليج الميمون النقية الذى له عادة مطردة أن يغلب ،
 وقل أن يكون مقهورا .

الأصل :

ومنه : كَمَا إِذَا أَحْرَأَ النَّاسُ اتَّقِيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ .

قَالَ : مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا عَظَّمَ الْخَوْفُ مِنَ الْعَدُوِّ ، وَاشْتَدَّ عِصَاضُ الْحَرْبِ فَرَعَ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى قِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِتَمَيُّزِهِ ، فَكَمَرِلُ اللَّهِ تَعَالَى الْمَضَرَّ عَلَيْهِمْ بِهِ ، وَتَأْمِنُونَ مَا كَانُوا يَخَافُونَ بِمَكَابِهِ .

وَقَوْلُهُ : « إِذَا أَحْرَأَ النَّاسُ » : كَيْدَابَةٌ عَلَى سَفْحَتَادِ الْأَمْرِ ؛ وَقَدْ قِيلَ فِي ذَلِكَ أَقْوَالٌ ؛ أَحْسَنُهَا أَنَّهُ شَبَّهَ حَيَّ الْحَرْبِ بِاللَّيْلِ الَّتِي تَجْمَعُ الْحَرَارَةُ وَالْحُمَرَةُ بِعَمَلِهَا وَلَوْنِهَا ؛ وَبِمَا يُقَوِّمُ ذَلِكَ قَوْلُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَدْ رَأَى مُخْتَلَدَ النَّاسِ يَوْمَ حُجَيْنٍ وَهِيَ حَرْبُ هَوَارِينَ ؛ « الْآنَ حَيَّ الْوَطَيْسُ » ، وَالْوَطَيْسُ : مُتَوَقِّدُ النَّارِ ، فَشَبَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَا اسْتَحَرَّ مِنْ جِلَادِ الْقَوْمِ بِاخْتِدَامِ النَّارِ وَشِدَّةِ انْتِهَابِهَا .

البنخ :

الْحَيْدَى تَعْسِيرُ هَذَا اللَّعْظِ أَنْ يَقُولَ : سَأَسُ الْحَرْبِ مَعَهَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالصَّارِغِينَ فِي الْبُاسَاءِ وَالصَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ﴾ (١) ؛ وَفِي الْكَلَامِ حَدَفٌ مُصَافٍ تَقْدِيرُهُ

إذا احمر موضعُ البأس ، وهو الأرضُ التي عليها معركة القوم ، واحمرارُها لما يسيل عليها من الدَّم

[نذ من عريب كلام الإمام علي وشرحه لأبي عبيد]

ولما كان تفسير الرميّ رحمه الله قد تعرض عريب من كلامه عليه السلام ، ورأينا أنه لم يذكر من ذلك إلا اليسير ، آثرنا أن نذكر جملةً من غريب كلامه عليه السلام مما نقله أربابُ الكتب المصنعة في غريب الحديث عنه عليه السلام .

فمن ذلك ما ذكره أبو عبد القاسم بن سلام رحمه الله في كتابه : لأن أطلّي محواه قدّر أحبّ إليّ من أن أطلّي برعقريّان .

قال أبو عبيد . هكذا الرواية عنه « محو : قدّر » ، فن : وسمعت الأصمعيّ يقول : إنما هي الحواو ، وهي : الوعاء الذي يحمل القدر فيه وجمعها حياء .

قال : وقال أبو عمرو : يقال : نذك الوعاء حواء وحياء ؛ قال : ويقال للخرقة التي يُنزل بها الوعاء عن الأثافيّ جمال .

ومنها قوله عليه السلام حين أقتل يزيد العراق فأشتر إليه الحسن بن عليّ عليه السلام أن يرجع : واقدر لا أكونُ مثلاً ، نصنعُ نسمعُ اللّذم حتى نخرج فتصاد .

قال أبو عبيد : قال الأصمعيّ : نذم صوتُ لحر ، أو الشيء يقع على الأرض ، وليس بالصوت الشديد ، جال منه : لذم أديم الكسرى ، وإنما قيل ذلك للنصع ، لأنهم إذا أرادوا أن يصيدوها رموا في ححرها بحجر خفيف ، أو ضربوا بأيديهم فتحسبه

شيئاً تصيده فتعرج لتأخذه فتصاد ، وهي زهواً منها من أحق الدواب ، بلغ من حُمتها أن يدخل عليها فيقال : أمّ عامر نائمة ، أو ليست هذه ! والضبع ، هذه أمّ عامر ، فتسكت حتى تؤخذ ، فأراد على عليه السلام : أى لا أحدع كما تُحدع الضبع بالدم .

ومنها قوله عليه السلام : من وجد في بطنه ريراً فليصرف وليتوضأ .
قال أبو عبيد . قال أبو عمرو : رير هو أرراً مثل أرز الحية ، وهو دوراها وحركتها ، فشه دوران رير في بطنه بذلك .
قال : وقال الأصمعي : هو الرز ، يعنى لصوت في البطن من القرقرة ونحوها
قال الراجز :

كأن في ربابه الكبار رير عشار جئن في عشار^(١)
وقال أبو عبيد : فقه هذا الحديث أن يصرف فيتوضأ ويبنى على صلاحه ما لم يسكلم ، وهذا إنما هو قبل أن يحدث .

قلت : والذي أعرفه من الأرز أنه الاقباض لا الدوران والحركة ، يقال : أرز فلان بالفتح والكسر ؛ إذا تصام وتقبص من بطنه فهو أرور ، والمصدر أرزا وأروزا ، قال رؤبة .
• فذلك يحال أرور الأرز^(٢) •

فأضاف الاسم إلى المصدر كما يقال : عمر المدل وعمره الدهاء ، لما كان المدل والدّهاماً غالباً أحوالهما ، وقال أبو الأسود لمؤلى بدم إسما : إذا سئل أرر ، وإذا دُعِيَ اهتر ، يعنى إلى الطعام ، وفي الحديث : «إن الإسلام ليأرر إلى المدينة كما نار الحية إلى حُجرها» .
أى يجمع إليها وينضمّ بعضه إلى بعض فيها .

ومنها قوله : لئن لیتُ سی أُمیةً لأَنْفَضَهمْ نَصْرَ الْقَصَبِ الثَّرابِ^(١) الوِذْمَةُ .
وقد تقدمتْ منّا شرحُ ذلك والكلامُ فيه .

ومنها قوله فی دى التَّدِيَةِ المَقْنُولِ بِالنَّهْرِ وان : إِنْهُ مُوَدَّنُ الْيَدِ أَوْ مُتَدَنُ الْيَدِ أَوْ مَخْدَجُ الْيَدِ .
قال أبو عبيدة : قال الكسائي وغيره : المودن اليد : القصيرُ اليَدِ ؛ ويقال : أودنتُ
الشيءَ أى قصرتَه ، وفيه لغةٌ أخرى ، ودنتُ فهو مودون ؛ قال حسان يذم رجلاً :
وأملكُ سوداه مودونةٌ كانَ أبايَها الخنْطُبُ

وأما مُتَدَنُ الْيَدِ ، بالثاء فإنَّ نَصْرَ السَّاسِ هُنَا : نَراهُمُ أَخَذَهُ مِنَ التَّدِيَةِ ، وهى أصلُ
التَّدِيَةِ ، فَشَبَّهَ يَدَهُ فِي قِصَرِها وَأَجْتِمَاعِها بِذلك ، فإنَّ كانَ مِنْ هَذا فَالْقِيَاسُ أَنْ يُقالَ :
مُتَدَنٌ لِأَنَّ الْمَوْنَ قَبْلَ الدَّالِ فِي التَّدِيَةِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمَقْبُوبِ ، فَذلكَ كَثِيرٌ فِي كَلَامِهِمْ .
وأما مُخْدَجُ الْيَدِ فَإِنَّهُ الْقَصِيرُ الْيَدِ أَيْضاً ، أُجِدَّ مِنْ إِحْدَاجِ السَّاقَةِ وَأَلَدَها ، وَهُوَ أَنْ
نَصَّعَهُ لَعِبَرٍ كَتَمَّامٍ فِي حَنَقِهِ ، قال : وقال العراء : إِنَّمَا قَبْلُ ذُو التَّدِيَةِ ؛ فَادْخَلْتَ الْمَاءَ فِيهَا ،
وَإِنَّمَا هِيَ نَصِيرٌ «تَدِي» ، وَالتَّدِيَةُ مَدَكْرٌ ، لِأَنَّها كَأَنَّها بَقِيَّةُ تَدِيٍّ قَدْ دَهَبَ أَكْثَرُهُ فَقَلَّها
كَما تقولُ لِحَيَّةٍ وَشُحِيمةٍ ، فَانْتِ عَلَى هَذا التَّوْبِيلِ ؛ قال : وَنَصَّعَهُمْ يَقُولُ ذُو الْيَدِيَةِ ، قال
أبو عبيد : وَلَا أَرى الْأَصْلَ كانَ إِلَّا هَذا ، وَلَكِنْ الْأَحَادِيثُ كُلُّها تَتَنَسَّعُ بِالنَّشَاءِ
ذُو التَّدِيَةِ .

ومنها قوله عليه السلام تقوم وهو بعاسم : مَا لَكُمْ لَا تُنْطَفُونَ عَذِرَاتِكُمْ ؟
قال : الْعَذِيرَةُ فِيهِ الدَّارُ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ تِلْكَ الْحَاجَةُ عَذِيرَةً لِأَنَّها بِالْأَفْنِيَةِ كَأَنَّ تُلْقَى ،

(١) قال الأسمعي : سَأَلَنِي شَخْصٌ عَنْ هَذَا الْحَرْفِ ، فَقَالَ : لَيْسَ هُوَ هَكَذَا ، إِنَّمَا هُوَ نَصْرُ الْقَصَبِ الثَّرابِ
الترمة . والترمة : التي سقطت في التراب فخربت ، والنصاب يتعصبها .

فَكَفَىٰ عَنْهَا بِالْعَذْرَةِ كَمَا كَفَىٰ عَنْهَا بِالْعَاطِ ، وَإِنَّ الْفَاطِطُ الْأَرْضُ الْمَطْمِئَةُ ؛ وَقَالَ الْحَلِيقَةُ
يَهْجُو قَوْمًا :

لَعْمَرِي لَقَدْ حَرَبْتُكُمْ فَوَحَدْتُكُمْ قَبَاحَ الْوُجُوهِ سَيِّئِ الْعَذِرَاتِ

ومنها قوله عليه السلام : لا بُجْمَةٌ وَلَا تَشْرِيْقٌ إِلَّا فِي مِصْرٍ جَامِعٍ .

قال أبو عبيد : التَّشْرِيقُ هَا هُنَا صَلَاةُ الْعِيدِ ؛ وَتُمَيِّتُ تَشْرِيقًا لِإِصَادَةٍ وَقْتِهَا ؛ فَإِنَّ
وَقْتُهَا إِشْرَاقُ الشَّمْسِ وَصَفَاؤُهَا وَإِصَادَتُهَا ؛ وَفِي الْحَدِيثِ لِلرُّفُوعِ : « مِنْ ذَمِّ قُلِّ التَّشْرِيقِ
قَلِيمٌ » ، أَيُّ قَبْلِ صَلَاةِ الْعِيدِ .

قال : وَكَانَ أَبُو حَنِيفَةَ يَقُولُ : انْتَشَرِقَ هَا هَا هُوَ التَّكْبِيرُ فِي دُبُرِ الصَّلَاةِ ،
يَقُولُ : لَا تَكْبِيرَ إِلَّا عَلَى أَهْلِ الْأَمْصَرِ تِلْكَ الْأَيَّامُ ، لَا عَلَى الْمَسَافِرِينَ أَوْ مَنْ هُوَ فِي
غَيْرِ مِصْرٍ .

قال أبو عبيد : وَهَذَا كَلَامٌ لَمْ يَحْدِثْ أَحَدٌ يَعْرِفُهُ ، إِنَّ التَّكْبِيرَ يُقَالُ لَهُ التَّشْرِيقُ ،
وَلَيْسَ بِأَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ لَا أَبُو يُوسُفَ وَلَا مُحَمَّدٌ ، كُلُّهُمْ يَرَى التَّكْبِيرَ عَلَى
الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا حَيْثُ كَانُوا فِي السَّعْرِ وَالْحَصَرِ وَالْأَمْصَارِ وَغَيْرِهَا .

ومنها قوله عليه السلام : « اسْتَكْبَرُوا مِنَ الطَّوَافِ بِهَذَا الْبَيْتِ قُلُّ أَنْ يُجَالَ بِكُمْ
وَيَنْتَهَ ، فَكَأَنَّ بَرَحًا مِنْ الْحَمَةِ أَصْعَلُ أَصْعَلُ تَحْمَشُ السَّاقِينَ قَاعِدًا عِيسِيًّا وَهِيَ تُهْدَمُ » .
قال أبو عبيد : هَكَذَا يُرْوَى « أَصْعَلُ » وَكَلَامُ الْعَرَبِ الْمَعْرُوفُ « صَعْلٌ » وَهُوَ
الصَّعِيرُ الرَّأْسُ ، وَكَذَا دُمُوسُ الْحَبَشَةِ ، وَلِهَذَا قِيلَ لِلظَّالِمِ : صَعْلٌ ؛ وَقِيلَ عَنَتْرَةٌ يَصِفُ
ظَلِيمًا :

صَعْلٌ يَلُودُ بَنَى الْعَثِيرَةَ نَيْصَهُ كَنَدَ ذِي الرِّوِّ الطَّوِيلِ الْأَصْلَمِ

قال : وقد أجازَ بعضهم أصْعَلَ في الصَّل ، وذكروا أنها لغة لأدري عن هي !
والأصْعُ : الصغيرُ الأذن ، وامرأة صَمْعاء .

وفي حديث ابن عباس : إنه كان لا يرى ناساً أن يُصَحَّيَ بالصَّمْعاء . وخش الساقين
بالتسكين : دقيقتها .

ومنها : أن قومًا أتوه رجل فقالوا : إن هذا يؤمنا ونحن له كارهون ، فقال له : إنك
لنخروط ، أتؤمّ قومًا هم لك كارهون !

قال أبو عبيد : الخروط : المشهور في الأمور ، الزاكبُ برأيه جهلاً ؛ ومنه قيل :
انخرطَ عليهما فلان ، أي اندرأ بالقول السيئ . ويعطّر . قال : وقته هذا الحديث أنه
ما أفتى عليه السلام بسدِّ صلواته لأنه لم يأمُرْ بالإبادة ، ولكنه كره له أن يؤمّ قومًا
هم له كارهون .

ومنها : أن رجلاً أماه وعليه ثوبٌ من قهر ، فقال : إن بي فلان صرّوا بني فلانة
بالكناسة ، فقال عليه السلام : صدقني من كره .

قال أبو عبيد : هذا مثل تصرّبه العرب لرجل يأتي بالخبر على وجهه ويصدق فيه .
ويقال : إن أصله أن الرجل رثما مع غيره فيل الشترى عن سيته فيكده ،
معرض رجلٌ نكره له فصدق في سيته ، فقال الآخر : صدقني من نكره ، فصار مثلاً .
والقهرُ نكسر الفاء : ثوب مص يُخاطب حَرَر ، ولا أراها عربية ، وقد استعملها
العربُ قل ذو الرمة يصف البزة البصر :

من الوزق أو صقع كأن رؤوسها من التهر والقوهي بيض المقانر

ومنها : ذكر عليه السلام آخر ارمان وايته ، فقال : خير أهل ذلك الزمان كل
نومة ، أولئك مصايح الهدى ، لبسوا بالناسيح ولا المدايع النذر .
وقد تقدم شرح ذلك .

ومنها : أن رجلا سافر مع أصحاب له فلم يرجع حيث رجعوا ، فأتى أهله أصحابه
ورفعوه إلى شريح ، فسألهم البيعة على قتله ، فارتفعوا إلى علي عليه السلام ، فأخبروه
بقول شريح ، فقال :

أوردته أسعد وسعد مستعيل يأسعد لا تروى بهذاك الإبل

ثم قال : إن أهول الشئ الشريح ، ثم فرق بينهم وسألم ، فاحتلموا ، ثم أقرتوا
بقتله ، فقتلهم به .

قال أبو عبيد : هذا مثل ، أصه أن رجلا أورد إبله ماء لا تصل إليه الإبل إلا
بالاستقاء ، ثم اشعل ونام وتركها لم ينسق لها ؛ والكلمة الثانية مثل أيضا ، يقول :
إن أيسر ما كان يسعى أن يفعل بالإبل أن يمسكها من الشريعة ويعرض عليها الماء .
يقول : أقل ما كان يحب على شريح أن يستغنى في المسألة والبحث عن حبر الرجل
ولا يقتصر على طيب البيعة .

ومنها : قوله : « وقد حرج على الناس وهم ينتظرونه للصلاة قياما : مالى
أراكم سائدين ١

قال أبو عبيدة : أى قائمين ، وكل رافع رأسه فهو سائد ، وكانوا يكرهون
أن ينتظروا الإمام قياما ولسكن قعودا ، والسائد فى غير هذا الموضع : اللامع
اللاعِب ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وأستم سائمين ﴾ ^(١) ، وقيل : السمود العناء
يلقنه خَيْر .

ومنها : أنه حرج رأى قوماً يصلّون قد سدّكوا ثيابهم ، فقال : كأنهم اليهود
خرجوا من فُهرّم .

قال أبو عبد : فُهرّم ثياب العناء : موضع يذرايسهم الذى يحتضون فيه كالعيد
يصلّون فيه ويُسَدِّلون ثيابهم ، وهى كلمة نبطية أو عبرانية أصلها بُهر بالباء
فمرّبت بالعناء .

والسَدَل : إسبال الرحل ثوبه من غير أن يصمّ جاسه بين يديه فإن صمّ فمس
بَسَدَل ، وقد رويت فيه الكراهة عن ابنى صلى الله عليه وآله .

ومنها : أن رجلا أتاه فى مريضة وعنده شريح ، فقال : أتقول أنت فيها أيها
العبد الأبطر ١

قال أبو عبيد : هو الذى فى شفته حلّا حُرّ وتواء فى وسطها محادى الأُف .
قال : وإنما راه قال لشريح : « أيها العبد » ، لأنه كان قد وقع عليه سبّ فى الجاهلية .

ومنها : أن الأشعث قال له وهو على المير : لمتنا عليك هذه الجراء ؛ فقال عليه السلام : من يمدني من هؤلاء الصياطرة ، يتخلف أحدهم بتقلب على فراشه وحشاياه كالعير ويهجر هؤلاء للذكر ! أأطردهم ؟ إني طردتهم لمن الظالمين . والله لقد سمعته يقول : والله ليضربنكم على الدين عودا كما صرَبتموه عليه نداء .

قال أبو عبيد : الجراء : العجم والموالي ، سموا بذلك لأن المالب على ألوان العرب الشتر ، والغالب على ألوان العجم البياض والحمرة . والصياطرة : الصحام الذين لا تقع عندهم ولا غناء ، واحدهم ضيطان .

ومنها : قوله عليه السلام : اقتنوا الجان ذا الطفتين ، والكلب الأسود ذا القرنين . قال أبو عبيد : الجان حية بيضاء ، والطفتية في الأصل : خوصة المقل ، وجمعها طفت ، ثم شبهت المنطقتان على ظهر الحية بطفتين . والقرنة : البياض في الوجه .

[نبذ من غريب كلام الإمام علي وشرحه لابن قتيبة]

وقد ذكر ابن قتيبة في غريب الحديث له عليه السلام كلمات أخرى .
فمنها قوله : من أراد البقاء - ولا فناء - فليأكل المدا ، وليحفظ الرداء ، وليقل غشيان النساء . فقيل له : يا أمير المؤمنين ، وما حجة الرداء في البقاء ؟ فقال : الدين .

قال ابن قتيبة : قوله « الرِّدَاءُ الدِّينَ » مذهب في لغة حسنٌ جيد ، ووجهٌ صحيح ، لأنَّ الدِّينَ أمانةٌ ، وأنت تقول : هو لك علىّ وفيّ عنيّ حتى أوذيه إليك ، فكان الدِّينَ لازماً للمعق ، والرِّدَاءُ موضعه صَفْحَةُ المعق ، فسَيَّ الدِّينَ رداءً وكفى عنه به ، وقال الشاعر :

إن لي حاجةً إليك فقالت بين أذني وعاتقي ما تريد

يريد بقوله : « بين أذني وعاتقي ما تريد » في عنيّ ، والمعنى أنّي قد ضمنتَه فهو علىّ ، وإنما قيل للسيف رداء لأنَّ حمايته تقع موقع الرداء ، وهو في غير هذا الموضع المطاء ، يقال : فلانٌ عمر الرداء أي واسعُ المطاء ؛ قال : وقد يحور أن يكون كفى بالرداء عن الظهور ، لأنه يقع عليه ؛ يقول : فبضعف ظهري ولا يمتلئ بالدين ، كما قال الآخر : « حماس الأُرر » ، يريد نخاص البطون .

قال : وبلغني عن هذا الكلام عن أبي عبيد ، قال : قال فقيه العرب : من سرَّه السامولاء ساء فليُكرَّ العشاء ، وإياكِر العداء ، ونيجف الرداء ، وثيقِل عِشيان النساء قال : فالنس ، التخير ، ومنه : « إنما النسيء زينة الكفر »^(١) .

وقوله : فليُكرَّ العشاء أي : لا تأكل من طعامها . قال الشاعر :

* كربت العشاء في سهيل *

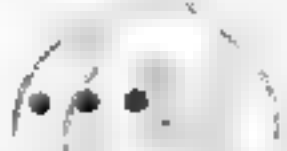
ويحوز أن يريد فليقتص العشاء ، قال الشاعر :

* والطنّ لم يصل ولم يكر *

ومنها: أنه أتى عليه السلام بالمال فكومت كومة من ذهب وكومة من فضة ، فقال : يا حمرله ويا بيضاء احمرسى وابيضى وغرعى غبرى .

هذا جنائ وخياره فيه وكل جان يده إلى فيه

قال ابن قتيبة : هذا مثل ضرب به ، وكل الأصمى يقول : « وجهانه فيه » ، أى خالصه ، وأصل المثل لمعرو بن عدى ابن أخت جذيمة الأبرش ، كانت يحى السكاة مع أثراب له ، فكان أثرابه يأكلون ما يجدون ، وكان معرو يأتي به خاله ويقول هذا القول ^(١) .



ومنها حديث أبي جابر قال : جاء عتي من البصرة يذهب بي وكنت عند أختي ، فقالت : لا أتركك تذهب به ، ثم أتت عليا عليه السلام فذكرت ذلك له ، فجاء عتي من البصرة ، فقال : نعم والله لأذهبن به وإن رمى أعنك ، فقال علي عليه السلام : كذبت والله ، وولقت ، ثم ضرب بين يديه بالدرة ، قال : ولقت مثل كذبت وكذلك ولت بالعين ، وكانت عائشة تقرأ : ﴿ إِذْ يَتْلُونَهُ بِالْأَيْمَانِ سَعَمًا ﴾ ^(٢) وقال الشاعر :

• وعن من الأخلاف والوآمان ^(٣) •

يعنى النساء أى من أهل الأخلاف .



ومنها قوله عليه السلام : إن من ورانكم أموراً متاحلة ردحاً وبلاء مكلها مبلها .

(١) ١ : « الكلام » . (٢) سورة النور ١٥

(٣) اللان (ولح) ، ومدره :

• غلبة المين كذابة للى •

قال ابن قتيبة : للماحلة الطوال ، يعني نننا يطول أسرها ويظم ؛ وقال : رجل
مُمَاحِلٌ وَسَبَّسَ مُمَاحِلٌ ، والردحُ جمع رِدَاح ، وهي العظيمة ؛ يقال لكتيبة إذا عَظُمَتْ
وَرَدَّاح ، ويقال للمرأة العظيمة المعجزة رَدَاح .

قال : ومنه حديث أبي موسى ، وقيل له زمن عليٍّ ومعاوية : أهى أهى ؟ قال : إنما
هذه الفِئَة حَيَّةٌ مِن حِيضَاتِ الْعَن ، ونفيت الرداح للظلمة التي من أشرف
أشرفت له .

ومكلعاً أي يكلع الناسُ بشدتها ، يقال كَلَعَ الرجل وأكْلَعَهُ ، الكلعة المم .
والمَلْع ، من قولهم : ملع الرجل إذا قطع من الإبل ، فلم يقدر على أن يصرك ، وأملعه
البر ؛ وقال الأعشى .

• واشتكى الأوصال منه وبلغ •

•••

ومنها قوله عليه السلام يوم خيبر :

أما الذي سَمَّيْتُ أُمِّي حَيْدَرَةً كَلْبٌ عَابَتْ صَكْرِيهِ الْمَطَرَةُ

• أَوْفِيهِم بِالضَّاعِ كَيْلَ السُّدَرَةِ •

قال ابن قتيبة : كانت أم عليٍّ عليه السلام سَمَّةً وأبو طالب عُبٌّ حين ولدته
أَسَدًا باسم أبيها أَسَدِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، لما قدم أبو طالب غير اسمه وسماه
عَلِيًّا ، وحيدرة : اسمٌ من أسماء الأسد ، والسُدرة : شجرةٌ يُعْمَلُ منها القِيَمَةُ
والسِّل ؛ قال :

• حَنَوْتُ لَمْ بِالسُّدَرِيِّ لِلزُّنر •

فالسُدرة في الرِّجَزِ يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ مِثْلًا يُتَّخَذُ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، سَمِّيَ بِاسْمِهَا
كَأَيْسَى الْقَوْسِ بِذُنْبَةٍ . قال : وأحسب إن كان الأمرُ كذلك أن الكيل بها قد كان

جُزَافًا فِيهِ إِفْرَاطٌ ؛ قَالَ : وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ السَّدْرَةُ هَاهُنَا أَمْرًا كَلَامًا تَكِيلُ
كَثِيلًا وَافِيًا أَوْ رَجُلًا .

وَمِنْهَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَنْ بَطُلَ أَيْرُ أَبِيهِ يَتَمَنَّقُ بِهِ .
قَالَ ابْنُ قَتِيبَةَ : هَذَا مَثَلٌ صَرِيحٌ ، يَرِيدُ مِنْ كَثْرَةِ إِخْوَتِهِ عِزًّا وَأَشَدَّ ظَهْرُهُ ،
وَضَرْبَ الْمِطْقَةِ إِذَا كَانَتْ تَشَدُّ لظَهْرٍ مَثَلًا لِدَلِّكَ ، قَالَ الشَّاعِرُ :
فَسَلَوْا شَاءَ رَبِّي كَانَ أَيْرُ أَبِيكُمْ طَوِيلًا كَأَيْرِ الْخَارِثِ بْنِ سَدُوسٍ^(١)
قِيلَ كَانَ لِلْعَارِثِ بَنُ سَدُوسٍ أَحَدُ عَشْرُونَ ذَكَرًا ، وَكَانَ ضَرَارُ بْنُ عَمْرٍو
الضُّبِّيُّ يَقُولُ : أَلَا إِنَّ شَرَّ طَائِفَتِهِمْ ، مَرُوحِيَا الْأَمَّاتِ ، وَدَلَّكَ أَنَّهُ صُرِيعٌ ، فَأَحَدُهُ
الرُّمَاحُ ، فَأَشَدُّكَ عَلَيْهِ إِخْوَتُهُ لِأَنَّهُ حَتَّى خَلَصُوهُ .
قَالَ : فَأَمَّا الْمَثَلُ الْآخَرُ وَهُوَ قَوْلُهُ : مَنْ بَطُلَ دَيْلُهُ يَتَمَنَّقُ بِهِ ، فَلَيْسَ مِنْ أَمَثَلِ
الْأَوَّلِ فِي شَيْءٍ ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ مَنْ وَجَدَ سَعَةً وَمَصْرَفًا فِي عَيْرٍ مَوْصِيحًا وَأَتَقَى فِي عَيْرٍ مَا يَلْزَمُهُ
الْإِتِّفَاقُ فِيهِ .

وَمِنْهَا قَوْلُهُ : حَيْرٌ بَنِي فِي الْأَرْضِ رَمْرَمٌ ، وَشَرٌّ بَنِي فِي الْأَرْضِ بَرَهوت .
قَالَ ابْنُ قَتِيبَةَ : هِيَ بَنُو بَحْضَرَمَوْتٍ يُرَوَّى أَنَّ فِيهَا أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ .
قَالَ : وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ حَضْرَمَوْتٍ قَالَ : مَجِدٌ
فِيهَا الرَّائِحَةُ الْمِينَةُ الْفَظِيحَةُ جَدًّا ، ثُمَّ عَمَكَتْ حِينَئِذٍ فَيَأْتِينَا الْخَبَرُ بِأَنَّ عَطِيًّا مِنْ عَطَمَاءِ
الْكُفَّارِ قَدْ مَاتَ ، فَتَرَى أَنَّ تِلْكَ الرَّائِحَةَ مَعَهُ ، قَالَ : وَرَبَّمَا تَسْمَعُ مِنْهَا مِثْلَ أَصْوَاتِ الْحَاجِّ ،
فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَمِشِيَ بِهَا .

(١) الْهَلَالُ (طَلَقَ) ، مِنْ عِبْرَتِهِ .

هو جاء رَغَسْلَةُ الزَّوَّاحِ خَجَوُ جَاءَ الْعُدُوَّ رَوَّاحَهَا شَهْرُ^(١)

قال : وهذا مثلُ حديثٍ علىِ عليه السلام الآخر ، وهو أنه قال : السَّكِيَّةُ لها وجهٌ كَوَجْهِ الْإِنْسَانِ ، وهي بعدُ رِيحٌ هَفَافَةٌ ، أي خفيفةٌ سريعةٌ ، والحَجَفَةُ : الثُّرْسُ .

ومنها أنْ مَكَاتَنَا لِبَعْضِ بَنِي اسَدٍ ، قال : جِئْتُ مَقْدِيرِ أَحِلِّهِ إِلَى السَّكُوفَةِ ، فَاتَّهَيْتُ بِهِ إِلَى الْجَبْرِ ، فَإِنِّي لَأَسْرُبُهُ عَلَيْهِ إِذَا أَقْبَلَ مَوْلَى لَسْكَرٍ وَائِلٌ يَتَخَلَّلُ الْعَمَّ لِيَقْطَعَهَا ، فَصَغَرْتُ نَقْدَةً ، فَفَطَرْتُ الرَّحْلَ فِي الْقُرُونِ ، فَحَرِقَ ، فَأَحْذَتْ . فَارْتَعْنَا إِلَى عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَصَحَّصْنَا عَلَيْهِ الْقِيعَةَ ، قَالَ : انْطَلِقُوا فَإِنَّ عَرَقَمَ النَّمْدَةَ بِعَيْبِهَا فَأَدَقَمَوْهَا إِلَيْهِمْ . وَإِنْ احْتَنَطَلَتْ عَلَيْكُمْ فَأَدَقَمُوا شَرَّوَاهَا مِنَ الْعَمِّ إِلَيْهِمْ .

قال ابنُ قُتَيْبَةَ : النَّقْدُ : عَمٌّ حِيدَارٌ ، الْوَاحِدَةُ نَقْدَةٌ ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ فِي الْمَثَلِ : « أَذْلُ مِنْ النَّقْدِ » .

وقوله : « أَسْرَبُهُ » أي أَرْسَلَهُ قِطْعَةً قِطْعَةً . وَشَرَّوَاهَا : مَثَلُهَا .

ومنها قوله عليه السلام في ذِكْرِ مَهْدِيٍّ مِنْ وَدِّ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : إِنَّهُ رَجُلٌ أَجَلَى الْخَلْبِينَ ، أَقْنَى الْأَنْفِ ، صَحْمُ التَّطْنِ ، أَرْبَلُ الْفَجْدِينَ ، أَفْلَحُ التَّنَائِيَا ، مَخِذُهُ الْيُمْنَى شَامَةٌ .

قال ابنُ قُتَيْبَةَ : الْأَجَلَى وَالْأَحْضَحُ شَيْءٌ وَاحِدٌ ، وَالْقَنَا فِي الْأَنْفِ : طَوْلُهُ وَدِقَّةُ أَرْبَبَتِهِ

(١) اللسان ٣ : ٧١ : قال : « يصف الريح » .

وَحَدَّثَ فِي وَسْعَةٍ . وَالْأَزْلَ الْعِزْدِينَ : التَّبَاعِدُ مَابَيْنَهُمَا ، وَهُوَ كَالْأَصْحَحِ ؛ تَرَبَّلَ الشَّيْءُ ؛
أَيِ انْتَرَجَ ، وَالذَّيْجُ : سَفَرَةٌ فِي الْأَسْنَنِ .

ومنها قوله عليه السلام : إِنْ بَنَى أُمَّيَّةٌ لَا يَرُلُونَ يَطْعَمُونَ فِي مَسْجَلِ ضَلَالَةٍ ، وَلَمْ يَمْ
فِي الْأَرْضِ أَحَلَّ حَتَّى يُهْرَبُوا الدِّمَ الْحَرَامَ وَ شَهْرَ الْحَرَامِ ، وَاللَّهُ لَسَاكُنِي أَنْطَرُ إِلَى
عِزِّ نَوْقٍ مِنْ قُرَيْشٍ بَتَحْتَطُّ فِي دَمِهِ ، وَبَدَا فَعَلُوا دَمَهُ لَمْ يَتَّقَ لَمْ فِي الْأَرْضِ عَاذِرٌ ، وَلَمْ يَتَّقَ
لَمْ مُلْكٌ ، عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ .

قَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ : هُوَ مِنْ قَوْلِكَ : رَكَتَ فَلَانٌ مَسْحَلَهُ ، إِذَا حَدَّثَ فِي أَمْرٍ هُوَ فِيهِ
كَلَامًا كَارًا أَوْ غَيْرَهُ ، وَهُوَ مِنَ السَّخَنِ وَهُوَ حَصٌّ . وَالْعِزُّ نَوْقٌ : الشَّابُّ .
قُلْتُ : وَالْعِزُّ نَوْقُ الْفُرْشَى الَّذِي قَتَلُوهُ ، ثُمَّ انْفَضَى أَمْرُهُمْ عَفِيفٌ قَتَلَهُ إِبْرَاهِيمُ الْإِمَامُ ،
وَعَدَ احْتَلَفَتِ الرَّوَاةُ فِي كَيْفِيَّةِ قَتْلِهِ ، فَقِيلَ : قُتِلَ بِالسَّيْفِ ؛ وَقِيلَ : حُتِقَ فِي حَرَابٍ فِيهِ
نُورَةٌ ، وَحَدَّثَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِسِيْدُ الرَّوَايَةِ الْأُولَى .

ومنها ما رَوَى أَنَّهُ اشْتَرَى قَبِيصًا بِثَلَاثَةِ دَرَاهِمٍ ثُمَّ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانِي مِنْ رِيَاشِهِ .
قَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ : الرِّيشُ وَالرِّيشُ وَاحِدٌ ، وَهُوَ كَيْسُوَةٌ ، قَالَ عَرَبٌ وَجَلَّ : ﴿ قَدْ أُرِلْنَا
عَالِيَكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوَآتِيكُمْ وَرِيثٌ ﴾ ، وَقُرِئَ : ﴿ وَرِيَاشًا ﴾ .

ومنها قوله عليه السلام : لَا قَوَدَ إِلَّا بِالْأَسَلِ .

قَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ : هُوَ مَا أُرْهِفَ وَأُرِيفَ مِنْ حَدِيدٍ ، كَأَسْنَانِ السَّيْفِ وَالسَّكِينِ ؛
وَمِنْهُ قِيلَ : أَسَلَةُ الذَّرَاعِ لِمَا اسْتَدَقَّ مَعَهُ ، قَوْلُ : وَأَكْثَرُ النَّاسِ عَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ

وقومٌ من الناس يقولون : قد يحوز أُنسُ القَوَدِ بغير الحديد كاللحمر والمصا إن كان المقتول قُتل بغير ذلك .

ومنها أنه عليه السلام رأى رجلاً في لشمس، فقال : قُمْ عنها فإنها مَبْخَرَةٌ مَحْمَرَةٌ، تُثْقِلُ الرِّيحَ، وتُثْبِلُ الثَّوبَ، وتُطْهِرُ الدَّاءَ الدَّافِيَّ .

قال ابنُ قتيبة : مَبْخَرَةٌ : تَوْرِثُ بَخَرًا فِي الْمَمَرِ . وَتَجْفَرَةٌ : تَقْطَعُ عَنِ السَّكَاحِ وَتُدْهِمُ شَهْوَةَ الْجَمَاعِ ، يقال حَفَرَ الْعَثَلُ مِنَ الْإِبِلِ ؛ إِذَا كَثُرَ الضَّرَابُ حَتَّى يَمْلَأَ وَيَنْقَطِعَ ، وَمِثْلُهُ قَدَرٌ ، وَنَقْدَرُ ، قَدُورًا ، وَمِثْلُهُ أَقْطَعَ بِهِ مَقْطَعٌ .

وجاء في الحديث أن عثمان بن مظعون قال : يا رسول الله ، إني رجل تَشَقُّ عَلَى الْعُرَّةِ فِي الْمَعَارِي ، أَفَأُذِنُ لِي فِي الْبُخْصَاءِ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ يُخَفِّرُ .

قال : وقد رَوَى عُمَدُ الرَّحْمَنِ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْهُ ، قَالَ : تَكَلَّمَ أَعْرَابِي فَقَالَ : لَا تَكْحَنَ وَاحِدَةً فَتَحِيضَ إِذَا حَاضَتْ ، وَتَمْرَضَ إِذَا مَرَضَتْ ، وَلَا تَكْحَنَ اثْنَتَيْنِ فَتَكُونَ بَيْنَ صَرَّتَيْنِ وَلَا تَكْحَنَ ثَلَاثًا فَتَكُونَ بَيْنَ ثَوَابٍ ، وَلَا تَكْحَنَ أَرْبَعًا فَيَفْلِسُكَ وَيُهْرِمَكَ وَيُسْجِلَكَ وَيُحْمِرَكَ فَقِيلَ لَهُ : لَقَدْ حَرَّمْتَ مَا أَحَبَّ اللَّهُ ، فَقَالَ : سَبَّحَانَ اللَّهِ أَكُوزَانِ ، وَقُرْصَانِ ، وَطُمْرَانِ وَعِبَادَةُ الرَّحْمَنِ ، وَقَوْلُهُ «تَنْقِرُ الرِّيحُ» ، أَيْ تُدْنِسُهَا ، وَالْأَسْمُ التُّغْلُ ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ «وَلْيُخْرِجَنَّ ثَمَلَاتٍ» . وَالِدَاءُ الدَّافِيَّانِ : الْمُسْتَرِدَّيْ قَدْ قَهَرَتْهُ الطَّبِيعَةُ ، قَالَ الشَّيْخُ تَعَمُّدٌ عَلَى الطَّبِيعَةِ وَأُظْهِرَهُ .

ومنها قوله عليه السلام وهو يدكر مسجد الكوفة في زَاوِيَتِهِ : فَارَاسْتَوْرَ ، وَفِيهِ هَلَاكُ بَعُوثٍ وَيَمُوتُ ، وَهُوَ الْفَارُوقُ ، وَمِنْهُ يَسْتَرْجِلُ الْأَهْوَاذَ ، وَوَسَطُهُ عَلَى رَوْضَةٍ مِنْ

رياض الجنة ، وفيه ثلاث أعين أبتت بالصَّعْثِ ، تذهب الرجس ، وتطهر المؤمنين : عَيْن من لبن ، وعَيْن من دُغْن ، وعَيْن من ماء ، جاسه الأيمن ذِكر ، وفي جاسه الأيسر مَكْر ، ولو يَعْم الناس ما فيه من الفصل لأتوه ولو حَتُوا .

قال ابن قتيبة : قوله : « أبتت بالصَّعْثِ » أحسبه الصَّعْث الذي ضرب أيوب أهله .
والعين التي ظهرت لسار كعص الماء روجه . قال : والباء في « بالصَّعْثِ » زائدة ، تقديره : أبتت الصَّعْث ، كقوله تعالى : ﴿ تَسْتُ بِاللَّهِ مِنْ ^(١) ﴾ ، وكقوله : ﴿ يَشْرَبُ بِهَا هَبَادُ اللَّهِ ^(٢) ﴾ .

وأما قوله : « في جاسه الأيمن ذِكر » ، فبفتح الهمزة ، وفيه معنى الصلاة . وفي جاسه الأيسر مَكْر أراه أراد به المكر به حتى قيل عليه بسلام في مسجد الكوفة .

ومنها أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث أبا رافع مولاه يتلقى حمزة بن أبي طالب لما قدم من الحبشة ، فأعطاه على عيه السلام حَتِيًّا وعُكَّةً تَمَن ، وقال له : أنا أعلم بمغفر أنه إن علم نراه مرة واحدة ثم أطعمه ، فدفع هذا السَّمَن إلى أسماء بنت عميس تذهن به بنى أحى من صَمَر البحر ، وتطعمهم من الحَتِي .

قال ابن قتيبة : الحَتِي : سَوِيقٌ يُتَّخَذُ مِنْ تَمَن ، قال المذَلِّي بدكر أصيافه :

لَا دَرَّ دَرِّي إِنْ أَطْعَمْتُ نَارِيكُمْ قَرَفَ الْحَقِّ وَعِنْدِي الْبُرْءُ مَكْمُورُ ^(٣)

(١) سورة المدثر : ٢٠

(٢) سورة النهر : ٦

وقوله : « ثَرَاهُ مَرَّةً » أى بِلَهْ دَلْعَةٍ واحدة وأطعمه الناس ، والثرا : النداء . وصَمَرَ البحر بَنَنَهُ وَغَمَّقَهُ ، ومنه قيل لِلدُّبُرِ الصُّمَارَى .

ومنها قوله عليه السلام يوم الشورى لما تكلم : الحمد لله الذى اتحد محمدًا من نبي ، وابتعثه إلينا رسولاً ، فصحب أهل بيت النبوة ، ومعدن الحكمة ؛ أماناً لأهل الأرض ، ونجاة لمن طلب ، إن كان منكم من لم يظلم نفسه ، وإن تمنعه تركب أمجاد الإبل ، وإن طال الشرى ، لو عهد إيل رسول الله صلى الله عليه وآله عهداً لجالدنا عليه حتى نموت ، أو قال لنا قولاً لأعدنا قوله على رخصا . لن يسرع أحدٌ قتلنا إلى صليّة رَجِيمٍ ودعوة حق ، والأمر إليك يا من عوف على صديق نبية ، وحشد النصح ؛ وأستغفر الله لي ولكم .

قال ابن قتيبة : أى أن معناه رَكِبَا مركب الصيّم والدّل ، لأن راكب عَجْر البعير يحد مشقة ، لا سيما إذا تطاول به التركوب على تلك الحال ، ويحور أن يكون أراد : نصير على أن نكون أئمةً لعيرنا ، لأن راكب عَجْر البعير يكون رَدْفًا لعيره .

ومنها قوله عليه السلام لما قتل ابن آدم أخاه : عَمَصَ الله الخلق ونقص الأشياء . قال ابن قتيبة : يقال غَمَصْتُ فُلَانًا أَعَمَيْصُهُ واعتصمته إذا استصعبرته واحتقرته ، قال : ومعنى الحديث أن الله تعالى نقص الخلق من عظم الأعدان وطولها من القوة والدعش وطول العمر ونحو ذلك .

ومنها أن سلامة الكندي قال : كان على عليه السلام بعث الصلاة على

رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول : اللهم داحي المدحوات ، وبارئ السموات ، وجبار القلوب على فطرتها ، شفيها وسعيدها ، اجعل شرائف صلواتك ، ونوامي بركاتك ، ورافة تحياتك ، على محمد عبدك ورسولك ، العاص لما أغلق ، والحائم لما سبق ، والمعلن الحق بالحق ، والدامع جيشات الأباطيل ، كما حلقته فاصطمع بأمرك لطاعتك ، مستوفراً في مراضاتك ، لغير سكل في قدم ، ولا وهن في عزم ، داعياً لوحيك ، حافظاً لعهدك ، ماضياً على نفاذ أمرك ، حتى أوري قدياً لقابس ، آلاء الله تصل بأهله أسبابه به ، هديت القلوب بعد حوصات الفتن والإثم ، موصحات الأعلام ، وبأثرات الأحكام ، ومنيرات الإسلام ، فهو أميت الذموم ، وحزين علك للحرزون ، وشهيدك يوم الدين ، وبعينك نعمة ، ورسولك بالحق رحمة . اللهم أوسع له مفتحاً في عدلك ، واجزه مصاعمات خير من فصلك ، مهتات غير مكدرات ، من قور ثوابك المحلول ، وجزل عطائك الممول ، اللهم أعل على بناء الدين بناء ، وأكرم مشواه لديك وتزله وأتم له بوره ، واجزه من ابتعائك له مقبول شهادة ، مريض المقالة ، ذا مطلق عدل ، وخطة فصل ، وبرهان عظيم .

قال ابن قتيبة : داحي المدحوات ، أي باسط الأرصين ، وكان الله تعالى حلقها ربوة ثم بسطها ، قال سبحانه ﴿ والأرض بعد ذلك دحاهم ^(١) 》 وكل شيء بسطته فقد دحوته ومنه قيل لموضع يتض النعامة أدحى ، لأنها تدحوه للبيض أي توسعه ، ووزنه أفعال . وبارئ السموات : خالق السموات . وكل شيء مرفعه وأعليته فقد سمكته ، وسمك البيت والحائط ارتفاعه ، قال الفرزدق :

إن الذي سمك السماء بني لنا بيتاً دعائه أعز وأطول

وقوله : جَبَّارُ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَاتِهَا . من قولك جَبَرْتُ الْعَظْمَ فَجَبَرْتُ إِذَا كَانَ مَكْسُورًا فَلَأَمَّتْهُ وَأَقْسَمَتْهُ ، كَأَنَّهُ أَقَامَ الْقُلُوبَ وَأَثْبَتَهَا عَلَى مَا فَعَّلَهَا عَلَيْهِ مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَالْإِقْرَارِ بِهِ ، شَقِيهَا وَسَمِيدَهَا ، قَالَ : وَلَمْ أَجْلُ جَبَّارًا هَاهُنَا ، مِنْ أَحَبَرْتُ فَلَا مَا عَلَى الْأَمْرِ إِذَا أَدْحَلْتَهُ فِيهِ كَرُّهَا ، وَفَسَّرْتَهُ ، لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ مِنْ أَفْعَلَ فَعَلَّ ، لَا أَعْلَمُ ذَلِكَ إِلَّا أَنَّ بَعْضَ الْقُرَّاءِ قَرَأَ ﴿ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ ^(١) بِتَشْدِيدِ الشَّيْنِ ، وَقَالَ : الرَّشَادُ اللَّهُ ، فَهَذَا فَضَالٌ مِنْ أَفْعَلَ ، وَهِيَ قِرَاءَةُ شَادَّةٍ ، غَيْرُ مُسْتَعْمَلَةٍ ، فَأَمَّا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾ فَإِنَّهُ أَرَادَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسْطٍ تَسْلِطُ الْمُلُوكَ . وَالْخَاطِرُ : الْمُلُوكَ ، وَاعْتِبَارُ ذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُسْطٍ ﴾ ^(٢) أَيْ بِمُسْطٍ تَسْلِطُ الْمُلُوكَ ، فَإِنْ كَانَ يَحْوُرُ أَنْ يَقَالَ مِنْ أَحَبَرْتُ فَلَا مَا عَلَى الْأَمْرِ أَمَا جَبَّارٌ لَهُ ، وَكَانَ هَذَا مَحْفُوظًا ، هَدَّ يَحْوُرُ أَنْ يُحْتَلَّ قَوْلُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : حَبَّارُ الْقُلُوبِ مِنْ ذَلِكَ ، وَهُوَ أَحْسَنُ فِي الْمَعْنَى .

وقوله : « الدَّمَاعُ جَحِشَاتُ الْأَبَاطِيلِ » ، أَيْ مُهْلِكُ مَا تَحْتَمُّ رَأْرَتُهُ مِنَ الْأَبَاطِيلِ ، وَأَصْلُ الدَّمَاعِ مِنَ الدَّمَاعِ ، كَأَنَّهُ الَّذِي يَضْرِبُ وَسَطَ الرَّأْسِ فَيَذْمَعُهُ أَيْ يَصِيبُ الدَّمَاعَ مِنْهُ . وَمِمَّا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ بَلْ نَقْدِفُ يَاتْلُو عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾ ^(٣) أَيْ يُبْطِلُهُ وَالِدَّمَاعُ مَقْتَلٌ ، فَإِذَا أَصِيبَ هَلَكَ صَاحِبُهُ .
وَجَحِشَاتُ : مَا حَوِذٌ مِنْ جَاشٍ الشَّيْءُ أَيْ ارْتَمَعَ ، وَجَاشَ الْمَاءُ إِذَا طَمَسَ ، وَجَاشَتِ النَّفْسُ .

وقوله : « كَمَا حَمَلُ قَاصِطَمَعٍ » فَتَقَلُّ مِنَ الصَّلَاحَةِ وَهِيَ الْمَوْتَةُ .

(٢) سورة ذى : ٤٤ .

(٤) الأبيات : ١٨ .

(١) سورة المؤمن : ٣٨ .

(٣) سورة النازية : ٢٢ .

وقوله : « لَعِبْرُ سُكُلٍ فِي قَتَمٍ » ، السُّكُلُ : مَصْدَرٌ وهو الشُّكُول ، يقال : نَكَلَ فلانٌ عن الأمرِ بِنَكَلٍ نُكُولًا ، فهذا تشهورُ ونَكَلَ بالكسر يَفْكَل نُكْلًا قليلة .

والقَدَمُ : التَّقدُّمُ ، قال أبو زيد : رحلٌ مَقْدَمٌ إذا كان شجاعا ، فالقدمُ محوَرٌ أن يكون بمعنى التَّقدُّمِ ، وبمعنى المتقدِّم .

قوله : « وَلَا وَهْنٌ فِي عَرْمٍ » ، أى وَلَا صَبٌّ فِي رَأْيٍ .

وقوله : « حَتَّى أَوْرى قَبَسًا قَاسٍ » ، أى نُصِرَ هَؤُلَاءِ مِنَ الْحَقِّ ، يقال : أَوْرَيْتَ النَّارَ إذا قَدَحْتَ ما ظهرَ سَها ، قال سبحانه : ﴿ قَدْ يَسْمُ النَّارُ الشَّيْءَ تُورُونَ ﴾ ^(١) .

وقوله : « آلاءُ اللَّهِ تَصِلُ بِأَهْلِهِ أَسَانَهُ » ، يريدُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَهْلِ ذَلِكَ الْقَبَسِ ، وهو الإسلامُ والحقُّ سبحانه أسبابه وأَهْلُهُ ، الْمُؤْمِنُونَ بِهِ .

قلتُ : تقديرُ الكلامِ حَتَّى أَوْرى قَبَسًا قَاسٍ . تَصِلُ أَسَابُ ذَلِكَ الْقَبَسِ آلاءُ اللَّهِ وَبِعَمَلِهِ بِأَهْلِ الْمُؤْمِنِينَ . وأَعْلَمُ أَنَّ اللامَ في « لَعِبْرُ سُكُلٍ » متعلِّقةٌ بقوله : « مُستَوْفِرٌ » ، أى هو مُستَوْفِرٌ لَعِبْرُ سُكُولٍ ، بل للحوافِ مَثٌ ، والمَصْدُوعُ لَكَ .

قال ابنُ قُتَيْبَةَ : قوله عليه السلام : « هَدَيْتِ الْقُلُوبَ بَعْدَ الْكُفْرِ » ، والْمَقَسُ مُوضَعَاتُ الْأَعْلَامِ ، أى هَدَيْتَهُ لِمُوضَعَاتِ الْأَعْلَامِ ؛ يقالُ هَدَيْتِ الطَّرِيقَ وَلِلطَّرِيقِ وإلى الطَّرِيقِ .

وقوله : « نَائِرَاتُ الْأَحْكَامِ » ، وَمُيَبِّرَاتُ الْإِسْلَامِ ، يريدُ الواضحاتُ الْبَيِّنَاتُ ، يقال : نَارُ الشَّيْءِ وَأَنَارَ ، إِذَا وَصَحَ .

وقوله : « يَهْدِيكَ يَوْمَ الدِّينِ » ، أى الشَّهَدَ عَلَى لِسَانِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَتَعْيُنُكَ رَحْمَةً ، أى مَسْعُوثُكَ ، قَبِيلٌ فِي مَعْنَى مَفْعُولٍ .

وقوله : « افْتَحْ لَهُ مَفْسَحًا » ؛ أى أَوْسِعْ لَهُ سَعَةً ؛ وَرُوي « مُفْتَسِحًا » بِلِثَاءِ .
 وقوله : « فِى عَذْلِكَ » أى فِى دَارِعِدْلِكَ ، بِمِثْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمِنْ رِوَايَةِ « عَذْلِكَ »
 مَالِثُونَ ، أَرَادَ جَنَّةَ عَدْنٍ .

وقوله : « مِنْ جَزَلٍ عَطَائِكَ لِمَعْنَى » ، مِنَ الْقَلِيلِ ، وَهُوَ الشَّرْبُ بَعْدَ الشَّرْبِ ،
 فَالشَّرْبُ الْأَوَّلُ سَهْلٌ ، وَالثَّانِ عَدْلٌ ، يُرِيدُ أَنْ عَطَاءَهُ عَرَّ وَجَلَ مُصَاعَفٌ ، كَأَنَّهُ يُعَلِّقُ
 عِبَادَتَهُ ، أَيْ يُعْطِيهِمْ عَطَاءً بَعْدَ عَطَاءٍ .

وقوله : « أَغْلٍ عَلَى سَاءِ الْبَائِسِينَ بِسَاءٍ » ، أَيْ ارْفَعْ فَوْقَ أَعْمَالِ الْبَائِسِينَ عَمَلَهُ . وَأَكْرَمَ
 مَنَاقِبَهُ ، أَيْ مَنَازِلَهُ ، مِنْ قَوْلِكَ : تَوَيْتُ بِالْمَسْكَنِ أَيْ مَرَكَّتُهُ وَأَقَمْتُ بِهِ ، وَبُرْلُهُ : رِقَّةُ .
 وَمِنْ قَدْ دَكَّرْنَا بَعْضَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ بِمَا تَقَدَّمَ عَلَى رِوَايَةِ الرَّصَمِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَهِيَ
 مَحَالِفَةٌ لِهَذِهِ الرِّوَايَةِ ، وَشَرْحًا مَارَوْهُ الرِّصَمِيُّ ، وَدَكَّرْنَا الْآنَ مَا رَوَاهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ وَشَرْحَهُ
 لِأَنَّهُ لَا يَخْلُو مِنْ فَائِدَةٍ جَدِيدَةٍ .

ومنها قوله عليه السلام : « حُدِرَ الْحِكْمَةُ أَنْى أَنْتُكَ » ، فَإِنَّ الْكَلِمَةَ مِنَ الْحِكْمَةِ تَكُونُ
 فِى صَدْرِ الْمُنَاقِقِ فَتَجَلِّجُ فِى صَدْرِهِ حَتَّى تَسْكُنَ إِلَى صَاحِبِهَا .

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ : يُرِيدُ الْكَلِمَةَ قَدْ بَعَثَهَا الْمُنَاقِقُ فَلَا تَزَالُ تَتَحَرَّكُ فِى صَدْرِهِ
 وَلَا تَسْكُنُ حَتَّى يَسْمَعَهَا مِنَ الْمُؤْمِنِ أَوْ الْعَالِمِ فَيُعِيْبَهَا وَيَنْقُصُهَا وَيَقْبَحُهَا مِنْهُ ، فَتَسْكُنُ فِى
 صَدْرِهِ إِلَى أَخَوَاتِهَا مِنْ كَلِمِ الْحِكْمَةِ .

ومنها قوله عليه السلام : الْبَيْتُ مَعْمُورٌ بِتَنَاقُ الْكُفَّةِ مِنْ قَوْقِهَا .
 قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ : تَنَاقُ الْكُفَّةِ ، أَيْ مُظِلُّ عَلَيْهَا مِنْ قَوْقِهَا ، مِنْ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ :

﴿وَإِذْ نَفَخْنَا فِي نُفُسِهِمْ رُوحَهُ طَلَّةً﴾^(١)، أَيْ رُوحَ فَاطِلَةٍ عَلَيْهِمُ .

ومنها قوله عليه السلام : «أَنَا قَسِيمُ النَّارِ» ، هَذَا مِنْ قَتِيْبَةٍ : أَرَادَ أَنَّ النَّاسَ فَرِيقَانِ ! فَرِيقٌ مَعِيَ فَهَمَّ عَلَى هُدًى ، وَفَرِيقٌ عَلَى ضَلَالَةٍ ، كَالْحَوَارِجِ ، وَلَمْ يَجْتَرِأْ بِنِ قَتِيْبَةٍ أَنْ يَقُولَ : «وَأَهْلُ الشَّامِ» بِتَوَرُّعٍ رَعْمٍ ، ثُمَّ رَضِيَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَهُ بِمَا تَوَرَّعَ عَنْ دِكْرِهِ ، فَقَالَ مُتَّعِمًا لِلْكَلَامِ بِقَوْلِهِ : فَأَنَا قَسِيمُ النَّارِ ، نَصْفٌ فِي جَنَّةٍ مَعِيَ ، وَنَصْفٌ فِي النَّارِ ؛ قَالَ : وَقَسِيمٌ فِي مَعْنَى مُقَامٍ ، مِثْلُ جَلِيسٍ وَأَكِيلٍ وَشَرِيبٍ .

قلت : قد ذكر أبو عبيد الهَرَوِيُّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ فِي الْمَجْمَعِ بَيْنَ السَّرِيْبَيْنِ ؛ قَالَ : وَقَالَ قَوْمٌ : إِنَّهُ لَمْ يُرِدْ مَا دَكَرَهُ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ . هُوَ قَسِيمُ النَّارِ وَالْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَقِيقَةً ، يَقْسِمُ الْأَمَّةَ ، فَيَقُولُ : هَذَا لِلْجَنَّةِ ، وَهَذَا لِلنَّارِ .

[خطبة منسوبة للإمام عليّ خالية من حرف الألف]

وأنا الآن أذكر من كلامه العريب ما لم يورده أبو عبيد وأسن قتيبة في كلامهما وأشرحهما أيضا ، وهي خطبة رواها كثير من أسان له عليه السلام خالية من حرف الألف ؛ قالوا : نذكر (١) قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله : أي حروف الهجاء أدخل في الكلام ؟ فاجمأوا على الألف ، فقال عليّ عليه السلام :

خِذْتُ مَنْ عَطَمْتُ يَمِيْنَهُ ، وَسَمِعْتُ نَفْسَهُ ، وَسَقَتُ عَصَاهُ رَحْمَتَهُ ، وَتَمَّتْ كَلِمَتُهُ ، وَنَقَدْتُ مَشِيئَتَهُ ، وَبَلَمْتُ قَصِيئَتَهُ ؛ خِذْتَهُ خِذَ مُقَرَّرٍ بِرُؤْيِيْنِهِ ، مَتَّصِعٍ لِمُؤَدَّبَتِهِ ، مَتَّصِلٍ مِنْ خَطِيئَتِهِ ، مَتَفَرِّدٍ تَوْحِيدِهِ ، مُؤَثِّلٍ مِنْهُ مَغْرَةً تُنْجِيهِ ، يَوْمَ يُكْمَلُ عَنْ فَصِيائِهِ وَنَبِيهِ .

وسمعه واسترشدّه واستهديه ، وتوأمس به وتوكل عليه ، وشهدت له شهوداً نحاص موقين ، وفرّدتّه تفريداً مؤامس مئيقين ، ووحدته توحيداً عبد مدعي ، ليس له شريك في ملكه ، ولم يكن له ولي في صيه ، حلّ عن مشير وورير ، وعن عون معين ونصير ونظير .

علم فستر ، وتظن فقر ، ومثّ قهر ، وعصى ففر ، وحكم فعدل ، لم يزل ولن يزل (ليس كمثل شئ) (٢) ، وهو بعد كل شئ رب متعزّر بمرّيته ، متمكّن بقوّته ، متقدّس بملوّه ، متكبرّ بسموّه ، ليس يدركه بصر ، ولم يحيط به نظر ، قويّ منبعّ ، بصير سميع ، رءوف رحيم .

عجز عن وصفه من يصفه ، وضلّ عن أمته من يعرفه .

(١) في الأصل : « نذكر » ؛ تصحيف .

(٢) سورة الشورى : ١١

قَرُبَ قَبْعَدٌ ، وَلَعْدَ قَرُبٍ ، يُحِبُّ دَعْوَةَ مَنْ يَدْعُوهُ ، وَيَرْزُقُهُ وَيُحْبُوهُ ، ذُو الْكَلَفِ
خَفِيرٌ ، وَلَطِيشٌ قَوِيٌّ ، وَرَحْمَةٌ مُوسِعَةٌ ، وَعَقُوبَةٌ مُوَحِّجَةٌ ، رَحْمَتُهُ حَتَّى عَرِيصَةُ مَوْتَقَةٍ ،
وَعَقُوبَتُهُ جَعِيمٌ مَمْدُودَةٌ مَوْتَقَةٌ .

وَشَهِدْتُ بِمِثْلِ مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ ، وَعَبْدِهِ وَصَفِيِّهِ ، وَبَيْتِهِ وَنَحْبِهِ ، وَحَبِيبِهِ وَخَلِيلِهِ ، بَعَثَهُ
فِي خَيْرِ عَصْرِ ، وَحِينَ فَتْرَةٍ وَكَفَرٍ ، رَحْمَةً لِمُسْلِمِهِ ، وَبَيِّنَةً لِمُرِيدِهِ ، حَقَمَ بِهِ نَبُوَّتَهُ ، وَشَيَّدَ
بِهِ حَقَّقَتَهُ ، فَوَعظَ وَنَصَحَ ، وَبَلَّغَ وَكَدَحَ ، رَهْوفٌ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ ، رَحِيمٌ لِكُلِّ سَافِرٍ ،
رَحْمَتِي وَلِيٌّ رَكِيٌّ ، عَلَيْهِ رَحْمَةٌ وَتَسْلِيمٌ ، وَبِرْكَةٌ وَتَسْكِينٌ ، مِنْ رَبِّ عَمُورٍ رَحِيمٍ ،
قَرِيبٍ يُحِبُّ .

وَصَيِّتُكُمْ مَعَشَرَ مِنْ حَصَرِي بِوَصِيَّتِي رَسْمِي ، وَدَكَّرْتُكُمْ بِسَيِّئِ نَبِيِّكُمْ ،
فَمَلِكُكُمْ رَهْفَةً تَكُنْ فَوْقَكُمْ ، وَخَشْيَةٌ تَكُنْ دُونَكُمْ ، وَتَقْبِيْلٌ تَنْجِيكُمْ قَبْلَ يَوْمِ
تُسَلِّمُكُمْ وَتَنْدِيهِكُمْ ، يَوْمَ يَمُورُ فِيهِ مِنْ تَقْدِيرِ وَرْدٍ حَسْبُهُ ، وَحَقٌّ وَرْدٌ سَبِيحُهُ ، وَلَتَكُنْ
مَسْأَلَتُكُمْ وَتَعَلُّقُكُمْ مَسْأَلَةً دَلِيلٍ وَحَصُوعٍ ، وَشُكْرٌ وَحُشُوعٌ ، شَوْفَةٌ وَتَوَرُّعٌ ، وَدَمِيمٌ
وَرَحُوعٌ ، وَلِيَّاسَمٌ كُلُّ نَصِيحٍ مَكْتُمٌ مَحْتَمٌ ، قَدْ سَفَعَهُ ، وَشَبِيحَتُهُ قَدْ هَرَمَتُهُ ، وَسَمِعَتْهُ
قُلُوبُ قَفَرِهِ ، وَفَرَعَتُهُ قُلُوبُ شَعْبِهِ ، وَحَصَرَتْهُ قُلُوبُ سَعَرِهِ ، قُلُوبٌ نَكَبَتْ وَتَهَرَّتْ ، وَتَسَقَّمَتْ ،
يَمْلَأُ طَبِيبُهُ ، وَيَعْرِضُ عَنْهُ حَبِيبُهُ وَيَقْطَعُ عُدَّتُهُ ، وَيَتَعَبَّرُ عَقْلُهُ ، ثُمَّ قِيْلَ : هُوَ
مَوْعُودُكُمْ ، وَحَسْبُهُ مَبْنُودُكُمْ ، ثُمَّ خَذَلَتْ رِجْلُ شَدِيدِهِ ، وَحَصَرَتْهُ كُلُّ قَرِيبٍ
وَبَعِيدٍ ، فَتَشَخَّصَ بَصَرُهُ ، وَطَمَحَ نَظَرُهُ ، وَرَسَّحَ حَبِيبُهُ ، وَعَصَفَتْ عَرِيصَتُهُ ، وَسَكَنَ
حَبِيبُهُ ، وَحَرَّتَتْهُ نَفْسُهُ ، وَنَكَبَتْ عَرْشَتُهُ ، وَخَبِرَتْ رَأْسَتُهُ ، وَبَيَّتْ مِنْهُ وَلَدَةٌ ، وَتَفَرَّقَ
مِنْهُ عَدَدَةٌ ، وَقُيسِرَ تَحْمُهُ ، وَذَهَبَ بَصَرُهُ وَتَمَعَهُ ، وَمَدَدَ وَجْهُهُ ، وَغَرَّيَ
وَعْيِلَ ، وَشَفَّ وَسَحَّى ، وَبَسَطَ لَهُ وَهْشَى ، وَبَسَرَ عَلَيْهِ كَمَعَهُ ، وَشَدَّ مِنْهُ دَقَّهُ ،
وَقَصَّ وَعَمَّهُ ، وَوَدَّحَ وَسَاءَتُهُ ، وَجَلَّ فَوْقَ مَنِيرِهِ ، وَضَلَّ عَلَيْهِ نَكِيرُهُ ، وَنَقَلَ
مِنْ دُورٍ مُرَحَرَفَةٍ ، وَقُدَّوِيٍّ مُسَيِّدَةٍ ، وَحَجَّرَ مُسَحَّدَةٍ ، وَجَعَلَ فِي ضَرْبٍ مَنَحُودٍ

وضيق مرصود ، بلين منصود ، مسقف بكنود ، وهيل عليه حفرة ، رحنى عليه مدره ،
وتحقق جذره ، ونسى خبره ، ورشح عنه وليه وصفيه ، ونديمه ونسيبه ، وتبدل به قرينه
وحيله ، فهو حشو قبر ، ورهين قفر ، يسي محسه دود قبره ، ويسيل صديده من
منجيره ، يسحق ترابه لجه ، وبشفت دمه ، ويرم عظمه حتى يوم حشره ،
فتشر من قبره حين ينفخ في صور ، ويدعى بحشر ونشور .

ثم اعزت قنور ، وحصلت سريرة صدور ، وحي ، بكل بيت وصدق
وشهيد ، وتوحد للفصل قدير بعدو خير نصير ، فكلم من رقره نصيه ، وحسره
تنضيه ، في موقف مهول ، ومشهد جليل ، بين يدي ملك عظيم ، ويسكل صعيير
وكبير عليم ، فيندب بأجمه هرقه ، ويحصره قلعه ، عبرته غير مرحومه ، وصرخته
غير مسموعة ، وحجته غير مقبولة ، رالت جريدته ، ونشرت حيمه ، طر في سوء عمه ،
وشهدت عليه عينه بنظره ، وبدت سطره ، ورحله بخطوه ، وفرحه بلسه ، وحلده
بسمه ، فسليل حيدته ، وعلت يده ، وسبق فسح وحده ، فورد جهنم كروب
وشدة ، فطل بعدب في حجير ، ويشتى شرته من جهنم ، تشوى وجهه ، وتساح
جلده ، وتضربه رنية بتقع من حديد ، ويعود حلده بعد نصحه كحلل جديد ،
يستغيث فتعرض عنه حرة جهنم ، ويستمرخ فيلبث حقة يمدم .

بعوذ برت قدير ، من شر كل مصير ، وناله عفو من رصى عنه ، ومعمرة
من قبله ، فهو ولي مآلتي ، ومصح طالتي ، من رخرح عن نديب رته حيل
في جنته بقرنه ، وخلص في قصور مشيدة ، ومثل بحور عين وحيدة ، وطيف
عليه كنوس ، أشكن في حطيرة قدوس ، وتقلت في عيم ، وسقى من تسليم ،
وشرب من عين سلسيل ، ومرج له رنجيل ، تحتم بمك ، وغير مستديم لعلك ،
مستشعر لشرر ، يشرب من حمور ، في روض معدني ، ليس بصدع من شره ،
وليس بيزف .

هَذِهِ مَنْزِلَةٌ مِّنْ خَشْيِ رَبِّهِ ، وَحَذَرِ نَفْسِهِ مَعْصِيَتُهُ ، وَتِلْكَ عَقُوبَةُ مَنْ جَحَدَ
 مَشِيئَتَهُ ، وَسَوَّاتٌ لَهُ نَفْسُهُ مَعْصِيَتُهُ ، فَهُوَ قَوْلُ فَصْلٍ ، وَحُكْمُ عَدْلٍ ، وَخَيْرُ قَصَصٍ
 قَصٍّ ، وَوَعظُ نَفْسٍ ، ﴿ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَنِيدٍ ﴾ ^(١) نَزَلَ بِهِ رُوحُ قُدُّسٍ مُّبِينٍ ،
 عَلَى قَلْبِ نَبِيِّ مُّهْتَدٍ رَّشِيدٍ ، صَلَّتْ عَلَيْهِ رُسُلُ سَعَادَةٍ ، تُكْرِمُونَ بِرَّهَ ، عَذَّتْ
 بِرَبِّهِ عِلْمٌ ، رَحِيمٌ كَرِيمٌ ، مِّنْ شَرِّ كُلِّ عَدُوٍّ لِّنَبِيِّ رَحِيمٍ ، فَلْيَتَضَرَّعْ مُتَضَرِّعُكُمْ ،
 وَلْيَبْتَهِلْ مُبْتَهِلُكُمْ ، وَلْيَسْتَغْفِرْ كُلُّ مَرْبُوبٍ مِّنْكُمْ لِي وَلَكُمْ ، وَحَسْبِيَ رَبِّي وَحْدَهُ .

التبنيخ :

فَصِيلَةُ الرَّحْلِ : رَهْطُهُ الْأَذْنُونُ . وَكَدَحٌ : سَعَى سَعْيًا فِيهِ نَصَبٌ ، وَفِرْعَتُهُ : الْوَاحِدَةُ
 مِنَ الْفِرَاعِ ، تَقُولُ : فَرَعْتُ فِرْعَةً ، كَقَوْلِكَ : صَرَفْتُ ضَرْبَةً . وَسَحَى لَيْتَ : سَطَّ
 عَلَيْهِ رِذَاءٌ . وَشَرَّ اللَّيْتِ مِمَّنْ قَرَنَهُ صَبَحَ النَّوْرُ وَالشَّيْبُ ، وَأَشْرَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

و تَعَثَّرَتْ قُبُورٌ : انْثَرَتْ وَبَدَشَتْ .

قَوْلُهُ : « وَسَيَقُ نَسْعَبُ وَحْدَهُ » ، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ مَعَهُ غَيْرُهُ كَانَ كَأَنَّهُ شَيْءٌ غَيْرُهُ ، فَكَانَ
 أَحْفَ لَأَلَمِهِ وَعَذَابِهِ ، وَإِذَا كَانَ وَحْدَهُ كَانَ أَشَدَّ أَلَمًا وَأَهْوَلَ ، وَ « فَسِيرَ » بِحَبِّ
 وَحْدَهُ ، وَهَذَا أَقْرَبُ إِلَى نَسَابِ الْفَقْرَتَيْنِ ، وَدَعْ الْأَحْمَ مَعِيَ .

وَرَبِّيَّةٌ عَلَى وَرَبِّ « عَفْرِيَّةٌ » وَاحِدَةُ الرَّبِّيَّةِ ، وَهِيَ عِنْدَ الْعَرَبِ اسْمُ امْرَأَةٍ ، وَتُكْنَى بِهَا

بَعْضُ الْمَلَائِكَةِ لَدَفْعِهِمْ أَهْلَ النَّارِ إِلَيْهَا كَمَا يَفْعَلُ شَرْطُ فِي الدُّنْيَا ، وَمِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ مَنْ
 يَجْعَلُ وَاحِدَ الرَّبَّيَّةِ رَبَّيًّا . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : رَبَّانٍ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : هُوَ جَمْعٌ لَا وَاحِدَ لَهُ ،
 نَحْوُ أَبَايِلَ وَعِبَادِيدَ ، وَأَصْلُ الرُّبْنِ فِي اللُّغَةِ دَفْعٌ ، وَمِنْهُ نَافَةُ رَبُّونَ : يَنْصَرِبُ
 حَالِبًا وَتَدْفَعُهُ .

وتقول : مَلِكٌ زَيْدٌ بِفُلَانَةٍ سَمِيرٌ ، أَلِفٌ وَالْبَاءُ هَاهُنَا زَائِدَةٌ كَمَا زَيْدٌ فِي « كَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا » ، وَإِنَّمَا حَكَمْنَا بِزِيَادَتِهَا لِأَنَّ لِعَرَبٍ تَقُولُ : مَلِكْتُ أَنَا فُلَانَةٌ أَيْ تَزَوَّجْتُهَا وَأَمْلَكْتُ فُلَانَةً زَيْدٌ أَيْ زَوَّجْتُهَا بِهِ ، فَلَمَّا جَاءَتْ الْبَاءُ هَاهَا وَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ إِثْبَاتِ الْأَلِفِ لِأَجْلِ مَجِيئِهَا جَعَلْنَاهَا زَائِدَةً ، وَصَدَرَ تَقْدِيرُهُ : وَمَلِكٌ حُورًا عَيْنًا .

وَقَالَ الْمَفْسُورُونَ فِي تَسْمِيَةِ : إِنَّهُ اسْمُ مَاءٍ فِي الْجَنَّةِ ، تُسَمَّى بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَحْرَى مِنْ هَوِّ الرُّفِّ وَالْقُصُورِ .

وَقَالُوا فِي سَسْبِيلٍ : إِنَّهُ اسْمٌ عَمِيْقٌ فِي الْجَنَّةِ لَيْسَ يُبْرِفُ وَلَا يُخْمَرُ كَمَا يُخْمَرُ شَارِبُ الْخَمْرِ فِي الدُّنْيَا .

• • •

انْقَضَى هَذَا الْفَصْلُ ، ثُمَّ رَحِمْنَا إِلَى سَائِلِ الْعَرَضِ الْأَوَّلِ .

الأمثل :

وقال عليه السلام ، لما بَلَغَهُ إِيَّاهُ أَصْحَابُ مَعَاوِيَةَ عَلَى الْأَنْبَارِ ، فَمَرَجَ بِنَفْسِهِ
حَاشِيًا حَتَّى أَتَى الشَّحِيلَةَ ، وَأَذَرَ كَهْ الدَّسُ وَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، نَحْنُ نَكُفُّكُمْ
فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

وَاللَّهِ مَا تَكْفُرُونِي أَنْفُسَكُمْ ، فَكَيْفَ تَكْفُرُونِي غَيْرَكُمْ إِنْ كَانَتْ الرُّغَايَا قُلِي
لَتَشْكُو حَيْفَ رُغَايَاهَا ، فَإِنِّي الْيَوْمَ لَا أَشْكُو حَيْفَ رَعِيَّتِي ، كَأَنِّي الْمَقُودُ وَهُمْ الْقَادَةُ ،
أَوْ الْمَوْزُوعُ وَهُمْ الْوَزْعَةُ .

قال . فلما قال هذا القول في كلام طويل قد ذكرنا مختاراً في حمله الخطب ، تقدم
إليه زحلال من أصحابه . فقال أحدهما : (إِنِّي لَا أَفِيكَ إِلَّا نَفْسِي وَأَجْبَى)^(١) ، فمرّناً
بِأَمْرِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُعَدَّ^(٢) ، فقال : وَأَيُّ نَفْسٍ يَمْدُ أُرِيدُ ؟

الشرح :

النس : الطريقة . يقال : تَسَحَّ عَنْ نَسْرٍ ، أي عن وَحْه الطريق والشَّحِيلَةُ : بظاهر
الكوفة ، ورؤي « مَا تَكْفُرُونِي » بحذف النون .

والحيف : الظلم .

والوَزْعَةُ : جمع وازيع ، وهو الدافع الكفاف .

ومعنى قوله « مَا تَكْفُرُونِي أَنْفُسَكُمْ » ، أي أفسدكم رديئة قبيحة محتاج إلى حذع غيركم

(٢) في الأصل : « نَفْسِي » ، تصحيف

(١) سورة المائدة ٢٥

أستعين بهم على تنقيفكم وتهذيبكم ، فمن هذه حاله كيف أنقّف به غيره ، وأهذب
به سواء !

وإن كانت الرعايا : إن هاهنا محفّة من الثمينة ، ولذلك دَخَلَت اللام في جوابها.
وقد تقدّم ذكرُنا هذين الرجلين ، وإن أحدهما قال : يا أمير المؤمنين ؛ أقول لك
ما قاله العذ الصالح : (ربّ إني لأملك إلا نفسي وأخي)^(١) . ففكر لها وقال : وأين تقعان
بما أريد !



الأفضل :

وَقِيلَ : إِنَّ أُمَّارِثَ بْنَ حَوْطِ أُنَى عَيْبِ عَائِدِ السَّلَامُ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ بِي أَظُنُّ أَنَّ
أَصْحَابَ الْجَمَلِ كَانُوا عَلَى صِلَاةٍ ؟
فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

يَا حَارِ ، إِنَّكَ نَظَرْتَ تَحْتِكَ ، وَلَمْ تَنَظُرْ فَوْقَكَ ، فَحِزْنٌ ؛ إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ الْخُلُقَ
فَتَعْرِفِ أَهْلَهُ ؛ وَلَمْ تَعْرِفِ الدَّيْلَ فَتَعْرِفِ مَنْ أَتَاهُ .
فَقَالَ أُمَّارِثُ :

فَإِنِّي أُعْتَرِلُ مَعَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ وَعَدَدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ .
فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

إِنَّ سَعْدًا وَعَدَدَ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ لَمْ يَنْصُرَا الْخُلُقَ ، وَلَمْ يَخْدُلَا الْهَاطِلَ .

الشرح :

اللفظة التي وردت قبل أحسن من هذه اللفظة ، وهي أولئك قومٌ خَذَلُوا الْحَقَّ ولم يَنْصُرُوا
الْبَاطِلَ ، وتلك كانت حالتهم ، فإِذَا خَذَلُوا عَائِدًا وَلَمْ يَنْصُرُوا مُعَاوِيَةَ وَلَا أَصْحَابَ الْجَمَلِ .
فَأَمَّا هَذِهِ اللفظة فيها إشكالٌ ؛ لِأَنَّ سَعْدًا وَعَدَدَ اللَّهِ لَقَمَرِيَّ إِنِّهِمَا لَمْ يَنْصُرَا الْحَقَّ ،
وَهُوَ جَانِبُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لَكِنَّهُمَا خَذَلَا السُّطْرَ ، وَهُوَ جَانِبُ مُعَاوِيَةَ وَأَصْحَابِ
الْجَمَلِ ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَنْصُرُوهُمْ فِي حَرْبٍ قَطَّ ، لَا نَاصِبِهِمْ وَلَا بِأَمْوَالِهِمْ وَلَا بِأَوْلَادِهِمْ ، فَيَنْبَغِي

أن تتأول كلامه فنقول : إنه ليس بقي بالخذلان عدم المساعدة في الحرب ، بل بقي بالخذلان هاهنا كل ما أثر في تحق الباطل وإزالته ، قال الشاعر يصف قزما :

وهو كالدُّلْوِ بكفِّ المستقي حدث عنه العراقي فأخدم

أى بآيته العراقي ، فمما كان كل مؤثر في إزالة شيء مائبا له نقل اللفظ بالأشتراك في الأمر العام إليه ، ولما كان سعد وسدو لم يقوما حطيتين في الناس يعلمانهم باطل معاوية وأصحاب الجمل ، ولم يكشفوا ناس واشتهة الداحية على الناس في حرب هذين الفريقين ، ولم يوضحا وحجة طاعة على عبه السلام فبرد انفس عن أتباع صاحب الجمل وأهل الشام صدق عليهما أنهما لم يخذلا الباطل . ويمكن أن يتأول على وجه آخر ، وذلك أنه قد جاء خذلت الوحشة إذا قامت على ولدها ، فيكون معنى قوله : « ولم يخذلا الباطل » ، أى لم يفضيا عليه ويتصراها ، فترجع هذه اللمعة إلى اللمعة الأولى ، وهى قوله : « أولئك قوم خذوا الحق ولم يصبوا الباطل » .

والخارث بن حوط بالهاء المهملة ويقال : إن اللوحودى حط الرصى « ابن حوط »

بالحاء المعجمة المضمومة .

الأصل :

صَاحِبُ الشَّيْطَانِ كَرَّاكِبِ الْأَسَدِ يُعْطَى تَوَقُّعِهِ ، وَهُوَ أَغْنَمُ تَوَصُّعِهِ .

الشرح :

قد جاء في مُصَنِّعَةِ الشَّيْطَانِ أَمْثَالُ حِكْمَةٍ مَسْحُوتَةٍ تُمَاسِكُ هَذَا الْمَعْنَى ، أَوْ تَحْرِي
تَحْرَاهُ فِي شَرْحِ حَالِ الشَّيْطَانِ ، بِحُوقُولِهِمْ . صَاحِبُ الشَّيْطَانِ كَرَّاكِبِ الْأَسَدِ يَهْلِكُ
النَّاسَ ، وَهُوَ لَمْزُ كُفْرِهِ أَهْلِيهِ

وَكَيْفَ قَالَ إِذَا صَحَّحْتَ الشَّيْطَانَ فَلَا تَكُنْ مُذَارِكًا لَهُ مُدَارِكًا الْمُرَآءِ الْقَصِيحَةِ
تَعْلِيلُهَا أَلَيْسَ لَهَا ، فَإِنَّهَا لَا تَدَّعِي التَّصَحُّحَ لَهُ عَلَى حَبٍ .
قِيلَ لِلْقَتَاتِيِّ : لَمْ لَا تَقْصِدِ الْأَمِيرَ ؟ قَالَ : لِأَنِّي أَرَاهُ يُعْطَى وَاحِدًا لِعَبْرِ حَسَنَةٍ
وَلَا يَدِي ، وَيَقْتُلُ آخَرَ بِمَا سَيِّئُهُ وَلَا دَنْبَ ، وَلَسْتُ أَدْرِي أَيُّ الرَّحْلَيْنِ أَكُونُ
وَلَا أَرَاهُ مِنْهُ مَقْدَارَ مَا أَحَاطَ بِهِ .

وَكَمَا قَالَ : الْعَاقِلُ مَنْ طَلَبَ السَّلَامَةَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ، لِأَنَّهُ إِنْ عَفَا حَقَّ عَلَيْهِ
الْعَفَافُ عِدَاوَةً خَاصَّةً ، وَإِنْ نَسَطَ يَدَهُ حَتَّى عَلَيْهِ السَّنْطُ أَلَيْسَ الرَّعِيَّةُ .
وَكَمَا كَانَ سَعِيدُ بْنُ جَمْسَدٍ يَقُولُ : عَمَلُ الشَّيْطَانِ كَالْحَقْمِ ، الْخَارِجُ يُؤْثِرُ الدُّخُولَ ،
وَالدَّخَالُ يُؤْثِرُ الْخُرُوجَ

ابْنُ الْقَفَّحِ : يَقَالُ الشَّيْطَانُ عَلَى أَصْحَابِهِ نَسَبٌ ، وَيَعْرِضُهُ عَنْهُمْ مَدَلَّةٌ .

وقال آخر : السلطان إن أرضيته أتعبك ، وإن أغصبت أعطيك .

وكان يقال : إذا كنت مع السلطان فكن حذرا منه عند تقيبه ، كأنما يسره إذا استسرك ، وأميناً على ما أمنتك ، نشكر له ولا تكفه الشكر لك ، وتعلمه وكأنك تعلمه ، وتؤدبه وكأنه يؤدبك ، بصيراً بهواه ، مؤثراً لمنفعته ، ذليلاً إن ضامك ، راصياً إن أعطاك ، قاصداً إن حرمك ، وإلا فأعد منه كل البعد .

وقيل لعصير من يخدم السلطان : لا تذهب ، فإن مثلهم مثل قيدر الثور ، كلما مشه الإنسان أسود منه ، فقال : إن كان حرج لك القدر أسود فدايها أبيض .
وكان يقال : أفعل ما عوشت به الخوك قلة الخلاف ، وتخفيف المشورة .

وكان يقال : لا يقدر على ضعبة سلطان إلا من يستقل بما حموه ، ولا يُدعِم إذا سألهم ، ولا يمتد بهم إذا رُسوا عنه ، ولا يتمر لهم إذا سخطوا عليه ، ولا يعلو إذا سخطوه ، ولا ينظر إذا أكرموه .

وكان يقال : إذا حطك السلطان أحاً فأحله رتاً ، وإن رادك فردك .

وقال أبو حارم : للسلطان كحل يكحل به من بوليه ، فلا يصير حتى يفرل .

وكان يقال : لا ينبغي صاحب سلطان أن يتدق به بالسؤال عن حاله ، فإن ذلك من كلام النوكي ^(١) وإذا أردت أن تقول : كيف أصبح الأمير ؟ قل : صبح الله الأمير بالكرامة ، وإن أردت أن تقول : كيف بعد الأمير عنه ، قل : وهب الله الأمير العافية ؛ ونحو هذا ، فإن المسألة توجب الخواب ، فإن لم يحبك اشتد عليك ، وإن أجالك اشتد عليه .

وكان يقال : ضعبة للوكي دبر كركوب الغلاة بغير ماء .

وكان يقال : ينبغي لمن صحب السلطان أن يستعد للمُذَرِّ عن ذنبٍ لم يَجُنِّه، وأن يكون آسَ ما يكونُ به ، أوحشَ ما يكونُ منه .

وكان يقال : شِدَّةُ الأقباضِ من السلطان تُورِثُ التَّهْمَةَ ، وسُهولةُ الأساطِ إليه تُورِثُ المَلَالَةَ .

وكان يقال : اصحَبَ السلطانَ بِأَعْمَالٍ اتَّعَذَّرَ ، ورَفُصَ الدَّالَّةَ ، والاجْتِهَادَ وَالتَّصَبُّعَةَ ، وَلَيْسَكَرَ رَأْسَ مَالِكٍ عِندَهُ ثَلَاثُ : الرِّصَا ، والصَّبْرُ ، والصَّدْقُ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَدًّا ، فَمَا جَاوَزَهُ كَانَ شَرًّا ، وَمَا قَصَرَ عَنْهُ كَانَ عَجْزًا ، فَلَا تَبْلُغْ بِكَ نَصِيحَةَ السُّلْطَانِ أَنْ تُعَادِيَ حَاشِيَتَهُ - حَاصِدَهُ وَأَهْلَهُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ حَقِّهِ عَلَيْكَ ، وَلَيْسَ أَقْصَى لِحَقِّهِ عَلَيْكَ ، وَأَدْعَى لِمُتَمَرِّدِ السُّلْطَانِ لَكَ ؛ أَنْ تَتَصَاحَبَ أَوْلِيَاكَ بِجُهْدِكَ ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ عَشَرَتًا سَمَتَهُ ، وَأُمِيتَ سُلْطَانَهُ ، وَقَلَّتْ عِدْوُكَ عِندَهُ ، وَإِذَا جَارَبْتَ عِندَ السُّلْطَانِ كَمُؤْمَرًا أَوْ كَعَدِيكَ فَلَنَسْكَنَ مُخَارَاتُكَ وَمُبَارَاتُكَ إِيَّاهُ بِالْحَقَّةِ . وَإِنْ عَصَيْتَ^(١) ، وَارْتَفَقَ وَإِنْ حَرَفَ بِكَ . وَاحْذَرِ أَنْ يَسْتَلْحَكَ فَتَحْصَى ، فَإِنَّ الْعَصَبَ يُعْمَى عَنِ الْفُرْصَةِ ، وَيَقْطَعُ عَنِ الْحَقَّةِ ، وَيُطَهِّرُ عَلَيْكَ الْخُلْعَ ، وَلَا تَنْتَوِزَنَّ عَلَى السُّلْطَانِ بِالذَّالَّةِ وَإِنْ كَانَ أَحَاكَ ، وَلَا بِأَحَقَّةٍ وَإِنْ وَثِقَتْ أَهْمَا لَكَ ، وَلَا بِالنَّصِيحَةِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَ دَوْلَتُكَ ، فَإِنَّ السُّلْطَانَ يُعْرِضُ لَهُ ثَلَاثَ دَوْنِ ثَلَاثَ : الْقُدْرَةُ دُونَ الْكِرَامِ ، وَالْحَمِيَّةُ دُونَ النَّصْفَةِ ؛ وَاللَّجَاجُ دُونَ الْخَفَاءِ .

(٢٧٠)

الأصل :

أَحْسِنُوا إِلَى عِيقِ عَيْرِكُمْ تَحْفَظُوا عِيقَكُمْ .

التبريح :

أكثر ما في هذه الدنيا بيع على سبيل القرض والكفارة ، فقد رأيت عياناً من ظلم الناس فظلم عقيقه وولده ، ورأيت من قتل لاس فتبيل عقيقه وولده ، ورأيت من أحرَب دُوراً فأحرَبَت داره ، ورأيت من أحسن إلى أعقاب أهل السهم فأحسن الله إلى عقيقه وولده .

وقرأت في تاريخ أحمد بن طاهر^(١) أن الرشيد أرسل إلى يحيى بن خالد وهو في محبسه بقرع يذمونه ، ويقول له : كيف رأيت ! أمة أحرَبَت دارك ؟ ألم أقتل ولدك حمصرا ؟ ألم أسهب مالك ؟ فقال يحيى للرسول : قرأ له . أم إحرأتك دارى فستحرب درك ، وأما قتلك ولدى حمصرا فسبقتك ولدك محمد ، وأما سبك من فسيهت مالك وجرائتك فلما عاد الرسول إليه بالحوار وحتم صوبلاً وحرر ، وقال : والله ليكوس ما قال ، فإنه لم يقل لى شيئاً قط إلا ، وكان كما قال ؛ وأحرَبَت^(٢) داره سوى الخلد - فى حصار بغداد ، وقتل ولده محمد ، وسهب ماله ، وجربته سبها طاهرين الحسين .

(١) هو أحمد بن طاهر صاحب تاريخ بغداد

(٢) حرب

الأضل :

إنَّ كلامَ الحكماء إذا كان صَوًّا مَّا كانَ دَوًّا ، وإذا كانَ خَطًّا كانَ دَاءً .

البُزْخ :

كلُّ كلامٍ يفتدُّ المنكَمَ به لحسنِ عِفْدَةِ النَّفْسِ فِيهِ هو كلامُ الحكماء وكلامُ الصُّلَّاءِ
والعلماء من الناس إذا كان صَوًّا مَّا كانَ دَوًّا ، وإذا كانَ خَطًّا كانَ دَاءً ، لأنَّ الناسَ يَحْدُون
حَدَّوْ المنكَمَ به ، ويقلِّدونه مما يصمتونه ذلك الكلامُ من الآداب والأوامر والنواهي ،
فإذا كانَ حقًّا أَعْدَوْا ، وَحَصَّلَ لَهُمُ الثَّوَابُ وَتَدَعِ الْحَقَّ ، وَكَانُوا كَالدَّوَاءِ الْمُبْرِئِ
لِلسَّقَمِ ، وإذا كانَ ذلكَ الكلامُ خَطًّا وَتَعَمَّوه حَيْرًا^(١) وَلَمْ يُعْلِمُوا ، فَكَانَ تَمَرَّةَ
الدَّاءِ وَالْمَرَضِ .

الأصل :

وقال عليه السلام حين سأل رجل أن يعرفه ما الإيمان ، فقال :
 إذا كان عدو فأنتي حتى أذكرك على أسمع الناس ، فإن نسيت مقالتي حفظها
 عليك غيرك ، فإن الكلام كاشارة بثقلها هذا ويحفظها هذا .
 قال : وقد ذكرنا ما أحاط به عليه السلام فيما تقدم من هذا الباب ، وهو قوله :
 « الإيمان على أربع شعب »

البنج .

يقول : إذا كان عدو فأنتي مكنون « كان » ها هنا تامة ، أى إذا حدثت ووحد ،
 وتقول : إذا كان عدو فأنتي فيكون الصب باعتبار آخر ، أى إذا كان الزمان عدو ،
 أى موصوفاً بأنه من العدو ؛ ومن المعوين من يقدره : إذا كان الكون عدو ؛ لأن الفعل
 يدل على المصدر ، والكون هو انحداد والحدوث .
 وقائل هذا القول يرجحه على قول الآخر ، لأن الفاعل عدم لا يُحذف إلا إذا كان
 في الكلام دليل عليه .

ويشققها : يحدّها ؛ ثَقِيَتْ كد « كسر » أى وحدته وصادقه .

والشاردة : الصالة

الأفضل :

يا بن آدم ، لا تَحْمِلْ هَمَّ يَوْمِكَ الَّذِي لَمْ يَأْتِ عَلَى يَوْمِكَ الَّذِي قَدْ أَتَاكَ ،
فَإِنَّهُ إِنْ يَكُنْ مِنْ عُمْرِكَ يَأْتِ اللَّهُ فِيهِ بِرِزْقِكَ .

الْبَرْخ :

قد تقدّم هذا الفصل ثمانية . واعلم أن كل ما ادخرته مما هو فاضل عن قوتك
فإنما أنت فيه خازنٌ لغيرك .

وحلاصة هذا الفصل انتهى عن الحرص على تدبير الاهتمام لها ، وإعلام أسس
أن الله تعالى قد قسم الرزق لكل حتى من حايه . فو لم تكلف الإنسان فيه لأثام
يردّفه من حيث لا يحتسب .

وفي المثل : يار رآق النعاث^(١) في عثه .

وإذا طر الإنسان إلى التدوّد الدّيرة داخل العج كيف تُررَق
عَلِمَ أن صانع العالم قد تكفل لكل ذي حياة بما أدّبه نفسه حياته إلى
اقصاء عمره .

الأفضل :

أَحِبِّ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا، عَسَى أَنْ يَكُونَ بَيْضَكَ يَوْمًا مَا، وَأُبْغِضْ بَغِيضَكَ
هَوْنًا مَا، عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا.

الشرح :

المؤمن بالفتح : الدني ، والتقيص : البغض .
وحلاصة هذه الكلمة : انتهى عن الإسراف في المودة والبغضة ؛ فرثنا أكلنا من
تودِّ فصار عدوًّا ، ورثنا أكلنا من تُمادِيته فصارَ صديقًا .

وقد تقدّم القول في ذلك على أنهم ما يكون
وقال بعض الحكماء : تَوَقَّ الإِفْرَاطَ في المحبة ، فإن الإفراط فيها دأب إلى التقصير
منها ، ولأنَّ تكونَ الحالِ بينك وبين حبيبك بامية أولى من أن تكون متناهية .
ومن كلام عمر : لا يكن حُكَّ كَلَمًا ، ولا بَصُك تَلَمًا .

وقال الشاعر :

وأحِبُّ إِذَا أَحْبَبْتَ حُبًّا مَقَارِمًا فَبِكَ لَا تَذَرِي مَتَى أَسْتَ نَارِعُ!
وأبْغِضْ إِذَا أَبْغَضْتَ غَيْرَ مُبَايِنٍ^(١) وَبِكَ لَا تَذَرِي مَتَى أَسْتَ رَاجِعُ!

وقال عديُّ بن زيد :

وَلَا تَأْتِنَنَّ مِنْ بَعْضِ قُرْبِ دَارِهِ وَلَا مِنْ حَبِيبٍ أَنْ يَمْلَأَ فَيْعَدًا

(١) مبين : معارف .

الأصل .

النَّاسُ فِي الدُّنْيَا عَامِلُونَ :

عَامِلٌ فِي الدُّنْيَا لِلدُّنْيَا ، قَدْ شَعِنَتْهُ دُنْيَاهُ عَنْ آخِرَتِهِ ، يَحْشَى عَلَى مَنْ يُخَلِّفُ
الْفَقْرَ ، وَيَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ ، فَيُنْفِي عُمُرَهُ فِي مَنَافِعِهِ غَيْرِهِ .

وَعَامِلٌ عَمَلٌ فِي الدُّنْيَا لِمَا تَعْدُوهُ ، فَتَدَاهُ أَيْدِي لَهْ مِنْ الدُّنْيَا بِمَعْرِ عَمَلٍ ، فَأُخْرَدَ
الْحَقَائِقُ مَعًا ، وَمَلَكَ الدَّارُ كُلَّ حَيْثُ ، فَأُضْحِكَ وَحَيْثُ عِنْدَ اللَّهِ ؛ لَا يَسْأَلُ اللَّهَ حَاجَةً فَيَمْنَعُهُ .

الشرح :

معنى قوله : « وَيَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ » ، أى ولا يبالى أن يكون هو فقيراً ، لأنه يعيش
عيشَ الفقراء وإن كان ذا مالٍ ، لكنه يذبح رأسَ أولاده ليُبقي عُمُرَهُ في منفعة غيره .
ويعبور أن يكون مصاباً لِكثرةِ مالهِ قد أوى فقر على نفسه ١٠٠ سنة .
ولكنه لا يأمن الفقر على ولده لأنه لا يثق من رَنَمِهِ مُحْسِرِ الاكتساب كما وثق من
نفسه ، فلا يزال في الاكتساب والارتياد من سعة ولده الذى يحس عليه الفقر
بعد موته .

فأما العاملُ في الدنيا لما عدها فهم أصحابُ العادة ، يأتيهم رزقهم بغير اكتساب
ولا كدٍ ، وقد حصلت لهم الآخرة ، فقد حصل لهم الحظُّ جميعاً

الأئمة :

وَرَوَى أَنَّهُ دُكِرَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي أَيَّامِهِ حَلُّ الْكُفَّةِ وَكَثْرَتُهُ ،
 فَقَالَ قَوْمٌ : لَوْ أَحْدَثَهُ فَجْهَرَتَ بِهِ حِيُوشَ الْمُسْلِمِينَ ، كَانَ أَكْبَرَ لِلْأُخْرَى ، وَمَا تَصْنَعُ
 اِلْكُفَّةُ بِالْحَلِيِّ أَفْهَمُ مُعَرُّ بِذَلِكَ ، وَسَأَلَ عَنْهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : إِنَّ
 هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَالْأَمْوَالُ أَرْبَعَةٌ ، أَمْوَالُ
 الْمُسْلِمِينَ ، فَصَّحَّهَا بَيْنَ الْوَرَثَةِ وَالْعَرَّائِنِ ، وَالْعَيْنُ ، فَصَّحَّهَا عَلَى مَسْتَحِقِّيهِ ،
 وَالْخُمْسُ فَوَضَعَهُ اللَّهُ حَيْثُ وَصَّاهُ ، وَالْعَدَاةُ فَجَعَلَهَا اللَّهُ حَيْثُ جَعَلَهَا ، وَكَانَ
 حَلُّ الْكُفَّةِ فِيهَا يَوْمَئِذٍ ، فَتَرَكَهُ اللَّهُ عَلَى جَائِرٍ ، وَلَمْ يَتْرُكْهُ نِسِيَامًا ، وَلَمْ يَخْفَ
 عَنْهُ مَسْكَاةً ، فَأَقْرَأَهُ حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : لَوْ لَكَ لَا تَمَسَّحُنَا ،
 وَتَرَكَ الْحَلِيَّ بِجَائِلِهِ .



الْبَيْزُج :

هذا استدلال صحيح ، ويمكن أن يورد على وجهين :

أحدهما أن يقال : أصلُ الأشياءِ المحظورِ والتَّحْرِيمِ كَأَنَّهُ مَذْعَبٌ كَثِيرٌ مِنْ أَحْكَامِ
 الْبُحْدَادِيِّينَ ؛ فَلَا يَجُوزُ التَّصَرُّفُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْمَنَافِعِ إِلَّا بِإِذْنِ شَرْعِيٍّ ؛ وَلَمْ يَوْجَدْ
 إِذْنٌ شَرْعِيٌّ فِي حَلِّ الْكُفَّةِ ، فَتَبَيَّنَ فِيهِ عَلَى حُكْمِ الْأَصْلِ .

والوجه الثاني أن يقال : حَلُّ الْكُفَّةِ مَالٌ مَحْتَصٍ بِالْكُفَّةِ ؛ هُوَ جَائِرٌ يَجْرِي سُتُورُ
 الْكُفَّةِ ، وَتَجْرِي بِأَبِ الْكُفَّةِ ، فَكَمَا لَا يَجُوزُ التَّصَرُّفُ فِي سُتُورِ الْكُفَّةِ وَبَابِهَا

إلا بنصر فكذلك حتى الكعبة ، والجامع بينهما الاختصاص بالجلس كل واحد من ذلك كالجزء من الكعبة ، فعلى هذا الوجه يسهل أن يكون استدلال .
ويجب أن يحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام عليه ، وألا يحمل على ظاهره لأن لمترض أن يترض استدلاله إذا حمل على ظاهره ، بأن يقول : الأموال الأربعة التي عددها إنما قسمها الله تعالى حيث قسمها لأنها أموال متكررة بتكرار الأوقات على مر الزمان ، يذهب الموحود منها ويختلف غيره ، فكان الاعتناء بها أكثر ، والاهتمام بوجوه متصرفيها أشد ، لأن حاجات الفقراء والمساكين وأمثالهم من دوى الاستحقاق كثيرة ومتجددة تتجدد الأوقات ، وليس كذلك حتى الكعبة ، لأنه مال واحد باق غير متكرر ، وأيضا هو شيء قليل يسير ، ليس مثله مما يقال : يسهل أن يكون الشارع قد تعرض لوجوه مصروفة حيث تعرض لوجوه مصرف الأموال ، فافترق الموضعان .

الأنسل :

رُوي أنه رُمِيَ إتيسه رَحْلًا سَرَقًا مِنْ مَالِ اللَّهِ ، أَحَدُهُمَا عَبْدٌ مِنْ مَالِ اللَّهِ ،
وَالْآخَرُ مِنْ عُرْضِ النَّاسِ ، فَقَالَ : أَمَّا هَذَا فَهُوَ مِنْ مَالِ اللَّهِ فَلَا حَدَّ عَلَيْهِ ، مَالُ اللَّهِ
أَكْلَ بَعْضُهُ نَعْمًا ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَعَبْدٌ لِحَدِّ الشَّدِيدِ ، فَقَطَعَ يَدَهُ .

الخنز :

هَذَا مَذْهَبُ الشَّيْخَةِ أَنَّ عِنْدَ الْمُفْتَمِ إِذَا سَرَقَ مِنَ الْمَعْمَ لَمْ يُقَطَّعْ ، فَإِنَّمَا الْعَدُّ الْعَرِيبُ
إِذَا سَرَقَ مِنَ الْمَعْمَ وَبِهِ يُقَطَّعُ إِذَا كَانَ مَا سَرَقَهُ زَائِدًا عَمَّا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الصَّيْمَةِ بِمَقْدَارِ
النَّصَابِ الَّذِي يَحِبُّ فِيهِ الْقَطْعُ ، وَهُوَ رُبْعُ دِينَارٍ ، وَكَذَلِكَ الْخُرَّ إِذَا سَرَقَ مِنَ الْمَعْمَ
حُكْمُهُ هَذَا الْحُكْمُ تَمَنَّهُ ، فَوَحَبَ أَنْ يُحْمَلَ كَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَنَّ الْعَدَّ الْمَقْطُوعَ
قَدْ كَانَتْ سَرَقَ مِنَ الْمَعْمَ مَا هُوَ زَائِدٌ مِنْ حَقِّهِ مِنَ الصَّيْمَةِ بِمَقْدَارِ النَّصَابِ الْمَذْكُورِ
أَوْ أَكْثَرَ .

فَأَمَّا الْعُقَبَاءُ فَإِنَّهُمْ لَا يُوجِبُونَ الْقَطْعَ عَلَى مَنْ سَرَقَ مِنْ مَالِ الصَّيْمَةِ قَبْلَ قِسْمَتِهَا ،
سِوَاكَ كَانَ مَا سَرَقَهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّهِ أَوْ لَمْ يَكُنْ ، لِأَنَّ مُحَالِفَةَ حَقِّهِ وَمُخَارَفَتَهُ لِلْمَسْرُوقِ
شُبْهَةٌ فِي الْجَلَّةِ تَمْنَعُ مِنْ وَحُوبِ الْقَطْعِ ، هَذَا إِنْ كَانَ لَهُ حَقٌّ فِي الْعَنِيَّةِ بَأَنَّهُ يَكُونُ شَهِيدَ
الْقِتَالِ بِإِدْرٍ سَيِّدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ وَكَانَ لِسَيِّدِهِ فِيهَا حَقٌّ لَمْ يُقَطَّعْ أَيْضًا لِأَنَّ حِصَّةَ
سَيِّدِهِ الْمُسَاعَاةَ شُبْهَةٌ تَمْنَعُ مِنْ قَطْعِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَشْهَدْ الْقِتَالَ^(١) وَلَا شَهِدَهُ سَيِّدُهُ وَسَرَقَ مِنَ
الصَّيْمَةِ قَبْلَ الْقِسْمَةِ مَا يَحِبُّ فِي مِثْلِهِ لِقَطْعِ وَحَبِّ عَلَيْهِ الْقَطْعُ .

الأفضل :

لَوْ قَدْ أُشْتُوتُ قَدَّمَائِي مِنْ هَذِهِ الْمَدَاحِصِ لَعَبَّرْتُ أَشْيَاءَ

الْبَرْجُ :

لَيْتَ نَشِئْتُ أَنَّهُ كَانَ يَذْهَبُ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْقَضَايَا إِلَى أَشْيَاءَ يُحَالِفُ فِيهَا
أَقْوَالَ الصَّحَابَةِ ، مَحْوِ قِطْعَةِ السَّارَى مِنْ رُءُوسِ الْأَصَابِعِ ، وَبَيْعِ أُمَمَاتِ الْأَوْلَادِ ، وَغَيْرِ
ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا كَانَ يَبْسُطُ مِنْ تَعْيُرِ أَحْكَامٍ مِمَّنْ تَفَدَّاهُ اشْتِمَالُهُ بِحَرْبِ الْعَمَاءِ وَالْخَوَارِجِ ،
وَالِإِلَى ذَلِكَ بِشَيْرٍ بَالِدًا حَصْرَ النَّاسِ فِي أَنْ يَكُونَ بَرُّهُمْ اسْتِثْنَاءً قَلَمِيَّةً مِنْهَا ، وَلِهَذَا قَالَ لِقُصَاتِهِ :
« افْصُوا كَمَا كُنْتُمْ تَقْصُونَ حَتَّى يَكُونَ لِلنَّاسِ جَمَاعَةٌ » ، فَلَمَقَطَعْتُ « حَتَّى » - هَاهَا مُؤَدِّهِ بِأَنَّهُ
فَسَحَ لَمْ فِي اتِّتَاعِ عَادَتِهِمْ فِي الْقَضَايَا وَالْأَحْكَامِ الَّتِي يَمْهَدُونَهَا إِلَى أَنْ يَصِيرَ لِلنَّاسِ
جَمَاعَةٌ ، وَمَا بَعْدُ « إِلَى » وَ« حَتَّى » يَسْمَى أَنْ يَكُونَ مُحَالِفًا لِمَا قَبْلُهَا .

فَأَمَّا أَصْحَابُنَا فَيَقُولُونَ : إِنَّهُ كَانَ فِيمَا يُحَاوِلُ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ مُحْتَدًا ، وَيَحْجُوزُ
لِغَيْرِهِ مِنَ الْمُحْتَدِينَ مُحَالَفَةً .

وَالْإِمَامِيَّةُ تَقُولُ : مَا كَانَ يَحْكُمُ إِلَّا عَنْ نَهْضٍ وَتَوْقِيفٍ ، وَلَا يَحْجُوزُ لِأَحَدٍ مِنَ
النَّاسِ مُحَالَفَةً .

وَالْقَوْلُ فِي صِحَّةِ ذَلِكَ وَفُسَادِهِ قَرُوعٌ مِنْ عُرُوعِ مَسْأَلَةِ الْإِمَامَةِ ^(١) .

(١) د : « الإمامية » .

الأفضل :

اعلموا عِلْمًا يَقِينًا أَنَّ أَفْهَ لَمْ يَجْعَلْ لِلْعَدُوِّ وَإِنْ عَظُمَتْ حِيلَتُهُ ، وَاشْتَدَّتْ حَلِيلَتُهُ ،
وَقَوِيَّتْ مَكِيدَتُهُ ، أَكْثَرَ عِلْمًا سُمِّيَ لَهُ فِي الدَّكْرِ الْحَكِيمِ ، وَلَمْ يَحُلْ بَيْنَ
الْعَدُوِّ وَصَفِيهِ رِقْلَهُ حِيلَتِهِ . وَبَيْنَ أَنْ يَنْبَغَ مَا سُمِّيَ لَهُ فِي الدَّكْرِ الْحَكِيمِ .
وَالْعَارِفُ لِهَذَا ، الْعَامِلُ بِهِ : أَعْظَمُ النَّاسِ رَحْمَةً فِي مَنْفَعَةٍ ؛ وَالتَّارِكُ لَهُ ، أَلْشَّاكُ فِيهِ ،
أَعْظَمُ النَّاسِ شُعْلًا فِي مَصْرُوفٍ ،

وَرُبَّ مُنْتَمِرٍ عَلَيْهِ مُسْتَدْرِجٌ بِسُوءِ ، وَرُبَّ مُتَعَلٍّ مَصْنُوعٍ لَهُ مَا لَوْ .
قَرِّدْ أَهْلَهَا الْمُسْتَمِيعُ فِي شُكْرِكَ ، وَقَصِّرْ مِنْ تَجَلَّتِكَ ، وَفِي عِنْدَ مُنْتَهَى
رِزْقِكَ .

الخير :

قد تقدم القول في الخريص والخشع وذمهما وذم الكادح في طلب الرزق، ومدح
القناعة والاقتصاد، وبذكرها طرقا آخر من ذلك . قال بعض الحكماء : وجدت أطول
الناس عَمَّا الْخُسُودَ ، وَأَهْنَأَمَ عَيْشًا الْقُرُوعَ ، وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى الْأَدَى الْخَرِيصَ ، وَأَخْفَصَهُمْ
عَيْشًا أَرْقَصَهُمُ لِلدُّنْيَا ، وَأَعْصَمَهُمْ بِدُمَةِ الْعَالَمِ الْمُرُوطَ .

وقال عمر : الطَّمْعُ قَقْرٌ ، وَالْيَأْسُ عَيْ ، وَمَنْ يَنْسَ مِمَّا عِنْدَ النَّاسِ اسْتَعَى عَسَمَ .

وقيل لبعض الحكماء . ما العي ؟ قال : فته تمسك ، ورسالك بما يسكنيك . ولذلك قيل : العيش مسامتة ، وخطوب تكثرة .

وقال الشاعر :

اقنع بعيشك ثروة وترى هوى وأت حراً
فلرب خفف فوقه ذهب ويفوت ودرأ

وقال آخر :

إلى متى أمانى جلى وترحال من طول سقى وإدبار وإقبال
وبارح الدار لا أعلت معترفاً عن الأحبة لا بدرون ما حالي
تشرق الأرض ملوذاً ثم ممزها لا يحطر الموت من حرص على بالي
ولو قسيت أمانى الرزق في دعة إن الصروع العي لا كثرة المال

وحاء في الخبر المرموع : « أحملوا في الطلب ، فإنه ليس لعبد إلا ما كتبت له ، ولن يخرج عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتبت له في الدنيا وهي راحة » .

الأفضل :

لا تَحْمَلُوا عَنْكُمْ جَهْلًا ، وَتَقِينَكُمْ شَكًّا ؛ إِذَا عَلِمْتُمْ فَاعْمَلُوا ، وَإِذَا
تَيَقَّنْتُمْ فَأَقْدِمُوا .

الشرح :

هذا ^(١) مهيء للعلماء عن ترك العمل ؛ يقول : لا تحملوا عليكم كالحمل ، فإن الجاهل
قد يقول : جهلت فلم أعمل ، وأنتم فلا عذر لكم ، لأنكم قد علمتم واكتشف لكم
سير الأمر ، فوجب عليكم أن تعملوا ، ولا تحملوا عليكم جهلا ، فإن من ^(٢) علم المسئلة
في أمر ولا حائل بينه وبينه ثم لم يأنه كان سفيها .

الأصل :

الطَّمْعُ مُورِدٌ عَبْرُ مُصْدِرٍ ، وصَامِنٌ عَبْرُ وَاقِعٍ ، وَرُبَّمَا شَرِبُ الْمَاءِ
قَبْلَ رِيٍّ ، وَكُلَّمَا عَظُمَ قَدْرُ الشَّيْءِ الْمُتَنَافَسِ فِيهِ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ لِفَقْدِهِ ، وَالْأَمَانُ
تُعْمَى أَعْيُنَ الْبَصَائِرِ ، وَالْحَطُّ يَأْتِي مَنْ لَا يَأْتِيهِ

البرزخ :

قد تقدم القول في هذه المعاني كلها .

وقد ضرب الحكيم مثلاً لمرط الطمع ، فقالوا : إن رجلاً صلاَ قُبْرَةً فقالت : ما تريد
أن تصنع بي ؟ قال : أدخلك وآكلك ؛ قالت : وفتح ما أشق من قَرَمٍ ، ولا أشيع من
جُوعٍ ، ولكي أُعْلَمَ ثَلَاثُ حِصَالٍ هُنَّ حَبْرٌ لَكَ مِنْ أَكْلِي ؛ أَمَّا وَاحِدَةٌ فَأَعْلَمُكَ
إِتْيَاهَا وَأَمَّا فِي يَدِكَ ، وَأَمَّا الثَّانِيَةِ فَإِذَا صِرْتُ عَلَى الشَّعْرَةِ ، وَأَمَّا الثَّالِثَةَ فَإِذَا صِرْتُ عَلَى
الْجَبَلِ . فقال : هاتِي الأولى ؛ قالت : لَا تَلْهَمَنَّ عَلَى مَا فَاتَ ، تَخْلَاهَا ، فَمَا صَارَتْ عَلَى
الشَّعْرَةِ قَالَ : هَاتِي الثَّانِيَةَ ، قالت : لَا تُصَدِّقَنَّ بَمَا لَا يَكُونُ أَنَّهُ يَكُونُ ، ثُمَّ طَارَتْ ،
فصارت عَلَى الْجَبَلِ ؛ فقالت : يَا شَقِيَّ لَوْ دَخَلْتُ لَأَحْرَجْتُ مِنْ حَوْصَلَتِي دُرَّتَيْنِ وَزَنُّ
كُلِّ وَاحِدَةٍ ثَلَاثُونَ مِثْقَالاً ، فَصَمَّ عَلَى يَدَيْهِ وَتَلَهَّفَ تَلَهُّفًا شَدِيدًا ؛ وقال : هَاتِي الثَّالِثَةَ ؛
فقالت : أَنْتِ قَدْ أُنْسِيتِ الْاِثْنَيْنِ ، هَذَا تَصْنَعُ بِأَشَدِّهِ ، أَلَمْ أَقُلْ لَكَ : لَا تَلْهَمَنَّ عَلَى مَا فَاتَ

وقد تَلَهَّفتُ ، وألم أقل لك لا تصدقن بما لا يكون أنه يكون . وأنا وُلِّمى وِدِّى
ورِيشى لا يكون عشرين مثقالاً ، فكيف صدقت أن فى حَوْصَلَتى دَرَجَتين كلِّ
واحدة منهما ثلاثون مثقالاً ! ثم طارت ودهست .

وقوله : ورثما شَرِقَ شاربُ الماء قبلَ رِيَّةٍ ، كلامٌ فصيحٌ ، وهو مثلُ لمن
يُحْتَرَمُ ^(١) نَمَتَةً أو تَطَرَّقَ الحوادثُ وُلُطُوبٌ وهو فى تَلَهِّيَةٍ مِنْ عَيْشِهِ .
ومثل الكلمة الأخرى قولهم : على قَدْرِ العَطِيَّةِ تكون الرِّزْيَةُ .
والقولُ فى الأمانى قد أو معنا القولُ به مِنْ قَبْلِ ، وكذلك فى الحفظِ .

الأفضل :

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ تُحَنِّنَ فِي لَائِمَةِ الْعُيُونِ عَلَائِيَّتِي ، وَتُقَسِّحَ فِيَّ
أَبْطُنَ لَكَ سَرِيرَتِي ، مُحَافِظًا عَلَى رِيَاءِ النَّاسِ مِنْ نَفْسِي بِجَمِيعِ مَا أَنْتَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ
مَعِي ، فَأَنْزِلِي لِي النَّاسَ حَسَنَ ظَاهِرِي ، وَأَفْصِي لِيكَ يَسُوءَ عَمَلِي ، تَقَرُّنَا إِلَى عِبَادِكَ
وَتَسَاعُدَا مِنْ مَرْضَايِكَ .

البَّخْرُ :

قد تقدم القول في الرِّياء ، وأن يظهر الإنسانُ من العادة والفعل الجميل ما يُظن
غيره ، ويقصد بذلك الشُّعْبة والصِّيت لا وجه الله تعالى .

وقد جاء في الخبر المرفوع : « أَحَرَفُ مَا أَحَافُ عَلَى أَمْسَى الرِّياءِ
وَالشَّهْوَةِ الْخَفِيَّةِ » .

قال المفسِّرون : والرِّياء من الشهوة الخفية ، لأنه شهوة الصِّيت والجاه بين الناس
بأنه متين الدِّين ، موأطِب على نواقل العبادات ، وهذه هي الشهوة الخفية ، أي ليست
كشهوة الطعام والنِّسْكَاح وغيرهما من المَلَادِ الحسية .

وفي الخبر المرفوع أيضا : أن البَّخْرَ من الرِّياء شِرْكٌ^(١) ، وأن الله يُحِبُّ الْأَتْقِيَاءَ
الْأَحْيَاءَ الدِّينِ هم في بُيُوتِهِمْ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَرُوا ، وَإِذَا حَضَرُوا لَمْ يُعْرَفُوا ، قُلُوبُهُمْ
مَصَابِيحُ الْمَدَى ، يَنْعَمُونَ مِنْ كُلِّ غَيْرَاءٍ مُطْلَمَةٍ .

(١) كلمة فاسدة في الأصول

الأصل :

وقال عليه السلام :

لَا وَالَّذِي أُمِّتْنَا مِنْهُ فِي غَيْرِ نَيْلَةٍ دَهْمَاءَ ، تَكْثِيرُ عَنْ يَوْمِ أَعْرَ ، مَا كَانَ
كَذًّا وَكَذًّا .

الشرح :

قد روى : « تعتر عن يوم أعز »

والعبر : النقايا ^(١) ، وكذلك لإغفار . وكثر أي نسم ، وأصله الكشف .

وهذا الكلام إما أن يكون قاله على حمة القول ، أو أن يكون إخباراً بغيث ؛
والأول أوجه ^(٢) .

(١) ومنه قول أبي كبير المصلي

ومبرأ من كل عتر حبيصة وفندي مرصعة وداء مُعِيلِ

قال في اللسان : « وعتر الخبيث : جليله »

(٢) ١ : « والوجه الأول » .

الأصل :

قَلِيلٌ تَدُومُ عَلَيْهِ ، أَرْجَى مِنْ كَثِيرٍ تَمُوتُ مِنْهُ .

الشرح :

لا ريب أن من أراد حِمْطَ كتاب من الكتب العلية حِمْط منه قليلا قليلا ،
ودام على ذلك ، فإن ذلك أُنْفَعُ له وأَرْحَى لِصَلَاحِهِ من أن يَحْمِطَ كثيرا ، ولا يَدُومُ
عليه لَمَلَالِهِ إِيَّاهُ وَصَعْرَهُ مِنْهُ ، والتحررة تشهد بذلك .
والقول في غير الحِمْط كاقول في الحِمْط ، نحو زيارة القليلة للمتدبِق ، وهو المطاء
اليسير الدائم ^(١) الذي هو خيرٌ من الكثير المنقِص ، وهو ذلك .

الأصل :

إِذَا أَضْرَّتِ الْوَأْفِلُ بِالْفَرَايِصِ دَرَفُوهَا .

الشرح :

قد تقدم القول في النافذة : هل تصح بمن عليه فريضة لم يؤدّها ، ودكرنا مذاهب الفقهاء في ذلك .

ولابد أن من استعرق وقتاً بالوافل حتى آن أوقات المرائض لم يفعل المرائض فيها ، وشغلها بالصلاة التعمية ، فقد أخطأ ؛ والواجب أن يرفض النافذة حيث يتضيق وقت الفريضة ، لا خلاف بين المسلمين في ذلك ، ويصلح أن يكون هذا مثلاً لماهره ما ذكرنا ، وباطنه أمر آخر .

الأضل :

مَنْ تَدَّكَرَ لُعْدَ السَّعْرِ اسْتَعَدَّ .

البنج :

هذا مثل قولم في المثل : « الليل طویل ، وأنت مُفیر »^(١) ؛ وقال أيضا : كُنْ وَلَا تَمُتْ^(٢) .

وقال أصحاب المعاني : مثل الدنيا كركب في فلاة وَرَدُوا ماء عطيا ، فهم من شرب من ذلك الماء شربا يسيرا ، ثم أفكر في بُعد المسافة التي تصيدوها ، وأنه ليس بعد ذلك الماء ماء آخر ، فترود منه ماء ، أوصله إلى مقصده ، ومنهم من شرب من ذلك الماء شربا عطيا ولها عن التروء والاستعداد ، وظن أن ما شرب كالب له ومضى عن ادخار شيء آخر ، فقطع به ، وأحاطه ظله ، فمطش في تلك الفلاة وساء

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لأصحابه : « إنا مني ومنكم ومن الدنيا كقوم سلكوا مفاة عباء حتى إذا لم يذكروا ما سلكوا منها ، كثر أم ما بقي ! أعدوا الراد وحسروا الظهر ، وغوا بين ظهراني المفاة لا راد ولا تحولة ، فأيسوا بالهلكة ، فيما هم كذلك خرج عليهم رجل في حنة يقطر رأسه ماء ، فقالوا : هذا قريب عهد بريف ، وما حاكم هذا إلا من قريب ، فلما أتمى إليهم وشاهد حالهم قال : أرأيتم إن هدبتكم إلى ماء رواء ، ورياص حصر ما تعملون ؟ قالوا : لا تفصيك شيئا !

قال : عهودكم ومواثيقكم بالله ، فاعطوهم ذلك ، فأوردتهم ماء رواء ورياضاً خضراً ،
ومسكت بينهم ماشاء الله ، ثم قال : في معارفكم ، فالتوا إلى أين ؟ قال : إلى ماء ليس كما أنتم ،
ورياض ليست كرياضكم ؛ فقال الأكرهون منهم : والله ما وجدنا ما نحن فيه حتى ظننا
أنا لا نجد ، وما نصنع عملاً خيراً من هذا ؛ وقال الأقوياء منهم : ألم تعطوا هذا الرجل
مواثيقكم وعهودكم بالله لا تعصوه شيئاً ، وقد صدقكم في أول حديثه ، والله
ليصدقنكم في آخره ؛ فراح يمين تبعه منهم ، وتحلف الملقون ، فداهمهم عدو شديد الناس
عظيم الخيش ، فأصطحوا ما بين أسير وقتيل .

الأصل :

لَيْسَتْ الرُّؤْيَةُ مَعَ الْإِنْصَارِ ، فَقَدْ تَكْذِبُ الْعُيُونُ أَهْلَهَا ، وَلَا يَنْشُ الْعَقْلُ
مَنْ أَسْتَنْصَحَهُ .

الْبُشْرُخ :

هذا مثلُ قوله تعالى : ﴿ قَالُوا لَا تَمْنَى الْإِنْبَارُ وَلَكِنْ تَمْنَى الْقُتُوبُ الَّتِي فِي
الصُّدُورِ ﴾ ^(١) .

أى ليس التمنى عنى العين ، بل عنى القلب .

كذلك قولُ أمير المؤمنين عليه السلام ، بستان الرؤية مع العيون ، وإعما الرؤية
الحقيقية مع العقول .

وقد ذهب أكارُ الحكماء إلى أن اليقينية من المقولات لا المحسوسات ؛
قالوا : لأنَّ حُكْمَ الْحَسِّ فِي مَطْلَعِ الْعَاطِ ، وَطَرِ مَا كَذَبَ الْحَسَّ ، وَاعْتَقَدْنَا بِطَرِيقِهِ
أَعْتِقَادَاتٍ بَاطِلَةٌ ، كَمَا نَرَى اسْكِيْرَ صَمِيرَ ، وَالصَمِيرَ كَبِيرًا . وَنَتَحَرَّكُ سَاكِنًا ، وَالسَّاكِنَ
مَتَحَرِّكًا ، فَأَمَّا الْعَقْلُ فَيَدَّ كَمَا كَانَ الْمَقُولُ بِهِ تَدْيِيْبًا أَوْ مُسْتَفِيدًا إِلَى مَقْدَمَاتٍ بِدْيِيْبَةٍ فَإِنَّهُ
لَا يَقَعُ فِيهِ عَطْطٌ أَصْلًا .

الأضل .

نَيْكُمُ وَبَيْنَ الْمَوْعِظَةِ حِجَابٌ مِنَ الْعِرَّةِ .

الْبُشْرَى :

قد تقدم ذكر الدنيا وغرورها ، وأنها بشهواتها ولذاتها حجاب بين العبد وبين الموعظة ، لأن الإنسان يعتز بعاجلة ، ويتوهم دوام ما هو فيه ، وإذا خطر بباله الموت والنساء وعد نفسه رحمة الله تعالى وعموه ، هذا إن كان ممن يعترف بالتمادي ، فإن كثيرا ممن يظهر القول بالتمادي هو في الحقيقة غير متيقن له ، والإحلال إلى عفو الله تعالى والأتكال على المعصية مع الإقامة على المعصية ، غرور لا محالة ، والحازم من عمل لما بعد الموت ، ولم يمت نفسه الأمان انتهى لا حقيقة لها .

(٢٨٩)

الأصل :

حَاحِلِكُمْ مُرْدَدٌ ، وَعَالِكُمْ مُسَوِّفٌ .

الشرح :

هذا قريب مما سبق : قول : إنَّ الحاحِلَ مِنَ النَّاسِ مُرْدَدٌ مِنْ حَقِّهِ ، مُصِرٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ ، مُسَوِّفٌ مِنْ تَوْثَمَانِهِ وَعَقِيدَتِهِ السَّاطِئَةِ بِالْعَوْرِ عَنْ دِينِهِ ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَاتِبُهُ .
﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلَ الْكِتَابِ تَحْسَبُكُمْ سَوَاءٌ يَحْذَرُونَ وَلَا يَحِذَرُونَ ﴾
الله وليا ولا نصيرا .

الأصل :

قَطَعَ الْعِلْمُ عُنْدَ الْمُتَعَلِّينَ .

الشرح :

هذا أيضاً قريب مما تقدم ، يقول : قَطَعَ الْعِلْمُ عُنْدَ الَّذِينَ يُسَلُّونَ أَنْفُسَهُمْ
بالباطل ، ويقولون : إِنَّ رَبَّ كَرِيمٌ رَحِيمٌ ، فلا حاجة لنا إلى إتباع أئمتنا بالعبادة ،
كما قال الشاعر :

قَدِمْتُ عَلَى الْكَرِيمِ نَبِيٍّ زَائِدٍ مِنْ الْأَعْمَالِ دَادَتِ عَظِيمِ
وَسُوءِ الظَّنِّ أَنْ تَعْتَدَّ رَادًّا إِذَا كَانَ الْقُدُومُ عَلَى الْكَرِيمِ

وهذا هو التعليل بالباطل ، فإن الله تعالى وإن كان كريماً رحباً عفواً غفوراً ،
إلا أنه صادق القول ، وقد توعد العصاة وقال : ﴿ وَإِنَّ الْعُجَّارَ لِيَّ حَكِيمٌ ﴾ يَصْلَوْهَا يَوْمَ
الَّذِينَ ﴿ وَمَا مِنْ عَمَلٍ عَاصِيَةٍ ﴾ ^(١) وقال : ﴿ لَا تَحْصِمُوا لَدَيَّْ وَقَدْ قَدِمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ
مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدِيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ ^(٢) ، وبكى في رحمته وعبوديه وكرمه أن
يعرف للتائب أو لمن ثوابه أكثر مما يستحقه من العقاب ، فالقول بالوعيد معلوم بأدلة
السمع المتطاهرة المتأصلة التي قد أطب أصحابنا في تعدادها وإيضاحها ، وإذا كان
الشيء معلوماً فقد قَطَعَ الْعِلْمُ به عند أصحاب التعليل والتمني ، ووجب العمل بالمعلوم
ورفض ما يخالفه .

الأصل :

كُلُّ مُعَذِّبٍ يَسْأَلُ الْإِنِّطَارَ ، وَكُلُّ مُرْجَرٍ يَتَعَلَّلُ بِالتَّسْوِيفِ .

الشرح :

قال الله سبحانه . ﴿ حَتَّى إِذَا بَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْحَمْنِي لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ^(١) ﴾ .
فهذا هو سؤال الإنطار لمن عوَّجِلَ ، وقد من أخلَّ فإنه يعللُ عنه بالتسويف ، ويقول :
سوف أتوب ، سوف أفسح عما أنا عليه ، فذا كثرهم يُعْتَمَدُ ^(٢) كسْرُ غير أن يتلَّع هذا
الأمل ، وتأنيه المسة وهو على فصح حال وأسوئها ، ومنهم من تشبَّه التعادة فيتوب
قبل الموت ، وأولئك الذين حُتِمَتْ أَعْمَالُهُمْ بِحَيِّثَةٍ خَيْر ، وهم في العالم كالشجرة البيضاء
في النور الأسود .

(١) سورة المؤمن ٩٩ ، ١٠

(٢) يقال : احترته الله ؛ أى أحده من بينهم .

الأمنل : .

ما قال النّسُ لشيء : طوّى له ! إلّا وودّ حتّى له الدّهرُ يومَ سو

الشرخ :

قد تقدّم هد المعنى ، ود كرّ ما فيه نكّنا حيدة حيدة .

[نبذ من الأقوال الحكيمية في تقلبات الدهر وتصرفاته]

كان محمد بن عبد الله بن طاهر أمير بغداد في قصره على دجلة يوماً ، وإذا بحشيش
على وجه الماء ، في وسطه قصّة عليها رُقعة ، فأمر أحدها ، فإذا فيها :

اه لأعيرج وأستولى به بَطْرُ فقل له : خيرٌ ما أستمَلْتَهُ الخَدْرُ
أحسبَ طَلَّكَ بالأَيَّامِ إِدَّ حَسْبُ ولم تحفِ سوء ما يأتي به القَدْرُ
وسألتك اللَّيالي فاعترزت بها وعند صفير اللَّيالي يحدث الكَدْرُ
فما انتفع بفسه مدّة .

وفي المثل : لدهرٍ إِدَّ أتى بسخوًا، سخَّع^(١) ، يُعْقِبُهَا بَنَكِبَاءَ رَعَزَع ، وكذلك
شربُ العيش فيه تلؤن ، يَبْهَهُ عَدُّهُ ، ذُو تَحْوَالٍ أَحْيَا .

(١) أي سحابة صب مطراً خفيفاً .

يحيى بن خالد : أعطانا الدهر فاسرف ، ثم مال علينا فاحصفت .

وقال الشاعر :

فيا كعبير ساعدتسنا رقباه وحيث ما أكماله والروادف
استحق من إراهير الموصلي .

هي المقادير تجري في أعينها فاصبر فليس هـ صبر على حـ
يوماً تحريش حبيب الحال ترفعه إلى نساء ويوماً تحمص العالي
إذا أدر الأمر أتى الشر من حيث كان يأتي ، خير
هاني بن مسعود :

إن كسرني أتى على أمك الله من حتى سقاء أم للرفوب
كل ملك وإن تصد يوماً شاسر يسود للتصويب
أحبيته بن الجلاح :

وما تدري الفقير متى غناه وما تدري العي متى يعين
وما تدري إذا أضربت شولا أنفج بعد ذلك أم تحيل^(١)
وما تدري إذا أزممت سبوا نأى لأرض تدركك اللقي
آخر :

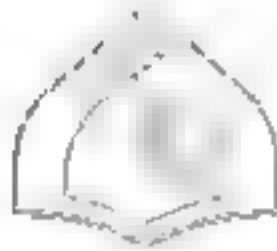
فأدرك الدنيا يباقي لأهل ولا شيزه لديها صربة لاريم
آخر :

رُب قوم عبرو من عيشهم في سرور وبعير وغدق

(١) الشول : الناقة التي قصت ألباتها .

سَكَّتَ الدهرُ زمانًا عنهمُ ثم أبىكم دما حيبَ نطقُ
ومن الشعر المسوب إلى محمد الأمين بن ربيعة :

يا نفس قد حقَّ الحذرُ أين الفرارُ من القدرِ
كلَّ امرئٍ مما يخافُ ف ويرتجيه على خطرِ
من يرتشف صفو الرما ينعش يوما سكرَ



مكتبة جامعة القاهرة

الأفضل :

وقال عليه السلام وقد سُئِلَ عن القدر : طريقٌ مُطْلِمٌ وَلَا تَسْأَلُوهُ
ثُمَّ سُئِلَ ثَانِيًا فَقَالَ : يَحْمَرُّ عَمِيقٌ وَلَا تَلْعُوهُ ، ثُمَّ سُئِلَ ثَالِثًا فَقَالَ : يَسِرُّ اللَّهُ
فَلَا تَسْكَفُوهُ .

الشيخ :

قد جاء في الخبر المرفوع : القدرُ يسرُّ الله في الأرض ، ورؤي : سر الله في عباده ،
والمرادُ نهى المستصغين عن الخوض في إرادة الكائنات ، وفي خلق أعمال العباد ، فإنه
و كما أنفى بهم القول بالجبر ، لما في ذلك من الغوص ، وذلك أن العاصي إذا سمع قول
القائل : كيف يجوز أن يقع في عاقبه ما كرهه ، وكف يجوز أن تميل إرادة الخلق
إرادة الخالق ؟

و يقول أيضا : إذا عليم في القدم أن يبدأ بكفر ، فكيف زيدا أن لا يكفر
وهل يمكن أن يقع خلاف ما عليه الله تعالى في القدم ، أشبه عليه الأمر ، وصار
شبهة في نفسه ، وقوي في طنه مذهب بحجرة ، فسبى عليه السلام هؤلاء عن الخوض
في هذا النحو من البحث ، ولم يته غيرهم من دوى القول الكاملة ، والرياسة
القوية ، والملكة النامة ، ومن له قدرة على حل الشئ ، والخصي عن المشكلات .

فإن قلت : فإيكم : تقولون : إن العاصي والمستصغف يحب عبيهما الطر .
قلت : نعم إلا أنه لا بد لها من موقف بعد إتمامها ما ينتهي إليه خُذُّها من النظر ،
بحيث يرشدها إلى الصواب ، والهي إنما هو من يستند من صعاء العامة نفسه في الطر ،
ولا يبحث مع غيره ليرشده .

(٢٩٤)

الأَجَلُ :

إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عِنْدَهُ حَظَرَ عَنَيْهِ الْعِلْمَ .

الْبَرْخُ :

أَرَادَهُ : جَعَلَهُ رَدًّا ، وَكَانَ يُقَالُ : مِنْ عِلَامَةِ نَعْمِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعَدَا أَنْ يُعْمَسَ إِلَيْهِ الْعِلْمُ .

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

شَكَوْتُ إِلَى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي فَأَوْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْعَارِضِ

وَقَالَ لَأَنْ حِفْظَ الْعِلْمِ فَصْلٌ وَعَصْلُ اللَّهِ لَا يُؤَيِّبُ عَارِضِ

وَقَالَ رَجُلٌ لِحَكِيمٍ : مَا حَذَرُ الْأَشْيَاءِ لِي ؟ قَالَ : أَنْ تَكُونَ عَالِمًا ، قَالَ : فَإِنْ لَمْ

أَكُنْ ؟ قَالَ : أَنْ تَكُونَ مُثْرِبًا ؛ قَالَ : وَمِمَّ لَمْ أَكُنْ ؟ قَالَ : أَنْ تَكُونَ شَارِبًا ؛ قَالَ :

فَمِمَّ لَمْ أَكُنْ ؟ قَالَ : فَأَنْ تَكُونَ مَيِّتًا .

أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ فَقَالَ :

إِذَا فَاتَكَ الْعِلْمُ جُدْ بِالْوَرَى وَإِنْ وَتَكَ لِلْأَلْ سُدْ بِالْقَرَارِ

فَإِنْ فَاتَ هَذَا وَهَذَا وَذَلِكَ مِتْ لِحَيَاتِكَ شَرُّ مَنَاجِعِ

وَقَالَ أَيْضًا فِي الْمَعْنَى نَعْبَهُ :

وَلَوْلَا الْحُجَا وَالْقِرَا وَالْقِرَاعُ لَمَّا فَصَلَ الْآخِرَ الْأَوَّلَا

ثَلَاثٌ مَتَى يَحُلْ مِنْهَا الْعَتَى يَكُنْ كَأَهْبِيَةِ أَوْ أَرْدَلَا

الأصل

وقال عليه السلام :

كَانَ لِي فِيهَا مَصَى أَحَدٍ فِي اللَّهِ ، وَكَانَ بِمُطْنَةٍ فِي عَيْنِي صِعْرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ ،
 وَكَانَ حَارِجًا مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ ، فَلَا يَتَشَبَّهُ بِمَا لَا يَحْدُ ، وَلَا يُكْثِرُ إِذَا وَحَدَ ،
 وَكَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتًا ، فَبِنْ قَلْبِي بِذَلِكَ الْفَارِثِيِّ ، وَتَقَعَ عَيْدِلُ السَّائِيَةِ ، وَنَدَى
 صَبِيغًا مُسْتَضْمَعًا ، فَإِنْ حَاءَ الْجَدُّ فَهِيَ نَيْثٌ حَادٍ ، وَصِلْتُ وَإِي ، لَا يُدْلِي عَجَتَهُ
 حَتَّى تَأْتِي وَصِيًا ، كَانَ لَا يَوْمَ أَحَدًا عَلَى مَا يَحْدُ الْقُدْرَ فِي مِثْلِهِ حَتَّى يَسْمَعَ
 أَعْبَادَهُ ، وَكَانَ لَا تَسْكُو وَحَمًا إِلَّا عِنْدَ تَرْثِهِ ، وَكَانَ تَقَعُ مَا هَوَى ، وَلَا يَقُولُ
 مَا لَا يَقُولُ ، وَكَانَ إِنْ عَلِبَ عَلَى الْكَلَامِ ، تَمَّ يُنَبِّتُ عَلَى الشُّكُوتِ ، وَكَانَ عَلَى
 أَنْ يَسْمَعَ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ ، وَكَانَ إِذَا نَدَاهُ أُمْرًا يَنْظُرُ يُهَيِّئُهَا
 أَقْرَبُ إِلَى الْهَوَى فَحَالَفَهُ ، فَمَلَيْكُمْ يَهْدِيهِ أَتْلَا تَوَرَّ قَالَرْمُوهَا ، وَتَقَسُّوْا فِيهِ ،
 فَبِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوهَا فَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَدَ الْقَبِيصِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْكَثِيرِ .

الشرح

قد اختلف الناس في المعنى بهذا الكلام ، ومن هو هذا الأح لشر إليه ؟
 فقال قوم : هو رسول الله صلى الله عليه وآله ، واحتجوا بقوله : « وكان صعيما
 مسدصعا » ، فثبت النبي صلى الله عليه وآله لا يقدر في صفاته مثل هذه الكلمة ،

وإن أمكن تأويلها على لين كلامه وسماحة أخلاقه ، إلا أنها غير لائقة به عليه السلام .

وقال قوم : هو أبو دَرِّ العِمارِيّ واستبعد قوم لقوله : فإن جاء الجدة فهو لَيْثٌ عادٍ ، وصِلٌ وادٍ ، فإن أبا دَرٍّ لم يكن من الموصوفين بالشجاعة ، والمعروفين بالبسالة وقال قوم : هو المقداد بن عمرو المعروف بالمقداد بن الأسود ، وكان من شيعة علي عليه السلام المحبسين ، وكان شجاعاً مجتهداً حسن الطريقة ، وقد ورد في فضله حديث صحيح مرفوع .

وقال قوم : إنه ليس بإشارة إلى أخ معين ، ولكنه كلامٌ خارجٌ مخرج المثل ، وعادة العرب جارية مثل ذلك ، مثل قولهم في الشعر : قتلت لصاحبي ، وباصاحبي ، وهذا عندي أقوى الوجود .



[نبذ من الأقوال الحكيمية في حد القساعة وقلة الأكل]

وقد مضى القول في صير الدنيا في عين أهل التحقيق ، فاما سلطان البطن ومدح الإنسان بأنه لا يكتر من الأكل إذا وحد أكلا ، ولا يشتبه من الأكل ما لا يحده ، فقد قال الناس فيه فأكثروا .

قال أعشى باهلة يرثي المنتشر بن وهب :

طاولي الصير على العراء مُصليتُ بانقوم ليللة لاهاء ولا شحر^(١)
تكتفيه فلة لحم إن ألم^{هـ} من الشواء ويروى شرابه القمر
ولا يسارى ليا في القدر يرقه ولا تراه أمام القوم بعسر

(١) الكامل للبدر ٤ . ٦٥ . الصير : واحد الصراي ، والعراء : الأمر الشديد .

لا يَنْفِرُ السَّاقَ مِنْ أَيْدِيٍّ وَلَا وَصْبٍ وَلَا يَنْفِرُ عَلَى شُرُوفِهِ الْمُتَفَرِّقُ
وَقَالَ التَّنَزُّي :

وَأَطْوَى عَلَى الْخَمْسِ الْحَوَايَا كَمَا اطْلَوْتُ خِيَمَةَ مَارِيٍّ تَعَارَ وَتَفَتَّلُ^(١)
وَلِنْ مَدَّتْ الْأَيْدِي إِلَى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ تَأْتِيهِمْ ذَا أَجْعُ الْقَوْمِ أَجْعَلُ
وَمَا دَاكَ إِلَّا بَطْطَةً عَنْ تَفَضُّلٍ عَلَيْهِمْ وَكَانَ الْأَفْضَلُ لِلتَّفَضُّلِ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَاشَه : يَا نَبِيَّ عَوَّدَ نَفْسِكَ الْأَثَرَةَ ، وَجَهْدَةَ الْهَوَى وَالشَّهْوَةَ ،
وَلَا تَهْتَشْ سَهْشَ السَّيَّاحِ ، وَلَا تَقْصِمَ قَصْمَ الرَّاكِبِينَ ، وَلَا تَذْمِينَ الْأَكْلَ إِدْمَانَ النَّجَاحِ ،
وَلَا تَلْقَمْ لَقْمَ الْحِمَالِ ، إِنَّ اللَّهَ حَمَلَتْ إِسَاءَا ، فَلَا تَحْمِلْ نَفْسَكَ نَهْمَةً وَلَا سُبْحَا ، وَاحْذَرِ
سُرْعَةَ الْكَيْطَةِ ، وَدَاءَ الْبَطْنَةِ ، فَقَالَ الْحَكِيمُ : إِذَا كُنْتَ قَطِيًّا قُدَّتْ نَفْسُكَ مِنَ الرَّثْمِ^(٢)
وَقَالَ الْأَعْمَى :

• وَالْبَطْنُ نَمَّةٌ يَوْمَانِ سَفَهُ لَأَخْلَامَا •

وَاعْلَمْ أَنَّ الشَّعْ دَاعِيَةَ النَّشْمِ ، وَالنَّشْمَ دَاعِيَةَ السَّقَمِ ، وَالسَّقَمَ دَاعِيَةَ الْمَوْتِ ، وَمَنْ
مَاتَ هَذِهِ الْمَيِّتَةَ فَقَدْ مَاتَ مَوْتَهُ لَثِيمَةً ، وَهُوَ مَعَ هَذَا هَاتِلٌ بِنَفْسِهِ ، وَهَاتِلٌ بِنَفْسِهِ أَلْوَمٌ مِنْ
قَاتِلِ عَصِيرِهِ ، يَا نَبِيَّ ، وَاللَّهِ مَا أَدَّى حَقَّ السُّجُودِ وَالزَّكَاةِ دَوْكِيَّةً ، وَلَا حَشَعَ اللَّهُ
دَوْبِيَّةً ، وَالصَّوْمُ مُصَحِّحَةٌ ، وَلَرَّيْمَا طَالَتْ أَعْمَارُ الْيَمِّدِ ، وَصَحَّتْ أَبْدَانُ الْعَرَبِ ، وَلِلَّهِ دَرُ
الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ حَيْثُ رَعِمَ أَنَّ الدَّوَاءَ هُوَ الْأَدَمُ ، وَأَنَّ الدَّاءَ إِدْمَانُ الطَّعَامِ فِي ثَوْرِ
الطَّعَامِ ، يَا نَبِيَّ لَمْ صَعَتْ أَدهَانُ الْأَعْرَابِ ، وَصَحَّتْ أَدهَانُ الرُّهْبَانِ مَعَ طَوْلِ الْإِفَامَةِ
فِي الصَّوَامِ ، حَتَّى لَمْ تَعْرِفْ وَجَعَ الْفَاعِلِ ، وَلَا الْأَوْرَامِ ، إِلَّا لَقْلَقَةَ الرِّزْقِ ، وَوَدَّحَةَ
الْأَكْلِ ، وَكَيْفَ لَا تَرَعِبُ وَتَدْبُرُ يَتَمَعُّكَ الْبَيْنُ مَحْجَةً لِمَنْ وَدَّ كَاءَ الذَّهَبِ وَصَلَاةَ الْبَعْدِ

والقرب وعيش الملائكة.. يا سئى لم صدر الصب أطول شئ، دماء، إلا لأنه يتبع
بالقسيم، ولم رعم الرسول صلى الله عليه وآله أن الصوم وجاء، إلا ليحصله حجاباً دون
الشهوات ! فافهم تأديب الله ورسوله، فإيهما لا يقصدان إلا مثلك، يا سئى، إى قد
بلغت تسعين عاماً ما نقص لى سن، ولا انتشر لى عصب، ولا عرفت دين أب،
ولا سئلان عين، ولا تقطير بول، ما لك علة إلا التصفيف من الراد، فإن كنت تحب
الحياة فهذه سبيل الحياة، وإن كنت تريد الموت فلا تبعد الله إلا من ظلم.

وكان يقال : البعلنة تذهب الفطنة.

وهان عمرو بن العاص لأصحابه يوم حكم الحكماء : أ كثر والأبى موسى من الطعام الطيب
فوالله ما نطعن قوم قط إلا قعدوا عقولهم أو عصها، وما مضى عزم رجل باتاً قطماً.
كان يقال : أ قيل طعاماً تحمده مماناً.

ودعا عبد الملك بن مروان رجلاً إلى العدا فقال : ماى فصل ؟ فقال : إلى أحت
الرجل يأكل حتى لا يكون فيه فصل، فقال : يا أمير المؤمنين، عدى مستتراد،
ولكنى أكره أن أصير فى الحال التى استفتحتها أمير المؤمنين.

وكان يقال : مكين ابن آدم، أسير الجوع، صريع الشبع.
وسأل عبد الملك أبا الرعية : فقال : هل أحت قطة ؟ قال : لا، قال : وكيف ؟
قال : لأن إذ طحنا أنصجتنا، وإذا مصمتنا دقنا، ولا نكيط المعدة ولا نحلبها.
وكان يقال : من لم يروء أن يترك الإنسان الطعام وهو بعد يشتهي.

وقال الشاعر :

فإن قرأت النظم بكفيت منؤه وبكفيت سوات الأمور أحتناها
وقال عبد الرحمن بن أحنى لأعمى : كان عمى يقول لى : لا تخرج يا سئى من منزلك

حَتَّى تَأْخُذَ حِلْمَكَ ، يَعْنِي تَتَغَذَّى ، فَإِذَا أَخَذْتَ حِلْمَكَ فَلَا تَرُدَّ إِلَيْهِ حِلْمًا ، فَإِنَّ الْكَثْرَةَ تَنْوِلُ إِلَى قِلَّةٍ ؛ وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ : مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءَ شَرًّا مِنْ بَطْنٍ ، يَحْسَبُ الرَّجُلُ مِنْ طَعْمِهِ مَا أَقَامَ صُنْبُهُ ، وَأَمَّا إِذَا أَبَيْتَ فَتُثَّ طَعَامٌ ، وَثُلُثُ شَرَابٍ ، وَثُلُثُ نَفْسٍ .

وَرَوَى حُذَيْفَةُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : مَنْ قَلَّ طَعْمُهُ ، صَحَّ بَطْنُهُ ، وَصَدَأَ قَلْبُهُ ، وَمَنْ كَثُرَ طَعْمُهُ ، سَقَمَ بَطْنُهُ وَقَسَا قَلْبُهُ ؛ وَعَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : لَا تُحْمِتُوا الْقُلُوبَ بِكَثْرَةِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، فَإِنَّ الْقُلُوبَ يَمُوتُ بِهَا ، كَالزَّرْعِ يَمُوتُ إِذَا أَكْثَرَ عَلَيْهِ الْمَاءُ . وَرَوَى عَمْرُو بْنُ أَبِي حُصَيْنَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : أَكَلْتُ يَوْمًا ثَرِيدًا وَلَحْمًا سَمِينًا ، ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا أَعْمَسًا ، فَقَالَ : احْبِسْ جَسَدَكَ أَبَا حُصَيْنَةَ ، لِيْنِ أَكْثَرَكُمْ شِعْمًا فِي الدُّنْيَا أَكْثَرَكُمْ جُوعًا فِي الْآخِرَةِ ، قَالَ : فَأَكَلْتُ أَبُو حُصَيْنَةَ بَدْعًا مِلَّيْ طَعْمٍ إِلَى أَنْ قَبَّضَهُ اللَّهُ ، وَأَكَلْتُ عَلَى عَالِيَةِ السَّلَامِ قَلِيلًا مِنْ تَمْرٍ دَقَّ (١) وَشَرِبْتُ عَلَيْهِ مَاءً ، وَأَمَرَ يَدَهُ عَلَى بَطْنِهِ وَقَالَ : مَنْ أَدْخَلَهُ طَعْمُ الْبَارِ فَأَصَدَّهُ اللَّهُ ، ثُمَّ تَمَثَّلَ :

فَإِنَّكَ مَتَمَّا تُعْطِرُ طَعْمَكَ سُؤْلَةً وَفَرَحَكَ نَالًا مُنْهَى الدَّمِ أَحْمَمًا .
وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُعْطِرُ فِي رَمَضَانَ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ عَبْدُ الْحَسَنِ لَيْلَةً ، وَعَدَدُ ذَلِكَ مِنْ لَيْلَةٍ ، وَعَدَدُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ لَيْلَةً ، لَا يَزِيدُ عَلَى الثَّلَاثِ أَوْ الثَّلَاثِ ، فَقَالَ لَهُ : فَيَقُولُ ، إِنَّمَا هِيَ لَيَالٍ قَلِيلَاتٌ ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَأَنَا خَيْرُ النَّاسِ ، فَصَرَّيْهِ بْنُ مُنْجَمٍ بِهِ اللَّهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ .

وَقَالَ الْحَسَنُ . لَقَدْ أَهْرَكْتُ أَقْوَامًا مَا يَأْكُلُ أَحَدُهُمْ إِلَّا فِي نَاحِيَةِ بَطْنِهِ ، مَا شِيعَ رَجُلٌ مِنْهُمْ طَعَامًا حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا ، كُلُّ يَأْكُلُ ، فَإِذَا فَارَبَ الشَّمَّ أَمْسَكَ وَأَنْشَدَ الْمَبْرُودُ :

فإن امتلاء البطن في حسب المني قليل الماء وهو في الجسم صالح
وقال عيسى عليه السلام : يا بني إسرائيل ، لا تسكثروا الأكل ، فإنه من أكثر من
الأكل أكثر من الصوم ، ومن أكثر الصوم أقل الصلاة ، ومن أقل الصلاة كُتب من
العافلين ؛ وقيل ليوسف عليه السلام : مالك لا تشبع وفي يدك حرائن مصر ؟ قال
إني إذا شبعت نمت الجائعين .

وقال الشاعر :

وأكلة أوتعت في الهتك صاحبها كعنة القمح دقت عن عضور
لكثرة عريش الملح آكلها ألد من تمر تحشى بزور

ووصف سائور ذي الأكل كافي رجلاً من اصطفخر للقضاء ، فأستقدمه ، فدنا إلى
الطعام فأخذ الملك دجاجة من بين يديه فصفاها ، وحمل يصفها بين يدي ذلك الرجل
فأتى عليه فل أن يمرع الملك من أكل النصف الآخر ، فصرفه إلى طده ، وقال : إن
سلفنا كانوا يقولون : من شربه إلى طعام الملك كان إلى أموال الرعية أشربه .

قيل لسيرة بن حبيب : إن أسك أكل طعاماً فأنجم ، وكاد يموت ، فقال : والله
لومات منه ما صليت عليه . أس يرعه : إن من السرف أن تأكل كل ما اشتيت .

دخل عمر على عاصم أبيه وهو يأكل لحماً ، فقال : ما هذا ؟ قال : قرماً إليه ؟
قاله أو كذا قرمت إلى اللحم أكلته ، كفى بالمرء شراً أن يأكل كل ما يشتهي .
أبو سعيد يرعه : استعبدوا بالله من الرعب ؛ قالوا : هو الشره ، ويقال : الرغب
شؤم . أس يرعه : أصل كل داء البرد ، قالوا هي الثخمة ؛ وقال أبو ذريرد : العرب
تغير بكثرة الأكل ، وأنشد :

لست بأكل كالأكل القبيح ولا بمؤام كنؤم القبيح

وقال الشاعر :

إذا لم أذُرْ إلا لا كُلَّ أَكْلَةٍ فلا رَفَعْتُ كَفِّي إلى طَعَامِي
فَمَا أَكْلَةٍ إِنْ يَأْتِيهَا نَغِيرٌ ولا حَوْصَةٌ إِنْ حُفَّتْهَا نَعْرَامٌ

ابن عباس ، كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله يبيت طلوعاً ليالى ماله ولأهله
عشاءً ، وكان عامَّة طعَامِهِ الشَّعِيرُ ؛ وقالت عائشة : والذى بَيْتَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ ما كان
لنا مُنْجَلٌ ، ولا أكل رسولُ الله صلى الله عليه وآله حُرًّا مَنْحُولًا مِنْدَ نَعْمَةِ اللهِ إِلَيَّ
أَنْ قُصِّصَ : طَلَوْا : فكيف كنتم ؟ كلون نَفِيقَ الشَّعِيرِ ؟ قالت : كُنَّا نَقُولُ :
أَفَرِّ أَفَرِّ .

أُس ، ما أكل رسولُ الله صلى الله عليه وآله رعيماً مُحَوَّراً إلى أب لقي
ربه عز وجل .

أبو هريرة : ما شَبِعَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وأهله ثلاثة أيام مُتَوَالِيَةٍ مِنْ
حُبِّزٍ حِطَّةٍ حَتَّى قَارَقَ الدَّمُ .

وروى مسروق قال : دَحَنَتْ عَلَى عَائِشَةَ وَهِيَ تَبْكِي ؛ فَقَتَتْ : ما بِكَ ؟ قالت :
ما أَشَاهُ أَنْ أَسْكِيَ إِلَّا نَكَّيْتُ ، مات رسولُ الله صلى الله عليه وآله ولم يَشْعَ مِنْ حُبِّزٍ
الْبُرِّ فِي يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ انْهَارَتْ عَلَيْنَا الدُّيَا .

حاتم الطائي :

وَأَنْتَ لِأَسْحَى رِجَابِي أَنْ يَرَوْ مَكَانَ بَدْيٍ مِنْ جَانِبِ الرِّادِ أَقْرَعًا^(١)
أَقْعَرُ كَفِّي أَنْ تَنَالَ أَكْفَهُمْ إِذَا مَحْنُ أَهْوَيْنَا وَحَاجَانَا مَعَا
أَيْتُ تَحِيصَ البَطْنِ مُصْطَمِرَ الحَشَا حِينَ أَحَاقَ الضَّيْمُ أَبَّ أَنْصَلَمَا

فإنك إن أعطيت نفسك سُؤالها وفَرَحتَ ما لا مُنتهى الدمُّ أجمعاً
 فأما قوله عليه السلام : « كان لا يَدشئني ، ما لا يحد » فإنه قد مهي أن يشئني
 الإنسان ما لا يحد ؛ وقالوا : إنه دليلٌ على سقوط المرأة .
 وقال الأحنف : حنَّوا بحالها ذِكْرَ تشئني الأطعمة وحديث المكح .
 وقال الجاحظ : جلسنا في دارٍ فعمدنا تشئني الأطعمة ؛ فقال واحد . وأنا أشتئني
 سِكِّبَاجاً^(١) كثيرة الزعفران .

وقال آخر : أنا أشتئني طَهْهة بشيمة ، وقال آخر : أنا أشتئني هريسة كثيرة الدارصيني
 وإلى حاسنا امرأة يسا ويسا ، نزل الدار ، فصرَّت الحائط وقالت . أنا حامل ،
 فعضوني ملء هذه المصارة من ضجيجكم ، فقال ثمانية : حارماً تشم
 رنحة الأمانى .

الأصل :

لَوْ لَمْ تَوَعِدِ اللَّهُ سُجَّانَهُ عَلَى مَنصِبَتِهِ ، لَكَانَ يَجِبُ أَلَّا يُقْضَى شُكْرُ الْيَمِينِ .

البرج :

قالت المعتزلة : إِنْ لَوْ قَدَّرْنَا أَنَّ الْوَعْدَ السَّمْعِيَّ لَا يَرُدُّ مَا أَخْلَى ذَلِكَ بِكَوْنِ الْوَاحِبِ وَاحِدًا فِي الْعَقْلِ ، نَحْوَ الْعَدْلِ وَالْعَدْقِ ، وَالْعِلْمِ ، وَرَدِّ الْوَدِيعَةِ ، هَذَا فِي جَانِبِ الْإِثْنَاتِ ، وَأَمَّا فِي جَانِبِ التَّلَبُّ قِيَحٍ فِي الْعَقْلِ أَنَّ لَا يَحْسِبُ ، وَأَلَّا يَكْذِبُ ، وَأَلَّا يَهْمَلُ ، وَأَلَّا يَحْمِلُ الْأَمَانَةَ ، نَحْنُ أَحَدًا قَوْماً بِسَهْمٍ ، فَهِيَ مَعْتَرِئَةٌ بِمَدَادٍ : لَيْسَ الثَّوَابُ وَاحِدًا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْعَقْلِ ، لِأَنَّ الْوَاحِدَاتِ إِنَّمَا تَحِبُّ عَلَى الْمَكْتَبِ ، لِأَنَّ أَدَاءَهَا كَأَشْكَرَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَشُكْرُ الْمَدِينِ وَاحِدٌ ، لِأَنَّهُ شُكْرُ مَدِينٍ ، فَمِنْ بَيِّنٍ وَجْهٌ يَحْتَضِرُ وَجُوبَ الثَّوَابِ عَلَى اللَّهِ سَجْدَةً ؛ وَهَذَا قَرِيبٌ مِنْ قَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَقَالَ الْبَصْرِيُّونَ : بَلِ الثَّوَابُ وَاحِدٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى عَدْلًا ، كَمَا حَبَّ عِنْدَهِ اِبْتِغَاءُ عَنْ إِبْلَامِ الْحَقِّ ؛ لِأَنَّ التَّكْلِيفَ إِزَامٌ تَدْرِيهِ مَصْرَعُهُ ، كَمَا أَنَّ الْإِبْلَامَ إِذَا أُلِ مَصْرَعُهُ ، وَالْإِزَامُ كَالْإِنْزَالِ .

الأضل :

وقال عليه السلام للأشعث بن قيس وقد عراه عن ابن له :
يا أشعثُ ، إنْ تَحَرَّوْا عَلَى ابْنِكَ فَقَدْ اسْتَحَقَّتَ ذَلِكَ مِنْكَ الرَّحِمُ ، وَإِنْ تَصَدَّقْتَ
فَفِي اللَّهِ مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ حَلْفٌ .
يا أشعثُ إنْ صَدَرَتْ حَرَى عَذِيَّتِكَ الْقَدَرُ وَأَنْتَ مَأْجُورٌ ، وَإِنْ حَرِغْتَ جَرَى
عَلَيْكَ الْقَدَرُ وَأَنْتَ مَأْرُورٌ .
يا أشعثُ ، إِنَّكَ سَرَّكَ ، وَهُوَ كَلَّاهُ وَفَيْتَهُ ، وَحَرَّكَ ، وَهُوَ ثَوَابٌ وَرَشْحَةٌ .



البنرخ :

قد رُويَ هذا الكلام عنه عليه السلام على وجوهٍ مختلفة ورواياتٍ متنوعة ، هذا
الوجهُ أحدها ، وأخذَ أبو العنابية الداعية عليه السلام فقال لمن يعرِّبه عن وَلَدٍ :
وَلَا يَدَّ مِنْ حَرِّ ابْنِ الْقَصَاءِ إِمَّا مُنَاتًا وَإِمَّا أُتِيًّا
ومن كلامهم في التنازلي : إِذَا أُسْتُ ثَرَّ اللَّهُ شَيْءٌ ، فَالَهُ عَنْهُ ، وَتُسَبِّبُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ إِلَى
عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ .

ودكر أبو العباس في الكامل أن عُمَةَ بِنْتَ عِيَّاضِ بْنِ تَمِيمٍ أَحَدُ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ
أُسْتُشْهِدَ ، فَعَرَّيَ أَبَاهُ مُعَرِّيًا فَقَالَ : اِحْتَسِبْهُ وَلَا تَحْرَجْ عَلَيْهِ فَقَدْ مَاتَ شَهِيدًا ؛ فَقَالَ عِيَّاضُ :
أَتَرَانِي كُنْتُ أُسْرُ بِهِ وَهُوَ مِنْ رِيفَةِ لَحْيَاءِ الدِّيَا ، وَأَسَاءَ بِهِ وَهُوَ مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ ؟

وهذا الكلام مأخوذ من كلام أمير المؤمنين عليه السلام .

ومن التعازي الجيدة قولُ القائل :

ومن لم يزل غرساً للشو
فإن هن أخطأه مرة
فبينما يحمى وأخطأه
وقال آخر :

هو الدهر قد جرّبه وعرفه
وما الناس إلا سابق ثم لاحق
وقال آخر :

أبنا قدمت صروف الليالي
غدرات الأيام منزعجات
إن نبأته السدى :

نعل بالدواء إذا مرّضنا
وتختار الطبيب وهل طيب
وما أنفأنا إلا حلب
السحري :

إن الرزية في العقيد فإن هفا
ومنى وجدت الناس إلا تاركا
لو ينجلي لك ذخرها من نسكة
جزع بشك فارزبة فيكاً^(١)
لحيه في التزب أو مزوكا
جلو لأصحكك الذي يسكيكا

(١) رجل عيب : هذه المعنى .

(٢) حاشية ب : قوله : « عبقنا » التذبة باعتبار التقدم والتأخر .

(٣) ديوانه ٢ : ١٥٣٤ ، من ولاية محمد بن وهب .

وكتب بعضهم إلى صديق له مات أبوه : كيف شكرُك الله تعالى على ما أخذ من وديعته ، وعوّض من مثوبته .

وعزّى عمر بن الخطاب أبا بكر عن طعل ، فقال : عوّضك الله منه ما عوّضه منك ؛ فإنّ الطعل يعوّض من أبويه الجنة .

وفي الحديث المرفوع : « مَنْ عَزَى مَصَابَاكَ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ » .

وقال عليه السلام : مَنْ كَنُوزَ السَّرِّ كَتَمَ لِلصَّائِبِ ، وَكَتَمَ الْأَمْرَاضِ وَكَتَمَ الصَّدَقَةَ .

وقال شاعر في رثاء ولده :

وَسَمِيَّتُهُ يَحْيَى لِيَحْيَا وَلَمْ يَكُنْ إِلَى رَدِّ أَمْرِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ
تَخَيَّرْتُ فِيهِ الْقَالَ حِينَ رُدِّقَتْهُ وَلَمْ أَذِرْ أَنْ الْعَالَ فِيهِ يَبِيلُ

وقال آخر :

وَهَوْنٌ وَجَدِي سَدِّ فَدِكَ أُنَى إِذَا شِئْتُ لَاقَيْتُ أَمْرَأَتَ صَاحِبَتِهِ
آخر :

وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو لَوْ تَمَّيْتُ عِشَّةَ عَالِيكَ الْبَيَالَى مَرَّتَهَا وَأَنْتَ قَالَهَا
فَأَمَّا وَقَدْ أَصْبَحْتَ فِي قَبْضِ الرَّدَى فَقُلْ لَبَيَالَى فَلْتُصِيبْ مَنْ بَدَّالَهَا
أَخَذَهُ اللَّتْنَى فَقَالَ :

قَدْ كُنْتُ أَشْفِقُ مِنْ دَمْعِي عَلَى بَعْرِي فَالْيَوْمَ كُلُّ عَزِيمٍ بِسَدِّكُمْ هَانًا^(١)
وَمِثْلُهُ لَعِيرُهُ :

فَرَأَيْتُكَ كُنْتُ أَحْشَى فَاذْفَرْتُهَا فَمِنْ فَارَقْتُ سَدَّكَ لَا أَبَالِي

الأضل :

وقال عليه السلام عند وفوه على قبر رسول الله صلى الله عليه وآله ساعة دفن رسول الله صلى الله عليه وآله :
 "إن الصبر جميل إلا علمك ، وإن الخرع نقيح إلا عليك ، وإن أنصت لك بجليل ، وإنه تعدك لقييل".

البنخ :

قد أخذت هذا المعنى الشعراء ؛ فقال بعضهم :
 أمست تحفى للدموع كلوم حراً عليكوفى الحدود رسوم^(١)
 والصبر محمد في المواطن كلها إلا عليك فإنه مضموم
 وقال أبو تمام :
 وقد كان يدعى لاس الصبر حازماً قد صار يدعى حازماً حين يخرع^(٢)
 وقال أبو الطيب :
 أحيد الجماء على سيالك مروة والصبر إلا في نواك جيلاً^(٣)
 وقال أبو تمام أيضاً :
 الصبر أجل غير أن تلذذاً في الحب أولى أن يكون جيلاً^(٤)

(١) الكامل : ٢ : ٤١ ، ونسبها إلى محمد بن عبد الله المتوفى

(٢) ديوانه ٣٣٣ (بصرح الحياض) ، التبيان ١ : ٢٤٦

(٤) ديوانه ٢٤٢ (بصرح الحياض) .

(٣) ديوانه ٣ : ٢٣٣

وقالت خنساء أخت عمرو بن الشريد :

ألا يا صخر إن أبكيت عيني لقد أضعتني دهرًا طويلاً
بكيتك في نساء مَنولاتٍ وكنتُ أحق من أبدى العوياً
دفعتُ بك الجليل وأتحتي فمن ذا يدفع الخطب الجليلاً
إذا قبَّح البكاه على قتيلٍ رأيتُ بكاءك الحسن الجليلاً^(١)

ومثل قوله عليه السلام : « وإنه بعدك لقين » ، يعنى للصاب ، أى لا مُبالاة بالمصائب

بعد المصيبة بك ، قول بعضهم :

قد قلتُ للموتِ حين نازلتهُ كالموتِ يقدامسةً على البهم
أذهبُ بمن شئتُ إذا ظفرتُ به ما بعد يمحي للموتِ من ألم
وقال السمر دَل اليزبوعى يرثي أحمه :

إذا ما أتى يومٌ من الدهر يسا لحياك عنا شرقه وأصائله^(٢)
أبى الصبر أن العين بعدك لم تزل يحالِب جَفَنِيها قَدَى ما تَزايِلُه
وكنتُ أعيرُ الله مع قبلك من بكى فأت على من مات بعدك شائِلُه
أعني إذا أسكا كما الدهر قابكيا لمن نصره قد بانَ عنا ونايِلُه
وكنتُ به أعشى القتال فعزيتي عليه من القسدار من لا أقاتِلُه
لعمرك إن الموتَ مِنّا لمولعٌ عن كان يُرجى نفعه وفواضِلُه

قوله :

• فأت على من مات بعدك شائِلُه •

هو المعنى الذى نحن فيه ، وذكرنا سائر الأبيات لأنها فائقة بعيدة الطير .

وقال آخر يرني رحلا اسمه جارية :

أجاري ما أبداد إلا صباة
عبيث وما تزداد إلا تائيا
أجاري لو نفس فدت نفس ميت
فديتك مسرورا بنفسي وماليا
وقد كنت أرجو أن أراك حقيقة
حال قصاه الله دون قصائيا
ألا فليمت من شاء بعدك إما
عبيث من الأقدار كل حذاريا

ومن الشعر المنسوب إلى علي عليه السلام - ويقال : إنه قاله يوم مات رسول الله
صلى الله عليه وآله :

كت التواد لاطرى فسكى عليك الدطر
من شاء بعدك فليمت فميت كم أحسدر

ومن شعر الحاسة :

سأبكيك ما فاضت دموعي فإن تعمر
كان لم يمت حتى سواك ولم تقم
لئن حسنت فيك المرائي بوضعها
على أحد إلا عليك التوائح
فها أما من دُرء وإن حل جارِع
لقد حسنت من قبل فيك المدائح
ولا سرور بعد موتك فارح

الأصل :

لَا تَصْحَبِ الْمَائِيقَ فَإِنَّهُ يَرِيئُ لَكَ قَعَهُ ، وَبَوْدُ أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ .

الشرح :

المائق : الشديد الحق ، والموق : شدة الحق ، وإنما يزين لك فعله لأنه يعتقد فعله صواباً محققاً فربيه لك كما يرى العاقل لصاحبه فعله لا اعتقاد كونه صواباً ، ولكن هذا صوابٌ في نفس الأمر ، وذلك صوابٌ في اعتقاد المائق ، لا في نفس الأمر ؛ وأما كونه يود أن يكون مثله فليس معناه أنه يود أن يكون أحق مثله ، وكيف وهو لا يعلم من فيه أنه أحق ، ولو علم أنه أحق لما كان أحق ، وإنما معناه أنه حله لك ، وصحبته إيانك ، يود أن تكون مثله ، لأن كل أحدٍ يود أن يكون صديقه مثل نفسه في أخلاقه وأفعاله ، إذ كل أحدٍ يعتقد صواب أفعاله ، وظهره أخلاقه ، ولا يشعر بغيب نفسه لأنه يهودى عنه ، فعيب عنه مطوى مستور عن نفسه ، كما تتحقق عن العاشق عيوب الممشوق .

الأصل :

وقال عليه السلام وقد سُئِلَ عَنْ مَسَافَةِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، فَقَالَ :
مَسِيرَةُ يَوْمٍ لِلشَّمْسِ .

الشرح :

هكذا تقول العرب « بينهما مسيرة يوم » بالهاء ، ولا يقولون « مسيرُ يوم » لأنَّ
المسيرة مصدر ، والمسيرة الأمام .

• وهذا الجواب نسبه الحكماء حواشي إمامية ، لأن السائل أراد أن يدكر له
كيفية المسافة مفضلة ، نحو أن يقول . بينهما ألف فرسخ أو أكثر أو أقل ، فمدل عليه
السلام عن ذلك وأحاطه بعيره ، وهو جواب صحيح لا ريب فيه ، لكنه غير شافٍ
لعليل السائل ، وتحت عرص صحيح ، وذلك لأنه سأل بحضور العامة تحت المنبر ، ولو
قال له : بينهما ألف فرسخ مثلاً ، لكان لسائل أن يطالعه بالدلالة على ذلك ،
والدلالة على ذلك يشق حصولها على التديهة ، ولو حصلت لشق عليه أن يوصلها
إلى فهم السائل ، ولو فهم السائل لما فهمتها العامة الحاضرون ، ولصار فيها قول
وحلاف ، وكانت تكون فتنة أو شبهة بمنة ، فمدل إلى جواب صحيح إجمالي
أسكت السائل به ، وقنع به السامعون أبص واستحسنوه ، وهذا من نتائج حكيمته
عليه السلام .

الأصل :

أُصْدِقَاؤُكَ ثَلَاثَةٌ ، وَأَعْدَاؤُكَ ثَلَاثَةٌ ؛ فَصَدِيقُكَ : صَدِيقُكَ ، وَصَدِيقُ صَدِيقِكَ ،
وَعَدُوُّكَ : وَأَعْدَاؤُكَ : عَدُوُّكَ ، وَعَدُوُّ صَدِيقِكَ ، وَصَدِيقُ عَدُوِّكَ .

الشرح :

قد تقدم القول في هذا المعنى .

والأصل في هذا أن صدقت حار محرمي مسك ، فاحكم عليه بما تحكم به على
مسك ، وعدو له صدك ، فحكم عليه بما تحكم به على الصد ، فكأن من عاداك
عدو لك ، وكذلك من عادى صديقك عدو لك ، وكذلك من صادق صديقك
فكأنما صادق مسك ، فكان صديقك أيضا ، وأما عدو عدوك فصديقك ؛
وصدك صديقك ما لم يمت لك ، لأنك أنت صديق للصد ، فقد اشتهر كتمان صديقه
ذلك الشخص ، فكما متناهيين ، وأما من صادق عدوك فقد مائل صدك ،
فكان صديق لك أيضا ، ومثل ذلك يبيض محصوص يعادى سواداً
محصوصاً وبصاده .

وهناك بياض ثانٍ هو مثل البياض الأول وصديقه ، وهناك بياض ثالث
مثل البياض الثاني ، فيكون أيضا مثل البياض الأول وصديقه . هناك بياض

رابعاً تأخذه بالاعتبار صدّاً للسواد المخصوص المفروض ، فإنه يكون مماثلاً وصديقاً للبياض الأول ، لأنه عدو عدوه ؛ ثم نفرض (١) سواداً ثانياً مصاداً للبياض الثاني ، فهو عدو للبياض الأول ، لأنه عدو صديقه ، ثم نفرض سواداً ثالثاً هو ثماني السواد المخصوص المفروض ، فإنه يكون صدّاً للبياض المفروض المخصوص ، لأنه مثل صدّه ؛ وإن مثلت ذلك بالحروف كان أظهر وأكشف .



الأصل :

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرَجُلٍ رَأَاهُ يَسْتَعِي عَلَى عَدُوِّهِ لَهُ عِمَافِيهِ إِصْرَارٌ يَنْفُسِهِ : إِنَّمَا
أَنْتَ كَالطَّاعِنِ نَفْسَهُ لِيَقْتُلَ رِيْذَنَهُ .

الشرح :

هذا يختلف باختلاف حال الساعى ، فإنه إن كان يصرة نفسه أولا ثم يصرة عدوه
نسبا لإصراره عليه ، كان - كما هو - أمير المؤمنين عليه السلام كالطاعن نفسه يقتل
ريذه ؛ والريذف : الرجل الذي ترمدفه خنثك على فرس أو ناقة أو غيرها ، وفاعل
ذلك يكون أسفه الخلق وأفلهم عقلا ، لأنه يبدأ بقتل نفسه وإن كان يصرة عدوه أولا ،
بحصل في صدى إصراره بعدوه إصراره نفسه ، فليس يكون مثال أمير المؤمنين عليه
السلام منطبقا على ذلك ، ولكن يكون كقولى فى عرلى من قصيدتى :
إِنْ تَرَمَّ قَلْبِي نَقَصْمَ نَفْسِكَ بِهِ لَكَ مَوْطِنٌ تَأْوِي إِلَيْهِ وَمَنْزِلٌ^(١)

(٣٠٣)

الأصل :

ما أكثر العبد وأقل الاعتبار !

الشرح :

ما أوحى هذه الكلمة وما أعظم فائدتها ولا ريب أن العبد كثير حذر ، بل كل
شيء في الوجود فيه عبرة ، ولا ريب أن العبد من هذا قليلون ، وأن الناس قد غلب
عليهم الجهل والمهوى ، وأرداهم حب الدنيا ، وأجبرهم حزن المشركين اليقين في الأصل
ضعيف عندهم ، ولولا ضعفه لكادت أحوالهم غير هذه الأحوال .

الأصل :

مَنْ كَالَعَ فِي الْخُصُومَةِ اِثْمًا ، وَمَنْ قَصَرَ فِيهَا ظَلَمًا ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ
مَنْ حَاصَمَ .

الشرح :

هذا مثل قوله عليه السلام في موضع آخر : العالب بالشر معلوب .
وكان يقال : ما نساب اثنان إلا غلب الأثمة .

وقد سبى العلماء عن الجدل والخصومة في الكلام ، المعنى : وقالوا : إنها مظنة المناهضة
وطلب الرئاسة والعبادة ، والمجادل يكره أن يقهره خصمه ؛ فلا يستطيع أن يتقى الله .
وهذا هو كلام أمير المؤمنين عليه السلام بعينه .

وأما الخصومة في غير العلم كسرعة الناس بعضهم نصاً في أمورهم الديوانية ، فقد
جاء في ذمتها والنهي عنها شيء كثير ، وقد ذكرنا منه فيما تقدم قولاً كافياً ؛ على أن
منهم من مدح الجهل والشر في موضعهما .
وقال الأحنف : ما قل منهن قوم إلا ذلوا .

وقال بعض الحكماء : لا يخرج من أحد من بيته إلا وقد أخذ في حُجْرَتِهِ قِيرَاطَيْنِ
مِنْ جَهْلٍ ؛ فإن أجهل لا يدفعه إلا الجهل . وقالوا : الجاهل من لا جاهل له .
وقال الشاعر :

إذا كنت بين الجهل والحلم قاعداً	وخيرت أئني شئت فالعلم أفضل
ولكن إذا أنصفت من ليس مصفاً	ولم يرض منك الحلم فالجهل أمثل
إذا جاءني من يطلب الجهل صمداً	فإني سأعطيه الذي هو سائل

الأصل :

مَا أَهْتَى أَمْرًا أَهْلْتُ تَعْدَهُ حَتَّى أَصِلَّ رَكَّتَيْنِ وَأَسْأَلَ اللَّهَ الْعَاقِبَةَ .

البُزْج :

هذا فتح لباب التوبة وتطريق إلى طريقها ، وتعليم للنهضة إليها والاهتمام بها ، ومعنى الكلام أن الذنب الذي لا يحل الإنسان عقبيه بالموت ينبغي للإنسان ألا يهتم به ، أي لا يقطع رجاءه من العفو وتأمله الفران ، وذلك بأن يقوم إلى الصلاة عاجلاً ، ويستغفر الله ، ويتوب ويحرم على ترك المعاودة ، ويسأل الله العافية من الذنوب والمعصية من المعاصي ، والعون على الطاعة ، فإنه إذا فعل ذلك نية صحيحة واستوفى شرائط التوبة سقط عنه عقاب ذلك الذنب .

وفي هذا الكلام تحذير عظيم من مواجهة الذنوب ، لأنه إذا كان هذا هو محصول الكلام ، فكأنه قد قال : الحذر الحذر من الموت المفاجئ قبل التوبة ، ولا ريب أن الإنسان ليس على ثقة من الموت المفاجئ قبل التوبة ، إنه لا يعاجله ولا يأخذه بعتة ، فالإنسان إذا كان عاقلاً بصيراً يتوق الذنوب والمعاصي غاية التوق .

الأصل :

وَسُئِلَ عَنْهُ السَّلَامُ : كَيْفَ يُحَاسِبُ اللَّهُ الْخَلْقَ عَلَى كَثْرَتِهِمْ ؟ فَقَالَ : كَمَا يَرْزُقُهُمْ عَلَى كَثْرَتِهِمْ .
 قِيلَ : كَيْفَ يُحَاسِبُهُمْ وَلَا يَرَوْهُ ؟ فَقَالَ : كَمَا يَرْزُقُهُمْ وَلَا يَرَوْهُ .

الشرح :

هذا جواب صحيح ، لأنه تعالى لا يزرُقُهُم على الترتيب ، أعنى واحداً بعد واحد ، وإنما يزرُقُهُم جميعهم دفعة واحدة ، وكذلك تكون محاسبتهم يوم القيامة .
 والجواب الثانى صحيح أيضاً ؛ لأنه إذا صح أن يزرُقنا ولا يرى الزارِق ، صح أن يحاسبنا ولا نرى المحاسب .
 فإن قلت : فقد ورد أنهم يَمَكُونُون في الحساب ألف سنة ؛ وقيل أكثر من ذلك ، فكيف يجمع بين ماورد في الخبر وبين قولكم : « إن حسابهم يكون ضربة واحدة » ؟
 ولا ريب أن الأحبار تدلّ على أن الحساب يكون لواحد بعد واحد .
 قلت : إن أخبار الأحاد لا يُعمل عليها ؛ لا سيما الأخبار الواردة في حديث الحساب والنار والجنة ، فإن المحدثين طعنوا في أكثرها ، وقالوا : إنها موضوعة ، وجملة الأمر أنه ليس هناك تكليف ، فيقال إن ترتيب المحاسبة في زمانٍ طويل جداً يتصنّف لطفاً في التكليف فيفعله النارى تعالى بذلك ، وإنما العرض من المحاسبة صدق الوعد وما سبق من القول ؛ والكتاب العزيز لم يطق إلا بحاسبة محمّية ، فوجب القول بالمتيقن المعلوم فيها ورفض ما لم يثبت .

(٣٠٧)

الأصل :

رَسُولُكَ تَرْجُو حَانَ عَقْلِكَ ، وَكِتَابُكَ أُنْذِعُ مَا يَسْطِقُ عَنْكَ .

الشرح :



قالوا في المثل : الرسول على قلب المرسل

وقيل أيضا : رسولك أنت ، إلا أنه إنسان يختر

وقال الشاعر :

تَحَيَّرَ إِذَا مَا كُنْتَ فِي الْأَمْرِ مَرِيلاً فَبِمَعَ آرَاءَ الرِّجَالِ رَسُولُهَا
وَرَوَّ وَفَكَّرَ فِي الْكِتَابِ فَإِنَّمَا مَاطَرُافَ أَقْلَامِ الرِّجَالِ عَقُولُهَا

الأصل :

مَا لُبَّتْكَ الَّذِي قَدْ أَشَدَّ بِهِ الْبَلَاءُ ، بِأُخْرَجَ إِلَى الدُّعَاءِ مِنَ الْمُعَانَى الَّذِي
لَا يَأْمَنُ الْبَلَاءُ .

الشرح :

هذا ترغيب في الدعاء ، والذي قاله عليه السلام حق ، لأنَّ للمعانى في الصورة مبطل في
المنى ، ومادام الإنسان في قيد هذه الحياة الدنيا فهو من أهل البلاء على الحقيقة ، ثم
لا يأمن البلاء الحسى ، فوجب أن يصرَّح إلى الله تعالى أنه يتقنه من بلاء الدنيا للمنوى ،
ومن بلائها الحسى في كل حال .

ولا ريب أنَّ الأدعية مؤثرة ، وأنَّ لها أوقات إجابة ، ولم يختلف المليون^(١)
والحكما في ذلك .

(١) في ١ : « أصطب اللؤلؤ »

(٣٠٩)

الأصل :

النَّاسُ أَشَاءُ الدُّنْيَا ، وَلَا يُلَامُ الرَّحُلُ عَلَى حُبِّ أُمِّهِ .

البرج :

قد قال عليه السلام في موضع آخر : « الناس كرماتهم ألقوا منهم بأبائهم » .
وقال الشاعر :

وَنَحْنُ بَنَى الدُّنْيَا غُذَيْنَا بِدَرَجَاتِهَا . وَجَا كُنْتُ مِنْهُ لَهْوَشِي . ^(١) مَجْبَى

(١) الفر : اللى ، والكلام على الاستعارة .

الأَسْلُ:

إِنَّ لِلْيَسْكِينِ رَسُولُ اللَّهِ ، مَنْ مَعَهُ فَقَدْ مَعَ اللَّهِ ، وَمَنْ أُعْطَاهُ فَقَدْ
أَعْطَى اللَّهُ .

* * *

الْيَسْرُ:

هذا حصرٌ على الصدقة ، وقد تقدّم لنا قولٌ مقصودٌ فيها .
وفي الحديث المرفوع : « اتقوا النار ولو بشق تمرة » ، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة .
وقال صلى الله عليه وآله : « مَنْ صَدَّقَ السَّائِلَ لَمْ أَمْلَحْ مَنْ رَدَّهُ » .
وقال أيضا : « مَنْ رَدَّ سَائِلًا حَاتِبًا لَمْ تَعَشْ لِلْآسِكَةِ ذَلِكَ الْبَيْتُ سَعَةً أَلَامٌ » .
وكان صلى الله عليه وآله لا يَكِلُ حَصَاتَيْنِ إِلَى غَيْرِهِ : كَانَ يَصْعَقُ طَهُورُهُ ^(١) بِالْأَيْلِ
وَيَحْمَرُّهُ ، وَكَانَ يَنَاولُ لِلْيَسْكِينِ يَدَهُ .

وقال بعض الصالحين : مَنْ لَمْ يَكُنْ نَفْسُهُ إِلَى ثَوَابِ الصَّدَقَةِ أَحْوَجَ مِنَ الْفَقِيرِ إِلَى
صَدَقَتِهِ ، فَقَدْ أَبْطَلَ صَدَقَتَهُ ، وَضَرَبَ بِهَا وَجْهَهُ .
وقال بعضهم : الصَّلَاةُ تَسْعُكَ نِصْفَ الْفَارِيقِ ، وَالصَّوْمُ يَسْلُكُكَ بَابَ الْمَلِكِ ، وَالصَّدَقَةُ
تُدْخِلُكَ عَلَيْهِ .

(١) الطهور : الماء الذي يطهر به . ويحمره : يحميه .

الأصل :

مَارَتِي غَيُورٌ قَطُّ .

الشرح :

قد جاء في الأثر : مَنْ رَى رُؤْيَاً لَهُ وَلَوْ فِي عَقِبِ عَقْبِهِ ،
وهذا قد حُرِّبَ فوحد حقاً ، وَقَالَ مَنْ تَرَى بِقَدَامَا عَلَى الرَّتَا إِلَّا وَالْقَوْلَ فِي حَرَمِهِ
وَأَهْلِهِ وَذَوِي مَحَارِمِهِ كَثِيرٌ فَاشِرٌ .
والسكلمة التي فالها عليه السلام حقاً ، لَأَنَّ مَنْ اعْتَادَ الزَّيْمَ حَتَّى صَارَ دُرَّتَهُ وَعَادَتَهُ
وَأَلْفَتَهُ بِهِ ، لَا يَدْرِي أَنْ يَهْوِيَ عَلَيْهِ حَتَّى يَغْتَنِيهِ مَسَاحٌ ، أَوْ كَالْمَسَاحِ ، لَأَنَّ مَنْ تَدَرَّبَ بِشَيْءٍ
وَمَرَّنَ عَلَيْهِ رَأَى قَبِيحَهُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَإِذَا رَأَى قَبِيحُ نَفْسِهِ لَمْ يَعْلَمْ عَلَيْهِ مَا يَقَالُ فِي
أَهْلِهِ ، وَإِذَا لَمْ يَعْلَمْ عَلَيْهِ مَا يَقَالُ فِي أَهْلِهِ ، فَقَدْ سَقَطَتْ عَيْبَتُهُ .

الأفضل .

كفى بالأحرى حارماً !

الشيخ :

قد تقدم القول في هذا المعنى .

وكان عليه السلام يقول *لنأخذ من الفتاحات* ^(١) حصينة ، فإذا جاء يومى أسلمنى !

حينئذ لا يطيش التهم ولا يبرأ السكتم .

والقول في لأحل وكونه حارماً شعبة من شُعب القول في القصاص والقدر ، وله موضع

هو أملاك به ^(٢) .

(١) الحجة ماضية : كل ما وقع .

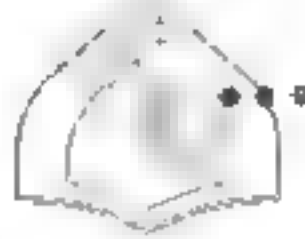
(٢) ١ : أول به .

(٣١٣)

الأمنل :

يَمَامُ الرَّجُلُ عَلَى الشُّكْلِ ، وَلَا يَدَمُ عَلَى سُخْرِبِ .

قَالَ السَّيِّدُ : وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ بَعْسِيرٌ عَلَى قَتْلِ الْأَوْلَادِ ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى سَلْبِ الْأَمْوَالِ .



الْبَيْزُج :

كان يقال : المال يعدل النفس .

وَفِي الْأَثَرِ أَنَّ مَنْ قُتِلَ مِنْ دُونِ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ .

وقال الشاعر :

لَمَّا إِبِلٌ عَرَى بِصِيقٍ فَصَلَّوْهَا وَبَعَرَ عَمَّا أَرْضُهَا وَسَمَاوْهَا
فَرِ دُونِهَا أَرِ تَسْلَاحَ دِمَاوْهَا وَمِنْ دُونِهَا أَنْ تُتْلَاحَ دِمَاوْهَا
حَتَّى وَفَرَى فَاَلْمُوتَ دُونَ سَرَامِهَا وَأَبْسَرَ أَمْرَ يَوْمٍ حَقَّ فَمَاوْهَا

الأصل :

مَوَدَّةُ الْآثَاءِ قَرَابَةٌ بَيْنَ الْأَنْبَاءِ ، وَلِقَرَانَةُ أَحْوَجُ إِلَى الْمَوَدَّةِ مِنَ الْمَوَدَّةِ
إِلَى الْقَرَانَةِ .

البرج :

كان يقال : الحبُّ يُتوارثُ ، والبغضُ يُتوارثُ .
وقال الشاعر :

أَتَى الصَّغَانِيَّ آثَاءً لَسْتُ بِمُؤَدِّ قُلُوبٍ تَبِيدَ وَالْآثَاءُ أَثَاءُ

ولا خير في القرابة من حون مودة .

وقد قال القائل لما قيل له : أبنا أحبُّ إليك ؟ أم صديقك ؟ فقال : إنما أحبُّ
أخي إذا كان صديقا .

فالتقربى محتاجة إلى المودة ، والمودة مستعينة عن القربى ^(١) .

الأصل .

أَتَقُوا ظُنُونَهُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَسَّ الْخَلْقَ عَلَى السِّتَرِ .

الشرح :

كان يقال : ظَنُّهُ لِلْمُؤْمِنِ كَهَانَةٍ .

وهو أثرٌ جاء عن بعض السلف .

قال أوس بن حجر ^(١) :

الألمى الذى يَظُنُّ ^(٢) بك الظن كلُّه قد رأى وقد سمع ^(٣)

وقال أبو الطيب ^(٤) :

دَكِيٌّ تَطْلِيهِ طَلِيعةٌ عَمِيَّةٌ يَرَى قَلْبَهُ فى يومٍ ما يرى حدًّا ^(٥)

(١) ديوانه ٥٣

(٢) الديوان : « لك » .

(٣) الألمى : الحديد اللسان والقلب ؛ قال فى الكامل :

« وقد أبانه بقوله : « الذى يظن بك الظن » . (٤) ديوانه ١ : ٢٨٢

(٥) التلى : هو الظن ، قلت النون الثانية «ة» . والعمية : التى يطلع القوم على العدو فإذا جاهدوا العدو .

الأفضل :

لَا يَصْدُقُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَكُونُ يَمًا فِي يَدِ اللَّهِ سُجَّانَهُ أَوْ تَوَكَّلَ مِنْهُ يَمًا
فِي يَدِهِ .

الْبَزَج :

هذا كلام في التوكل ، وقد سبق بقول فيه .
وقال بعض العلماء : لَا يَشْفُكَ الْمُصْمُونُ لَكَ مِنَ الرِّقِّ عَنْ الْمَعْرُوضِ عَلَيْكَ مِنَ
الْعَمَلِ ، فَصَيِّحْ أَمْرًا آخَرَ لَكَ ، وَلَا تَدْنِ مِنَ الدُّيَا إِلَّا مَا كَسَبَ اللَّهُ لَكَ .
وقال يحيى بن معاذ في حود^(١) العبد : الرِّقُّ عَنْ غَيْرِ عِلَّةٍ عَلَى أَنَّ الرِّقَّ
مَأْمُورٌ بِطَلَبِ الْعَبْدِ .
وقال بعضهم : متى رصيتَ بالله وكيلا ، وحدتَ إلى كلِّ خير مبيلا^(٢) .

(٢) راد بيلعافى ا : « واسجأ » .

(١) ز ب : « وحود » تحريف .

وقال عليه السلام لأبي مالك ، وقد كان نعتُهُ إلى طلحة والزبير لما جاء إلى
البصرة يُدَّكَّرُهَا شَيْئًا قَدْ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي مَسَاهِمَا ، فَوَيَّ
عَنْ ذَلِكَ فَرَحَجَ ، فقال : إني أنييتُ ذلكَ الأمرَ ، فقال عليه السلام :
إِنْ كُنْتَ كَادِمًا فَصَرْنِكَ اللَّهُ بِهَا بَيَاضَ لَابِنَةِ لَا تُورِثُهَا الْعِمَامَةُ

قال : سمى البرص ، فَنَصَبَ نَبَاَ هَذَا الدَّاءِ فَمَا تَعَدُّ وَجْهَهُ ، فَكَانَ لَا يَرَى
إِلَّا مُتَرَقِّعًا .

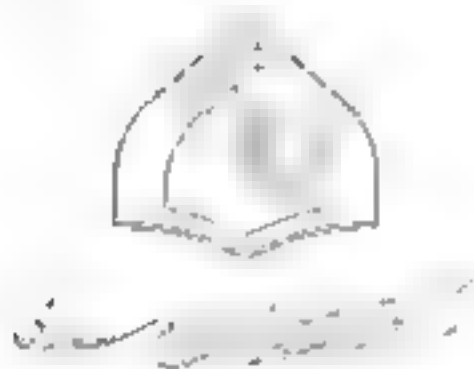
الْبُخْرُج :

المشهور أنَّ عليا عليه السلام ما شدَّ أساسُ نَبَاٍ فِي الرِّحَةِ بِالكُوفَةِ ، فقال أشدُّكُمْ
اللهَ رَحَلًا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ وَهُوَ مُصْرَفٌ مِنْ حَبَّةِ الْوَدَاعِ :
« مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَى مَوْلَاهُ ، أَنَّهُمْ قَالُوا مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ! فقام رجال
فشهدوا بذلك ، فقال عليه السلام لأبي مالك : لقد حُفِرَتْهَا ، فَمَا بَالُكَ أَفَقَالَ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَبُرَتْ سَيِّئًا ، وَصَارَ مَا نَسَاهُ كَثْرًا أَدَكَرَهُ ؟ فقال له : إِنْ كُنْتَ
كَادِمًا فَصَرْنِكَ اللَّهُ بِهَا بَيَاضَ لَابِنَةِ لَا تُورِثُهَا الْعِمَامَةُ ، ثُمَّ مَاتَ حَتَّى أَصَابَهُ الْبَرَصُ .

فَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ الرَّصِيّ مِنْ أَنَّهُ نَعَتْ أَسَاسًا إِلَى صَبْحَةِ الزَّيْرِ هَبِيرٌ مَعْرُوفٌ ، وَلَوْ كَانَ
قَدْ نَعَتْ لَيْدَ تَرْهَامَا نِكْلَامٍ يَحْتَمِنُ مَهْمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَا أَمَكَّهُ أَنْ

يرجع ، فيقول : إني أسيئه ، لأنه ما عارقه متوجها نحوها إلا وقد أقر بعمرته وذكره ، فكيف يرجع بعد ساعة أو يوم فيقول : إني أسيئه ، فيفكر بعد الإقرار ! هذا مما لا يقع .

وقد ذكر ابن قتيبة حديث البرص ، والدعوة التي دعا بها أمير المؤمنين عليه السلام على أنس بن مالك في كتاب " المعارف " في باب البرص ^(١) من أعيان الرجال ، وابن قتيبة غير متهم في حق علي عليه السلام ، على المشهور من أبحرافه عنه .



الأصل :

إِنْ لِلْقُلُوبِ إِقْبَالًا وَإِدَارًا ، فَإِذَا أَقَلَّتْ فَاحْمِلُوهَا عَلَى التَّوَاقِلِ ، وَإِذَا
أَذْبَرَتْ فَاقْتَصِرُوا بِهَا عَلَى الْمَرَائِصِ .

الشرح :

لا ريب أن القلوب تمل كما تمل الأبدان ؛ وتُحِيل تارةً على العلم وعلى العمل ، وتُدِير
تارةً عنهما .

قال علي عليه السلام : فإذا رأيتها مقلّة أي قد شطت وارتاحت للعمل فاحملوها
على التواقل ؛ ليس يعني اقتصروا بها على السائلة ، بل أدوا العريضة وتغنّوا بعد ذلك .
وإذا رأيتها قد ملّت العمل وسئمت فاقصروا بها على المرائص ، فإنه لا انتفاع بعمل
لا يحضر القلب فيه .

(٣١٩)

الأصل :

في القرآن نأ ما قنتكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما يبتكم .

البنخ :

هذا حق ؛ لأن فيه أحبار القرون الماضية ، وفيه أحبار كثيرة عن أمور مستقلة ، وفيه
أحبار كثيرة شرعية ؛ فالأقسام الثلاثة كلها موحدة فيه .

كتاب التفسير

الأصل :

رُدُّوا الْحَجَرَ مِنْ حَيْثُ حَاءٌ ، فَبِنُ الشَّرِّ لَا يَدْفَعُهُ إِلَّا الشَّرُّ .

• • •

التبنيح :

هذا مثل قوم في المثل : إن الحديد بالحديد يُملّح وقار تمحروا كنتم .

أَلَا لَا يَحْتَمِنُ أَحَدٌ عِلْمًا فَتَحِيلَ هُوَ حِيلِ الْخَاطِلِ^(١)

وقال العبد الزماني :

فَلَمَّا صَرَّحَ الشَّرُّ فَأَمْسَى وَهُوَ غُرْبَانُ^(٢)

وَلَمْ يَسْقَ يَوْمَ الْعُدَا بِرِ دِيَّاهُمْ كَمَا ذَانُوا

وَبِمَنْ الْجِلْمُ عِنْدَ الْجَهْلِ لِلدَّلَّةِ بِدْعَانِ

وَالشَّرُّ نَحَاةً حِينَ لَا يَحِيكَ إِحْسَانُ

وقال الأحف :

وَدِي حِمٌّ أَمَّتَ الْقَوْلَ عَنْهُ يَحِلِّي فَاسْتَمَرَ عَلَى الْقَالِ

وَمَنْ يَحْكُمُ وَلَيْسَ لَهُ سَمِيَّةٌ يُبْلَقِ الْعَصَلَاتِ مِنَ الرِّجَالِ

(١) من لعلقة ص ٣٢٣ بشرح اندري (٢) ديوانه ١ : ٢٣ - ٢٦ - بشرح اندري

قال في حرب البسوس .

وقال الراجز:

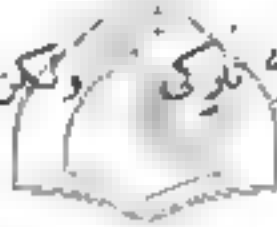
لا بد للسودد من أرماجٍ ومن غدير يقي بالراحِ
• ومن سفير دائم الثباح •

وقال آخر:

ولا يلبث الجهال أن يهضموا أبا الحلم ما لم يستعين بجهولٍ

وقال آخر:

ولا أتمنى الشر والشر تاركى ولكن متى أحمل على الشر أركب



مكتبة جامعة القاهرة

الأصل :

وقال عليه السلام لِكَاتِبِهِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ :
 أَلَيْقَ دَوَاتِكَ . وَأَطْلُ حِمَّةَ قَلَمِكَ ، وَفَرِّجْ بَيْنَ السُّطُورِ ، وَقَرِّمِطْ بَيْنَ الْحُرُوفِ
 فَإِنَّ ذَلِكَ أَجْدَرُ بِصَبَاحَةِ الْخَطِّ .

الْبَرْخُ :

لَاقَ الْحَرُّ بِالْكَاعِدِ يَأْبِقُ ، أَيْ أَلْتَصِقَ ، وَيَقْنَهُ أَنَا يَتَمَدَّى وَلَا يَبْتَدِئُ ، وَهَذِهِ دَوَاةُ
 مُلِيقَةٍ : أَيْ قَدْ أَصْبَحَ مَدْلَاهَا ، وَجَاءَ أَلَيْقَ الدَّوَاةِ . لَاقَةٌ هِيَ مُلِيقَةٌ ، وَهِيَ لَمَةٌ قَلِيلَةٌ وَعَلَيْهَا
 وَرَدَتْ كَلِمَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَيُقَالُ لِلرَّأَةِ إِذَا لَمْ تَحْطُ عَدَ رُوحَهَا : مَا عَاتَتْ عَدَ زَوْجِهَا وَلَا لَاقَتْ ، أَيْ
 مَا أَلْتَصَقَتْ بِقَابِهِ .

وَتَقُولُ : هِيَ حِمَّةُ الْقَلَمِ بِالْكَسْرِ ، وَأَصْلُ أَحْمَفُ الْقَشْرُ ، حَلَفْتُ الْعَيْنَ مِنْ رَأْسِ الدُّنَى ،
 وَالْجِلْدَانَةُ هَيْئَةُ فَتْحَةِ الْقَلَمِ الَّتِي يَسْتَعِدُّ بِهَا اِلْدَادُ ، كَمَا تَقُولُ : هُوَ حَسَنُ الرَّكْنَةِ وَالْجِلْسَةِ وَنَحْوِ
 ذَلِكَ مِنَ الْهَيْئَاتِ .

وَتَقُولُ : قَدْ قَرِّمِطَ فُلَانٌ حَطْوَهُ إِذْ مَشَى مَشْيًا فِيهِ حَيْقٌ وَتَقَارُبٌ ؛ وَكَذَلِكَ التَّمُولُ
 فِي تَصْبِيقِ الْحُرُوفِ .

فَأَمَّا التَّفَرِيجُ بَيْنَ السُّطُورِ فَيُكْسَبُ الْخَطُّ بِهَا ، وَوَضُوحًا .

الأصل :

أما يَعْصُوبُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالَّذِلُ يَعْصُوبُ الْفَجَّارِ .

وقال : مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَذْمُونَنِي ، وَالْفَجَّارَ يَتَّعُوبُونَ الْمَالَ ؛ كَمَا تَذَمُّعُ
النَّحْلُ يَعْصُوبَهَا ، وَهُوَ رَئِيسُهَا .

الشرح :

هذه كلمة قالها رسول الله صلى الله عليه وآله لمعطين مختلفين ، تارة : « أنت
يعصوب الدين » وتارة : « أنت يعصوب المؤمنين » ، والكل راجع إلى معنى واحد ،
كأنه جملة رئيس المؤمنين وسيدهم ، أو حمل الدين يذمه ، ويقفوا أثره ؛ حيث سلك كما
يتبع النحل العصوب .

وهذا نحو قوله : « وأدير الحق معه كيف دار » .

الأصل :

وقال لبعض اليهود حين قال له : مادَقْتُمْ نَبِيِّكُمْ حَتَّى اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ ؟
 فقال له :

إِنَّمَا اخْتَلَفْنَا عَنْهُ لَا فِيهِ ؛ وَلَكِنَّكُمْ مَا جَعَلْتُمْ أَرْجُلَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ حَتَّى
 قُلْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ : ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَالَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ آلِهَةٌ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

البيان :

ما أحسن قوله : « اختلطنا عنه لا فيه » ، وذلك لأن الاختلاف لم يكن في التوحيد
 والنسوة ؛ بل في فروع حارجة عن ذلك ، نحو الإمامة والبراث ، والاختلاف في الزكاة
 هل هي واجبة أم لا ؛ واليهود لم يحتجوا كذلك ، بل في التوحيد الذي هو الأصل .

قال المفسرون : سرُّوا على قوم يعبدون أصنام لم على هيئة البقر ؛ فألوا موسى أن يجعل
 لهم إلهاً كواحد منها ، بعد مشاهدتهم الآيات والأعلام ، وحلاصهم من رق العبودية ،
 وعبورهم البحر ، ومشاهدة غرق فرعون ؛ وهذه غاية الجهل .

وقد روى حديث اليهودي عن وجه آخر ؛ قيل : قال يهودي لعلي عليه السلام :
 اختلفتم بعد نبيكم ولم يحفّ ماؤه - يعني صلى الله عليه وآله - فقال عليه السلام :
 وأنتم قلتم : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ولما يحفّ ماؤكم .

الأصل :

وَقِيلَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : بَأَى شَيْءٍ غَسَّتَ الْأَقْرَانُ ؟ قَالَ :
مَا لَقِيتُ أَحَدًا إِلَّا أَعَانَنِي عَلَى نَفْسٍ .

* * *

قَالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ نَعْنَى : بِجُورٍ بِذَلِكَ إِلَى تَمَكُّنِ هَيْبَتِهِ فِي الْقُلُوبِ .

* * *

الشرح :

قالت الحكماء : الوم مؤثر ، وهذا حق ، لأن المريض إذا تقرر في وهمه أن سره قاتل له رُبَّمَا هَلَكَ بِالْوَمِّ ، وَكَذَلِكَ مَنْ تَلَسَّبَ الْحَيَّةُ ؛ وَيَقَعُ فِي حَيَالِهِ أَنَّهَا قَاتِلَتُهُ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَكَادُ يَسْلَمُ مِنْهَا ، وَقَدْ ضَرَبُوا لِنَفْسِكَ مَثَلًا ، الْهَامِي عَلَى جَذَعٍ مَدْرُوضٍ عَلَى مَهْوَاةٍ ؛ فَإِنْ وَهَمَ وَتَحَيَّلَ السَّقُوطُ يَقْتَضِي سَقُوطَهُ ؛ وَالْإِفْشِيهِ عَلَيْهِ وَهُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَهْوَاةِ كَشْيِهِ عَلَيْهِ وَهُوَ مَلْقَى عَلَى الْأَرْضِ ؛ لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا إِلَّا الْوَمُّ وَالْخَوْفُ وَالْإِشْفَاقُ وَالْحَدَرُ ، فَكَذَلِكَ الَّذِينَ بَارَزُوا عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْأَقْرَانِ ؛ لَمَّا كَانَ قَدْ طَارَ صَيْتُهُ ، وَاجْتَمَعَتِ الْكَلِمَةُ أَنَّهُ مَا بَارَزَهُ أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لِلْقَتُولِ ، غَلَبَ الْوَمُّ عَلَيْهِمْ ، فَقَصُرَتْ أَنْفُسُهُمْ عَنْ مَقَاوِمِهِ ، وَانْخَذَلَتْ أَيْدِيهِمْ وَجَوَارِحُهُمْ عَنْ مَنَاصِئِهِ ؛ وَكَانَ هُوَ فِي الْغَايَةِ الْقَصْوَى مِنَ الشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ ، فَيَقْتَحِمُ عَلَيْهِمْ وَيَقْتُلُهُمْ .

الأصل :

وقال عليه السلام لابنِ محمد بنِ الحنفية :
 يَا نَفْسُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ الْفَقْرَ ؛ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْهُ ، فَإِنَّ الْفَقْرَ مَقْصَعَةٌ لِلذُّيُنِ ، مَذْهَبَةٌ
 لِلْعَقْلِ ، دَاعِيَةٌ لِلنَّفْسِ .

الشرح :

[يَتَذَكَّرُ مِنَ الْأَقْوَالِ الْحَكِيمَةِ فِي الْفَقْرِ وَالْمَنَى]

هذا موضع قد اختلف الناس فيه كثيرا ، فصل قوم المنى ، وفضل قوم الفقر .
 فقال أصحاب المنى : قد وصف الله تعالى المال ، فسماه حيرا ، فقال : ﴿ إِنِّي أُحِبُّتُ
 حُبَّ الْغَيْرِ مِنْ ذِكْرِ رَبِّي ﴾ ^(١) .
 وقال ممتنا على عباده ، واعداء لهم بالإصمام والإحسان : ﴿ وَيُذَكِّرْكُمْ بِأَمْوَالِكُمْ
 وَبَنِينَ ﴾ ^(٢) .

وقال : ﴿ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴾ ^(٣) .

وقال النبي صلى الله عليه وآله : « المال الحسب ، إن أحبب أهل الدنيا هذا المال » .
 وقال عليه السلام : « نعم العون على تقوى الله طال » .

(٢) سورة نوح ١٢

(١) سورة م ٣٢

(٣) سورة الممت ١٢ .

قلوا : ولا ريب أن الأعمال الجسيمة العظيمة الثواب لا يتهيأ حصولها إلا بالمال ؛ كالخج والوقوف والصدقات والركوات والجهاد .

وقد جاء في الخبر : « خير المال سكة مأبورة »^(١) أو مبرة مأبورة .

وقالت الحكماء : المال يرفع صاحبه وإن كان وضع النسب ، قليل الأدب ، وينصره وإن كان حيانا ، ويسط لسانه وإن كان عيا ، به توصل الأرحام ، وتصل الأعراض ، وتظهر المروءة ، وتتم الرئاسة ، ويعمر العالم ، وتبلغ الأعراض ، وتدرك المطالب ، وتسال المآرب ؛ يملك إذا قطعك الناس ، ويصرك إذا حذوك ، ويستعبد لك الأحرار ، ولولا المال لما بان كرم الكرم ، ولا ظهر قوم الشيم ، ولا شكر جواد ، ولا دُم بحيل ، ولا صين حريم ، ولا أدرك نسيم .

وقال الشاعر :

المسال أنفع لفق من عليه والفقر أقتل لفق من جهله
ماض من رفع الدرام قدره جل ينط إلى دماء أصله

وقال آخر :

دعوت أخى فولى مشترا ولقي درهمي تسادعوت

وقال آخر :

ولم أر أوفى ذمة من دراهمي وأصدق عهدا في الأمور العظام
فكم خانت خل وقت بمهده وكان صديقا لي زمان الدرام

وقال آخر :

أبو الأصفر المنقوش أنفع لفتي من الأصل والعلم الخطير انقذ

(١) السكة : الطريقة . ولأبورة : المتعة . وانظر نهاية ابن الأثير ١ : ١٠

وما مدح العلم امرؤٌ ظفرت به بده ولكن كلُّ ثَقَوٍ وسعده

وقال الشاعر :

ولم أر بعد الدين خيراً من العي ولم أر بعد الكفر شرّاً من الفقر

وقال العتّاق : الناس لصاحب المال ألوم من الشعاع للشمس ؛ وهو عديم
أرفع من السماء ، وأعذب من الماء ، وأحلى من شهد ، وأركى من الورد ؛ حطّوه
صواب ، وسبّته حسنة . وقوله مقبول ، يُعشى محله ، ولا يَمَلّ حديثه ، والمثلث
عندهم أكذب من لسان السراب ، ومن رؤيا الكيفيّة ، ومن مرآة اللقوة ، ومن سحب
تَمُور ، لا يسأل عنه إن غاب ، ولا يسمّ عليه إذا قدم ؛ إن غاب شموه ، وإن حصر
طرده . مصاحته تنقص الوضوء ، وقراءته تقطع الصلاة ، أثقل من الأمانة ، وأبعس
من السائل المبرم .

وقال بعض الشعراء الطرفاء ، وأحسن كل إحسان مع حلاوته :

أصون دراهمي وأدب عنها	يعني أنها سبي وتزني
وأدحرها وأحمها بمهدي	ويأخذ وارثي منها وعزني
في كلِّها وبشرها هينا	على التبعات من نقر وحن
ويقعد فوق قبري بعد موتي	ولا يتصدقن عني بملس
أحبّ إليّ من قصدي عطيا	كبير أصله من عبد شمس
أمدّ إليّ كفى مستعجلاً	وأصبح عند خدمه وأميس
ويتركى أحرّ زجّل مني	وقد صارت كنفس الكلب نفسي

وقال أصحاب الفقر : المعنى سبب الطغيان ، قال الله تعالى : ﴿ كَذَّابٌ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا أُنْمِتْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أُغْرِضَ وَتَأَى بِجَانِبِهِ ﴾ (٢) .
وكان يقال : المعنى يورث النطر ، وغنى النفس خيرٌ من غنى المال .
وقال محمود النقال :

الفقر خيرٌ فأتبع و... إن من البصاة ألا تحذ
كم واجد أسد وحده عناه في بعض ما يرد
ومدمن للحمر غادر على سماع عسود وعاء غرد
لو لم يحذ حراً ولا شمساً برد بالماء غليل الكيد
كم من يد للفقر عند مري طاطاً منه الفقر حتى اقتصد
وكان يقال : الفقر شعار الصالحين ، والفقر لباس الأبياء .

ولذلك قال البحترى :

فقر كعقر الأبياء وغربة وصباة ليس اللام بواحد (٣)
وكان يقال : الفقر يخفف ، والمعنى منقل .
وفي الخبر : نجاة الخفقون .

وما أحسن قول أبي التمايم :

ألم تر أن الفقر يرحى له لغى وأن الغنى يحشى عليه من الفقر
وقد ذم الله تعالى المال ، فقال : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ (٤) .

(٢) سورة الإسراء ٨٣

(٤) سورة الأهل ٢٨

(١) سورة العلق ٦ ، ٧

(٣) ديوانه ١ : ١٦٨

وكان يقال : المال ملول المال ، ميتال المال عائد ورائع ، طبع المال كطبع الصبي ،
لا يوقف على وقت رصاه ، ولا وقت سخطه . لس لا ينفعك حتى يمارقك .

والى هذا المعنى نظر القائل :

وصاحب صدق ليس ينفع قربه ولا وده حتى تمارقه غداً
- يعنى الدينار .

وما أحسن ماقاله الأول :

وقد يهلك الإنسان حسن ريشه كما يذبح الطؤس من أجل ريشه
وقال آخر :

رؤيدك إن المال يهلك ربه إذا جم واستمل وسد طريقه
ومن جاوز المساء العزير فمجه وسد طريق المساء فهو غريقه

الأصل

وقال لسائل سأله عن مسألة .

سَلْ تَعْقِبًا ، وَلَا تَسْأَلْ تَعَثًّا ؛ فَإِنَّ أَجَاهِلَ الْمُتَعَلِّمِ شَبِيهُ يَالْعَالِمِ ، وَإِنَّ الْعَالِمَ
الْمُتَعَثِّ شَبِيهُ يَاجَاهِلٍ .

البيان :

قد ورد ههنا كثير من السؤال على طريق الإعبات

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له . من حق العالم ألا تكثر عليه بالسؤال ،
ولا تُعَيِّته في الجواب ، ولا تصع له مصائب المسائل ، ولا تلج عليه إذا كسل ، ولا تأخذ
شوبه إذا بهس ، ولا تُفْشِرَ له سرًّا ، ولا تفتن عنده أحدًا ، ولا تنقن إليه حديثًا ،
ولا تظلم عثرته ، وإن زلّ قبضت معدنته ، وعيبك أن توقره وتُعْظِمْه في مادام حافظًا
أمر الله ، ولا تحس أمامه ، وإذا كانت له حاجة فاسبق أصحابك إلى خدمته .

وقال ابن سيرين لسائل سأله . سَلْ أَهْلَكَ بِإِلَهِسَ ، إِنَّكَ لَنْ تَسْأَلَ وَأَنْتَ
مُطَالِبٌ رَشِدٌ .

وقالوا : اللهم إنا نعوذ بك أن نُعَيِّتَ كما نعوذ بك أن نُعَمِّتَ ، ونستكفيك أن
تُفْصَحَ ، كما نستكفيك أن تُفْصَحَ .

وقالوا : إذا آس المعلم من التليذ سؤال التعمت حرّم عليه تعليمه .

الأصل :

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعَسْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ فِي شَيْءٍ
لَمْ يُوَافِقْ رَأْيَهُ :
لَكَ أَنْ تُشِيرَ عَلَيَّ وَأَرَى ، فَإِذَا عَصَيْتُكَ فَذُحِّنِي .

الشرح :

الإمام أفصل من الرعية رأياً وديناً ، فالواجب على من يشير عليه تأمر فلا يقبله
أن يعلم وسلم وبعلم أن الإمام قد عَرَفَ من المصلحة ما لم يعرف .
ولقد أحسن العباسي في قوله في بعض روايته : ولولا فصل الرعاة على الرعايا في
تقدير مطرح النظرة ، واستشفاف عيب العاقبة ، لتسوت الأقدام ، وتقاربت الأقدام ، واستغنى
اللامم عن الإمام .

الأصل :

وَرُوي أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا وَرَدَ الْكُوفَةَ قَادِمًا مِنْ صِفِّينَ مَرًّا بِالشَّامِيِّينَ ،
فَسَمِعَ نُكَاءَ النِّسَاءِ عَلَى قَتْلِ صِفِّينَ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ حَرْبُ بْنُ شَرَحْبِيلَ الشَّامِيُّ ؛
وَكَانَ مِنْ وَجُوهِ قَوْمِهِ ، فَقَالَ لَهُ : أَبَيْدُكُمْ نِسَاؤُكُمْ عَلَى مَا أَسْعُ ! أَلَا تَنْهَوْتَهُنَّ
عَنْ هَذَا الرَّئِينِ !

وَأَقْبَلَ حَرْبُ يَمْشِي مَعَهُ وَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَاكِبٌ ، فَقَالَ لَهُ : ارْجِعْ فَإِنَّ مَشْيَ
مِثْلِكَ مَعَ مِثْلِ فِتْنَةِ لُؤَالِي وَمِثْلَةِ الْمُؤْمِنِ .

الشرح :

قد ذكرنا سبب الشاميين فيما اتصفتوا من أخبار صِفِّينَ في أول الكتاب .
والرئين : الصوت ، وإنما جله فتنة لؤالي لما يتداخله من العُجب بنفسه
والزُّهو ، ولا ريب أيضا في أنه مذلة للمؤمن ، فإن الرجل الملائى إلى ركاب الفارس
أذل الناس .

الأصل :

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ مَرَّ بِقَتْلِ الْخَوَارِجِ يَوْمَ النُّهْرَوَانِ :
 بُؤْسًا لَكُمْ ! لَقَدْ ضَرَّكُمْ مَنْ عَرَّكُمْ .
 فَقِيلَ لَهُ : مَنْ غَرَّمَهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟
 قَالَ :

الشَّيْطَانُ الْمُبِيلُ ، وَالنَّفْسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ ؛ غَرَّهُمْ بِالْأَمَانِيِّ ، وَفَسَّحَتْ لَهُمْ
 فِي الْمَعَامِيِّ ، وَوَعَدَتْهُمْ الْإِظْهَارَ ؛ فَاقْتَحَمَتْ يَوْمَ النَّارِ .

•••

الشرح :

يُقَالُ : بُؤْسَى لَرِيْدٍ وَبُؤْسًا «بِالتَّوْنِ» لَرِيْدٍ ، فَبُؤْسَى نَفْلِيْرُهُ بُؤْسَى ، وَبُؤْسًا نَفْلِيْرُهُ نَمَّةٌ ،
 يَنْتَقِصُ عَلَى الْمَصْدَرِ .

وَهَذَا الْكَلَامُ رَدٌّ عَلَى الْحُبَّةِ ، وَتَصْرِيْحٌ بِأَنَّ النَّفْسَ الْأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ هِيَ الْفَاعِلَةُ .
 وَالْإِظْهَارُ : مَصْدَرٌ ، أَظْهَرْتَهُ عَلَى زَيْدٍ ، أَيْ حَمَمْتُهُ ظَاهِرًا عَلَيْهِ عَالَمٌ ، أَيْ وَعَدْتُهُمُ
 الْإِتْقَانُ وَالظَّفَرُ .

(٣٣٠)

الأصل :

اتَّقُوا مَعَاصِيَ اللَّهِ فِي أَخَوَاتٍ ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْحَاكِمُ .

الشرح :

إذا كان الشاهد هو الحاكم استغنى عن شهود غيره ؛ فالإمام إدرن حدير أن يثق بالله حق ثقته ، لأنه تعالى الحكيم فيه وهو الشاهد عليه^(١) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الأصل :

وقال عليه السلام لما بلغه قتل محمد بن أبي بكر رضي الله عنه :
 إِنَّ حَزَنًا عَلَيَّ عَلَى قَدَرِ سُورِهِمْ بِهِ ، إِلَّا أَنَّهُمْ يُقْصُوا بَعْضًا ؛
 وَنُقِصْنَا حَبِيبًا .

الشرح :

قد تقدم ذكر مقتل محمد بن أبي بكر رضي الله عنه .

وقال عليه السلام : إن حزننا به في العظم من قدر فرحهم به ؛ ولكن وقع
 التفاوت بيننا وبينهم من وجه آخر ؛ وهو أن نقصنا حبيبنا إلينا ، وأما هم فنقصوا
 بعضنا إليهم .

فإن قلت : كيف نقصوا ، ومعلوم أن أهل الشام ما نقصوا بقتل محمد شيئا لأنه ليس
 في عددهم !

قلت : لما كان أهل الشام يعدون في كل وقت أعداءهم وخصائهم من أهل العراق ،
 وصار ذلك العدد معلوما عندهم محصور الكمية ، نقصوا بقتل محمد من ذلك العدد واحدا ،
 فإن النقص ليس من عدد أصحابهم ، بل من عدد أعدائهم الذين كانوا يترقبون منهم
 اللواتر ، ويتمنون لهم الخطوب والأحداث ، كأنه يقول : استراحوا من واحد من
 جملة جماعة كانوا ينتظرون موتهم .

(٣٣٢)

الأصل :

وقال عليه السلام : العُر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم سِتُونَ سَنَةً .

البرزخ :

أعذر الله فيه ؛ أي سَوَّغ لابن آدم أن يَعْتَذِر ، يعني أن ما قبل السَّتين هي أيام الصِّبا والشَّبابة والكُهولة ، وقد يُمكن أن يُعذر الإنسان فيه على اتباع هَوَى النفس لعلَّة الشهوة ، وشرِّه الخدائَة ، فإذا تَجَاوَز السَّتين دَخَلَ في سِنِّ الشَّيْخُوخَة ، وذهبت عنه غُلُوَاء شَبَابِهِ ، فلا عُذْرَ له في الجهل .

وقد قالت الشعراء نحو هذا المعنى في دُون هذه السَّن التي عَتَبَهَا عليه السلام .

قال بعضهم :

إذا ما المرء قَصَّرَ نَمَّ مَرَّتْ عليه الأربعونَ عن الرجالِ
ولم يَدْحَقْ بِصَالِحِهِمْ فَدَغَسَهُ فإيسَ يَلَا حِقَّ أُخْرَى اللَّيَالِي

(٣٣٣)

الأصل :

ما ظفر من طفر الإثم به ، والعالب بالشر مغوب .

البنخ :

قد قال عليه السلام نحو هذا ، وذكرناه في هذا الكتاب من قتر في الخسومة ظلم ،
ومن بالغ فيها أثم .

الشيخ محمد بن عبد الله

الأمثلة :

إن الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أفوات الفقراء ، فما جاع فقيرٌ إلا بما مُتّع به غنيٌّ ، والله تعالى سائلهم عن ذلك .

الشرح :

قد تقدم القول في المدقة وفضلها وما جاء فيها .

وقد ورد في الأخبار الصحيحة أن أبا ذرٍّ قال : أثبت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو جالس في ظل الكعبة ، فمَرَّ رَأْيِي قال : هم الأحسرون ورب الكعبة اقلَّت : مَنْ ؟ قال : هم الأكثرون أموالاً ، إلا مَنْ قال هكذا وهكذا من بين يديه وبين خلفه وعن يمينه وعن شماله ، وقليل ما هم ، ما من صاحب إبل ولا قر ولا غنم لا يؤدي ركاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمه ، تنقطع بقرونها ، وتطأ باطلافاً ، كلما نفدت أخراها عادت عليه أولها حتى يقضى الله بين الناس ..

الأضل :

الاستغناء عن العذر ، أعز من الصدق به .

البنج :

رَوَى «خير من الصدق» ، والمعنى : لا تفعل شيئاً تعتذر عنه وإن كنت صادقاً في العذر ، فإلا تفعل حبراً لك وأعز لك من أن تفعل ثم تعتذر وإن كنت صادقاً .
وَمِنْ حِكْمِ أَرْ لَلْعَر : لَا يَقُومُ عِزُّ الْمَصِيبِ بِدَلِّ الْعُتْدَارِ .
وَكُلُّ بَقَال : إِيَّاكَ أَرْ تَقُومُ فِي مَقَامِ مُعْذِرِهِ ، فَرُبَّ عَذْرِ أَسْعَلَ بِدَنِّ صَاحِبِهِ .
اعْتَذَرَ رَحْلٌ إِلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ ، فَقَالَ لَهُ : ذَلِكَ يَسْتَعِثُّ مِنْ عَذْرِكَ .
وَمِنْ كَلَامِهِمْ : مَا رَأَيْتُ عُدْرًا أَشْبَهَ بِدَنِّ مِنْ هَذَا .
وَمِنْ كَلَامِهِمْ : أَصْرُهُ عَلَى ذَنْبِهِ مِائَةٌ ، وَأَصْرُهُ عَلَى عَذْرِهِ مِائَتَيْنِ .
قَالَ شَاعِرُهُمْ :

إِذَا كَانَ وَجْهُ الْعُذْرِ لَيْسَ بِوَاصِحٍ فَإِنَّ اطْرَاحَ الْعُذْرِ خَيْرٌ مِنَ الْعُذْرِ
كَانَ النَّخَعُ يَكْرَهُ أَنْ يُعْتَذَرَ إِلَيْهِ وَيَقُولُ . اسْكُتْ مُعْذُورًا ، فَإِنَّ الْمَعَاذِيرَ
يَحْصُرُهَا الْكَذِبُ .

الأصل :

أَقْلُ مَا يُنْزَلُكُمْ إِلَهُ مُبْجَاهَةٌ أَلَّا تَسْتَعِينُوا بِنِعْمِهِ عَلَى مَعَايِهِ .

الشرح :

لا شبهة أن من القبيح العاشر أن يُنمى الملك على بعض رعيته بمال وعبيد وسلاح ،
 فيجعل ذلك المال مادة لعمياله والخروج هائمه ، ثم يُحارب به بأولئك العبيد ، وبذلك
 السلاح بيته .

وما أحسن مقال الصابي في رسالته إلى سُكَّكِين من عز الدولة بختيار :
 وَلَيْتَ شِعْرِي بَأَيِّ قَدَمٍ تَوَاقَصَا وَرَأَيْتَا حَاضَةً عَلَى رَأْسِكَ ، وَبِمَالَيْسِكَ عَنْ يَمِينِكَ
 وَشِمَالِكَ ، وَحِيلُنَا مُوسُومَةٌ بِأَسْمَانَا تَحْتَكُ ، وَتِيَابُنَا تَحْوُكُ فِي طِرَازِنَا عَلَى جَسَدِكَ ،
 وَسِلَاحُنَا الْمَشْحُودُ لِأَعْدَائِنَا فِي يَدِكَ ا

الأصل :

إِنَّ اللَّهَ مُتَعَاهِدٌ جَمَلَ الطَّاعَةِ غَيْبَةً الْأُسْكِيَّ عِنْدَ تَقْرِيطِ الْحَمْرَةِ .

• • •

البرج :

الأكييس : الحُقلاء أولو الألب .

قال عليه السلام : جمل الله طاعته غيبة هؤلاء ، إذا قرط فيها العبرة المحذرون
من الناس ، كصيد استنف (^١) رجاين : أحدهما جلد والآخر طاجر ، فقد عبه العاجر
لمخره وحرمانه ، واقصه الخلد لشهامته وقوة جده (^٢) .

(۱) استدلال: تبيين.

॥ ॐ नमो भगवते वासुदेवाय ॥

(٣٣٨)

الأصل :

السُّطَّانُ وَرَعَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ .

الْبُرْجُ :

الوارعُ عن الشيء : السكّانُ عنه ، والذّاعُ منه ، والجمع وَرَعَةٌ ، مثل قاتِل وقَتْلَةٌ .
وقد قيل هذا المعنى كثيراً ، فقلوا : لا بدّ للنّاس من وَرَعَةٍ .

وقيل : ما رَعَّ الله عن الدّين السّاطان أكثر ممّا يَزَعُ عنه بالقرآن . وتُنسَبُ
هذه اللفظة إلى عُمَانَ بْنِ عَمَانَ .

قال الشاعر :

لَا يَصْنَعُ أَمَسٌ قَوْصَى لَا سَرَارَةَ لَهُمْ وَلَا سَرَاةَ إِذَا جَهَلُهُمْ سَادُوا^(١)
وكان يقال : السّطان انقهر وإن كان ظالماً خيراً للرّعيّة والملك من السّلعطان
الضعيف وإن كان عادِلاً .

وقال الله سبحانه : ﴿ وَوَلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ أَفَسَدَتْ
الْأَرْضُ ﴾^(٢) .

قلوا في تفسيره : أراد الساطان

(١) للأصمعي الأودى ، ديوانه ١٠ (من مجموعة لطائف الأدبية) .

(٢) سورة البقرة ٢٠١

الأصل :

وقال عليه السلام في صفة المؤمن :

بِشْرُهُ فِي وَجْهِهِ ، وَحُرَّتُهُ فِي قَلْبِهِ . أَوْسَعُ شَيْءَ صَدْرًا ، وَأَذَلُّ شَيْءَ نَفْسًا .
بَكْرَةُ الرَّحْمَةِ ، وَتَشَنُّ الشُّمَّةِ طَوِيلُ عَمَةٍ ، يَمِيدُ هَمُّهُ ، كَثِيرُ صَنَعَتِهِ ، مَشْمُولُ
وَقْتِهِ ، شَكُورٌ صَبُورٌ . مَعْمُورٌ يَفْكُرُ بِهِ ، صَبِيحٌ يَحْدِّثُهُ . سَهْلُ الْحَلِيقَةِ ، كَلْبُ
الْعَرِيكََةِ ؛ مَعَهُ أَصْلَبُ مِنَ الصَّلْدِ ؛ وَهُوَ أَزَلُّ مِنَ الْعَبْدِ .

•••

البُحْر :

هذه صفات العارفين ؛ وقد تقدم كثير من القول في ذلك .

وكان يقال : البُشْرُ عُتْوَانُ التَّلَاحِ ، والأمر الذي يختص به العارف أن يكون
بِشْرُهُ فِي وَجْهِهِ وهو حَرْنٌ وَحُرَّتُهُ فِي قَلْبِهِ ؛ وإلا فالبُشْرُ قد يوجد في كثير
من الناس .

ثم ذكر أنه أوسع الناس صدرا ، وأذلهم نَفْ ، وأنه بَكْرَةُ الرَّحْمَةِ والصَّيْتِ .

وجاء في الخبر في وصفهم : « كل حَامِلٍ نَوْمَةٍ » .

وَطَوِيلُ النَّفْسِ وَبَعْدُ الْهَمِّ مِنْ صِفَاتِهِمْ ، وكذلك كَثْرَةُ الصَّمْتِ وَشَعْلُ الْوَقْتِ
بِالذِّكْرِ وَالْعِبَادَةِ ، وكذلك الشُّكْرُ وَالصَّبْرُ وَالْأَسْتِغْرَاقُ فِي الْفِكْرِ وَتَدْبِيرِ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى
فِي خَلْقِهِ ، وَالصَّنْ بِالْحَلَّةِ وَقِلَّةُ الْغَالِطَةِ وَالتَّوَفُّرُ عَلَى الْعُرَةِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَلِينُ الْجَانِبِ ،
وَأَنْ يَكُونَ قَوِيَّ النَّفْسِ جَدًّا ، مع ذَلِّ لِيَاسٍ وَتَوَاضُعٍ بَيْنَهُمْ ؛ وهذه الأمور كلها قد أتت
عليها الشرح فيما تقدم .

الأصل :

الَيْتَى الْأَكْثَرُ الْيَأْسُ هَمًّا فِي أَيْدِي النَّاسِ .

الشرح :

هذه الكلمة قد رويت مرفوعة ، وقد تقدم القول في الطبع وذهمه ،
واليأس ومدحه .

وفي الحديث المرفوع : « ارْهَدْ فِي النَّاسِ يُحِبُّكَ اللَّهُ ، وَارْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ
يُحِبُّكَ النَّاسُ » .

ومن كلام بعضهم : مَا أَكَلْتُ طَعَامَ وَاحِدٍ إِلَّا هُنْتُ عَلَيْهِ .

وكان يقال : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ طَعْمِ يَدَيَّ إِلَى طَعْمِ (١) .

وقال الشاعر :

أَرَحْتُ رُوحِي مِنْ عَذَابِ الْمَلَاخِ لِيَأْسٍ رُوحٌ مِثْلُ رُوحِ النَّجَاحِ

وقال بعضُ الأدياء : هذا المعنى الذي قد أطبَّ فيه الناسُ ليس كما يزعمونه ، فعنرى

إنَّ لليأس راحة ، ولكن لا كراحة الصحاح ، وما هو إلا كقول من قال : لا أدرى

يصفُ العِلْمَ ، قيل له : ولكنه التصف الذي لا ينفع

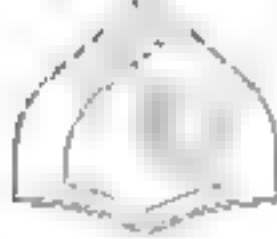
وقال ابن الفضل :

لَا أَمْدَحُ الْيَأْسَ وَلَكِنَّهُ أَرُوحُ الْقَلْبِ مِنَ الْمُطْعَمِ

(١) الطبع : الدنس .

أَشْخَ مِنْ أَبْصَرِ رَوْضِ اللَّيْلِ يُرْمَى فَلَمْ يَرْعَ وَلَمْ يَرْتَعْ
وَمَا يُرْوَى لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمَارِكَ الزَّاهِدِ :

قَدْ أَرْحَنَا وَاسْتَرْحَنَا مِنْ غُدُورِ قَدَوَاحِ
وَأَنْصَلَ نَأْمِسِيرَ وَوَرِيرِ ذِي سَحَاحِ
بِقَفَسَاتٍ وَكُفَافٍ وَقُوعِ وَصَلَاحِ
وَجَعَلْنَا الْيَأْسَ مِفْتَاحًا حَاً لِأَبْوَابِ التَّجَاحِ



وَمَا يُرْوَى لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمَارِكَ الزَّاهِدِ :

الأصل :

المسئول حُرّاً حتى يَعد .

الشرح :

[نبذ من الأقوال الحكيمة في الوعد والمطل]

قد سبق القول في الوعد والمطل . ونحن نذكر ههنا مكنّا أخرى .

في الحديث المرفوع : « مَنْ وَعَدَ وَعْدًا فَكَأَنَّمَا عَاهِدَ عَهْدًا » .

وكان يقال : الوعدُ دينُ الكرام ، والمطلُ دينُ اللئام .

وكان يقال : الوعدُ شبكة من شباك الأحرار يتصيدون بها المعامد .

وقال صفهيم : الوعد مَرَضُ المعروف ، والإنكار رُؤُوء .

وقال يحيى بن خالد : الوعد سحاب ، والإنكار مطر .

وفي الحديث المرفوع : « عِدَّةُ الْمُؤْمِنِ عَطِيَّةٌ » .

وعنه عليه السلام : « لَا تُوَاعِدْ أَحَدًا مَوْعِدًا تُخْلِعُهُ » .

وقال يحيى بن خالد لسنبيه : يَا بَنِيَّ ، كُونُوا أَسْدًا فِي الْأَقْوَالِ ، نَحَارًا فِي الْأَعْمَالِ ،

وَلَا تَعِدُوا إِلَّا وَتُشْعِرُوا ، هَذَا الْحَرُّ يَنْقُ بُوْعْدَ الْكَرِيمِ ، وَرَبَّمَا أَدَانَ عَلَيْهِ .

وكان حمير بن يحيى يكثره الوعد ويقول : الوعد من العاجز ، فأما القادر فالتقْد .

وفي الحديث المرفوع : « مَطْلُ الْعَيِّ ظُلْمٌ » .

وقال ابن الفصل :

أَثَرُوا وَلَمْ يَقْضُوا دُيُونَ عَرَمِهِمْ وَنَوْمُ كُلِّ الْيَوْمِ مَطْلٌ لِلْوَسِيرِ

وقال الآخر :

إِذَا أَتَتْ الْمَطِيَّةَ بِمَدِّ مَطْلٍ فَلَا كَانَتْ وَإِنْ كَانَتْ سَنِيَّةً
كَانَ يُقَالُ : الْمَطْلُ يَكُونُ عَلَى صَاحِبِهِ بَابَ الْمَذَرِ ، وَيُوجِبُ عَلَيْهِ الْأَحْسَنَ وَالْأَكْثَرَ ،
وَالْتَعْجِيلَ يَحْسُنُ سَبْقَهُ ، وَيَبْسُطُ عُذْرَهُ فِي التَّخْلِيلِ .

وقال يحيى بن خالد لَدُنِيهِ : يَا بَنِي لَا تَمْطُلُوا مَعْرُوفَكُمْ ، فَإِنَّ كَثِيرَ الْمَطَاءِ بَعْدَ الْمَطْلِ
قَلِيلٌ ، وَجَمَعُوا فَإِنَّ عُذْرَكُمْ مَقْبُولٌ مَعَ التَّعْجِيلِ .

ومن كلام الحسن بن سهل : الْمَطْلُ يَذْهَبُ رَوْنَقُ الْبَرِّ ، وَيَكْثُرُ صَعْوُ الْمَعْرُوفِ ،
وَيُجْحِطُ أُجْرُ الْمُدَّةِ ، وَيَتَقَلُّ اللُّغَانُ عَنِ الشُّكْرِ . وَلِلتَّعْجِيلِ حِلَاوَةٌ وَإِنْ قَلَّتِ الْعَارِفَةُ ،
وَلِذَّةٌ وَإِنْ صَعُرَتِ الصَّنِيعَةُ ، وَرَبَّمَا عَرَضَ مَا يَتِمُّعُ الْإِنْتِخَارَ مِنْ تَعْذِيرِ الْإِمْكَانِ ، وَتَعْيِيرِ
الرِّبَامِ ، فَيَادِرُ الْمُكَمَّةَ ، وَعَاجِلِ الْقُدْرَةِ ، وَاتَهَزَّ الرُّمُصَةُ .

وقال الشاعر :

تُحْمِلُ عَلَى الْفَرَاغِ قَصَاءَ شُعْلِي وَأَنْتَ إِذَا فَرَعْتَ تَكُونُ بِمِثْلِي
فَلَا أَدْعِي بِحَادِمِكَ الْمَرْحَى وَلَا تَدْعِي سَيِّدِي الْأَجَلَى

وقال آخر :

لَوْ عَلِمَ الْمَاطِلُ أَنَّ الْمِطَالَ فَقَدْ هُ يَذْهَبُ طَعْمُ السُّؤَالِ
وَأَنَّ أَعْلَى السَّبْرِ مَا نَالَهُ طَانَهُ فَقَدْ عَقِيبَ السُّؤَالِ
عَقَّلَ لِلسَّائِلِ مَعْرُوفَهُ مَهْمًا مِنْ حَوْلِ قَبْلِ وَقَالِ

(٣٤٢)

الأصل :

لَوْ رَأَى الْعَبْدُ الْأَجَلَ وَمَصِيرَهُ ، لَأَبْفَضَ الْأَمَلَ وَغُرُورَهُ .

الشرح :



قد تقدم من الكلام في الأمل ما فيه كثرة
وكان يقال : واجبا لصاحب الأمل الطويل ! وربما يكون كفه في يد المتأخر
وهو لا يعلم .

(٣٤٣)

الأصل :

لِكُلِّ امْرِئٍ فِي مَالِهِ شَرِيكَانِ : الْوَارِثُ وَالْحَوَادِثُ .

• • •

الْبَرْخ :

أَخَذَهُ الرَّضَى فَقَالَ :

خُذْ مِنْ تَرَائِكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا شُرَكَاءُكَ الْأَيَّامُ وَالْوَرَاثُ (١)
لَمْ يَحْضِرْ حَقُّ الْمَالِ إِلَّا مَعَشَرٌ نَفَرُوا الزَّمَانَ بَعِثُ فِيهِ ، فَهَاتُوا
وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ : بَشَّرَ مَالُ الْبَغِيلِ بِحَادِثٍ أَوْ وَارِثٍ .

ورأيتُ محمَّدَ ابنِ الخشاب رحمه الله على ظهر كتاب « لعبدِ الله بن أحمد بن
أحمد بن أحمد ثم لحديث أو وارث » ، كأنه يفتي ضيقه به ، أي لا أحرجه عن
يَدِي اختياراً .

الأصل :

العلمُ علٌّ : مُطْبُوعٌ وَمَسْمُوعٌ ، وَلَا يَنْفَعُ سَمُوعٌ ، إِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَطْبُوعُ .

* * *

الشرح :

هذه قاعدةٌ كَلَيْتَةٌ مذكورةٌ في الكتبِ الحِكْمِيَّةِ ، إنَّ العلومَ منها ما هو عَرِيضٌ ، ومنها ما هو تَكْسِييٌ ؛ ثُمَّ كُلُّ واحدٍ منَ انْفِصَالَيْنِ يَحْتَلِفُ بِالْأَشَدِّ وَالْأَصْفَ ، أما الأولُ فقد يكونُ في الناسِ من لا يحتاجُ في النظرِ إلى ترتيبِ التَّقْدِمَاتِ ، بل تَنَسُّقِ النَتِيجَةِ الطَّرِيقَةِ إِنْهُ سَوَاقًا من غيرِ احتياجٍ منه إلى الدُّنْسِ والندَرِ ، وقد يكونُ فيهم مَنْ هُوَ دُونَ ذَلِكَ ، وقد يكونُ مَنْ هُوَ دُونَ الدُّنْسِ ، وأما الثاني فقد يكونُ في الناسِ من لا يُجِدِي فِيهِ التَّعْيِيمَ ، بل يكونُ كَالصَّخْرَةِ الْجَامِدَةِ بِلَادَةٍ وَعِبَاوَةٍ ، ومهمٌ من يكونُ أَقْلًا سَلْدًا وَجُنُوحَ دَهْنٍ من ذلك ، ومهمٌ مَنْ يكونُ الوَقْفَةُ عِنْدَهُ أَقْلًا ، فيكونُ دَا حَالٍ مُتَوَسِّطَةً ، وَبِالْجُمْلَةِ فَاسْتِقْرَاءُ أَحْوَالِ النَّاسِ بِشَهْدِ صَحَّةٍ ذَلِكَ .

وقال عليه السلام : لَيْسَ يَنْفَعُ السَّمُوعُ ، إِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَطْبُوعُ ، يقولُ : إِذَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَحْوَالٌ اسْتَعْدَادِي لَمْ يَنْفَعِ الدَّرْسُ وَالتَّكْرَرُ ، وقد شاهدنا بِمِثْلِ هَذَا فِي حَقِّ أَشْخَاصٍ كَثِيرَةٍ اشْتَمَلُوا بِالْعِلْمِ الْمَدَّهَرِ الْأَطْوَلَ ؛ فَلَمْ يَنْفَعْ مَعَهُمُ الْعِلَاجُ ، وَفَارَقُوا الدُّنْيَا وَهُمْ عَلَى الْفَرِيزَةِ الْأُولَى فِي السَّادِحَةِ وَعَدَمِ الْعَمَلِ .

الأصل :

صَوَّابُ الرَّأْيِ بِالدُّوَلِ يُقْبَلُ بِإِقْبَالِهَا ، وَبُذِيرُ يَذْبَارُهَا .

الشرح :

قال الصولي :

اجتمع بنو برمك عند يحيى بن خالد في آخر دولتهم وهم يومئذ عشرة ، فأداروا بينهم الرأي في أمر فلم يصدق لهم ، فقال يحيى : يا الله ! ذهبت والله دولتنا ! كتنا في إقبالنا يُعْرِمُ الواحدُ ما عشرة آراء مُشكلة في وقت واحد ، واليوم نحن عشرة في أمر غير مُشكّل ، ولا يصح لنا فيه رأي ! الله سأل حسن الخاتمة .

أرسل المنصور لما ^(١) هاضمه أمر إبراهيم إلى عمه عبد الله بن علي وهو في السجن يستشيرُه ما يصنع ! وكان إبراهيم قد ظهر بالصرّة ، فقال عبد الله : أنا تخبوس ، والخبوس تخبوس الرأي ، قال له : فعلى ذاك ؟ قال يُمرق الأموال كلها على الرجال ويلقاه ، فإن ظمير فذاك ، وإلا يتوجه إلى أبيه محمد بن محمد بن علي ، ويتركه يقدم على بيوت أموال فارغة ، فهو خير له من أن تكون الدّرة عليه ، ويقدم عدوه على بيوت أموال مملوءة .

قال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن أبي مسلم صاحب شرطة الحجاج يوماً : لمن الله رجلاً أحرّك رأسه ، وحرب لك آخرته . قال : يا أمير المؤمنين ، رأيي والأمر على مدبرولو رأيي والأمر على مُقبل لا تكبرت متى ما استصعرت ، ولا استعظمت متى ما استحقّرت .

الأضل :

العافُ زينةُ العفر ، والشكرُ رينةُ المي .

• • •

البشرُ :

قد سبق القولُ في أن الأحمِلَ بالفقر أن يكونَ ضيقاً ، وآلَا يكونَ جشعاً حريصاً ،
ولا جاداً في العطبِ منها لِسكاً ، وأنه ينسى أنه إذا افتقر أن ينيه على الوقتِ وأبناء
الوقتِ ، فإن التَّيه في مثل ذلك لتقام لا بأس به ، ليبعدُ جداً عن مَظنة
الحرمِ والعُقمِ .

وقد سبق أيضاً القولُ في الشكرِ عند الصمة ووجوهه ، وأنه سببُ لاستدامتها ،
وأن الإخلالَ به داعيةٌ إلى ذواتها وانتقالها ، ودكرتُ في هذا الباب أموراً مستحقة ،
فلتراجع ، وقال عبدُ الصمد بنُ المعدل في العاف :

ساقى العافَ وأرضى الكفافَ وليس غنى النفس حوزُ الجليلِ
ولا أنصدى لشكرِ الخوادِ ولا استسعدَ لدمِ النحيلِ
وأعلمُ أن سياتِ الرجا تحنُّ المزيرَ تحلُّ الدليلِ
وأن ليسَ مستعيناً بالكثيرِ من ليسَ مستعيناً بالقييلِ

(٣٤٨)

الأصل :

يَوْمُ الدِّلِّ عَلَى الظَّالِمِ ، أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الْخَوْرِ عَلَى الْمَظْلُومِ .

الشرح :

شيثان مؤلمان : أحدهما 'سهمي' سريعا والآخر يدوم أمدا ؛ ولا جرم ، كان اليوم
الذكر على الظالم ؛ أشد من يوم الخور على المظلوم !

و قد ورد في بعض النسخ :
و قد ورد في بعض النسخ :

الأضل :

الأقاويل مخفوفة ، والسرائر مملوءة و (كثر نفس مما كسبت رهينة) . والناس
مفتوون مذبولون إلا من عصم الله ، سرائرهم ممتة ، ومخبيهم متكف ،
يكاد أفصلهم رأيا يرده عن فصل رأيه الرضا والسخط ، ويكاد أضلهم
عودا تنكوه اللحظة ، وتنجيه الكمة الواحدة .

الشرح :

السرائر هاهنا : ما أثير في القلوب من البت والعقائد وغيرها ، وما يحق من
أعمال الجوارح أيضا . وبلاؤها - نرقها ونصفحها ، والتميز بين ما طاب
مها وما خست .

وقال عمر بن عبد العزيز للأحوص لما قال :

سَتَلِي لها في مُصَرِّ القلبِ والحُبِّ سريرةً خبيّةً يومَ تُنلَى السرائِرُ
إنك يومئذٍ عنها لمشمول .

ذكر عليه السلام الناس فقال : قد تمهم انقص إلا المعصومين . ثم قال : سألتهم
يسأل نعتا ، ولتؤال على هذا الوجه مدموم ، ومخبيهم متكف للحواب ، وأفصلهم
رأيا يكاد رصاه تارة وسخطه أخرى يرده عن فصل رأيه ، أي يتعمون الهوى

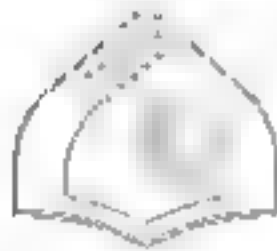
ويكاد أصلهم عوداء، أي أشدّهم احتمالا .

تَنَكَّرُوهُ اللَّحِظَةُ ، كَأَنَّ الْقَرْصَةَ إِذَا صَدَّتْهَا بِشَيْءٍ فَتَقَشَّرَهَا .

قال : « وَتَسْجِيلُهُ الْكَلِمَةُ الْوَاحِدَةُ » ، أي تحيله وتمييزه عن مقتضى طبيعته ؛ يَصِفُهُمْ

بِسُرْعَةِ التَّقَلُّبِ وَالتَّوَلُّونِ ، وَأَنَّهُمْ مُطِيعُونَ دَوَائِي الشَّهْوَةِ وَالْعَصَبِ . وَاسْتَفْعَلَ بِمَعْنَى

« فَعَلَ » قَدْ جَاءَ كَثِيرًا اسْتَعْلَفَ الْعَمَلَ ، أَي عَلَفَ .



مكتبة جامعة القاهرة

الأفضل :

قال : معاشِرَ النَّاسِ ، اتَّقُوا اللَّهَ ؛ فَكَمْ مِنْ نَوَاسِلٍ مَالًا يَبْلُغُهُ ، وَبَابٍ مَالًا يَنْكُتُهُ ،
وَجَامِعٍ مَسْئُوفٍ يَبْزُكُهُ ، وَلَعَلَّهُ مِنْ نَاصِرٍ جَمَعَهُ ، وَمِنْ حَقٍّ مَنَعَهُ ؛ أَصَابَهُ
حَرَامًا ، وَاحْتَمَلَ بِهِ آثَامًا ، قَاءَ بَوْرِيَهُ ، وَقَدِمَ عَلَى رَبِّهِ ، آثِمًا لَاهِقًا ، قَدْ حَسِرَ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿ ١ 〉

الشيخ :

قد تقدم شرح هذه المعاني والكلام عليها ، أما الآمال التي لا تمتنع ، فأكثَرُ مِنْ
أَنْ تُحْصَى ، بَلْ لَا نِهَابَ لَهَا .

وما أحسن قول القائل :

واحسرتا ماتَ حَظِّي مِنْ وَصَالِكُمْ وَلِلْحَطُوطِ كَمَا لِلنَّاسِ أَجَالُ
إِنْ مِتَ شَوْقًا وَلَمْ أَبْلُغْ مَدَى أَمَلِي كَمْ تَحْتَ هَدْيِ الْقُبُورِ الْخُرْسُ آمَالُ !
وَأَمَّا بَاءٌ مَالًا يُنْكَنُ ، فَضَحُو ذَلِكَ .

وقال الشاعر :

أَلَمْ تَرْحَوْشَا بِالْأَمْسِ يَدَيَّ سَاءَ نَعْمُهُ لِمَنْ تُفِيئُهُ
يُؤْمَلُ أَنْ يُعْمَرَ عَمْرُ نُوْحٍ وَأَمْرُ اللَّهِ يَطْرُقُ كُلَّ لَيْلَةٍ
وَأَمَّا جَامِعٌ مَسْئُوفٌ يَبْزُكُهُ ، فَأكْثَرُ النَّاسِ ، قُلُوبُ الشَّعْرِ :

وَدَى إِبِلٍ يَسَى وَيَحْمِلُهَا لَهُ أَحْوَتُ عَيْ فِي رَغَبِهَا وَدُوبِ
عَدَتْ وَعَدَا رَبُّ سِوَاهُ يَسُوقُهَا وَبَدَّ أَحْطَارًا وَجَالَ قَلْبُهَا

الأصل :

مِنَ الْعِصْمَةِ تَعَذَّرُ الْمَعْرُوفُ .

البيان :

قد وردت هذه الكلمة على جميع محتملة ، من العِصْمَةِ أَلَا تَقْدِرُ . وأيضاً ، من
العِصْمَةِ أَلَا تَحْدُ .

وقد رُوِيَ مَرْفُوعَةً بَعْضُهَا :

وليس المرادُ بِالْعِصْمَةِ هَاهُنَا الْعِصْمَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا الْمُتَكَلِّمُونَ ، لِأَنَّ الْعِصْمَةَ عِنْدَ
الْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ شَرْطِهَا الْقُدْرَةُ ، وَحَقِيقَتُهَا رَاجِعَةٌ إِلَى لُطْفٍ يَمْنَحُ الْقَادِرَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ عِنْدَهُ
مِنَ الْمَعْصِيَةِ ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ أَنَّ غَيْرَ الْقَادِرِ فِي الْمُدْفَاعِ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهِ كَالْقَادِرِ
الَّذِي لَا يَفْعَلُ .

الأفضل :

ماء وجهك جامدٌ يُقطِرُهُ السُّؤَالُ ، فانظرْ عندَ مَنْ تُقطِرُهُ .

الْبُزْج :

هذا حسن ، وقد أخذَه شاعرٌ فقال :

إذا أطمأنك أكفُ اللّثامِ كتمتُ القصاصةُ شئنا ورثاً
فمكّن رجلاً رجله في الثرى وهامسةُ همت في الثرى
فإن إراقسة ماء الحياة دون إراقسة ماء الحياة
وقال آخر :

رددت لي ماء وجهي في صبيحتي ردُّ لصقنا بهاء الصّارم الجديم
وما أنالي وحيدُ القول أصدده حفت لي ماء وجهي أو حقت دمي
وقال مصعب بن الزبير : إني لأستحي من رجل راحه إلى رعته ، فبات ليلته
يتململ ويثقل على فراشه ، ينتظر الصبح ، قد حمأى أهلاً لأن يقطر ماء وجهه
لدى أن أُرده خائباً .

وقال آخر :

ماماه كفتيك إن أرسات مُرثته من ماء وجهي إذا استقطرته عوّضُ

الأضد :

النَّاءُ أَكْثَرُ مِنَ الْإِسْتِحْقَاقِ مَلَقٌ ، وَالتَّقْصِيرُ عَنِ الْإِسْتِحْقَاقِ عِيٌّ
أَوْ حَسَدٌ .

الْبَزْخُ :

كَانُوا يَسْكُرُونَ أَنَّ شَيْءَ الشُّعْرِ فِي شِعْرِهِ عَلَى الْمَدْحِ النَّاءُ الْمُرْطُ ؛ وَيَقُولُونَ :
حَيْرُ الْمَدْحِ مَا قَارَبَ فِيهِ أَشَاعِرُ وَاقْتَصَدَ ، وَهَذَا هُوَ الْمَذْهَبُ الْمَتَّحِصِحُ ، وَإِنْ كَانَ قَوْمٌ
يَقُولُونَ : إِنْ حَيْرَ الشُّعْرِ الْمَطْلُومُ فِي مَدْحٍ مَا كَانَ أَشَدَّ مُعَالَاةً وَأَكْثَرَ تَعْجِيلًا وَتَعْطِيلًا
وَوَضْعًا وَنَشْأً .

وَيَسْمَى أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعُولًا عَلَى النَّاءِ فِي وَجْهِ الْإِنْسَانِ ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْمَوْصُوفُ
بِالْمَلَقِ إِذَا أَفْرَطَ ، فَأَمَّا مَنْ يُبَيِّنُ بِظَهْرِ الْعَيْبِ فَلَا يُوصَفُ ثَاوُهُ بِالْمَلَقِ ؛ سِوَاهُ كَانَ مُقْصِدًا
أَوْ مَسْرِفًا .

وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « وَالتَّقْصِيرُ عَنِ الْإِسْتِحْقَاقِ عِيٌّ أَوْ حَسَدٌ » لَا مَرَّ يَدْعِيهِ فِي
الْحُسْنِ ؛ لِأَنَّهُ إِذَا قَصُرَ عَنِ اسْتِحْقَاقِهِ كَانَ الْمَاعِ إِتْمَانًا مِنْ جَانِبِ الْمُثْنِيِّ هُظً مِنْ غَيْرِ تَعَلُّقٍ
لَهُ بِالْمُثْنِيِّ عَلَيْهِ ، أَوْ مَعَ تَعَلُّقٍ بِهِ ؛ فَالْأَوَّلُ هُوَ الْيَمِينُ وَالْخَصَرُ ، وَالثَّانِي هُوَ الْحَسَدُ وَالْمُنَافَسَةُ .

الأفضل :

أشدُّ الذُّنُوبِ ما اسْتَهَانَ بِهَا صَاحِبُهَا .

• • •

الْبَيِّنُ .

قد ذكرنا هذا فيما تقدم وذكرنا العلة فيه ، وهي أن فاعل ذلك الذنب قد جَمَعَ
بين فعل الذنب وفعل ذنب آخر ، وهو الاستهانة بالاستهانة ، لأن العاصي
لأهين فيها ، والصغير منها أكبر ، والخمير مثله عظيم ، وذلك لخلافه بين المنعى سبحانه
فأما من يدرب ويستعلم ما أناه ، فله نصح من حال الأول ، لأنه يكاد
يكون نادماً ^(١) .

(١) نادماً و : « على ما فعل » .

الأصل :

مَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ اشْتَفَى عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ ، وَمَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ اللَّهِ لَمْ
يَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَهُ ، وَمَنْ سَنَّ سَيْفَ تَسْمِي قَيْنٍ بِهِ ، وَمَنْ كَابَدَ الْأُمُورَ عَطِيبًا ، وَمَنْ
أَفْتَحَ اللَّجَجَ عَرِيقًا ، وَمَنْ دَخَلَ مَدَّ حِلٍّ رَدَّ أَسْرَمَ .

وَمَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ خَطْوُهُ ، وَمَنْ كَثُرَ خَطْوُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ
قَلَّ وَرَعُهُ ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَذْبُهُ ، وَمَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ الدَّرَ .

وَمَنْ نَظَرَ فِي عِيُوبِ غَيْرِهِ فَاشْكُرَهَا ثُمَّ رَضِيَهَا لِنَفْسِهِ فَذَلِكَ الْأُخْرَى بِمَنْعِهِ .
وَالْقَنَاعَةُ مَا لَا يَبْعَدُ .

وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ رَضِيَ مِنَ اللَّهِ نِيًّا بِالْبَسِيرِ .
وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا يَنْتَبِهُ .

البيان :

كلُّ هذه العُصُول قد تقدّم الكلامُ فيها ، وهي عشرة :

أولها : مَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ اشْتَفَى عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ ؛ كَانَ يَقَالُ : أَصْلَحَ نَفْسَكَ
أَوَّلًا ، ثُمَّ أَصْلَحَ غَيْرَكَ .

وثانيها : مَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ اللَّهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَهُ ؛ كَانَ يَقَالُ : الْحُزْنُ عَلَى الْمَنَافِعِ
الدُّنْيَوِيَّةِ سُمْ تَرِيَاقُهُ الرُّصَا بِالْقَصَاءِ .

وثالثها : من سَلَّ سيفَ التَّنْغِي قَتَلَ به ؛ كَأَنَّ يَفَان : الباعى مَصْرُوع وإن كَثُرَ جَوْدُهُ .

ورابعها : مَنْ كَابَدَ الْأُمُورَ عَطَب ، ومن اتَّقَمَّ اللُّجَجَ غَرِق ؛ مِثْلَ هَذَا قولُ القائل :

مَنْ حَارَبَ الْأَيَّامَ أَصْبَحَ رُحْمَةً قِصْدًا وَأَصْبَحَ سَيْفُهُ مَقْلُولًا

وخامسها : من دَخَلَ مَدَاحِلَ السَّوَاءِ أَتَمَّ ؛ هَذَا مِثْلُ قَوْلِهِمْ : من عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلشُّبُهَاتِ فَلَا يَلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ به الْعَاقِبَةُ .

وسادسها : مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ ... إِلَى قَوْلِهِ : دَخَلَ سَار ؛ قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي الْمَنْطِقِ الرَّائِدِ وَمَافِيهِ مِنَ الْمَحْذُورِ ؛ وَكَانَ يُقَالُ : قَلَمًا سِيمَ مِثْكَار ، أَوْ أَمْسَ مِنْ عِثَار .

وسابعها : مَنْ نَظَرَ فِي عُيُوبِ غَيْرِهِ فَاَسْكُرَهَا تَمَّ رَضِيهَا لِنَفْسِهِ فَذَلِكَ هُوَ الْأَحَقُّ نَعْيُهُ ؛ كَانَ يُقَالُ : أَجْهَلُ النَّاسِ مَنْ يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِمَا يَسْخَطُهُ مِنْ غَيْرِهِ .

وثامسها . الْقَضَاعَةُ مَا لَا يَبْعَدُ ؛ قَدْ سَبَقَ الْقَوْلُ فِي هَذَا ، وَسَيَأْتِي أَيْضًا .

وثاسعها : من ذَكَرَ الْمَوْتَ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيُسْرِ ؛ كَانَ يُقَالُ : إِذَا أَحْبَبْتَ إِلَّا تَحْسُدَ أَحَدًا فَأَكْثِرْ ذِكْرَ الْمَوْتِ ، وَأَعِمْ أَلَمَكَ وَمَنْ تَحْسُدْهُ عَنْ قَلِيلٍ مِنْ عَدِيدِ الْهَلَكَةِ .

وعاشيرها : من عَيِمَ أَنْ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ لَا فَيَا يَسَهُ ، لَا رَيْبَ أَنَّ الْكَلَامَ عَمَلٌ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَفِعْلٌ مِنَ الْأَفْعَالِ ، فَكَمَا يُسْتَهْجَنُ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَّا يَرَالُ يُحَرِّكُ يَدَهُ وَإِنْ كَانَ حَاشَا ، كَذَلِكَ يُسْتَهْجَنُ إِلَّا يَرَالُ يُحَرِّكُ لِسَانَهُ فَيَا هُوَ عَدَثٌ ، أَوْ يَحْرِي يَحْرِي الْعَدَثُ .

وقال الشاعر :

يُخَوِّصُ أُنَاسٌ فِي الْكَلَامِ لِيُوجِرُوا وَمَصَّتْ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ أَوْجَرُ

إِذَا كَتَبَ عَنْ أَنْ تُحْيِيَ الْعَمَتَ عَاجِرًا فَاتَتْ عَنْ الْإِبْلَاحِ فِي الْقَوْلِ أَهْمَرُ

الأصل :

لِلظَّالِمِ مِنَ الرِّجَالِ ثَلَاثُ عِلَامَاتٍ :
يُظْلِمُ مَنْ فَرَّقَهُ بِالنَّعْصِيَّةِ ، وَمَنْ دُونَهُ بِالْعَلَّةِ ، وَيُظَاهِرُ الْقَوْمَ الظَّالِمَةَ .

التفسير :

يُمْكِنُ أَنْ يُفَسِّرَ هَذَا الْكَلَامُ عَلَى وَجْهَيْنِ .

أحدهما أَنْ كُلَّ مَنْ وَجِدَتْ فِيهِ إِحْدَى هَذِهِ الثَّلَاثِ فَهُوَ ظَالِمٌ ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ وَجَّهَتْ عَلَيْهِ طَاعَةً مِّنْ فَوْقِهِ فَعَصَاهُ ، فَهُوَ نَعْصِيَانُهُ ظَالِمٌ لَهُ ، لِأَنَّهُ قَدْ وَصَّاهُ فِي عِبَرِ مَوْضِعِهِ ، وَالْعُلْمُ فِي أَصْلِ الْأَمَةِ ؛ هُوَ هَذَا الْمَعْنَى ، وَلَسَلِكُمْ سَمُّوا اللَّيِّنَ يُشْرَبُ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ الرُّؤُوسَ مَطْلُومًا ، لِأَنَّ الشَّرْبَ مِنْهُ كَانَ فِي عِبَرِ مَوْضِعِهِ إِذَا لَمْ يَرْبُ وَلَمْ يَخْرُجْ زُنْدُهُ ، فَكَذَلِكَ مَنْ عَصَى مَنْ فَوْقَهُ فَقَدْ رَحَّحَهُ عَنْ مَقَامِهِ إِذَا لَمْ يُطِيعْهُ . وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ قَهَرَ مَنْ دُونَهُ وَعَلَّاهُ . وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ ظَاهَرَ الظَّالِمَةَ .

وَالْوَجْهُ الثَّانِي أَنَّ كُلَّ ظَالِمٍ فَلَا بُدَّ مِنْ أَجْتِمَاعِ هَذِهِ الْعِلَامَاتِ الثَّلَاثِ فِيهِ ؛ وَهَذَا

هُوَ الظَّاهِرُ .

الأصل :

عِنْدَ تَنَاهِي الشَّدَّةِ تَكُونُ الْعَرِجَةُ ، وَعِنْدَ تَصَائِقِ حَقِّي التَّلَاءِ يَكُونُ الرَّجَاءُ .

• • •

الشرح :

كان يقال : إذا اشتدَّ المصيق ، اتسعت الطريق ، وكان يقال : توقموا العرج عد ارتجاج العرج ، وقال الشاعر :

إِذَا مَلَعَ الْحَوَادِثُ مُنْتَهَاهَا فَرَجٌ بِمَيْدَاهَا الْعَرَجُ الْمُضِلَّ
فَكَمْ كَرِبَ تَوَلَّى إِذَا تَوَالَى وَكَهْ حَطَبَ تَحْلَى حِينَ جَلَّى

وفي الأثر : تصايقي سترجي ، سيجعل الله بعد المسر يسرا .

والعرجة بفتح الهمزة : التعمى من الهم ، قال الشاعر :

رَمَا تَحْرَجَ الْعَوَمُ مِنَ الْأَمْرِ وَرَ لَهُ فَرْجَةٌ كَعَلِ الْعِقَالِ^(١)

فأما العرجة بالهمزة ، ففرجة الحائط وما أشبهه .

(١) لأمية أبي الصلت ، وقوله :

لَا تَصِيقَنَّ فِي الْأُمُورِ فَقَدْ يُكْشَفُ غَمَاؤُهَا بغير احتيالٍ

الأصل :

وقال عليه السلام لبعض أصحابه : لا تحمّن أكثر شعرك بأهلك وولديك ، فإن
يسكن أهلك وولديك أولياء الله فإن الله لا يصيغ أولياءه ، وإن يَكُونُوا أعداء الله
فما همك وشعرك بأعداء الله !

الشرح :

قد تقدم القول نحو هذا المعنى ، وهو أمر بالتقوى والنوكل على الله تعالى فيمن
يخدم الإنسان من ولده وأهله ، فإن الله تعالى أعلم بالمصلحة ، وأراؤف بالإنسان من أبيه
وأُمّه ؛ ثم إن كان الولد في علم الله تعالى ولياً من أولياء الله سبحانه ، فإن الله تعالى
لا يصيغه ، قال سبحانه : ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ ^(١) .

وكل ولي الله فهو متوكل عليه لا محالة ، وإن كان عدواً لله لم يجز الاهتمام له
والاعتناء بأمره ، لأن أعداء الله تحب مقاطعتهم ، وتحرم توليهم ، فعلى كل حال لا ينبغي
للإنسان أن ينجس بأهله وولديه بعد موته .

واعلم أن هذا كلام العارفين الصديقين ، لا كلام أهل هذه الطبقات التي نعرفها ،
فإن هذه الطبقات تقصر أقدمهم عن الوصول إلى هذا مقام .

ويصحبني قول الشاعر :

أيا جامع الناس وقرته لغيرك إذ لم تكن حالدا
فإن قلت : أجمعه لآسين فقد يسبق الولد الوالدا
وإن قلت أخشى صروف الرماح فكن من تصاريقه واحدا

(٣٥٩)

الأضل :

أَكْبَرُ الْعَيْبِ أَنْ تَعِيبَ مَا فِيكَ مِثْلَهُ .

الشيخ :

قد تقدم هذا المعنى مراراً .



وقال الشاعر :

مَرَّتْ بِمَنْزِلِي سَيِّدَةٌ مِنْ بَنِي

إِذَا أُنْتُ عَيْبَتِ الْأَمْرَ نَمَّ أَتَيْتَهُ فَانْتَ وَمَنْ تُرَى عَلَيْهِ سَوَاءُ

الأصل :

وَمَا يَحْضُرُهُ رَجُلٌ رَجُلًا آخَرَ يُعْلَمُ وَلَيْدَ لَهُ فَقَالَ لَهُ : لِيَهْنُتِكَ الْعَارِسُ ! فَقَالَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ :

لَا تَقُلْ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ قُلْ : شَكَرْتُ أَوَاهِيَّ ، وَبُورِكَ لَكَ فِي اللَّوْهُوبِ ، وَتَلَعَ
أَشْدَّهْ ، وَرُرِقْتَ رِءَاهُ .

• • •

البشرح :

هذه كلمة كانت من شعر الجاهلية ، فبُهِتَ عنها كما بُهِتَ عن تحية الجاهلية : « أَيْتَ
الْعَن » ، وَجُمِلَ عِوَضُهَا « سَلَامٌ عَلَيْكُمْ » .

وَقَالَ رَجُلٌ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَقَدْ تَشَرَّهَ بَعْلَامُ : لِيَهْنُتِكَ الْعَارِسُ ! فَقَالَ : بَلِ
الرَّاحِلُ ، ثُمَّ قَالَ : لَا مَرْحَبًا بِي مِنْ إِنْ طَاشَ كَدَّيْ ، وَإِنْ مَاتَ هَدَّيْ ، وَإِنْ كَتُّ
مُقِلًّا أُنْصَتْنِي ، وَإِنْ كَتُّ عَيْبَ أَدَهَانِي ، ثُمَّ لَا أَرْضَى لِسَمِيِّ لَهْ سَفِيَا ، وَلَا تَكْذِبِي
عَلَيْهِ فِي الْحَيَاةِ كَدًّا ، حَتَّى أَشْفِقَ عَلَيْهِ نَعْدَ مَوْتِي مِنَ الْعَاقَةِ ، وَأَنَا فِي حَالٍ لَا يَصِلُ إِلَى مَنْ
فَرَحِهِ سُرُورٌ ، وَلَا مِنْ هَمِّهِ حَزَنٌ .

الأصل :

وَبَيَّ رَحْلٌ مِنْ عُثَالِهِ بِسَاءٍ فَخْصًا فَهَلَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
أَطْلَمْتَ الْوَرِقَ رُءُوسَهَا ؛ إِنَّ السَّاءَ بَصِيفُ لَكَ لِعَنَى .

• • •

الشرح :

قد رُوِيَتْ هذه الكلمةُ عن عمر - رضى الله عنه - ذكر ذلك ابن قُتَيْبَةَ في
” عُيُونُ الْأَخْبَارِ ” .

ورُوِيَ عنه أيضا لى على كلِّ حائِزٍ أَسَانٍ : نَاهٍ وَالطَّيْنِ .
قال يعقوب بن خالد لاسه جعفر حين احْطَطَّ دَرَاهِمَهُ سَعْدَادَ لَيْسِيَّهَا : هِيَ قَبِصُكَ ، فَإِنْ
شُنْتَ فَوْسَهُ ، وَإِنْ شُنْتَ فَصِيَّتَهُ .

ورآه وهو يحصُّصُ حِيطَانِ دَارِهِ الْمُنِيَّةِ بِالْآخِرَةِ ، فقال له : إِمَّاكَ تَمَطَّى الذَّهَبَ بِالْفِصَّةِ ،
فقال جعفر : بَئْسَ وَكُلُّ مَكَانٍ يَكُونُ الذَّهَبُ حَبْرًا مَرَّ الْفِصَّةِ ، وَلَكِنْ هَلْ تَرَى عِيْبًا ؟
قال : نَعَمْ ، مَحَالَّتُهَا دُورَ السُّوقَةِ .
وقيل ليزيد بن المهلب .

أَلَا يَدْنَى الْأَمِيرُ دَارًا ؟ فقال : مَرْنَى دَارُ الْإِمَارَةِ أَوْ الْخَنَسِ .
وكان يقال : هِيَ الدَّارُ : لَتَكُنْ أَوَّلَ مَا يُبْنَى وَآخِرَ مَا تُبَاعُ .
ومرَّ رَحْلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ بَآخِرٍ مِنْ أَصْحَابِهِمْ وَهُوَ بَدِي دَارًا فقال : مَنْ ذَا الَّذِي
يَقِيمُ كَهَيْلًا .

وقالوا : كُلُّ مَا يَخْرُجُ مَخْرُوحًا ، وَيَرْجِعُ رُجُوعًا ، كَالدَّارِ وَالسَّحْلِ وَخَوْرِهِمَا
فَهُوَ كَهَيْلٍ .

الأصل

وَقِيلَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : تَوَسَّدَ عَلَى رَحْلِ بَابُ بَيْتٍ وَتَرِكَ فِيهِ ، مِنْ أَيْنَ كَانَ
يَأْتِيهِ رِيقُهُ ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
مِنْ حَيْثُ يَأْتِيهِ أَحَلُّهُ .

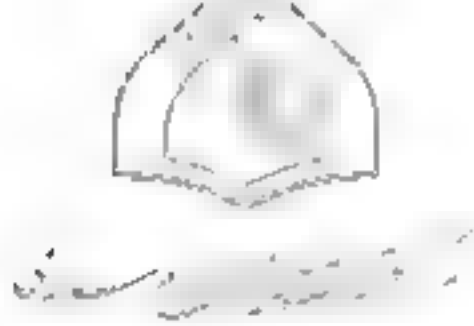
* * *

الشرح :

ليس معنى عليه السلام أن كل من بُسَدَ عليه بابُ بيت ؛ فإنه لا بد أن يورقه الله
تعالى ، لأن العيار والمُشاهدة تقتضي خلاف ذلك ؛ وما رأينا من بُسَدَ عليه بابُ بيت
مدة طويلة ففاش ، ولا ريب أن مَنْ شَقَّ أَسْطَوَانَهُ وَحُمِّلَ فِيهَا حَيًّا ثُمَّ بَنِيَتْ
الْأَسْطَوَانَةُ عَلَيْهِ وَبِهِ يَمُوتُ مَحْفَاً ، وَلَا يَأْتِيهِ رِيقُهُ وَلَا حَيَاتُهُ ؛ وَلَئِنْ لِلْحَكَمَاءِ أَنْ يَقُولُوا
فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْمَوْصِعَيْنِ : إِنْ أَحَلَّهُ ، يَأْتِيهِ لِأَنَّ الْأَحْلَ عَدَمُ الْحَيَاءِ ، وَالْحَيَاءُ تَعَدُّمُ لِقَدَمِ
مَا يُوْجِبُهَا ، وَالَّذِي يُوْجِبُ اسْتِمْرَارَ الْعِدَاءِ ، فَلَمَّا انْقَطَعَ الْعِدَاءُ حُضِرَ الْأَجَلُ ،
هَذَا هُوَ الْوَجْهَ الَّذِي يَأْتِيهِ مِنْ أَحَلِّهِ ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى ذِكْرِ مِثْلِهِ فِي حُضُورِ الرِّزْقِ مِنْ
يُسَدُّ عَلَيْهِ الْبَابُ .

فإنَّ معنى كلامه عليه السلام أن الله تعالى إذا علم فيمن يعمل في دار
وَيُسَدُّ عَلَيْهِ بَابُهَا أَنْ فِي هَاءِ حَيَاتِهِ لُطْفًا لِبَعْضِ الْمَكَلِّمِينَ فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَى
اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُدِيمَ حَيَاتَهُ ، كَمَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ ؛ إِمَّا بِمِثْلِهِ يَهَيِّمُ بِهِ مَادَّةَ حَيَاتِهِ ، أَوْ

أو يديمُ حياته بغير سبب ، وهذا هو الوجه الذي منه يأتيه أجلُّه أيضا ، لأنَّ إمامةَ الله المكلف أمرٌ تابعٌ للصحة ، لأنه لا بدَّ من إعطاع التكليف على كلِّ حال للوجه الذي يدَّكره أصحابنا في حُكْمهم ، فإذا كان الموتُ تابعا للصحة ، وكان الإحياء تابعا للصحة ، فقد أتى الإنسانَ رزقه - يعني حياته - من حيثُ يأتيه أجلُّه . وانتظم الكلام .



الأصل :

وَعَزَى قَوْمًا عَنِ مَيْتٍ مَاتَ لَهُمْ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
 إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَيْسَ لَكُمْ بَدَأٌ ، وَلَا إِلَيْكُمْ ائْتِهَى ، وَقَدْ كَانَ صَاحِبُكُمْ هَذَا
 يُسَافِرُ ؟ فَقَالُوا : نَعَمْ ؛ قَالَ : فَعُدُّوهُ يَ بِمَعْرِ سَقَرَاتِهِ ، فَإِنْ قَدِمَ عَلَيْكُمْ وَإِلَّا
 قَدِمْتُمْ عَلَيْهِ .

...

الشرح :

قد أُمِرَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَذَّبِ سَمِعَ هَذَا فِي شِعْرِهِ الَّذِي رَفَعَهُ لَهُ وَلَدَهُ فَقَالَ :
 يَثُوبُ إِلَى أَوْطَانِهِ كُلِّ غَائِبٍ وَأَحَدٌ فِي الْفَيْتَابِ لَيْسَ يَثُوبُ^(١)
 تَبْدُلُ دَارًا غَيْرَ دَارِي وَحَبِيرَةٍ سِوَايَ وَأَحْدَاثُ الزَّمَانِ تَسُوبُ
 أَقَامَ هَاهُنَا مُسْتَوِطِنًا غَيْرَ أَنَّهُ عَلَى طُولِ أَيَّامِ الْقِيَامِ قَرِيبٌ^(٢)
 وَإِنِّي وَإِنِّي قَدُمْتُ قَلِيلِي لَعَالِمٌ نَائِي وَإِنْ أَبْطَأْتُ عَنْكَ قَرِيبٌ
 وَإِنْ صَبَاحًا تَلْتَقِي فِي مَسَاحَتِهِ صَبَاحٌ إِلَى قَلْبِي الْعِدَّةَ حَبِيبُ

(١) من كلمة له في الكامل ٤ : ٢٣ - ٢٥

(٢) بعده :

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ كَالْفَصِّ فِي مَبْعَةِ الصَّحَى سَقَاهُ النَّدَى فَاهْتَزَّ وَهُوَ رَطِيبُ

الأصل :

أَيُّهَا النَّاسُ ، لِيَرْكُمُ اللَّهُ مِنَ النِّعَةِ وَحَدِيثٍ ، كَمَا يَرَاكُمْ مِنَ النِّعَةِ فَرِيقَيْنِ .
 إِنَّهُ مَنْ وَسَّعَ عَلَيْهِ فِي دَاتِ يَدِهِ ، فَلَمْ يَرِ ذَاتَ اسْتِدْرَاجٍ ، فَقَدْ أَمِنَ مَحْجُوفًا ،
 وَمَنْ ضَيَّقَ عَلَيْهِ فِي دَاتِ يَدِهِ ، فَلَمْ يَرِ ذَاتَ حَيْدَرٍ ، فَقَدْ صَيِّعَ مَذُولًا .



الشرح :

قد تقدم القول في استدراج المترف الفخى وهو اختبار الفقير الشقى ، وأنه يجب على
 الإنسان وإن كان مشغولاً بالنعمة أن يكون وحيداً^(١) ، كما يجب عليه إذا كان فقيراً أن
 يكون شكوراً صوراً .

الأصل :

يا أسرى الرغبة ، أقصروا ، فإن المعرج على الدنيا لا يروعه منها إلا صريف
أنياب الخدشان .

أيها الناس ؛ تولوا عن أنفسكم تدريتها ، واعدوا بها عن صراوة عاداتها .

البُحْ :

ضري يضري ضراية مثل رمي رمية ، أي جرى وسال ، ذكره ابن
الأعرابي ، وعليه ينسب أن يحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام ؛ أي اعدوا بها
عن عاداتها الجارية ، من باب إضافة الصفة إلى الموصوف ، وهذا خير من تفسير
الراوندي ؛ وقوله : إنه من صري « كلب » بالصيد ؛ لأن المصدر من ذلك الصراوة
بالواو وقتح الصاد ، ولم يأت فيه ضراية .

وقوله : « يا أسرى الرغبة » كلمة فصيحة .

وكذلك قوله : « لا يروعه منها إلا صريف أنياب الخدشان » ، وذلك لأن الصد
إذا وثب والذئب إذا حمل يصرف نأه ، ويقولون لكل حطب وداية جاءت
تصرف نأها . والصريف : صوت لأسنان إما عند ريغدة أو عند شدة الغضب
والخلق ، والحرص على الانتقام ، أو نحو ذلك .

وقد تقدم الكلام في الدنيا والرغبة فيها ، وغذرها وحوادثها ، وجوب المدول
عنها ، وكسر عادية عادات الدوة المكسبة فيها .

الأصل :

لَا تَطْلُبَنَّ بِكَلِمَةٍ حَرَجْتَ مِنْ أَحَدٍ شَوْءًا وَأَنْتَ تَحِدُّ لَهَا فِي الْخَيْرِ مُحْتَمَلًا^(١) .

• • •

الشرح :

هذه الكلمة يروونها كثير من الناس لعمر بن الخطّاب ، ويروونها معصم لأمير المؤمنين عليه السلام . وكان ثمانية يحدث سوادد يحيى بن خالد وابيه جعفر ، ويقول : إن الرّشيد سكب على س عيسى بن مهران^(٢) والرّمة مائة ألف دينار أدّى منها حسين ألفاً ، وباعه بالباقي ، فأقسم الرّشيد إن لم يؤدّ المال في قية هذا اليوم وإلا قتله . وكان على بن عيسى عدوّاً للرّامة مكاشفاً ، فلما علم أنه مقتول سأل أن يكثر من السعي إلى الناس يستنجدهم ، ففُيْحَ له في ذلك ، فقصّ ومعه وكيل الرّشيد وأعوأته إلى باب يحيى وجعفر ، فأشلا عليه^(٣) وصحّحا من ضب أموالهما حسين ألف دينار في باقي سهار ذلك اليوم يدبوان الرّشيد باسم على بن عيسى ، واستحصاه ؛ فنقل بعض المتصحين لهما إليهما أن على بن عيسى قال في آخر سهار ذلك ليوم متمثلاً :

مَا بُقِيََا عَلَى تَرْكُمَايَ وَلَكِنْ جِئْتُمَا صَرَدَ السَّالِ^(٤)

(١) و د و ع ل ؛ وهو يستقيم أيضاً .

(٢) به : د مهران ، تصحيح .

(٣) أشلا ، علقا .

(٤) السال (صرد) ، وسه لك القين المرى يحاطب حريراً والوردى . وصرده السهم : فقد حده

فقال يحيى للناقل إليه ذلك : يا هذا إن للرعوب ليسبق لسانه إلى ما لم يخطر بقلبه .
وقال جعفر : ومن أين لنا أنه تمثّل بذلك وعناكنا ، ولعله أراد أمراً آخر فكان
ثمامة يقول : ما في الأرض أسودّ من رجلٍ يتأوّل كلام عدوّه فيه ويحمّله على
أحسن تحمّله .

وقال الشاعر :

إذا ما أتت من صاحب لك رلةً فكن أنت محتالاً لرلته عُذراً^(١)

(١) لسان ابن وايسة من كلمة له في أسس الخصال ٢ : ٢٢٤

الأصل :

إِذَا كَانَتْ لَكَ إِلَى اللَّهِ سُبُعَانَةٌ حَاجَةٌ فَابْدَأْ بِمَسْأَلَةِ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، ثُمَّ سَلْ حَاجَتَكَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُنَالَ حَاجَتَيْنِ ،
فَيَقْصِي إِحْدَاهُمَا وَيَمْنَحَ الْأُخْرَى .

الشرح :

هذا الكلام على حَسَبِ الظَّاهِرِ الَّذِي يَتَعَارَفُهُ النَّاسُ بَيْنَهُمْ ، وَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
يَسْأَلُ هَذَا الْمَلَكَ كَثِيرًا ، وَيُحَاطَبُ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ ، وَأَمَّا بَاطِنُ الْأَمْرِ فَإِنَّ
اللَّهَ تَعَالَى لَا يُصَلِّي عَلَى الْبَيِّنَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِأَجْلِ دُعَائِنَا لِإِنَاءِ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ ،
لِأَنَّ مَعْنَى قَوْلِنَا : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ، أَيْ أَكْرَمِهِ ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ ، وَاللَّهُ سَبْعَانَةٌ
قَدْ قَضَى لَهُ بِالْإِكْرَامِ التَّامِّ وَرِفْعَةِ الدَّرَجَةِ مِنْ دُونِ دُعَائِنَا ، وَإِنَّمَا تَعَبَّدْنَا نَحْنُ بِأَنْ
نُصَلِّيَ عَلَيْهِ لِأَنَّ لَنَا ثَوَابًا فِي ذَلِكَ ، لَا لِأَنَّ إِكْرَامَ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ أَمْرٌ يَسْتَقْبِلُهُ
وَيَسْتَتْبِعُهُ دَعَاؤُنَا .

وَأَيْضًا فَإِنَّ غَضَاضَةً عَلَى الْكَرِيمِ إِذَا سُئِلَ حَاجَتَيْنِ فَقَصَى إِحْدَاهُمَا دُونَ الْأُخْرَى
إِنْ كَانَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ غَضَاضَةٌ فَلَيْسَ فِي رَدِّ الْحَاجَةِ الْوَاحِدَةِ غَضَاضَةٌ أَيْضًا .

الأصل :

مَنْ حَنَّ بِمِرْغِهِ فَلْيَدْعِ الْمِرَاءَ .

الشرح :

قد تقدم من القول في براء ما فيه كفاية ، وحده المراد الجدال المتصل
لا يفصده الحق .

وقيل لثيمون بن سهران . مالك لا تمارق أحاكك عن قل ؟ قال : لأنى
لا أشاريه ولا أماريه .

وكان يقال : ماض قوم بعد إذ هداهم الله [تعالى (١)] إلا بالمرامو الإصرار في الجدال
على نضرة الباطل .

وقال سفيان الثوري : إذا رأيتم الرجل لجوجاً مُمَارِياً معجبا بنفسه فقد
تمت خسارته .

الأصل :

مِنَ الْمُحْرَقِ الْمَعَاذَةُ قَبْلَ الْإِمْسَاكِ ، وَلَأَمَّا نَعْدَ الْفُرْصَةِ .

• • •

البيان :

قد تقدم القولُ في هذين المَقْصِدَيْنِ .

ومن كلامِ ابنِ المعتز : إهمالُ الفرصةِ حتى تَقُوتَ همزٌ ، والمعجزةُ قبل التمكنِ خرقٌ .

وقد جعلَ أميرُ المؤمنين عليه السلامُ كِلَيْنا اِثنين خُرُفاً ؛ وهو صَحِيحٌ ، لأنَّ الحرقَ الحَقُّ ، وقلةُ العقلِ ، وكلنا الحالتين دليلٌ على الحقِّ والنقصِ .

(٣٧٠)

الأمثل :

لَا تَسْأَلْ عَمَّا لَمْ يَكُنْ ، فَنِي الَّذِي قَدْ كَانَ لَكَ شُغْلٌ .

•••

الشيخ :

من هذا الباب قول أبي الطيب في سيف الدولة ^(١) :

لَيْسَ لِلدَّائِحِ تَسْتَوِي مَنَاقِبُهُ فَمَنْ كَلَّيْبٌ وَأَهْلُ الْأَعْمُرِ الْأَوَّلِ ^(٢)
حُذِّ مَاتَرَاهُ وَدَغَّ شَيْئًا مِمَّتْ بِهِ فِي مَلْعَةِ الْبَدْرِ مَا يُضِيكَ عَنْ زُحَلٍ ^(٣)

(١) ديوانه ٣ : ٨١ .

(٢) كليب هو ابن ربيعة رئيس بني تميم وميدم في الجاهلية .

(٣) بطله :

وقد وجدت مكان القول ذا سعة فإن وجدت لساناً قاتلاً قتل

الأصل :

الفكرُ مرآةُ صافيةٌ ، والاعتبارُ مُنذِرٌ ناصحٌ ، وكفى أدباً لِمَنك بِجُشك
ما كرهته لِفَئِركَ .

...

الشرح :

قد تقدم القولُ في نحو هذا . وفي المثل : كفى بالاعتبار من ذرا ، وكفى بالشيب
زاجراً ، وكفى بالموتِ واعظاً ، وقد سبق القولُ في وجوب تجنُّب الإنسانِ ما يكرهه
من غيره .

وقال بعضُ الحكماء : إذا أحببتَ أخلاقَ امرئٍ فكُنْه ، وإن أبغضتَها
فلا تَكُنْه . أخذَه شاعرُهم فقال :

إذا أحببتك خصلَ امرئٍ فكُنْه . كن منك ما يُنحطُك
فليس على المجدِّ والبكرُ مات إذا جتَها حاجبٌ يَحطُّك

الأصل :

الْعِلْمُ مَقْرُونٌ بِالْعَمَلِ ، فَصَرْفُ عِلْمٍ عَمَلٌ ، وَالْعِلْمُ يَهْتَفُ بِالْعَمَلِ ، فَإِنْ أَجَابَ
وَالَا أَوْ تَحَلَّ عَنْهُ .

• • •

الشرح :

لا حير في علم بلا عمل ، ولعلم بغير العمل حجة على صاحبه ، وكلام أمير المؤمنين
عليه السلام بغير بانه لا عالم إلا وهو عامل ، ومُراده بالعلم هاهنا العرفان ؛ ولا ريب أن
العارف لا بد أن يكون عاملا .

ثم استأنف فقال : العلم يهتف بالعمل أي يُبَادِيهِ ، وهذه اللفظة استعارة .
قال : فإن أجابه والّا ارتحل ، أي إِنْ كَانَ الْإِنْسَانُ عَالِمًا بِالْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ
ثُمَّ لَمْ يَعْمَلْ بِهَا سَنَّهَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَمُتْ إِلَّا وَهُوَ مَسْدُودٌ فِي زُمرَةِ الْجَاهِلِينَ ،
وَيُمْكِنُ أَنْ يَفْسَّرَ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ بِقَوْلِهِ : ارْتَحَلَ ارْتَحَلَتْ كَمَرَّتُهُ وَنَتِيجَتُهُ ، وَهِيَ النَّوَابِ ،
فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُشِيبُ الْمَكَفَّ عَلَى عِلْمِهِ بِالشَّرَائِعِ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِهَا ، لِأَنَّهُ إِخْلَالُهُ
بِالْعَمَلِ يُحِيطُ مَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ نَوَابِ الْعِلْمِ لَوْ قَدَّرْنَا أَنَّهُ اسْتَحَقَّ عَلَى الْعِلْمِ ثَوَابًا ، وَأَنَّ
بِهِ عَلَى الشَّرَائِعِ مَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ نَوَابِ الْعِلْمِ .

الأصل :

أيها الناس متاع الدنيا حطيمٌ مومي ، فحَسَبُوا مَرَعَاةً قَسَمْتُهَا أَخْطَى مِنْ طَمَأَيْنَتِهَا ،
 وَنَلَعْتُهَا أَرْكَى مِنْ ثَرَوَتِهَا ، حَكِيمٌ عَلَى مُكَذِّبِهَا بِالْعَاقَةِ ، وَأَعْيَنَ مَنْ هَوَى هَمَهَا
 بِالرَّاحَةِ ، مَنْ رَاقَهُ رِيحُهَا أَغْقَسَتْ بِطَرَفِهِ كَمَبًا ، وَمَنْ اسْتَشْعَرَ الشَّعَفَ سَهَا مَلَأَتْ
 صَبِيرُهُ أَشْعَادًا ، لَهْنٌ رَقِصٌ عَلَى سُوبَدَاءٍ قَدِيرٍ ، هَرَا يَشْعَلُهُ ، وَعَمَّ يُخْزِنُهُ ، كَذَلِكَ حَتَّى
 يُؤَاخِذَ يَكْطِيهِ فَبَلَقَ بِالْغَدَاءِ ، مُنْقَطِعًا أَنْهَرَاءً ، هَيِّنًا عَلَى اللَّهِ فَنَاقُهُ ، وَعَلَى الْإِخْوَانِ
 الْفَنَاقَةُ .

إِنَّمَا يَنْظُرُ الْمُؤْمِنُ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ الْاِغْتِبَارِ ، وَبِقُنُوتِهَا مِنْهَا يَبْطِنُ الْاِضْطِرَّارُ ،
 وَيَسْمَعُ فِيهَا بَادِيَ الْاَلْفَتِ وَالْاِنْصَافِ ، إِنْ قِيلَ تُرَى قِيلَ أَكْذَى ، وَإِنْ فُرِحَ لَهُ
 بِالْبَقَاءِ حُزِنَ لَهُ بِالْعَدَا ، هَذَا وَلَمْ يَأْتِيهِمْ يَوْمٌ هُمْ بِهِ مُتْلِسُونَ .

الشرح :

متاع الدنيا : أمواها وقنياتها .

والخطام : ما تكسر من الخشيش واليفس ، وشبه متاع الدنيا بذلك لحقارته .

ومومي : تحدث للوباء ، وهو المرض العام .

ومرعاة : بقعة ترعى ، كقولك مأسده فيها الأسد ، ونحياء ، فيها الحيات .

وقلعتها يسكون اللام . حيث من طمأينتها : أى كون الإنسان فيها مريحاً متيناً

للتحليل عنها خير له من أن يكون ساكناً إليها ، مطمئناً بالمقام فيها .

والْبُلْعَةُ : ما يتلغ به . والثَرْوَةُ : اليسار والعَيْ ، وإنما حُكِمَ على مُكثريها بالفاقة والفقر لأنهم لا ينتهون إلى حَدٍّ من الثروة والمال إلا وجدوا واجتهدوا ، وحرصوا في طلب الزيادة عليه ، فهم في كل أحوالهم فقراء إلى تحصيل المال ، كما أن من لا مال له أصلاً يَحْدُ ويَحْتَد في تحصيل المال ، بل ربما كان جِدُّهم وحرصُهم على ذلك أعظم من كَدِّح الفقير وحرصه ، ورؤى : « وأعين من عَيَ عنها » ومن رواء « أَعْيَ » أى أغنى الله ، من عَيَ عنها ورَهَد فيها بالراحة وحنو البال وعدم الهم والنم .

والرَّبْرَج : الزينة ، وراقه : أغمته .

والكَمَّة : المعى الشديد ، وقيل : هو أن يولد أعمى .

والأشجان : الأحرار .

والرَقَصُ يَفْتَحُ القاف : الاضطراب ^(١) والمايان والحركة .

والكُتْمُ يَفْتَحُ الطاء : مجرى النفس .

والأبهران : عِرْقَان متعللان ، نَسَب ؛ ويقال للميت : قد انقطع أبهراه .

قوله : « وإنما ينظر المؤمن » : أخبر في الصورة ، وأمر في المعنى ، أى ليعطى المؤمن إلى الدنيا بعين الاعتبار ، وليأكل منها بطن الاضطراب ، أى قدر الضرورة ، لا احتكار أو استكثار ، وليسمع حديثها بأذن الوقت والمناس ، أى ليتخذها عِدْواً قد صاحبه في طريق ، وليأخذ جذره منه جهده ومناقته ، وليسمع كلامه وحديثه لا أستماع مُصَنع ومحبة وامق ، بل أستماع مُبْغِض محترز من عائِلته .

• • •

ثم عاد إلى وصف الدنيا وطالها فقال : إن قيل أُنْزِي قيل : أُنْزِي ، وفاعِلُ « أُنْزِي » هو الصَّيْر العائد إلى مَنْ استشعر الشَّعْبَ بها . بقول : يَبْأُ قَالَ : أُنْزِي ، قيل : افتقر ، لأن هذه صِفة الدنيا في تقاسم أهلها ، وبِ فرح له بالحياة ودوامها ، قيل : مات وعَدِم ، هذا ولم يأتهم يوم القيامة يوم هُزِ فيه مُنْشَوْن ، أليس الرجلُ يُبْلِسُ إبْلاصاً أي قَبِطَ وبُشس ، واللفظ من لَعَطَات الكُتُب المرر^(١) .

[نبد من الأقوال الحكيمة في وصف حال الدنيا وصروفها]

وقد ذكرنا من حال الدنيا وصروفها وعذرها بأهلها فيما تقدم أواماً كثيرة ماضية .
ونحن نذكرها ما زيادة على ذلك .

من كلام بعض الحكماء : ويلٌ لأصاحب الدنيا ، كيف يموت ويتركها ، وتعمته ورثتها وتخذله وبنق بها ويلٌ للمعتزين ، كيف أُرُوا ما يكرهون ، وفاتهم ما يحبون ، وما يؤمنون ما يدينون ، ويلٌ من الدنيا قبحه ، والخطايا عمده ، كيف يفتديهم عدلاً بذاته .

وروى أنس قال كانت ملاقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العَصَا لا سَبَقَ ، في أعراش سَفَقَ ، وسَفَقَ ، فسُقِّ دَانَتْ على المسلمين . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله : « ما في الدنيا شَيْءٌ إِلَّا وَسْعُهُ »

وأيضاً : من دَلَّ على تَوَجُّع المعر داراً ! تنكح الدنيا ، فلا تشجدهم قراراً .

(١) وهو قوله تعالى في سورة الروم ١٢ : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُخْرِمُونَ ﴾ .

وقيل لحكيم : عَلَّمْنَا عَمَلًا وَاحِدَ إِذَا عَمِلْنَاهُ أَحَبَّنَا اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : ابْتَغُوا الدُّنْيَا يُحِبَّكُمْ اللَّهُ .

وقال أبو الدرداء : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَصَحَّحْتُمْ قَلِيلًا ، وَلَسَكُمُ كَثِيرًا ، وَلَهَدَتْ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا ، وَلَأَثَرْتُمْ الْآخِرَةَ » .

ثم قال أبو الدرداء مِنْ قَوْلِ نَفْسٍ : أَيُّهَا النَّاسُ ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَحَرَّجْتُمْ إِلَى الصُّعْدَاتِ تَكُونُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَلَتَرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لَا حَارِسَ لَهَا ، وَلَا رَاحَةَ إِلَيْهَا إِلَّا مَا لَابَدَ لَكُمْ مِنْهَا ، وَلَكِنْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الْآخِرَةِ ، وَحَصَرَهَا الْأَمَلُ ، فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمَلَكُ بَأَعْمَالِكُمْ ، وَمِثْرَتُمْ كَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ ، فَتَمُصُّكُمْ شَرٌّ مِنَ السَّهْمِ الَّتِي لَا تَدَّعِي هَوَاهَا ، مَا لَكُمْ لَا تَحَاطُّونَ وَلَا تَتَنَاصَحُونَ فِي أُمُورِكُمْ ، وَأَنْتُمْ إِحْوَانٌ عَلَى دِينٍ وَاحِدٍ ، مَا فَرَّقَ بَيْنَ أَهْوَائِكُمْ إِلَّا خُشْتُ سَرَائِرَكُمْ ، وَلَوْ احْتَضَمْتُمْ عَلَى الْبِرِّ لَتَحَابَبْتُمْ ، مَا لَكُمْ لَا تَتَنَاصَحُونَ فِي أُمُورِكُمْ ، مَا هَذَا إِلَّا مِنْ قِلَّةِ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ ، وَلَوْ كُنْتُمْ تَوْفَعُونَ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ كَمَا تُؤَفِّقُونَ بِالدُّنْيَا لَأَثَرْتُمْ طَلِبَ الْآخِرَةِ ، فَإِنْ قَسَمْتُ حَبَّ الدَّاحِلَةِ عَالِيًا ، فَإِنَّا نَرَاكُمْ تَدَّعُونَ الْعَاجِلَ مِنَ الدُّنْيَا لِلْآخِلِ مِنْهَا ، مَا لَكُمْ تَمْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا ، وَتَحْزَنُونَ عَلَى الْيَسِيرِ مِنْهَا يَفُوتُكُمْ ، حَتَّى يَنْتَبِذَ فِي وَجْهِكُمْ ، وَيَطْهَرُ عَلَى أَلْسِنَتِكُمْ ، وَتَسْمُونَهَا الْمَصَائِبَ ، وَتُقِيمُونَ فِيهَا الْمَأْتَمَ ، وَعَاقِبَتُكُمْ قَدْ تَرَكُوا كَثِيرًا مِنْ دِينِهِمْ ثُمَّ لَا يَنْتَبِذُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِمْ ، وَلَا تَنْتَبِذُ حَالَهُمْ ، بَاقِيَ نَعْمَتِهِمْ بِمَصْرَافِ الْمَسْرُوفَةِ ، وَيَكْرَهُ كُلُّ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقْبَلَ صَاحِبَهُ بِمَا يَكْرَهُ مَخَافَةَ أَنْ يَسْتَقْبَلَهُ صَاحِبُهُ عِثْلَهُ ، فَاصْطَحَبْتُمْ عَلَى الْعِثْلِ ، وَبَنَيْتُمْ مَرَاغِيَكُمْ عَلَى الدَّمَنِ ، وَتَصَافَيْتُمْ عَلَى رَفْصِ الْأَحْلِ ، أَرَاغَيْتُمْ اللَّهَ مِنْكُمْ ، وَالْحَقُّنِي عَنْ أَحَبِّ رُؤُوبَةٍ .

وقال حكيم لأصحابه : ارْضُوا بِدِينِ الدُّنْيَا مَعَ سَلَامَةِ الدِّينِ ، كَمَا رَضَى أَهْلُ الدُّنْيَا بِدِينِ الدِّينِ مَعَ سَلَامَةِ الدُّنْيَا .

وقيل في مساء :

أَرَى رَجَالاً نَادَى الدِّينَ قَدْ قَبِعُوا وَلَا أَرَاهُمْ رَضُوا فِي الْعَيْشِ بِالدُّوْرِ
فَاسْتَعْنِ بِالَّذِينَ مِنْ دُنْيَا الْمَوْتِ كَمَا تَعْمَقُ لِلْمَوْتِ بِدُيَاهِمُ عَنْ الدِّينِ
وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ : « لَتَأْتِيَنَّكُمْ بَقْدَرِي دُنْيَا نَأْكُلُ إِيْمَانَكُمْ كَمَا نَأْكُلُ
النَّارُ الْحَطَبَ » .

وقال الحسن رحمه الله : أدركتُ أقواماً كانت للديار عندهم وديعةً فأدّوها إلى من
انتهبهم عليها ، ثم ركبوا خيافاً .

وقال أيضاً : من نأفك في دينك فنامته ، ومن نأفك في دنياك فآلقها في نحره .
وقال الفصيح : طالت فكرتي في هذه الآفة : ﴿ إِنَّ جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ رِبَةً
لَهَا لِنَسْأَلَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۖ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صِيداً جُرُوراً ﴾ (١) .

ومن كلام بعض الحكماء : لن تصبح في شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهلٌ قبلك ،
ويكون له أهلٌ من بعدك ، وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة ، وعدها يوم ، فلا
تهلك نفسك في أكله ، وصم عن الدنيا وأمعز على الآخرة ، فإن رأس مال الديار
الهوى ، وربحها النار .

وقيل لبعض الرهبان : كيف ترى الدهر ؟ قال : يُحَيِّقُ الْأَبْدَانُ ، وَيَجِدُّ الْأَمَالَ ،
وَيَقْرُبُ الْمَيَّةَ ، وَيَبَاعِدُ الْأَمْنِيَّةَ . قيل : فما حارٌ أهيه ؟ قال : مَنْ ظَفِرَ بِهِ كَيْسٌ ، وَمَنْ
قَاتَهُ اكْتَابٌ .

ومن هذا المعنى قول الشاعر :

وَمَنْ يَحْمَدِ الدِّيَارَ لَعِيشٍ يَسْرُهُ صَوَفَ كَعَمْرِى عَنْ قَلِيلٍ يَوْمُهَا

(١) سورة الكهف ٧ ، ٨

إذا أدبرت كانت على المرء حسرة وإن أقبلت كانت كثيراً همومها
 وقال نصر الحكيم : كانت الدنيا ولم أكن فيها ، وتذهب الدنيا ولا أكون
 فيها ، ولست أسكن إليها ، فإن عيشها كد ، وصعقها كدر ، وأهلها منها على
 وجل ، إما سعة رائلة ، أو بلية دالة ، أو مينة قاضية . وقال بعضهم : من عيب الدنيا
 أنها لا تعطى أحداً ما يستحق إما أن تزيد له ، وإما أن تنقص .
 وقال سفيان الثوري : أما ترون أنهم كانوا معضوباً عليها ، قد وضعت في
 غير أهلها .

وقال يحيى بن معاذ : الدنيا حافوت الشيطان ، فلا تسرق من حافوته شيئاً ، فإنه
 يبعث في طلبك حتى يأخذك

وقال الفصیل : لو كانت الدنيا من ذهب بئني والآخرة من خرف بئني
 لكان يسي لي أن مختار خرفاً بئني على ذهب بئني ، فكيف وقد اخترت ما خرفاً بئني
 على ذهب بئني !

وقال بعضهم : ما أصبح أحد في الدنيا إلا وهو ضيف ، ولا شئمة في أن
 الصيف مريح ، وما أصبح ذو مال فيها إلا وماله طارية عنده ، ولا ريب أن
 الطارية مرودة .

ومثل هذا قول الشاعر :

وما المال والأهلون إلا ودبة ولا بد يوماً أن رُدَّ الودائع^(١)
 وقيل لإبراهيم بن أدهم : كيف أنت ؟ فأشد :
 رُفِعَ دُنْيَا ما شَرِيق دِينَا فلا دِينَا يَبْقَى ولا ما نُرَفِّعُ

ورارَ راعيةَ العَدْوِيَّةِ أحمأُها ، فذَكَرُوا الدُّنْيَا فَأَقْبَلُوا عَلَى دَمِّهَا ، فَقَالَتْ : اسْكُتُوا
عَنِ ذِكْرِهَا وَكُفُّوا ، فَوَلَا مَوْقِفُهَا فِي قُلُوبِكُمْ أَكْثَرُتُمْ مِنْ ذِكْرِهَا ، إِنَّ مِنْ
أَحَبِّ شَيْئَا أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهَا .

وَقَالَ مُطَرِّفُ بْنُ الشَّحِيرِ : لَا تَطْرُقُوا ، يَا حَفْصُ عَيْشِ الْمُلُوكِ ، وَلَيْنَ رِيَاشِهِمْ ،
وَلَكِنْ انْطَرُوا إِلَى سُرْعَةِ طَعْمِهِمْ ، وَسَوْءِ مَنَافِعِهِمْ قَالَ الشَّاعِرُ :

أَرَى طَالِبَ الدُّنْيَا وَإِنْ طَالَ عَمْرُهُ وَبِشْرٍ مِنَ الدُّنْيَا سُرُورًا وَأَنْفُسًا
كَبَانِي بَنِي مُنِيَّاتِهِ فُقَاتَهُ طَمَأْنِنَتِي مَا قَدْ بَاءَ تَهْدُمًا
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

نَعَالِي اللَّهُ يَأْتِمُّ مِنْ عَمْرٍو أَدَّى الْخِرَاصُ أَعْلَقَ الرِّجَالِ (١)
هَبِ الدُّنْيَا تُسَاقُ إِلَيْكَ عَمْرًا أَيْسَ مَعِيرُ دَاكٍ إِلَى الزَّوَالِ
وَمَا دُنْيَاكَ إِلَّا مَنْسَلٌ قَدْ أَطْلَقَ نَمَّ آدَمَ بِاتِّقَالِ

وَقَالَ نَعَصُمُ : الدُّنْيَا حَيْمَةٌ ، مَنْ أَرَادَ مِنْهَا شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ عَلَى مُعَاشَرَةِ الْكَلَابِ .
وَقَالَ أَبُو أُمَامَةَ السَّاهِلِيُّ : لَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْتَ إِبْلِيسَ
حَنُودُهُ وَقَالُوا : قَدْ بُعِثَ بَنِي ، وَحَدَّثَتْ مِثَّةَ وَأَمَّةَ ، فَقَالَ : كَيْفَ حَالُهُمْ ؟ أَيْحِيُونَ
الدُّنْيَا ؟ قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : إِنْ كَانُوا يَحْتَوِبُونَ فَلَا أُنَالِي إِلَّا بِعُدُوا الْأَصْصَامَ ،
فَإِنَّمَا أَعْدُو عَلَيْهِمْ وَأَرْوَحُ ثَلَاثَ . أَحَدِ أَنْسَ مِنْ غَيْرِ حَقَّةً ، وَإِنْفَاقَهُ فِي غَيْرِ
حَقَّةً ، وَإِسْكَارَهُ عَنْ حَقَّةً ، وَنَشْرُ كَلَّةٍ لِهَذِهِ ثَلَاثَ تَبَعُ .

وَكَانَ مَالِكُ بْنُ دَبَارٍ يَقُولُ : اتَّقُوا السَّخَّارَةَ فَإِنَّهَا تَسْحَرُ قُلُوبَ الْعُلَمَاءِ ، يَعْنِي الدُّنْيَا .

وقال أبو سليمان الرازي: إذ كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا فزاحمتها ، وإذا كانت الدنيا في القلب لم تزاحمها الآخرة ، لأن الآخرة كريمة ، والدنيا لثيمة .

وقال مالك بن دينار : قدّر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك ، وقدّر ما تحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك . وهذا مقتبس من قول أمير المؤمنين عليه السلام : الدنيا والآخرة صرعتان : فتقدّر ما ترضى إحداهما تسخط ^(١) الأخرى .

وقال الشاعر :

يا حاطب الدنيا إلى نفسها تنح عن خطبتها تسلم
إن التي تحطّب غدّارة قريبة العرس من المائمه
وقالوا : لو وصفت الدنيا بعصا لما قالت أحسن من قول أبي نواس فيها :
إذا امتحن الدنيا لييب تكشفت له عن عذري في ثياب صديق ^(٢)

ومن كلام الشافعي يعظ أحياه : يا أخى ، إن الدنيا دخن مرّة ^(٣) ، ودار مدّة ؛ عمراتها إلى الخراب سائر ، وساكنها إلى القبور رائر ؛ تحملها على الفرقة موقوف ، وعيهاها إلى المقر مصروف ، إلا كنار فيها إفسار ، والإفسار فيها يار ؛ فافرع إلى الله ، وأرض يرزق الله ، ولا تسيف من دار بذاك في دار فمالك ، فإن عيشك في زائل ، وجدار مائل . أكثر من عملك ، وأقصر من أمّتك .

وقال إبراهيم بن أدهم لرحل : أدرهم و اسم أحب إليك أم دينار في اليقظة ؟ فقال : دينار في اليقظة . فقال : كدنت ، إن الذي تحبه في الدنيا فكأنك تحبه في المنام ، والذي تحبه في الآخرة فكأنك تحبه في اليقظة .

وقال بعض الحكماء : من فرح قلبه شئ من الدنيا فقد أخطأ الحكمة ، ومن

جَعَلَ شَهْوَتَهُ تَحْتَ قَدَمَيْهِ فَرَّقَ الشَّيْطَانُ مِنْ طَلَبِهِ ، وَمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ هَوَاهُ فَهُوَ الْغَالِبُ .
وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الدُّنْيَا تَبْعُصُ إِلَيْنَا نَفْسَهَا وَحَنَ حُبُّهَا ، فَكَيْفَ لَوْ تَحَبَّيْتُ إِلَيْنَا !

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الدُّنْيَا دَارُ خَرَابٍ ، وَأَخْرَبُ مِنْهَا قَلْبُ مَنْ يَعْمُرُهَا ، وَالْجَنَّةُ دَارُ
عُمُرَانٍ ، وَأَعْمَرُ مِنْهَا قَلْبُ مَنْ يَطْلُبُهَا .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ : الْعُقُلَاءُ ثَلَاثَةٌ : مَنْ تَرَكَ الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ تَتْرُكَهُ ، وَبَقِيَ قَبْرُهُ
قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهُ ، وَأَرْضَى خَالِقَهُ قَبْلَ أَنْ يَتْلَاهُ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْتَعِيَّ عَنِ الدُّنْيَا بِاللَّذِي كَانَ كُطْنِيهِ
النَّارِ بِالنَّارِ .

وَمِنْ كَلَامٍ بَعْضِ فَضَحَاءِ الزُّهَلَاءِ : أَيُّهَا النَّاسُ اعْمَلُوا فِي مَهَلٍ ، وَكُونُوا مِنْ أَهْلِ عِلَى
وَجَلٍّ وَلَا تَفْتَرُوا بِالْأَمَلِ ، وَنَيْلِ الْأَجَلِ ، وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الدُّنْيَا ؛ فَإِنَّهَا حِدَارَةٌ خَرَارَةٌ
خَدَاعَةٌ قَدْ تَرَخَّرَتْ لَكُمْ بِعُرُودِهَا ، وَفَتَنَتْكُمْ بِأَمَانِيَّتِهَا ، وَتَزَيَّنَتْ لَطْفَائِبِهَا ، فَأَضَعَتْ
كَالْعُرُوسِ الْمُتَجَلِّيَةِ ، الْعَيُونَُ إِلَيْهَا مُاخِذَةً ، وَالْقُلُوبُ عَلَيْهَا عَاكِفَةً ، وَالنُّفُوسُ لَهَا طَاشِقَةً .
فَكَمْ مِنْ طَاشِقٍ لَهَا قَتَلَتْ ، وَمَطْلُونٍ إِلَيْهَا خَدَلَتْ ! فَانْظُرُوا إِلَيْهَا بِعَيْنِ الْحَقِيقَةِ ، فَإِنَّهَا
دَارٌ كَثُرَتْ بَوَائِقُهَا ، وَدَمَّهَا خَالِقُهَا ، جَدِيدُهَا يَبُلَى ، وَمُنْكَهَا يَفْنَى ، وَحَرِيرُهَا يَذِلُّ
وَكَثِيرُهَا يَقِلُّ ، وَحَيْثُهَا يَمُوتُ ، وَحَيْثُهَا يَفُوتُ ؛ فَاسْتَقِظُوا مِنْ غَفْلَتِكُمْ ، وَانْتَبِهُوا مِنْ
رَفَدَتِكُمْ ، قَبْلَ أَنْ يَقَالَ : فَلَانٌ عَلِيلٌ ، وَمَدَفٌ ثَقِيلٌ ، فَهَلْ عَلَى الدَّوَاءِ مِنْ دَلِيلٍ ، وَهَلْ
إِلَى الطَّيِّبِ مِنْ سَبِيلٍ ؟ فُدْعَى لَكَ الْأَطْبَاءُ ، وَلَا يُرْجَى لَكَ الشِّفَاءُ ، ثُمَّ يَقَالَ : فَلَانٌ
أَوْصَى ، وَمَالَهُ أَحْصَى ، ثُمَّ يَقَالَ : قَدْ ثَقُلَ لِسَانُهُ بِكُمْ إِحْوَانُهُ ، وَلَا يَعْرِفُ جِيرَانَهُ ،
وَعَمِيقٌ عِنْدَ ذَلِكَ جَبِيلُكَ ، وَتَنَاعَى أَيْبُكَ ، وَثَمَتْ بِقَبِيلِكَ ، وَطَمَحَتْ جَفُونُكَ ، وَصَدَقَتْ
خُطُونُكَ ، وَتَلَجَّجَ لِسَانُكَ ، وَبَكَى إِحْوَانُكَ ، وَقِيلَ لَكَ : هَذَا أَيْبُكَ فَلَانٌ ، وَهَذَا أَحْوَاكُ

فلان ؛ مُبِعَت من الكلام فلا تَنطِق ، وَخُتِمَ على لسانك فلا يَنْطَلِق ، ثُمَّ حُلَّ بِكَ القِصَاء ، وَأُنْزِعَتْ رَوْحُكَ من الأعْصَاء ، ثُمَّ عُرِجَ بِهَا إلى السَّاء ، فَأُجْتَمِعَ عِنْدَ ذَلِكَ إِحْوَالُكَ ، وَأُحْضِرْتَ أَكْهَدُكَ ، فَعَسَوُكَ وَكَفَنُوكَ ، ثُمَّ مَهْلُوكَ فَدَفَنُوكَ ، فَانْقَطَعَ عَوَاتِدُكَ ، وَأُسْتَرِاحَ حُسَادِكَ ، وَانْصَرَفَ أَهْلُكَ إلى مَالِكَ ، وَبَقِيَتْ مَرْثَتُنَا بِأَعْمَالِكَ .

وقال نصرُ الرَّهْدِ لبعض الملوك : إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ نَذْمَ الدِّيارِ وَقِلَافًا مَنْ يُطْلَعُ فِيهَا ، وَأُعْطِيَ حَاجَتَهُ مِنْهَا ، لِأَنَّهُ يَتَوَقَّعُ أَنَّ نَعْدُوهُ عَلَى مَالِهِ فَتَحْتَنَانُهُ ، وَعَلَى جَمِيعِهِ فَتَفَرِّقُهُ أَوْ تَأْتِي عَلَى سُلْطَانِهِ فَتَهْدِمُهُ مِنَ الْفُرُوعِ ، أَوْ تَدْبُ إِلَى جَسَمِهِ فَتُسْقِدهُ ، أَوْ تَفْجِعه بِشَيْءٍ هُوَ صَيِّنٌ بِهِ مِنْ أَحْصَانِهِ ، فَالدِّيارُ الْأَحَقُّ بِالذَّمِّ ، وَهِيَ الْأَحَدَةُ مَا تُعْطَى ، الرَّاجِعَةُ فِيمَا تَهَبُ ؛ فَبِنَا هِيَ تُصَحِّحُ صَاحِبَهَا إِذَا أَصْحَكَتْ مِنْهُ غَبْرًا ، وَيَسَا هِيَ تَكِي لَهُ إِذَا أَبْكَتْ عَلَيْهِ وَيَسَا هِيَ تَبْسُطُ كَفَّهُ بِالْإِعْطَاءِ إِذَا بَسَطَتْ كَفَّهُ إِلَيْهِ بِالْأَسْتِرْجَاعِ وَالْأَسْتِرْدَادِ ، تَعْقِدُ النَّاجِ عَلَى رَأْسِ صَاحِبِهَا الْيَوْمَ وَتُعَفِّرُهُ فِي التَّرَابِ غَدًا ، سِوَاهَا عَلَيْهَا ذَهَابٌ مِّنْ ذَهَبٍ وَبَقَاءٌ مِّنْ بَقَى ، تَعْدُ فِي الْبَاقِ مِنَ الدَّاهِبِ خَدَمًا ، وَتَرَصَّى بِكُلِّ مِّنْ كُلِّ بَدَلًا .

وكتب الحسنُ البصريُّ إلى عمر بن عبد العزيز : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الدِّيارَ دَارُ ظَنَمٍ لَيْسَتْ بِدَارِ إِقَامَةٍ ، وَإِنَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْهَا عَقْرُوهَ فَاحْذَرُهَا فَإِنَّ الرِّادَ مِنْهَا رِيحُهَا ، وَالْفَيْ مِنْهَا قَهْرُهَا ، لَهَا فِي كُلِّ حِينٍ قَتِيلٌ ، تُدِلُّ مَنَ أَعَزَّهَا ، وَتُقْفِرُ مَنَ جَمَعَهَا ، هِيَ كَالشَّمِّ يَأْكُلُهُ مَنَ لَا يَعْرِفُهُ وَهُوَ حَتْمُهُ ، فَكُنْ فِيهَا كَالدَّاءِ فِي حِرَاحِهِ ، يَحْمِي قَلِيلًا مَخَافَةَ مَا يَكْرَهُهُ طَوِيلًا ، وَبَصِيرَةً عَلَى شِدَّةِ الدَّوَاءِ ، مَخَافَةَ طَوِيلِ الْبَلَاءِ ، فَاحْذَرِ هَذِهِ الدِّيارَ الْفَدَارَةَ الْمَكَّارَةَ ، الْخَلْقَالَ الْخَدَّاعَةَ ، الَّتِي قَدْ تَرَبَّنْتَ بِحُدُوعِهَا ، وَفَتَنْتَ بِعُرُورِهَا ، وَتَحَلَّيْتَ بِأَمَلِهَا ، وَتَشَرَّفْتَ لُحْطَابِهَا ، فَأَصْبَحْتَ يَسِيمًا كَالْعُرُوسِ تُحْلَى عَلَى بَطْلِهَا ، الْعَمِيونَ إِلَيْهَا بِأَفْطَرَةٍ ، وَالْقُلُوبَ عَالِيَهَا وَالْهَيْةَ ، وَالنُّفُوسُ لَهَا عَاشِقَةٌ ، وَهِيَ لِأَزْوَاجِهَا كُلِّهَا قَاتِلَةٌ ، فَلَا الْبَاقِيَ بِالْمَاضِي مُعْتَبِرٌ ، وَلَا الْآخِرَ بِالْأَوَّلِ مُرَدِّجِرٌ ، وَلَا الْعَارِفَ بِاللَّهِ حِينَ أَحْبَبَهُ عَنْهَا مَذْكِرٌ ، فَمَنْ عَاشَقَ لَهَا قَدْ

ظفر منها بحاجته ، فافتقر وطعى ونسى العاد ، وشغل بها لثته حتى زلت عنها قلمه ،
فقطعت ندامته ، وكثرت حسرته ، واجتمعت عليه مكرات الموت بآله ، وحسرات
الغوت بعصته ، ومن راعب فيها لم يدرك منها ما طيب ، ولم يرح نفسه من التعب ،
خرج منها غير راد ، وقدم على غير مهذب ؛ فاحذر لها ثم احذر لها وكن أسير ما تكون فيها
أحذر ما تكون ها ، فإن صاحبها كلما اطمأن منها إلى سرور أشغفته إلى مكروه ،
والسار منها لأهلها عاز ، والنافع منها في غدير صر ، قد وصل الرحاء منها بالملأ ، وحمل
البقاء فيها للعناء ؛ فسرورها مشوب بالأحزان ، ونعيمها مكدر بالأشجان ، لا يرجع ما ولى
منها وأدر ، ولا يدري ما هو آت هبته ، أماسها كادته ، وآمالها باطلته ، وصعوبها
كدر ، وعيشها مكدر ، والإنسان فيها على حذر إن عظم واطر ، وهو من النماء على
عرر ، ومن اللأ على حذر ، فلو كان الخلق قد لم يحبر عنها حبرا ، ولم يصرب لها مثلا ،
لكانت هي نفسها قد أيقظت النائم ، ونبهت السافل ، فكيف وقد جاء من الله عنها
راحر ، وبصاريفها واعط ، فالها عند الله قدر ، ولا نظر إليها منذ حاقها ، ولقد عرصت
على بيتك محمد صلى الله عليه وسلم بمعانيها وحرانها لا ينقصه ذلك عند الله حياح
بموضة ، فإني أن يقلها ، كره أن يحذف على لله أسره ، أو يحب ما انقصه حالقه ،
أو يرفع ما وضعه مبيكه ، رواها الرب سبحانه عن الصالحين احتيارا ، وسطها لأعدائه
اغترارا ، فيظن الممرور بها ، المقتدر عابها ، أنه أكرم بها ، وينسى ما صنع الله تعالى
بمحمد صلى الله عليه وسلم من شدة الحخر على نطيه ، وقد جاءت الرواية عنه عن ربه
سبحانه أنه قال لموسى : إذا رأيت النوى مقبلا فقل ذب مجلت عقوبته ، وإذا رأيت
الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين ؛ وإن شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة
عيسى ؛ كان يقول : إدامي الخوع ، وشعاري الخوف ، ولنامي الصوف ، وحيلائي
في الشاء مشارق الشمس ، وسراجي القمر ، ووسادي الحجر ، ودابتي رخلاي ،

وفاكحتي وعلماي ما أنبتت الأرض ، أيت و ليس لي شيء ، وليس على الأرض
أحد أغنى مني .

وفي بعض الكتب القديمة : إن الله تعالى لما بعث موسى وهارون عليهما
السلام إل فرعون قال : لا يروعتكما لباسه الذي ليس من الدنيا ، فإن ماصيته بيدي
ليس ينطق ولا يطرّف ولا ينفس إلا رادّي ، ولا يُحسبكما ما مُتّع به منها ، فإن ذلك
زهرة الحياة الدنيا ، وزينة المترفّين ، رأيت أن أريكما بزيه من الدنيا يعرف
فرعون حين يراها أن مقدّمه جزعاً وهيباً ففعلت ، ولكي أرغب بكما عن ذلك ،
وأزوي ذلك عنكما ، وكسلك أفضل بأوليائي ، إلى لأفودهم عن نصيبها كما يفود الراعي
الشفيق غنمه من مراعي الملكة ، وإلى لأجنتهم حبّ المقام فيها كما يحب الراعي
الشفيق إبله عن مبارك العرّة ، وما ذاك لخواصهم على ، ولكن ليستكملوا نصيبهم من
كرامتي سلماً موهوراً ، إنما يتزّن لي أوليائي بالدّل والخضوع والخوف ، وإن التقوى
لثبتت في قلوبهم ، فتطهر على وحوهم ، فهي ثيابهم التي يلبسونها ، وديارهم الذي
يظهرون ، وضميرهم الذي يستشعرون ، ومحاسنهم التي بها يهزون ، ورجاؤهم الذي إياه
يأملون ، ومخدم الذي به يصعرون ، وسياهم التي بها يعرفون ، فإذا بقيهم أحد كما فليحفظ
لم حنّاه ، وليذلّ لم قلبه وتسا به ، وليعلم أنه من أحاف لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ،
نعم أنا الناصر به يوم القيامة .

ومن كلام بعض الحكماء : الأيام ميهام ، والناس أغراض ، والدمع يرميك كلّ
يوم بسهامه ، ويحترق بك بدياليه وأيامه ؛ حتى يستغرق جميع أجزائك ، ويصير جميع
أبماضك ، فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك ، وسرعة الليالي في بدنك ! ولو
كُشف لك عما أحدثت الأيام فيك من انقاص لا ستوحشت من كلّ يوم يأتي عليك ،
واستقلت مرة الساعات بك ، ولكن تدبر الله تعالى فوق النظر والاعتبار .

وقال بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها - : الدنيا وقتك الذي يرجع إليه طرفك ، لأن ما مضى عنك فقد هانت إدراكه ، وما لم يأت فلا علم لك به ؛ والدهر يوم مقل تنعاه ليته ، وتطويه ساعاته ، وأحداثه تنوالى على الإنسان ، بالتصير والتقصان ، والدهر موكل بتشتيت الجماعات ، وانحرام الشمل ، وتنقل الدُّوَل ، والأمل طويل ، والعمر قصير ، وإلى الله تصير الأمور .

وقال بعض الفضلاء : الدنيا سريرة القساء ، قريبة الانقضاء ، بعيد البقاء ، وتُخيف في الوفاء ، تنظر إليها فتراها ساكنة مستقرة ، وهي سائرة سيرا عنيقا ، ومرحلة ارتحالا سريرا ، ولكن السائر إليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن إليها ، وإنما يحس بذلك بعد انقضائها ومثلها الطل ، فإنه متحرك ساكن ؛ متحرك الحقيقة ، وساكن في الظاهر ، لا تدرك حركته بالبصر الظاهر ، بل بالبصرة الباطنة .

الأمثلة :

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَضَعَ الثَّوَابَ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَالْعِقَابَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ ، ذِيَادَةُ لِعِبَادِهِ
عَنْ نِقْمَتِهِ ، وَحَيَاثَةُ لَهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ .

• • •

البيان :

ذِيَادَةُ ، أَيْ دَفْعًا ذُذَّتُهُ عَنْ كَمَا ، أَيْ دَفَعَتْهُ وَرَدَّتْهُ . وَحَيَاثَةُ مَصْدَرُ حُشْتُ الصَّيْدِ
بِصَمِّ الْحَاءِ ، أَحْوَشُهُ ، إِذَا جُمِعَ مِنْ حَوْلَيْهِ لَتَهْمِرَ فِيهِ إِلَى الْحَبَالَةِ ، وَكَذَلِكَ أَحْشْتُ الصَّيْدَ
وَأَحْوَشْتُهُ ، وَقَدْ احْتَوَشَ الْقَوْمُ الصَّيْدَ إِذَا مَرَّ بِمَعْبِهِمْ إِلَى لَعْنِهِ .

وهذا هو مذهب أصحابنا ، إِنْ فَهَّمْنَا لِمَا كَلَّفَ الْعِبَادَ التَّكَالِيفَ الشَّاقَّةَ ، وَقَدْ كَانَ
يُمْكِنُهُ أَنْ يَجْعَلَهَا غَيْرَ شَاقَّةٍ عَلَيْهِمْ بَأْسَ يَزِيدُ فِي قَدَرِهِمْ ، وَجِبَ أَنْ يَكُونَ فِي مَقَالَةٍ تِلْكَ
التَّكَالِيفُ ثَوَابٌ ، لِأَنَّ إِزَامَ الشَّقِّ كَأَنْزَالِ الْمَشَاقِّ ، فَكَمَا يَصْنَعُ ذَلِكَ عَوَصًا ، وَجِبَ أَنْ
يَتَصَنَّ هَذَا ثَوَابًا ، وَلَا يَنْدُرُ يَكُونَ فِي مَقَابِلَةِ فِعْلِ الْقَبِيحِ عِقَابٌ ، وَإِلَّا كَانَ سُبْحَانَهُ مُمَكِّنًا
الْإِنْسَانَ مِنَ الْقَبِيحِ ، مَعْرِ بَأْسَهُ ^(١) بَعْدَهُ ، إِذَا طَعِمَ الْبَشَرِيَّ بِهَوَى الْعَاجِلِ ، وَلَا يَجْعَلُ بِاللَّدَمِ ،
وَلَا يَكُونَ الْقَبِيحُ قَبِيحًا حَيْثُ فِي لَعْلٍ ، فَلَا تَدْرِي مِنَ الْعِقَابِ لِيَقَعَ الْأَنْزَجَارُ .

الأصل :

بَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا بَقِي فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رُسْمُهُ ، وَمِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا
اسْمُهُ ، وَمَسَاجِدُهُمْ يَوْمَئِذٍ عَامِرَةٌ مِنَ السَّاءِ ، حَرَّابٌ مِنَ الْهَدْيِ ، سُكَّانُهَا وَعُمَارُهَا
شَرُّ أَهْلِ الْأَرْضِ ، مِنْهُمْ تَخْرُجُ الْعِثَّةُ ، وَإِلَيْهِمْ تَدْرِي الْخَطِيئَةُ ، يَرُدُّونَ مَنْ شَذَّ عَنْهَا
فِيهَا ، وَيَسُوقُونَ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا إِلَيْهَا ، يَقُولُ اللَّهُ سُحَّةٌ فِي حَلَمَتِي ، لَا بُعْثَ عَلَى أَوْلَئِكَ
فِتْنَةً أَنْزَلْتُ الْحَلِيمَ فِيهَا حَيْرَانَ ، وَقَدْ فَعَلَ ، وَتَحْنُ نَسْتَقْبِلُ اللَّهَ عَثَرَةَ السَّعْلَةِ .

التبريح :

هذه صفة حال أهل الضلال والعسق والرياء من هذه الأمة ، ألا تراه يقول : سُكَّانُهَا
وَعُمَارُهَا ، يعنى سكان المساجد ، وعمار المساجد شرُّ أهل الأرض ؛ لأنهم أهل ضلالة كمن
يَسْكُنُ الْمَسْجِدَ الْآنَ مِمَّنْ يَمْتَقِدُ التَّجْسِمَ وَالتَّشْبِيهَ وَالصُّورَةَ وَالتَّزُولَ وَالصُّمُودَ وَالْأَعْصَاءَ
وَالْجَوَارِحَ ، وَمَنْ يَقُولُ بِالْقَدَرِ يُضَيِّفُ فُلَ الْكُفْرِ وَالْجَهْلِ وَالْقَبِيحِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ،
فَكُلُّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ فِتْنَةٍ ، يَرُدُّونَ مَنْ حَرَجَ مِنْهَا إِلَيْهَا ، وَيَسُوقُونَ مَنْ لَمْ يَدْخُلْ
فِيهَا إِلَيْهَا أَيْضًا .

ثم قال حاكيا عن الله تعالى : إنه حلف بنفسه ليبعث على أولئك فِتْنَةً ، يعنى استتصالا
وسيفا حاصدا بترك الحليم أى العاقل اللبيب فيها حيران لا يعلم كيف وجه خلاصه .
ثم قال عليه السلام : وقد فعل .

وينبى أن يكون قد قال هذا الكلام فى أيام خلافته ، لأنها كانت أيام السيف
للساط على أهل الضلال من المسلمين ، وكذلك ما بعث الله تعالى على بنى أمية وأتباعهم من
سيوف بنى هاشم بعد انتقاله عليه السلام .

الأصل :

وروي أنه عليه السلام قعاً اعتدل به النبر إلا قال أمام خطبته :
أيها الناس ، اتقوا الله فما حلق أمرؤ عبثاً فيلهو ، ولا ترك سدى فيلمو ،
وما دنياه التي تحسنت له بخلف من الآخرة التي قبحها سوء النظر عنده ،
وما المفرور الذي ظفر من الدنيا بأعلى منه كالأخر الذي ظفر من الآخرة
بأدنى سهميه .

الشرح :

قال تعالى : ﴿ أَحْسِبْتُمْ أَنَّكُمْ عَبَا وَأَنْتُمْ لَا تُرْجَعُونَ ﴾^(١) .
ومن الكلمات النبوية : إن المرء لم يترك سدى ، ولم يخلق عبثاً .
وقال أمير المؤمنين عليه السلام : إن من ظفر من الدنيا بأعلى وأعظم أمنية
ليس كآخر ظفر من الآخرة بأدون درجات أهل الثواب ، لا مناسبة ولا قياس
بين نعيم الدنيا والآخرة .

وفي قوله عليه السلام : « التي قبحها سوء النظر عنده » تصريح بمنه
أصحابنا أهل العدل رحمهم الله ، وهو أن الإنسان هو الذي أصل نفسه لسوء نظره ،
ولو كان الله تعالى هو الذي أصله لما قال : قبحها سوء النظر عنده .

الأصل :

لَا شَرَفَ أَعْلَى مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَلَا عِرٌّ أَعَزُّ مِنَ النُّفُوسِ ، وَلَا مَغْفِلَ أَحْسَنَ مِنَ
الْوَرَعِ ، وَلَا شَفِيعَ أَمَحُّ مِنَ التَّوَنَةِ ، وَلَا كَذْرَأَغَى مِنَ الْقَاعَةِ ، وَلَا مَالٌ أَذْهَبُ لِلْفَاقَةِ
مِنَ الرِّصَى بِالْقَوْتِ .

وَمَنْ اقْتَصَرَ عَلَى بُلْعَةِ الْكَفَافِ فَقَدْ اسْتَطَاعَ الرَّاحَةَ ، وَتَبَوَّأَ خَفْصَ الدُّعَاةِ .
وَالدُّعَاةِ مِفْتَاحُ النَّعْبِ ، وَمَطْيَةُ النَّعْبِ ، وَالْخُرْصُ وَلِكَيْبَرِ وَالْحَسْدُ دَوَائِعُ إِلَى
التَّقَحُّمِ فِي الدُّثُوبِ ، وَالشُّرُّ حَامِصٌ لِمَاوَى الصُّبُوبِ .



الشرح :

كلّ هذه المعاني قد سبق القول فيها مرارا شقّ ؛ تأتي كلّ مرّة بما لم يأت به فيما
تقدّم ، وإلّا يكرّرها أمير المؤمنين عليه السلام لإقامة الحجة على المكذّبين ، كما يكرّر
الله سبحانه في القرآن المواعظ والزواجر ، لذلك كان أبو ذرّ - رضي الله عنه - جالسا بين
الناس فأنته امرأته فقالت : أنت جالس بين هؤلاء ، ولا والله ما عند في البيت همة
ولا سعة^(١) ؛ فقال : يا هذه ، إن بين أيدينا عقبة كروية ، لا يسعون منها إلّا كلّ محفّ .
فرجعت وهي راضية .

(١) نهاية من الأثر : ٢ : ١٦٢ ، ٤ : ٢٥٠ المجمع : سبحانه لا اله فيه ؛ والسعة : ما يسع من
الخوص كالربيل ؛ أي لا مشروب في يديك ولا مأكل .

وقيل لعمر الحكيم : ما مدك ؟ قال : التحمل في الظاهر ، والقصد في الباطن ،
والفنى عما في أيدي الناس :

وقال أبو سبيان الداراني : تنفس قصير دون شهوة لا يقدر عليها أفضل من عبادة
غفيرة ألف عام .

وقال رجلٌ لشر بن الحارث : دع لي فقد أمرتُ بقربي وبعيالي ؛ فقال : إذا قال
لك عيالكَ : ليس عندنا دقيق ولا حبر فادعُ لشر بن الحارث في ذلك الوقت ، فإن
دعائك أفضل من دعائه .

ومن دعاء بعض الصالحين : اللهم إني أسألك ذلّ عسى ، والزهد فيما
حاور الكفاف .

الأصل :

وقال عليه السلام : جابر بن عبد الله الأنصاري :

يا جابر ، قوام الدين والدنيا بأربعة : عالم يستعمل علمه ، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم ، وحواد لا يتحل بمعروفه ، وفقير لا يبيع آخرته بدنيته ، فإذا صبح العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلم ، وإذا نخل العني بمعروفه ناع الفقير آخرته بدنيته .

يا حابر ، من كثرت نعمة الله عليه ، كثرت حوائج الناس إليه ، فمن قام بما يحب الله فيها عرض نعمة الله لدوامها ، ومن ضيع ما يحب الله فيها عرض نعمة لزوجائها .

الشرح :

قد تقدم القول في هذه المعاني . والحاصل أنه رتب اثنين من أربعة إحداهما بالأخرى ، وكذلك جعل في الاثنين الآخرين ، فقال : إن قوام الدين والدنيا بأربعة : عالم يستعمل علمه ، يعنى يعمل ولا يقتصر على أن يعلم فقط ولا يعمل ، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم ، وأصر ما على الجهلاء الاستنكاف من التعلم ؛ فإنهم يستمرون على الجهالة إلى الموت ، والثالث حواد لا يتحل بالمعروف ، والرابع فقير لا يبيع آخرته بدنيته ، أى لا يسرق ، ولا يقطع الطريق ، أو يكتسب الرزق من حيث لا يحبه الله ، كالقيار ، والمواخير ، والمراجرة ، واللساير ، ومحوها .

ثم قال : فالثانية مرتبطة بالأولى إذا لم يستعمل العالم علمه استكشف الجاهل من التعلم ، وذلك لأن الجاهل إذا رأى العالم يعصى ويحاهر الله بالفسق زهد في التعلم ؛ وقال : للمذا تعلم العلم إذا كانت ثمرته الفسق والمصيبة .

ثم قال : والرابعة مرتبطة بالثالثة ، إذا يحمل المَعْنَى بمعروفه ، باع الفقير آخرته بدينار ، وذلك لأنه إذا عدم الفقير اللواصة مع حاجته إلى القوت دفعته الضرورة إلى الدخول في الحرام ، والاكتساب من حيث لا يحسن ، ويبنى أن يكون عوض لفظة جواد لفظة غنى لطابق أول الكلام آخره ، إلا أن الرواية هكذا وردت ، وجواد لا يجعل بمعروفه ، وفي صميم اللقط كون ذلك الجواد غنيا لأنه قد جعل له معروفا والمعروف لا يكون إلا عن طهر غنى ؛ وناقى الفصل قد سبق شرح أمثاله .

الأصل

وَرَوَى أَبُو حَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ فِي رِيَاحِهِ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي نُبَيْلٍ الْقَمِيهِ ،
وَكَانَ يَمُنُّ حَرَجَ لِقِيَالِ الْخَضَّاعِ مَعَ أَبِي الْأَشْعَثِ ، ثُمَّ قَالَ فِيمَا كَانَ يُحْصِنُهُ
النَّاسَ عَلَى الْجِهَادِ : إِنِّي سَمِعْتُ عَيْشَ رَفَعَهُ ثُمَّ دَرَحَتْهُ فِي الصَّالِحِينَ ، وَأُثِمَتْ
ثَوَابُ الشُّهَدَاءِ وَالصَّدِّيقِينَ ، بِقَوْلِ يَوْمَ لَمَّ بِهِ أَهْلُ الشَّامِ :

أَشْهَاءُ الْمُؤْمِنُونَ ، إِنَّهُ مَنْ رَأَى عُدُوَّ يُعْتَلِي بِهِ ، وَصُكْرًا يُدْعَى إِلَيْهِ ، فَشَكَرَهُ
بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وَبَرَّيْ ، وَمَنْ أَشَكَرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ أُجِرَ ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ ،
وَمَنْ أَشَكَرَهُ بِاتِّعَابِ لِكَلِمَةٍ أَلْفِهَا هِيَ الصَّبْرُ وَكَلِمَةُ الصَّالِحِينَ هِيَ النُّفْلُ ،
فَدَلَّكَ الَّذِي أَصَابَ سَبِيلَ الْهُدَى ، وَقَامَ عَلَى الصِّرَاطِ ، وَتَوَرَّى قَلْبُهُ الْيَقِينُ .

البُزْجُ :

قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي السُّبْهِ عَنْ اسْكِرَ ، وَكَيْفِيَّةِ تَرْبِيَةِ ، وَكَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي
هَذَا الْعَصْلِ مُطَابِقٌ ^(١) لِمَا قَوْلُهُ الْمَكْتُوبُ - رَحِمَهُ اللَّهُ

وَقَدْ ذَكَرْنَا فِيمَا تَقَدَّمَ ، وَسَدَّكَرَ فِيمَا عَدُوٌّ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى مَا يَحِبُّ . وَكَانَ السُّبْهُ عَنْ
الْمَكْرُوعِ وَمَعْرِفَاتِهِ لِعَرَبٍ فِي جِهَاتِهَا ، كَانَ فِي قَرِيشٍ حَيْثُ الْعُصُولُ ، تَحَالَفَتْ قَائِلُ
مِنْهَا عَلَى أَنْ يَرْدَعُوا الظَّالِمَ ، وَيَنْصُرُوا الْمَظْلُومَ ، وَيَرُدُّوا عَلَيْهِ حَقَّهُ مَا لَمْ يَحْرُ صَوْفَةً ، وَقَدْ
ذَكَرْنَا فِيمَا تَقَدَّمَ .

(١) د : « يطابق »

الأصل :

وقال عليه السلام في كلام له عبرة من هذا البحرى :

فِيهِمُ الْمُسْكِرُ لِلْمُسْكِرِ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ وَقَلْبُهُ ، فَذَلِكَ الْمُسْكِرُ لِجِصَالِ الْخَيْرِ ؛
 وَفِيهِمُ الْمُسْكِرُ بِيَسَايِهِ وَقَلْبِهِ وَآثَرُهُ بِيَدِهِ ، فَذَلِكَ مُتَمَسِّكٌ بِحَصْنَتَيْنِ مِنْ جِصَالِ
 الْخَيْرِ ، وَمُضَيِّعٌ حَصْلَةَ ؛ وَمِنْهُمْ مُسْكِرٌ بِنَفْسِهِ ، وَآثَرُهُ بِيَدِهِ وَنَفْسُهُ ، فَذَلِكَ الَّذِي
 ضَيَّعَ أَشْرَفَ الْخَصْلَتَيْنِ مِنَ الثَّلَاثِ ، وَتَمَسَّكَ بِوَاحِدَةٍ ؛ وَهُنَّ ثَلَاثٌ لِلْمُسْكِرِ
 الْمُسْكِرُ بِيَدِهِ وَقَلْبِهِ وَبَدَنِهِ ، فَذَلِكَ مَيِّتٌ الْأَحْيَاءِ ؛ وَمَا أَعْمَلُ ابْنٌ كُلَّهَا وَالْجِهَادُ
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ عِنْدَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا كَتَفَتُهُ فِي عَمْرِ لِحَيٍّ ،
 وَإِنْ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا يُقَرُّنَانِ مِنْ أَحَدٍ ، وَلَا يَنْقُصَانِ
 مِنْ رِزْقٍ ، وَأَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ كُنْهِ كِمَةِ عَدَلٍ عِنْدَ إِمَامٍ حَائِرٍ .

الشرح :

قد سبق قولنا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو أحد الأصول الخمسة
 عند أصحابنا . وَبِحَقِّ الْمَاءِ : أُعْطِمَهُ ، وَحُرِّ لِحَيٍّ : ذُو مَاءٍ عَظِيمٍ . وَالْمَفْتَنَةُ : الْعَمَلَةُ الْوَاحِدَةُ ،
 مِنْ نَفَثَتِ الْمَاءُ مِنْ فَيٍّ ، أَيْ قَدَحَهُ بِقُوَّةٍ .

قال عليه السلام : لَا يَعْتَمِدُ أَحَدٌ أَنَّهُ إِنْ أَمَرَ طَائِفًا بِمَعْرُوفٍ ، أَوْ نَهَى طَائِفًا عَنِ مَنْكَرٍ ،
 أَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ سَبَبًا لِقَتْلِ ذَلِكَ الطَّائِفَةِ بِأُمُورٍ أَوْ نَهْيٍ بِأَيَّامٍ ، أَوْ يَكُونُ سَبَبًا لِقَطْعِ رِزْقِهِ
 مِنْ حَيْثُ . فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَدَّرَ الْأَحْسَنَ ، وَفَعَلَ الرُّزْقَ ، وَلَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ أَنْ يَقْطَعَ عَلَى
 أَحَدٍ عَمْرَهُ أَوْ رِزْقَهُ .

وهذا الكلام ينسب أن يُحمل على أنه حثٌ وحثٌّ وتحريضٌ على التَّهْيِيبِ عن السكر
والأمر بالمعروف ، ولا يُحمل على طاهره ، لأنَّ الإنسان لا يجوز أن يُدْفَقَ بسفيهٍ إلى
التَّهْلُكَةِ ، معتدياً على أنَّ الأجل معدَّر ، وأنَّ الرِّقَ مَقْسُومٌ ، وأنَّ الإنسان متى غلب
على قَلْبِهِ أنْ لَطَّامَ يَفْتَنَهُ وَيَقِيمَ على ذلك السكر ، ويصيب إليه سكرًا آحر لم يَحْمُرْ له الإنكار .
فأمَّا كلمة المدلل عند الإمام الحائري فهو ما رُوِيَ أنَّ رِبْدَ سَأَرْقَمَ رأى عبد الله بن زياد -
ويقال : بل يزيد بن معاوية - يَصْرِبُ نَقِصِيرٍ في يده ثِيَابًا خُفَيْنِ عليه السلام حين
جَلَّ إليه رأسه ، فقال له : يَا أَرْقَمَ بَدَكَ ؛ فصدَّها رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ بِقَتْلَاهَا !

[فصل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]

وممن ذكر خلاصة ما يقوله أصحابنا في النهي عن السكر ، وَتَرْكُ الاستِقْصَاءِ فِيهِ
لِلْكِتَابِ الْكَلَامِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَوَّلَى سَطَرٍ لِقَوْلِ فِيهَا مِنْ هَذَا الْكِتَابِ .
قال أصحابنا : الكلام في ذلك يقع من وجوه ، منها وجوه ، ومنها طريق وجوه ،
ومنها كَيْفِيَّةٌ وَجُوهٌ ، ومنها شروطٌ جُحُوسٌ ، ومنها شروطٌ وجُوهٌ ، ومنها كَيْفِيَّةٌ إِيقَاعُهُ ،
ومنها الكلام في النَّاهِي عَنِ الْمَسْكِرِ ، ومنها الكلام في النَّاهِي عَنِ الْمَسْكِرِ .
أَمَّا وَجُوهُهُ : فَلَا رَيْبَ فِيهِ ؛ لِأَنَّ الْمَسْكِرَ فَمِيجٌ كَلَّةٌ ، وَالْقَيْحُ يَحْبُ تَرْكُهُ ، فَيَعْبُ
النَّاهِي عَنْهُ .

وَأَمَّا طَرِيقُ وَجُوهِهِ فَقَدْ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو هَاشِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : إِنَّهُ لَا طَرِيقَ إِلَى وَجُوهِهِ
إِلَّا السَّمْعُ ، وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى ذَلِكَ ، وَوَرَدَ فِيهِ نَصُّ الْقُرْآنِ فِي عِزِّ مَوْصِعٍ .

قال الشيخ أبو علي - رحمه الله - اعقل بدل على وجوهه ، وإلى هـ القول مال شيخنا أبو الحسين رحمه الله .

وأما كفية وجوهه فإنه واجب على السكاية دون الأعيان ، لأن العرض ألا يقع المنكر ، فإذا وقع لأجل إسكار طائفة لم يبق وجه لوجوب الإسكار على من سواها .
وأما شروط حسه فوجوه :

مهما أن يكون ما يسكره قبيحا ، لأن إسكار الحسن وتجرده قبيح ، والقبح على ضرر : منه ما يقبح من كل مكلف ، وعلى كل حال ، كالظلم . ومنه ما يقبح من كل مكلف على وجه دون وجه ، كالزنى بالسهم ، وتصريف الحمام ، والعلاج بالشلح ، لأن ما طوى ذلك لمعرفة الحرب والتفوي على العدو ، وأمرؤ أحوال البلاد بالحمام حسن لا يحور إسكاره ، وإن قصد بالاجتماع على ذلك الاجتماع على التعجب واللهو ومما شربه ذوى الرئب والمعاصي فهو قبيح يجب إسكاره .

ومنه ما يقبح من مكلف ويحسن من آخر على بعض الوجوه ، كشرب البئير ، والقشاعل بالشرطنج ، وأما من يرى خطرها ، أو يختار تقليد من يمتنع تحظرها محرما عليه تعاطيها على كل حال ، ومتى فعلها حسن الإسكار عليه ، وأما من يرى إباحتهما أو من يختار تقليد من يمتنع بإباحتهما ، فإنه يحور له تعاطيها على وجه دون وجه : وذلك أنه يحسن شرب أسيد من عرسكر ولا معاقره والاشتغال بالشرطنج للفرجة وتخرج الرأي والعقل ، ويقبح ذلك إذا قصد به السجف ، وقصد بالشرب المعاقره والسكر ، فالثاني يحسن إسكاره ويجب ، والأول لا يحسن إسكاره لأنه حسن من فاعله .

ومنها أن يعلم المنكر أن ما يسكره قبيح ، لأنه إذا حور حسه كان بإسكاره له وتجرمه إياه محرما لما لا يأمن أن يكون حسا ، فلا يأمن أن يكون ما فعله من النهي

نَهْيًا عَنْ حَسَنٍ ، وَكُلُّ فِعْلٍ لَا يَأْمَنُ فَاعِلُهُ أَنْ يَكُونَ مُحْتَصًا بِوَجْهِ قَبِيحٍ فَهُوَ قَبِيحٌ ، أَلَا تَرَى
أَنَّهُ يَقْبَحُ مِنَ الْإِنْسَانِ أَنْ يَجْعَلَ عَلَى الْقَطْعِ بَازٍ رِيدًا فِي الدَّارِ إِذَا لَمْ يَأْمَنَ إِلَّا يَكُونَ فِيهَا ؛
لَأَنَّهُ لَا يَأْمَنُ أَنْ يَكُونَ خَبْرُهُ كَذِبًا !

وَمِنْهَا أَنْ يَكُونَ مَا يَسْعَى عَنْهُ وَقَعًا ، لِأَنَّهُ غَيْرُ الْوَاقِعِ لَا يَحْسَنُ النَّهْيُ عَنْهُ ، وَإِنَّمَا
يَحْسَنُ الذَّمُّ عَلَيْهِ ، وَالنَّهْيُ عَنْ أَمثَالِهِ .

وَمِنْهَا أَلَّا يَطْلُبَ عَلَى ظَنِّ الْمَكْرِ أَنَّهُ إِنْ أُسْكِرَ الْمُسْكِرُ ، فَعَلَهُ الْمُسْكِرُ عَلَيْهِ ، وَصَمَّ
إِلَيْهِ مَفْكَرًا آخَرَ ، وَلَوْ لَمْ يَسْكُرْ عَلَيْهِ لَمْ يَفْعَلْ لِلْمُسْكِرِ الْآخَرِ ، فَتَقَى عَيْنًا عَلَى ظَنِّهِ ذَلِكَ قَبَحٌ
إِسْكَارُهُ ، لِأَنَّهُ يَصِيرُ مَفْسُودًا ، مَحْوٍ أَنْ يَطْلُبَ عَلَى حُسَا أَنَا إِنْ أُسْكِرْنَا عَلَى شَارِبِ الْخَمْرِ
شُرْبَهَا شَرِبَهَا وَقَرْنَا إِلَى شَرِبَهَا الْقَتْلُ ، وَإِنْ لَمْ يَسْكُرْ عَلَيْهِ شَرِبَهَا لَمْ يَقْتُلْ أَحَدًا .

وَمِنْهَا أَلَّا يَطْلُبَ عَلَى ظَنِّ النَّاهِي عَنِ الْمُسْكِرِ أَنْ نَهْيَهُ لَا يُوْثِرُ ، فَإِنْ عَلِبَ عَلَى ظَنِّهِ
ذَلِكَ قَبِيحٌ نَهْيُهُ عِنْدَ مَنْ يَقُولُ مِنْ أَصْحَابِنَا إِنَّ التَّكْلِيفَ مِنَ الْمَعْلُومِ مِنْهُ أَنَّهُ يَكْفُرُ لَا يَحْسَنُ ،
إِلَّا أَنْ يَحْكُمُوا فِيهِ لَطْفٌ لِمِثْلِ الْمَكْلَفِ . وَأَمَّا مَنْ يَقُولُ مِنْ أَصْحَابِنَا إِنَّ التَّكْلِيفَ
مِنَ الْمَعْلُومِ مِنْهُ أَنَّهُ يَكْفُرُ حَسَنٌ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ لَطْفٌ لِمِثْلِ الْمَكْلَفِ ، فَإِنَّهُ لَا يَصِحُّ مِنْهُ
الْقَوْلُ بِقُبْحِ هَذَا الْإِنْكَارِ .

فَأَمَّا شُرَائِطُ وَجُوبِ النَّهْيِ عَنِ الْمُسْكِرِ فَأُمُورٌ :

مِنْهَا أَنْ يَطْلُبَ عَلَى الظَّنِّ وَقُوعَ الْمَعْصِيَةِ مَحْوٍ أَنْ يَصِيبَ وَقْتُ صَلَاةِ الطَّهْرِ ، وَيَرَى الْإِنْسَانَ
لَا يَتَهَيَّأُ لِلصَّلَاةِ ، أَوْ يَرَاهُ تَهَيَّأً لِشَرْبِ الْخَمْرِ بِإِعْدَادِ آتِيهِ ، وَمَتَى لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ حَسَنٌ
مَتَى أَنْ يَدْعُوهُ إِلَى الصَّلَاةِ ، وَأَنْ لَمْ يَجِبْ عَلَيْنَا دَعَاؤُهُ .

وَمِنْهَا أَلَّا يَطْلُبَ عَلَى ظَنِّ النَّاهِي عَنِ الْمَكْرِ أَنَّهُ إِنْ أُسْكِرَ الْمُسْكِرُ لَحَقَتْهُ فِي نَفْسِهِ
وَأَعْصَانُهُ مَصْرَعٌ عَظِيمٌ ، فَإِنْ عَلِبَ ذَلِكَ عَلَى ظَنِّهِ وَأَنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ مِنْ يَسْكُرْ عَلَيْهِ مِنْ فِعْلٍ

ما يُنْكِرُهُ عليه أيضا ، فإنه لا يجب عليه الإنكار ، بل ولا يحسن منه لأنه مفسدة ، وإن غلب على ظنه أنه لا يفعل ما أسكره عليه ولكنه يصبر به ؛ نُظِرَ فَإِنْ كَانَ يَضُرُّهُ بِهِ أَكْبَرُ قُبْحًا مِمَّا يَتْرُكُهُ إِذَا أَسْكَرَ عَلَيْهِ ، فَبِهِ لَا يَحْسُنُ الْإِنْكَارُ عَلَيْهِ ، لَأَنَّ الْإِنْكَارَ عَلَيْهِ قَدْ صَارَ وَالْحَالَةَ هَذِهِ مَفْسَدَةً ؛ نَحْوُ أَنْ يُنْكِرَ الْإِنْسَانُ عَلَى غَيْرِهِ شُرْبَ الْخَمْرِ ، فَيَتْرُكُ شَرِبَهَا وَيَقْتُلُهُ . وَإِنْ كَانَ مَا يَتْرُكُهُ إِذَا أَسْكَرَ عَلَيْهِ أَكْبَرُ قُبْحًا مِمَّا يَتْرُكُهُ مِنَ الْمَصْرَةِ ، نَحْوُ أَنْ يَهْتَمَّ بِالْكَفَرِ ، فَإِذَا أَسْكَرَ عَلَيْهِ تَرَكَهُ وَحَرَّحَ الْمَكْرَ عَلَيْهِ أَوْ قَتَلَهُ فَإِنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْإِنْكَارُ ، وَيَحْسُنُ مِنْهُ الْإِنْكَارُ ؛ أَمَّا قَوْلُنَا : لَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْإِنْكَارُ ؛ فَلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَبَاحَ التَّكْلِيمَ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ عِنْدَ الْإِكْرَاهِ ، فَهَذَا يَبْعَثُنَا تَرْكُ غَيْرِنَا أَنْ يَتْلَعَ بِذَلِكَ عِنْدَ الْخَوْفِ عَلَى النَّفْسِ أَوَّلَى ؛ وَأَمَّا قَوْلُنَا : إِنَّهُ يَحْسُنُ الْإِنْكَارُ ، فَلَا أَنَّ فِي الْإِنْكَارِ مَعَ الظَّنِّ لَمَّا يَنْزِلُ بِالنَّفْسِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ إِعْرَازًا لِلَّذِينَ عَسَا أَنْ فِي الْإِمْتِنَاعِ مِنْ إِطْهَارِ كَلِمَةِ الْكُفْرِ مَعَ الصَّبْرِ عَلَى قَتْلِ النَّفْسِ إِعْرَازًا لِلَّذِينَ ، لَا فَصْلَ بَيْنَهُمَا .

فَأَمَّا كَيْفِيَّةُ إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ فَهُوَ أَنْ يَتَنَدَّى بِالسَّهْلِ ، فَإِنْ ضَعُفَ وَالْأَثَرُ إِلَى الصَّعْبِ ؛ لِأَنَّ الْعَرَضَ الْأَوَّلَ يَقَعُ الْمُنْكَرُ ، فَإِذَا أَمُكِرَ الْأَوَّلُ يَقَعُ بِالسَّهْلِ فَلَا مَعْنَى لَتَكْلُفِ الصَّعْبِ ، وَلِأَنَّهُ تَعَالَى أَمَرَ بِالْإِصْلَاحِ قَبْلَ الْقِتَالِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ فَاصْبِرُوا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَاصْبِرُوا لَهَا ﴾ (١) .

فَأَمَّا النَّهْيُ عَنِ الْمَكْرِ مَنْ هُوَ ؟ فَهُوَ كُلُّ مُسْلِمٍ تَمَكَّنَ مِنْهُ وَاحْتَصَرَ بِشَرَائِطِهِ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (٢) ، وَلِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ كُلَّ مَنْ شَهِدَ غَيْرَهُ تَارِكًا لِلصَّلَاةِ غَيْرَ مُحَافِظٍ عَلَيْهَا فَلَهُ أَنْ يَأْمُرَهُ بِهَا ، بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ ، لِأَنَّ الْإِمَامَ وَخُلَفَاءَهُ أَوَّلَى بِالْإِنْكَارِ بِالْقِتَالِ ، لِأَنَّهُ أَعْرَفَ بِسِيَاسَةِ الْحَرْبِ وَأَشَدَّ أَسْتَعْدَادًا لَلْأَلَاتِهَا .

فأما الله من هو؟ فهو كل مكلف أحسن بما ذكرناه من الشروط، وغير المكلف إذا هم بالإضرار لغيره بمنعته، ومنع الصبيان وينهون عن شرب الخمر حتى لا يفتقدوه، كما يؤخذون بالصلاة حتى يبروا عليها، وهذا ما ذكره أصحابنا.

فأما قوله عليه السلام: «ومهم المكير بسايه وقبه، والتارك بيده، فذلك متمسك بخصاتين من حاصل الخير، ومضيع خصلة»، فإنه يعني به من يعجز عن الإسكار باليد لما منع، لأنه لم يخرج هذا الكلام مخرج الدم، ولو كان لم يعين العاجز لوجب أن يخرج الكلام مخرج الدم، لأنه ليس بمندور في أن يفكر بقلبه ولسانه إذا أخل بالإسكار باليد مع القدرة على ذلك، وارتفاع الموانع.

وأما قوله: «ضيع أشرف الحصنتين» فاللأم زائدة، وأصله «ضيع أشرف خصلتين من الثلاث»، لأنه لا وجه لتعريف المصنوع ههنا في الحصنتين، بل تعريف الثلاث باللأم أولى؛ وبحور حذفها من الثلاث، ولكن إثباتها أحسن، كما تقول: قتل أشرف رجلين من الرجال الثلاثة.

وأما قوله: «فذلك ميت الأحياء»، فهو نهاية ما يكون من الدم. وأعلم أن الله عن المنكر، والأمر المعروف عند أصحابنا أصل عظيم من أصول الدين، وإليه تدب الخوارج الذين خرجوا على السلطان، متمسكين بالدين وشعار الإسلام، مجتهدين في العادة، لأنهم إنما خرجوا لما ظنوا على ظنهم، أو علموا جور الولاة وظلمهم، وأن أحكام الشريعة قد عيبت، وحكيم بما لم يحكم به الله، وعلى هذا الأصل تبنى الإسماعيلية من الشيعة قتل ولاية الخوارج غيلة، وعليه بناء أصحاب الزهد في الدنيا الإسكار على الأمر والخفاء، ومواضعهم بالكلام الطليظ لما عجزوا عن الإسكار بيده؛ وبالجملة فهو أصل شريف أشرف من جميع أبواب البر والعبادة، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام.

الأصل

وروى أبو جُحَيْفَةَ قَالَ : سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ :

إِنَّ أَوَّلَ مَا تُعَلِّقُونَ عَلَيْهِ مِنْ أَحْزَابٍ ، الْجِهَادُ بِأَيْدِيكُمْ ، ثُمَّ بِاللِّسَانِ ، ثُمَّ بِأَقْدَامِكُمْ ، فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ يَقْدَرَهُ مَعْرُوفًا وَلَمْ يُسْكِرْ مُسْكِرًا ، قَلِبَ فَجَعَلَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ ، وَأَسْفَلَهُ أَعْلَاهُ .

• • •

الشرح :

إنما قال ذلك لأن الإسكار بالقلب آخرُ المراتب ؛ وهو الذي لا بدَّ منه على كل حال ، فأما الإسكار بالآثار واليد فقد يكون منهما بُدٌّ ، وعنها عُدْرٌ ، فمن ترك النهي عن التكرار بقلبه ، والأمر بالمعروف بقلبه ، فقد سَخِطَ اللهُ عليه لعصيانه ، فصار كالمنسوخ الذي يحلَّ اللهُ تعالى أعلاه أسفله ، وأسفله أعلاه تشويهاً لطافته ، ومن يقول بالأنفس الجسدية ، وإنها مد لمعارضة بصفتها إلى العالم العلوي ، وهي نفوس الأشرار . وبعضها يبرل إلى المركز ، وهي نفوس الأشرار ، يتأول هذا الكلام على مذهبه ، فيقول : إن مَنْ لا يعرف نفسه معروفاً ، أي لا يعرف من نفسه باعثاً عليه ولا متقاضياً بعمله ، ولا يُسْكِرُ بقلبه مسكراً ، أي لا يأنف منه ولا يستغربه ، ويتمتع من فعله بقلب نفسه التي قد كان سبيلُها أن تصعد إلى عالمها فتحلَّ هاويةً في حضيض الأرض ، وذلك عندئذ هم هو المذاب والمقاب .

الأضل :

إِنَّ الْحَقَّ ثَقِيلٌ مَرِيٌّ ، وَإِنَّ الْبَاطِلَ خَفِيفٌ وَبَيٌّ .

الْبَزْخ :

يقول : مرؤ الطعام بالضم ، يمرؤ مראה فهو مَرِيٌّ على « قِيل » مثل خفيف وثقيل ، وقد جاء مَرِيٌّ الطعام بالكسر ، كما قالوا فقه الرجل وفقهه . ووَ بِي اللد بالكسر يَوْ بًا وباءة فهو وَ بِيٌّ على « قِيل » أيضا ، ويجوز فهو وَ بِيٌّ على « قِيل » مثل حَذِرَ وأشِيرَ .

يقول عليه السلام : الحق وإن كان ثقيلًا إلا أن عاقبته محمودة ، وممّنته صالحة ، والباطل وإن كان حميما إلا أن عاقبته مدمومة ، وممّنته غير صالحة ، فلا يحمان أحدكم حلاوة عاجل الباطل على فعله ، فلا خير في لذة قبيلة عاجلة ، يتعقها مصرا عظيمة آجلة ، ولا يصرفن أحدكم عن الحق ثقله فإنه سيعمد عتقى ذلك ، كما يحمد شارب الدواء المرّ شرهه فيما بعد إذا وُجد لذة العافية .

الأصل :

لَا تَأْمَنَنَّ عَلَى خَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَذَابَ اللَّهِ ، لِقَوْلِهِ سُجْعَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ ^(١) وَلَا تَيَأْسَنَّ لِشَرِّ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ تَعَالَى ، ﴿ إِنَّهُ لَا يَيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ^(٢) .



الشرح :

هذا كلامٌ يبني أن يُحتمل على أنه أراد عليه السلام النهي عن القطع على مصيب أحدٍ من الناس ، وأنه لا يجوز لأحد أن يقول : فلان قد نجا ، ووجبت له الجنة ، ولا فلان قد هلك ووجبت له النار ، وهذا القول حق ، لأن الأعمال الصالحة لا يُحكم لصاحبها بالجنة إلا بسلامة العاقبة ، وكذلك الأعمال السيئة لا يُحكم لصاحبها بالنار إلا إن مات عليها ؛ فأمّا الاحتجاج بالآية الأولى فلقد أتى أن يقول : إنها لا تدل على ما أفتى عليه السلام به ، وذلك لأن معناها أنه لا يجوز للعاصي أن يأمن مكر الله على نفسه ، وهو مقيم على عصيانه ، ألا ترى أن أولها : ﴿ أَقَامِينَ أَهْلَ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ • أَوْ أَمِينَ أَهْلَ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا صُحًى وَهُمْ يُلَمْسُونَ • أَقَامِينَا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ ^(٣) ، وليست دالة على ما نحن

(٢) سورة يوسف ٨٧

(١) سورة الأعراف ٩٩

(٣) سورة الأعراف ٩٧ - ٩٩

فيه ، لأن الذي يحن فيه : هل يحور لأحد أن يأمن على الصالحين من هذه الأمة عذاب الله .

فأما الآية الثانية فالاحتجاج بها جيد لا شبهة فيه ، لأنه يحوز أن يتوب العاصي والثوبة من روح الله .

فإن قلت : وكذلك يحوز أن يسكن المسلم الطبع .

قلت : صدقت ، ولكن كفره ليس من مكر الله ، فذلك على أن للراد الآية أنه لا ينبغي للعاصي أن يأمن من عقوبة الله مادام عاصياً ، وهذا غير مسألتنا .

الأصل :

الْمُحَلُّ حَامِصٌ لِسَاوِيٍّ الْمَيُوبِ ، وَهُوَ زِمَامٌ يُقَادُّ بِهِ إِلَى كُلِّ سُوءٍ .

البنع :

قد تقدم القول في البخل والشع . ونحن تذكر هاهنا زيادات أخرى .

[أقوال مأثورة في الجود والبخل]

قال بعض الحكماء : السَّخَاءُ هَيْئَةٌ لِلْإِنْسَانِ ، دَاعِيَةٌ إِلَى تَذَلُّ الْمُقْتَنِيَّاتِ ، حَصَلَ مَعَهُ
الْبَذَلُ لَهَا أَوْ لَمْ يَحْصُلْ ، وَذَلِكَ حَقٌّ ، وَبِقَابِهِ الشَّعْ ؛ وَأَمَّا الْجُودُ ، فَهُوَ بَذَلُ الْمُقْتَنَى ؛
وَيُقَالُ الْمُخِلُّ ؛ هَذَا هُوَ الْأَصْلُ ، وَإِنْ كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِمَّاهُ قَدْ يُسْتَعْمَلُ فِي مَوْضِعٍ
الْآخَرِ ، وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ هَذَا انْتَرَقَ فِيهِمْ جَمَلُوا اسْمَ الْفَاعِلِ مِنَ السَّخَاءِ وَالشَّعْ عَلَى
نَاءِ الْأَفْعَالِ الْعَرَبِيَّةِ ، فَقَالُوا : شَحِيحٌ وَسَخِيٌّ ، فَمَنَوَهُ عَلَى « فَعِيل » كَمَا قَالُوا : حَسِيمٌ
وَسَمِيمٌ وَعَفِيفٌ ، وَقَالُوا : جَانِدٌ وَنَاحِلٌ ، فَمَنَوَهُمَا عَلَى « فَاعِل » كَصَارِبٍ وَقَاتِلٍ ؛ فَأَمَّا قَوْلُهُمْ :
يَخِيلُ ، فَخُصِرَ عَنْ لَعْنِ « فَاعِل » لِلْبَالَةِ ، كَقَوْلِهِمْ فِي رَاحِمٍ رَحِيمٌ ، وَيَدُلُّ أَيْضًا عَلَى
أَنَّ السَّخَاءَ عَرَبِيَّةٌ وَحُلِقَ أَنَّهُمْ لَمْ يَصِفُوا الْبَارِيَّ سَبْحَانَهُ ، بِهِ فَيَقُولُوا سَخِيٌّ ، فَأَمَّا الشَّعْ
فَقَدْ عَظُمَ أَمْرُهُ وَخُوفُ مَنَّهُ ، وَهَذَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ : شَخٌّ مُطَاعٌ ،
وَهَوًى مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابٌ لِلرَّءِ نَفْسُهُ » ، نَحْصَرُ الْمَطَاعَ تَنْبِيْهَا عَلَى أَنَّ وَجُودَ الشَّعْ

في النفس فقط ليس مما يستحق به ذم لأنه ليس من فعله ، وإنما يذم بالانقياد له ؛ قال سبحانه : ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ ﴾ ^(١) ، وقال : ﴿ وَأَخْصِرِ الْأَفْصَى الشُّحَّ ﴾ ^(٢) .
وقال عليه السلام : لا يجتمع شح وإيمان في قلب أحد .

فإنما الجود فإنه محمود على جميع أسنة العالم ، وهذا قيل : كفى بالجود مدحا أن اسمه مطلقا لا يقع إلا في شح ، وكفى بالشح دما أن اسمه مطلقا لا يقع في دم .
وقيل لحكيم : أية أفعال الشر أشبه بأفعال الجود ؟ فقال : الجود .

وقال النبي صلى الله عليه وآله : « الجود شجرة من أشجار الجنة ، من أخذ بعض من أغصانها أذاه إلى الجنة ، والشح شجرة من أشجار النار من أخذ بعض من أغصانها أذاه إلى النار » .

ومن شرف الجود أن الله سبحانه قرآن ذكره بالإيمان ، ووصف أهله بالعلاج ، والعلاج اسم جامع لعادة الدارين ؛ قال سبحانه : ﴿ لَدَيْنَا يَوْمُ الْمُؤْمِنِ وَالْغَيْبِ وَيُفْقِرُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُعْجِلُونَ ﴾ إلى قوله . ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(٣) . وقال : ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(٤) .

وحق للجود أن يُقرآن بالإيمان ، فلا شيء أحسن به وأشد محاباة له منه ، ومن من صفة المؤمن اشترح الصدر ، كما قال تعالى : ﴿ مَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يُمْسِكْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يُمْسِكْ صَدْرَهُ صَيِّقًا خَرَجًا كَذَّبًا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ ^(٥) ، وهذا من صفات الجواد والتعبد ، لأن الجواد واسع صدر ، مشرح مستنير ، للإيمان والبذل ، والتعبد قنوط صيق الصدر ، خرج القلب تمليك .
وقال النبي صلى الله عليه وآله : « وأي ذاء أدوأ من الشح » .

والشح على ثلاثة أصناف : شح الإنسان بما له على نفسه ، وشح الله على غيره ، وشح

(٢) سورة النساء ١٢٨

(٤) سورة الحشر ٩

(١) سورة التين ١٦

(٣) سورة العنكبوت ٣ - ٤

بِمَالٍ حَبِيرَةٍ عَلَى نَفْسِهِ أَوْ عَلَى غَيْرِهِ وَتُحْشَبُ لِحُلِّهِ مَالٍ غَيْرِهِ عَلَى نَفْسِهِ ، وَأَهْوَأُهَا وَإِنْ كَانَ لَا هَيْئَ فِيهَا ، تُحْلَى بِمَالِهِ عَلَى غَيْرِهِ .

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « اللَّهُمَّ احْصِ لِمَنْ لَمْ يَلْقَ حَقًّا ؛ وَلَمْ يَكُ تَلَمَّا » .

وَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْزِلُ الْمَعُونَةَ عَلَى فِدْرِ الْمُؤْتُونَ » .

وَقَالَ أَيْضًا : « مَنْ وَسَّعَ وَسَّعَ عَلَيْهِ » .

وَقَالَتْ ابْنُ الْمَلِكِ : الْجُودُ عَلَى أَنْصَابٍ : فَهِيَ الْجُودُ الْأَعْظَمُ ، وَهُوَ الْجُودُ الْإِلَهِيُّ ، وَهُوَ الْعَيْشُ الْعَامُّ الْمَطْلُوقُ ، وَإِنَّمَا يَخْتَلِفُ لِاخْتِلَافِ أُمُودِهَا وَاسْتِعْدَادَاتِهَا ، وَإِلَّا فَالْعَيْشُ فِي نَفْسِهِ عَامٌّ غَيْرُ حَاصٍ ، وَبَعْدَهُ جُودُ الْمُلُوكِ ، وَهُوَ الْجُودُ نَحْوُ مَنْ مَالٍ عَلَى مَنْ تَدْعُوهُمْ الدَّوَاعِي وَالْأَعْرَاصُ إِلَى الْجُودِ عَلَيْهِ ، وَبَتْلُوهُ جُودُ السُّوقَةِ ، وَهُوَ تَدْلُ الْمَالِ لِلْعَمَلَةِ أَوْ التَّدَامِي وَالشَّرْبِ وَالْمَعَاشَرِينَ وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْأَقَارِبِ .

قَالُوا : وَاسْمُ الْجُودِ بِحَرِّ إِلَّا الْجُودُ^(١) الْإِلَهِيُّ الْعَامُّ ؛ فَإِنَّهُ عَارٍ عَنِ الْفَرَصِ وَالِدَّاعِي . وَأَمَّا مَنْ يُعْطَى لِعَرْضٍ وَدَّاعٍ يَحْوِي بِحُبِّ النِّسَاءِ وَالْحَمْدَةِ ، فَإِنَّهُ مُسْتَعِيمٌ وَتَاخِرٌ يُعْطَى شَيْئًا لِيَأْخُذَ شَيْئًا ، قَالُوا قَوْلَ أَبِي نُوَّاسٍ .

فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ النِّسَاءِ عَلَيْهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ
لَيْسَ نَعَايَةً فِي الْوَصْفِ بِالْجُودِ سَمٌ ، بَلْ هُوَ وَصْفٌ بِتَحَارَةِ مَحْمُودَةٍ ، وَأَحْسَنُ مِنْهُ قَوْلُ

ابْنِ الرَّومِيِّ :

وَتَاخِرُ السَّبْرِ لَا يَزَالُ لَهُ رِيحَانٌ فِي كُلِّ مَتَجَرٍّ تَحْرَهُ

أَحْرٌ وَحَدٌّ وَإِنَّمَا صَبَّ الْأَجْرُ رَوْلُكُنْ كَلَاهَا اعْتَوَرَهُ

وَأَحْسَنُ مِنْهُمَا قَوْلُ بَشَّارٍ :

لَيْسَ يُعْطِيكَ لِلرَّحَاءِ وَلَا لِحَوْ مِرٍ وَلَكِنْ يَلْدُ طَعْمَ الْعَطَاءِ^(٢)

وَنَحْنُ قَدْ ذَكَّرْنَا مَا فِي هَذَا مُوَصَّعٍ مِنْ اسْتَحْثَ الْعَقْلُ فِي كُنْ مَا الْعَقْلِيَّةِ .

(١) ب « عَلَى الْجُودِ » .

الأصل

يَا بْنَ آدَمَ ، الرِّزْقُ رِزْقَانِ : رِزْقٌ تَطْلُهُ ، وَرِزْقٌ يَطْلُكَ ، فَإِنْ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ ،
فَلَا تَحْمِلْ هَمَّ سَدِّكَ عَلَى هَمِّ يَوْمِكَ ؛ كَمَا كُنْ يَوْمَ مَا فِيهِ ، فَإِنْ نَكَّرَ السَّنَةُ مِنْ
عُمْرِكَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيُؤْتِيكَ فِي كُلِّ عَدِيدٍ حَديقاً قَسِمَ لَكَ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لِسَنَةٍ
مِنْ عُمْرِكَ ، فَمَا تَصْنَعُ بِالْهَمِّ فِيمَا لَيْسَ لَكَ ، وَلَمْ يَسْغُفْكَ إِلَى رِزْقِكَ طَالِبٌ ، وَلَنْ يَقْبَلَكَ
عَلَيْهِ غَالِبٌ ، وَنَنْبُطِي عَنْكَ مَا هَذَا مُدْرَكَ .

قال : وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم من هذا الباب ، إلا أنه ها هنا
أوضح وأشرح ، فذلك كثر ما على السعداء المقرره في أول هذا الكتاب .

الشيخ :

قد تقدم القول في معنى هذا الفصل ؛ ورؤى أن جماعة دخلوا على الخليل ،
فاستأدبوه في طلب الرق ، فقال : إن علمت أي موضع هو فاطلبوه ، وإلا : فنبأ
الله تعالى ذلك ؛ قال : إن علمت أنه يلبسكم فدكروه ، قالوا : فتدخل البيت وتوكل
ونتظر ما يكون ؛ فقال : التوكل على السحرة شئت ، ونوا : فما الحيلة ؟ قال :
ترك الحيلة .

ورؤى أن رجلاً لازم باب عمر فصحر منه ، فقال له : يا هذا ، هاجرت إلى الله
تعالى أم إلى باب عمر ؟ اذهب فتعلم القرآن ؛ فإنه سيعيبك عن باب عمر ، فذهب الرجل

وعاب مدة حتى اعتقه عمر ، فإذا هو معتزل مشغل بالعبادة ، فتاه عمرُ فقال له : إني اشتقت إليك ، فما الذي شغلك عني ! قال : إني قرأت القرآن فأغني عن عمر وآل عمر ، فقال : رحمك الله ! فما وجدت فيه ؟ قال : وجدتُ فيه : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ^(١) ﴾ : فقلت : رزقي في السماء ، وأنا أطلبه في الأرض ، إني لبئس الرّاحل ، فبكى عمرُ وقال : صدقت ، وكان بعد ذلك يتناه ويحلسُ إليه .



الأصل

رُبَّ مُتَقَبِّلٍ يَوْمًا لَيْسَ بِمُتَذَكِّرِهِ ، وَمَعْشُوطٍ فِي رُؤْلِ لَيْسَةٍ قَامَتْ بِوَأَكْبِهِ
فِي آخِرِهِ ^(١) .

الجنح :

مثل هذا قول الشاعر :

بَارَاقَدَ اللَّيْلِ مَسْرُورًا بِأَوَّلِهِ  لَيْسَ بِالْخَوَادِثِ قَدْ يَطْرُقُ أَسْعَارًا

ومثله :

لَا يَحْرَمُكَ عَنْهُ سَاكِرٌ قَدْ يُؤَانِي بِالْمَيَّاتِ السَّحَرُ

(١) في د « ومعشوط في أول ليل همت بواكبه في آخره » .

الأضل :

الكلام في وثائق ما لم تتكلم به ، فإذا تكلمت به صرحت في وثائقه ؛
فاخزن لسانك كما تحزن ذهبك وورقتك ؛ فرب كلمة سكت بركة .

البشر :

قد تقدم القول في مدح الصمت ودم الكلام الكثير .

وكان يقال : لا خير في الحياة إلا لصمت وابع ، أو ناطق بحسن .

وقيل لحذيفة : قد أطلت سعن لسانك ! فقال : لأنه غير مأمون [إذا أطلق]^(١) .

ومن أمثال العرب : رب كلمة تقول : دعى .

وقالوا : أصابها أن بعض ملوك الحيرة كان قد استراب ببعض خوله ، فزل يوما وهو

يتصيد على ناقة ، ونزل أصحابه حوله فأفاضوا في حديث كثير ، فقال ذلك الإنسان :

أرى لو أن رجلا ذبح على رأس هذه الناقة هل كان يسيل دمه إلى أول الفائط ؟ فقال

الملك : هلموا فادأخوه لشطر ، فدأخوه ، فقال الملك : رب كلمة تقول : دعى .

وقال أكرم بن صفي : من أكرام الرجل نفسه ألا يتكلم بكل ما يعلم .

وتذاكر قوم من العرب وفيهم رجل جاهل ساكت ، فقيل له : بحق ما سمعتم

خبر من العرب^(٢) ، فقال : أما علمتم أن لسان المرء لغيره ، ومعه لنفسه !

(١) من أ . د .

(٢) كذا في أ ، وبعد في ب . فقالوا له : لم لا تتكلم ؟ فقال : أما علمتم . . .

الأخضر :

لَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ ؛ كَلَّ لَا تَقُلْ كُلَّ مَا تَعْلَمُ ، فَإِنَّ أَقْبَلَ مُبْحَاثَهُ قَدْ مَرَضَ
عَلَى جَوَارِحِكَ كَدُّهَا فَرَاغَتْ يَحْتَاجُ بِهَا عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

البنج :

هَذَا نَهَى عَنِ الْكُذْبِ ، وَأَنْ تَقُولَ مَا لَا تَأْمَنُ مِنْ كَوْنِهِ كَدُّهَا ، فَإِنَّ الْأَمْرَيْنِ
كِلَاهُمَا قَبِيحَانِ عَقْلًا وَعَدْلًا .

فَإِنْ قُلْتَ كَفَّ بِقَوْلِ أَحْمَاسِكَ : إِنَّ الْخَبَرَ الَّذِي لَا يَأْمَنُ كَوْنَهُ كَدُّهَا قَبِيحٌ ، وَالنَّاسُ
يَسْتَحْسِنُونَ الْأَجَارَ عَنِ اللَّطُونِ^(١) .

قُلْتُ : إِذَا قَالَ الْإِنْسَانُ : زَيْدٌ فِي الدَّارِ وَهُوَ يَعْطِ فِي الدَّارِ وَلَا يَقْطَعُ عَلَيْهِ ، فَإِنَّ الْحَسَنَ
مِنْهُ أَنْ يُخْبِرَ عَنْ غَلْمِهِ كَأَنْ يَقُولَ : أَحْبَبُّ عَنْ أَتَى أَطْرُقُ أَنْ زَيْدًا فِي الدَّارِ ، وَإِذَا كَانَ
هَذَا هُوَ تَقْدِيرُهُ فَالْخَبَرُ إِذَنْ خَيْرٌ عَنْ مَعْرُومٍ لَا عَنْ مَعْلُومٍ ، لِأَنَّهُ قَاطِعٌ عَلَى أَنَّهُ طَائِفٌ أَنْ
زَيْدًا فِي الدَّارِ .

فَأَمَّا إِذَا فَرَضَ الْخَبَرُ لَا عَلَى هَذَا الْوَحْدِ بَلْ عَلَى تَقْطَعُ بَأَنَّ زَيْدًا فِي الدَّارِ وَهُوَ لَا يَقْطَعُ
عَلَى أَنَّ زَيْدًا فِي الدَّارِ ، فَقَدْ أَحْبَبَّ مَحْبَرٍ لَيْسَ عَلَى مَا أَحْبَبَّ بِهِ عَنْهُ ، لِأَنَّهُ أَحْبَبَّ عَنْ أَنَّهُ
قَاطِعٌ ، وَلَيْسَ قَاطِعٌ ، فَكَانَ قَبِيحًا .

الأصل :

أَحْذَرُ أَنْ يَرَاكَ اللَّهُ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ ، وَيَقْدَرَكَ عِنْدَ طَاعَتِهِ ، فَتَكُونَ مِنَ
الْعَاصِرِينَ ؛ وَإِذَا قَوَّيْتَ قَاتُوا عَلَى نَاعَةِ اللَّهِ ، وَإِذَا صَغُفْتَ تَضَعُفُ عَنْ
مَعْصِيَةِ اللَّهِ .

•••

البرج :

مَنْ عِلْمٌ بَقِيَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِرَأْسِ مَعْصِيَتِهِ ، كَانَ أَجْدَرُ النَّاسِ أَنْ يَحْتَنِيَهَا ؛ كَمَا إِذَا عَلِمْنَا
بَقِيَا أَنَّ الْمَلِكَ بَرَى الْوَاحِدَ مَتَى وَهُوَ يَرَاوِدُ حَارِبَتَهُ عَنْ نَفْسِهَا ، أَوْ يَحَادِثُ وَلَدَهُ لِيَفْجُرَ بِهِ ،
وَلَكِنْ الْيَقِينُ فِي الْبَشَرِ ضَعِيفٌ جَدًّا ، أَوْ أَتَاهُمْ أَحَقُّ الْحَيَوَانِ وَأَجْهَلُهُ ، وَبِحَقِّ أَقُولُ : إِنَّهُمْ
إِنْ اعْتَقَدُوا ذَلِكَ اعْتِقَادًا لَا يَحَالِطُهُ الشَّكُّ ، ثُمَّ رَاقَعُوا لِلْمَعْصِيَةِ ، وَعِنْدَهُمْ عَقِيدَةٌ أُخْرَى
نَابِتَةٌ أَنَّ الْعُقَابَ لَا حَقَّ بَيْنَ عَصَى ، فَلِذَا الْإِلَّالَ وَالْبَقَرَةَ أَقْرَبُ إِلَى الرَّشَادِ مِنْهُمْ .

وَأَقُولُ : إِنَّ الْفِي جَرَأِ النَّاسِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ الطَّمَعُ فِي الْمَغْفَرَةِ ، وَالْمَعْوِ الْعَالَمِ . وَقَوْلُهُمْ :
الْحِلْمُ وَالْكَرَمُ وَالصَّفْحُ مِنْ أَحْلَاقِ ذَوِي السَّاعَةِ وَالْفَصْلُ مِنَ النَّاسِ ، فَكَيْفَ لَا يَكُونُ
مِنَ الْبَارِي سَبْعَانَهُ عَفْوٌ عَنِ الذَّنْبِ ؟

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ شَيْخِنَا أَبِي عَنِّ رَحِمَهُ اللَّهُ : لَوْلَا الْقَوْلُ بِالْإِرْجَاءِ ، لَمَا عُصِيَ اللَّهُ
فِي الْأَرْضِ .

الأصل

الرُّكُونُ إِلَى الدُّنْيَا مَعَ مَتَاعَيْنِ مِنْهَا حَلَلٌ ، وَالتَّقْصِيرُ فِي حُسْنِ الْعَمَلِ
إِذَا وَرَّعْتَ بِالنَّوَابِ عَلَيْهِ غَيْبٌ ، وَالطَّمَأِينَةُ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ قَلْبُ الْاِخْتِيَارِ
لَهُ عَصْرٌ .

البيان :

قد تقدم الكلام في الدنيا وحق من يدكر إياها مع معاينة غدرها ، وقلة وفائها
وقهضها هودها ، وفتليها عشاقها .

ولا ريب أن العين وأعظم العين هو التقصير في الطاعة مع يقين النوايا عليها ،
وأما الطمأنينة إلى من لم يعرف ولم يحتج فإنها عجز - كما قال عليه السلام - يمتنى هجره
في العقل والرأى ، فإن الوثوق مع التعرُّب فيه مافيه ، فكيف قبل التعرُّب !
وقال الشاعر :

وَكَيْتُ أَرَى أَنَّ التَّعَارُبَ عُدَّةٌ صَخَاتُ تَهَاتُ النَّاسِ حِينَ التَّعَارِبِ

الأصل :

مِنْ هَوَايَ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ لَا يُعْصَى إِلَّا فِيهَا ، وَلَا يُسَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِتَذَكُّرِهَا .

البرخ :

هذا الكلام لله الفرائى فى كتاب " إحياء علوم الدين " إلى أبى الدرداء ،
والصحيح أنه من كلام على بن عبيد اللّاء ، ذكره شيخنا أبو عثمان الجاحظ فى غير موضع
من كتبه ، وهو أعرف بكلام الرجال .

[نبذ مما قين فى حال الدنيا وهوانها واغترار الناس بها]

وقد تقدم من كلامنا فى حال الدنيا وهوانها على الله واغترار الناس بها وغدرها
بهم^(١) ، وذم العقلاء لها ، وتحذيرهم منها ما فيه كفاية .

ونحن نذكر هاهنا زيادة على ذلك .

يقال : إن فى بعض كتب الله القديمة : الدنيا غنية الأكياس ، وغلبة الجهال ،
لم يعرفوها حتى خرجوا منها ، فسلوا الرحمة فلم يرجعوا .

وقال بعض العارفين : من سأل الله [تعالى] الدنيا فإني سأله طول الوقوف بين يديه ،

وقال الحسن : لا تخرج من آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث : أنه لم يشع
مما سمع ، ولم يذكر ما أتم ، ولم يحس الراد لما يُقدم ^(١) عليه .

ومن كلامه : أهيبوا الدنيا ، فوالله ما هي لأحير ناهياً منها لمن أهاتها .

وقال محمد بن المنكدر ^(٢) : أرأيت لو أن رجلاً صام الدهر لا يفطر ، وقام الليل لا يفتّر ،
وتصدق بماله ، وجهد في سبيل الله ، واحتسب محارم الله تعالى ، غير أنه يؤتى به يوم القيامة
فيقال : إن هذا مع ما قد عمل كان يعمى في عيبه ما صغر الله ، ويصغر في عيبه ما عظم الله ،
كيف ترى يكون حاله ! فمر من ليس هكذا : الدنيا عظمة عسده مع ما أفتروا من
الذنوب والخطايا .

وقد صرّحت الحكماء مثلاً للدنيا بمن تذكرها علينا ، قالوا : مثل الدنيا وأهلها
كقوم ركبوا سفينة فأنهت بهم إلى جزيرة ، فأنزلهم من السفينة فخرجوا لقصاء الحاجة
وحذروهم المقام ، وحوّتهم سهور السعفة ، واسمعه ، فمروا في نواحي الحررة ، فقصى
بعضهم حاجته وبادر إلى السفينة ؛ فصادف المكّ حالاً ، فأخذ أوسع المواضع وألتيها
وأوقفها لمراده . وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر إلى أرهارها وأنوارها العجينة ، وعيّاها
المتعة ، ونعمات طيورها الطيبة ، وألحائها للوردية العربية ، ولحظ في ترديد أبحارها
وحواهرها ومعادنها المختصة الألوان دون الأشكال الخسنة للنظر ، العجينة النقش ،
السالة أعين الباطنين بحسن ربحها ، ومخائب صورها ، ثم نته نظر قوات السفينة ،
فرجع إليها فلم يصادف إلا مكاناً صيقاً حرجياً ، فاستقر فيه وبعضهم أكتب فيها على تلك
الأصداف والأحجار ، وقد أعجمه حسنها ، ولم تسمع نفسه بهالها وتركيها ، فاستصحب
مها حملاً ، فجاء إلى السفينة فلم يجد إلا مكاناً صيقاً ، وراده ما حمله صيقاً ، وصار ثقلاً عليه
ووزناً ، فندم على أحده ، ولم تطلع نفسه على رمية ، ولم يجد موضعاً له ، فحمله على عنقه

(٢) كذا في ١ ، وهو انصوب ، و في ٢ ، د « الدهر » .

(١) : ١ : « قدم عليه »

ورأسه ، وجلس في المكان الصَّيْق في السفينة ؛ وهو متأسف على أخذه وبإدم ، وليس
 ينفعه ذلك . ومعصم تولى تلك الأنوار والمياض ، وسى السفينة وأبعد في متفرجه
 ومقره ، حتى إن بداء الملاح لم يسمعه لأشتماله بأكل تلك الثمار ، واشتياؤه تلك
 الأنوار ، والتفرج بين تلك الأشجار ، وهو مع ذلك خائف على نفسه من السباع ،
 والقطط والكلاب ، وهش الحيات ، وليس يبعث عن شوكه بثبث ثيابه ، وعصن
 يخرج جسمه ، ومروية ندى رجليه ، وصوت هائل يفرع منه ، وعوسج يملأ طريقه ،
 ويمتنعه عن الانصراف لو أراد ، وكان في جماعة ممن كان مع السفينة بالهم حاله ، فلما
 بلغهم بداء السفينة راح معصم منتقلا بجماعته فم يجد في السفينة موتا ، واسعا ولاصيقا ،
 فبقى على الشط حتى مات جوعا ومعصم تدعى النداء فلم يفرج عليه ، واستفرقت اللذة ،
 وسارت السفينة ؛ فمنهم من أغمسته السباع ، ومنهم من تاه وهام على وجهه حتى هلك ،
 ومنهم من ارتطم في الأوحال ، ومنهم من نهشته الحيات ، فمروا هنك كالجيف
 للفتنة . فاما من وصل إلى السفينة منتقلا بما أخذه من الأزهار والفاكهة اللذيذة ،
 والأحجار المعينة ، فإنها استرقت رشقه الخمر بمحيطها والخوف من دهابها عن جميع
 أموره ؛ وصاق عليه بطريق مكانه ، فلم يكد أن دلت تلك الأزهار ، ومعدت تلك
 الفاكهة المعصية ، وكعدت ألوان الأحجار وحالت ، فظهر له بش رائحتها ، فصارت مع
 كوسها مصيفة عليه مؤذية له بفتنها وحشها ، فلم يجد حيلة إلا أن ألقاها في البحر هرا تامنها وقد
 أقرى مراحه ما كله منها ، فلم ينته إلى بلده إلا بعد أن ظهرت عليه الأسقام بما أكل
 وما شتم من تلك الروائح ، فبلغ مقبلا وقيدا مدرا ، وأما من كان رجع عن قريب ومافاته
 إلا سعة المحل ؛ فإنه تأذى بصيق المسكن مدة ، ولكن لما وصل إلى الوطن أستراح ،
 وأما من رجع أولا فإنه وحده المكان الأوسع ، ووصل إلى الوطن سائنا طيب
 القلب مسرورا .

فهذا مثال أهل الدنيا في اشتغالهم بمخاويلهم ، وسلبهم موردكم ومصيرهم ، وغفلتهم عن عاقبة أمرهم ، وما أفتح حال من يرغم أنه يصير عاقل وتفرغ حجارة الأرض ، وهي الذهب والعصاة ، وهشيم الثبت وهو زينة الدنيا ، وهو يعلم يقينا أن شيئا من ذلك لا يصحبه عند الموت ، بل يصير ككلوب لا غاية ، وهو في الحال الحاضرة شاعرا له بالخوف عليه ، والحرن والمم الحفظه ، وهذه حال الخلق كلهم إلا من عصمه الله .

وقد صُرب أيضا لها مثال آخر في عبور الإنسان عليها ؛ قالوا : الأحوال ثلاثة : حال لم يكن الإنسان فيها شيئا ، وهي ما قبل وجوده إلى الأزل ، وحال لا يكون فيها موحودا مُشاهداً للدنيا ، وهي بعد موته إلى الأبد ، وحالة متوسطة بين الأزل والأبد ، وهي أيام حياته في الدنيا ، فليطير العاقل إلى الطرفين الطويلين ، وليطير إلى الحالة المتوسطة ، هل يجد لها سبة إليها^(١) ، وإذا رأى العاقل الدنيا بهذه العين لم ير كن إليها ، ولم يُبال كيف نقصت أيامه فيها ؛ في سر وصيق ، أوف سعة ورخاوة ، بل لا يبغي لية على لية ؛ توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وما وضع لية على لية ، لا قصة على قصة . ورأى بعض الصحابة نبي يتنا من حصن فقال : أرى الأمر أجهل من هذا ، وأكدر ذلك ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله : مالي وللدنيا ؛ إنما مثلي ومثلي كراكب سار في يوم صائف ، مرّفت له شجرة فقام تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها ؛ وإلى هذا أشار عيسى بن مريم حيث قال : الدنيا قطرة ، فأعبروها ولا تعمرونها ، وهو مثل صحيح ، فإن الحياة الدنيا قطرة إلى الآخرة ، رنهد هو أحد جاريي القطرة ، واللتحد الجانب الآخر ، وبينهما مسافة محدودة ، فمن الناس من قطع نصف القطرة ، ومنهم من قطع ثلثيها ، ومنهم من لم يبق له إلا حطوؤه واحد وهو عاقل عنها ؛ وكيفما كان فلا بد من العبور والأتها ، ولا ريب أن عمدة هذه القطرة ، وتزينتها بأصناف الرينة لمن

(١) كذا في ١ ، و ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ .

هو محمول قسرا وقهرا على عبورها ، بسوقه سائق عفيف ، غاية الجهل والخذلان .

وفي الحديث المرفوع : إن رسول الله صلى الله عليه وآله مرّ على شاة مَيْتَةٍ ، فقال :
أُتْرُونَ أَنْ هَذِهِ الشاة هَيِّنَةٌ عَلَى أَهْلِهَا : قَالُوا : بَلَى ، وَمِنْ هَوَانِهَا أَلْقَوْهَا ، فَقَالَ : وَالَّذِي
مَسَى يَدَهُ كَلِّدِيَا أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الشاة عَلَى أَهْلِهَا ، وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ
اللَّهِ حَلَاخَ بَقُوصَةٍ لَمَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ .

وقال صلى الله عليه وآله : « الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ » .

وقال أيضا : « الدُّنْيَا مَعُونَةٌ ، مَعُونُ مَا فِيهَا ، إِلَّا مَا كَانَ لِلَّهِ مِنْهَا » .

وقال أيضا : « مَنْ أَحْبَبَ دُنْيَاهُ أَصْرَ بَآخِرَتِهِ ، وَمَنْ أَحْبَبَ آخِرَتَهُ أَصْرَ دُنْيَاهُ ،
فَأَثَرُوا مَا بَقِيَ عَلَى مَا بَقِيَ » .

وقال أيضا : « حُتُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ حَضِيئَةٍ » :

وروى رِيذُ بْنُ أَرْقَمٍ قَالَ : كُنَّا مَعَ أَبِي بَكْرٍ ، فَدَعَا لَشْرَابٍ ، فَأَتَى بِمَاءٍ وَعَسَلٍ ،
فَلَمَّا أَدْنَاهُ مِنْهُ لَمْ يَكُنْ حَتَّى أَتَى بِمِصْبَحٍ ، فَكُنُوا وَمَا سَكَّتْ ، ثُمَّ عَادَ لِيَشْرَبَ ، فَبَكَى
حَتَّى حَلَّتْ أُنْهُمُ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى مَسْأَلَتِهِ ، ثُمَّ مَسَحَ عَيْنَيْهِ ، فَقَالُوا : يَا حَبِيبَةَ رَسُولِ اللَّهِ ،
مَا أَبْكَاكُ ؟ قَالَ : كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَرَأَيْتُهُ يَدْفَعُ بِيَدِهِ عَنِ مِصْبَحِهِ
شَيْئًا ، وَلَمْ أَرِ مَعَهُ أَحَدًا ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا الَّذِي تَدْفَعُ عَنْ مِصْبَحِكَ ؟ قَالَ : هَذِهِ
الدُّنْيَا مُثَلَّتْ لِي ، فَقُلْتُ لَهَا : إِيَّاكَ عَنِي ، فَرَجَعْتُ وَقُلْتُ : إِيَّاكَ إِنْ أَهْلَتْ مِنْي لَمْ يَفْلِتْ
مِنْهُ مَنْ تَعَدَّكَ . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « يَا عَجَبًا كُلُّ الْعَجَبِ لِلْمُصَدِّقِ بِنَارِ الْخُيُودِ
وَهُوَ يَسْعَى لِنَارِ الْعُرُورِ ! » .

ومن الكلام المأثور عن عيسى عليه السلام : لَا تَتَّخِذُوا الدُّنْيَا رَأً فَتَتَّخِذَكُمْ الدُّنْيَا
عَبِيدًا ؛ فَاعْبُدُوا ، كُنْزُكُمْ عِنْدَ مَنْ لَا يَصْنَعُهُ ، مِنْ صَاحِبِ كُنْزِ الدُّنْيَا يَخَافُ عَلَيْهِ
الْآفَةُ ، وَصَاحِبُ كُنْزِ الْآخِرَةِ لَا يَخَافُ عَلَيْهِ .

الأصل :

مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ .
وفي رواية أخرى : مَنْ فَاتَهُ حَسَبٌ نَفِيٌّ ، لَمْ يَنْقُمَهُ حَسَبُ آبَائِهِ .

البُزْج :

قد تقدم مثل هذا ، وقد ذكرنا ما عدنا فيه ، وقال الشاعر :

أشْ تَهَرَّتْ بِآبَاءِ ذَوِي حَسَبٍ لَقَدْ صَدَقْتَ وَلَكِنْ بَشْ مَا وَلَدُوا

وكان يقال : أحفل الناس من أضر بالمقدم ابالية ، وتبجح بالقرون الماضية ،
واتسكل على الأيام الحالية .

وكان يقال : من طرب الأمور حتى لا يتسكل على ميت . وكان يقال : صـ . الدق .
في صـ . الرفيع في أصله ، أقبح من صفة الرصيع في صـ . وأصله ؛ لأن هذا تشبه
بآبائه وساميه ، وذاك قعر عن أصله وسفاهه ، فهو إلى اللامة أذوب ، وعن
الغذر أبعد .

افتخر شريف نأبيه ، فقال خصمه : لو وقفت ، لما ذكرت أبائك ، لأنه حجة عليك
تنادى بنفسك ، وتقر بتحلمك .

كان جعفر بن يحيى يقول : ليس من الكرام من افتخر بالعظام .
وقال الفضل بن الربيع : كفى بالمرء غاراً أن ينتخِرَ بغيره .

وقال الرشيد : من اقتر بآثته فقد نادى على نعمه بالمعجر ، وأقبر على
قهره بالدناءة .

وقال ابن الرومي :

وما الحسبُ الموروثُ لا درّ درّه بمحسب إلا بآخر مُكسب
إذا العود لم يُشعر وإن كان شعبة من الشررات اعتده الناس في الخطب

وقال عبد الله بن جعفر :

لما وإن أحسابنا كرمّت يوما على الآباء تنكّل
نبي كما كانت أولئكَ أبدي ، ونفعل مثل ما فعلوا

وقال آخر :

وما نفري بمجدٍ قام غيري إليه إذا رقدت الليل عنه
إلى حسب الفتى في نفسه أطر ولا تنظر هديت إلى ابن من هو

وقال آخر :

إذا حرتُ بآثاتي وأجدادي قد حكمتُ على نفسي لأضدادي
هل نافع إن سعى جدّي لكرمة ونمت عن أحتها في جاب الوادي

وقال آخر :

أُقسِي كوني بمن كوني له أبالي أن أرضى لغيري بمجدي
إذا المرء لم يحو الملاء نعمه فليس يحاور للملاء بمجده
وهل يقطع السيف الحسام ناصبه إذا هو لم يقطع بصارم حذره !

وقيل لرحل يدلّ بشرف آثاته : لعمري لك أول ، ولكن ليس لأولئك آخر .

ومثله ، أن شريفاً بآبائه فاحر شريفاً بنفسه ، فقال الشريف بنفسه : انتهى إليك شرف
أهلك ، ومتى ابتداً شرف أهلك ، وشتان بين الابتداء والانتهاء !
وقيل لشريف ناقص الأدب . إن شرفك بأبيك لعيرك ، وشرفك
بنفسك لك ، فافرق بين ما لك وما لعيرك ، ولا تفرح بشرف النسب ، فإنه
دون شرف الأدب .



(٣٩٣)

الأصل :

مَنْ طَلَبَ شَيْئًا نَالَهُ أَوْ بَعْضُهُ .

الشرح :



هذا مثل قولهم : مَنْ طَلَبَ وَحَدَّ وَجَدَ .

وقال بعض الحكماء : مَا لَأَرْجُو أَحَدًا بَابُ الْفَيْحِ فَاحْتَمَلَ الدَّلَّ وَكَلَّمَ النِّيْظَ وَرَفَقَ

بِالدَّوَابِّ وَخَالَطَ الْحَاشِيَةَ إِلَّا رَعَلَ إِلَى حَاجَتِي مِنَ الْمَلَأَةِ .

الأصل :

ما خَيْرٌ بِخَيْرِ بَعْدَهُ النَّارُ ، وما شَرٌّ بِشَرِّ بَعْدَهُ الْحَيَّةُ ؛ وَكُلٌّ نَعِيمٌ دُونَ الْجَنَّةِ
مَحْمُورٌ ، وَكُلٌّ بَلَاءٌ دُونَ النَّارِ عَاقِبَةٌ

• • •

البيان :

موضع «بعده النار» رَفَعُ لَأَنَّهُ صِفَةُ «خَيْر» بمعنى «ما» ، وخير يرفع لأنه اسمُ ما ،
وموضع الحار والمحروور نصب لأنه خبر ما ، والباء رتبة ، يثليها في قولك : ما أنت بزيد ،
كما تزداد في خبر ليس ، والتقدير ما خيرٌ تنقبه سار بحير ، كما تقول : ما لذّة تنلوها
بصفة لذّة ، ولا يتقدح في ما : الوجهان اللذان ذكرهما أربابُ الصنعة النحوية في «لا» في
قولهم : لا خير بخير بعده النار ، أحدهما ما ذكرناه في ما ، والآخر أن يكون موضع
«بعده النار» جراً لأنه صفة خير المحروور ، ويكون معنى الباء معنى كقولك : زيدٌ بالدار
وفي الدار ، ويصير تقديرُ الكلام : لا خير في خير تنقبه النار ، وذلك أن ما تستدعي
خبراً موجوداً في الكلام ، بخلاف لا ، فإن خبره محذوف في مثل قولك : لا إله إلا
الله ، ونحوه ، أي في الوجود أولها أو ما أشبه ذلك ، وإذا حلت بعده صفة خير المحروور
لم يبق معك ما يجعله خبر ما .

وأيضاً فإن معنى الكلام يفسد في ما بخلاف لا ، لأن لا تنفي الجنس ، فكأنه

معنى جنس الخير عن خير تنقته النار : وهذا معنى صحيح ، وكلام مستظم ، وماهاها
إن كانت نافية احتاجت إلى خبر ينظم به الكلام ، وإن كانت استهلاماً فقد للمعنى ،
لأن « ما » لفظ يطلب به معنى الاسم ، كقوله : ما العتقاء ؛ أو يطلب به حقيقة الذات ،
كقوله : ما الملك ؟ ولست تطيق أن تدعى أن ما للاستهلام هاها عن أحد القسمين
مدخلاً لأنك تكون كأنك قد قلت : أى شيء هو خير في خير تنقته النار ؟ وهذا
كلام لا معنى له .



الأصل :

أَلَا وَإِنَّ مِنَ الْبَلَاءِ الْعَاقَةَ ، وَأَشَدُّ مِنَ الْعَاقَةِ مَرَضُ الْبَدَنِ ، وَأَشَدُّ مِنْ
مَرَضِ الْبَدَنِ مَرَضُ الْقَلْبِ ؛ أَلَا وَإِنَّ مِنَ السَّعَةِ سَعَةُ الْمَالِ ، وَأَفْضَلُ مِنْ سَعَةِ
الْمَالِ صِحَّةُ الْبَدَنِ ، وَأَفْضَلُ مِنْ صِحَّةِ الْبَدَنِ تَقْوَى الْقَلْبِ .

الشرح :

قد تقدم الكلام في العاقبة والمعنى ، فاما امرض والعاقبة فهي الحديث المرفوع :
« إِيَّاكَ انْتَهَى الْأَمَانِيُّ بِأَصْحَابِ الْعَاقِبَةِ » . فاما مَرَضُ الْقَلْبِ وصحته فالمراد به التقوى
وضدتها ، وقد سبق القول في ذلك .

وقال أحمد بن يوسف الكاتب :

المالُ للمرء في معيشته	خيرٌ من الوالدَيْنِ والولدِ
وإنْ تَدُمُ سَعَةً عَلَيْكَ تَجِدُ	خيرٌ من المالِ صِحَّةَ الْجَسَدِ
وما من مالٍ فَضْلٍ عَاقِبَةٍ	وقوتَ يَوْمٍ قَرَرٌ إِلَى أَحَدٍ

الأصل :

لِلْمُؤْمِنِ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ : سَاعَةٌ يُبَاحِي فِيهَا رَبَّهُ ، وَسَاعَةٌ يَرُمُّ فِيهَا مَعَاشَهُ ،
وَسَاعَةٌ يُحْتَطِّي فِيهَا نَبِيَّ نَفْسِهِ وَتَبَيَّنَ نَدْبُهَا فِيهَا ، يَحِلُّ وَيَحْتَمِلُ ؛ وَلَيْسَ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ
شَاحِصًا إِلَّا فِي ثَلَاثٍ : مَرَمَّةٍ لِمَعَاشِهِ ، أَوْ حُطُوءَةٍ فِي مَعَادِهِ ، أَوْ لَدَقَةٍ فِي عَيْرِ مُحَرَّمٍ .

البنخ :

تقدير الكلام : يسمى أن يكون زمانُ العاقل مقسوما ثلاثة أقسام .
وَرَمُّ مَعَاشِهِ : يُصْلِحُهُ . وَشَاحِصًا : رَاحِلًا . وَحُطُوءَةٍ فِي مَعَادٍ ، يَعْنِي فِي عَمَلِ التَّعَادِ ،
وَهُوَ الْعِبَادَةُ وَالطَّاعَةُ .

وَكَانَ شَيْعًا أَبُو عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقْسِمُ زَمَانَهُ عَلَى مَا أَصْفَى لَكَ : كَانَ يُصَلِّي الصُّبْحَ
وَالْكُورَاكَ طُلُوعًا ، وَيَحْسُ فِي مِحْرَابِهِ لِلدُّكْرِ وَالتَّسْبِيحِ إِلَى مَدِّ طُلُوعِ الشَّمْسِ قَلِيلًا ،
ثُمَّ يَتَكَلَّمُ مَعَ التَّلَامِيذِ وَطَلَبَةِ الْعِلْمِ إِلَى ارْتِفَاعِ النَّهَارِ ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي الصُّحَى ، ثُمَّ يَجْلِسُ
فَيَتِمُّ الْحَثَّ مَعَ التَّلَامِيذِ إِلَى أَنْ يُوَدَّ لِلظَّهْرِ ، فَيُصَلِّي بِسُوءِ أَهْلِهَا ، ثُمَّ يَدْخُلُ إِلَى أَهْلِهِ
فَيُصْلِحُ شَأْنَهُ ، وَيَقْعَى حَوَائِجَهُ ، ثُمَّ يَخْرُجُ لِلْعَصْرِ فَيُصَلِّي بِسُوءِ أَهْلِهَا ، وَيَجْلِسُ مَعَ التَّلَامِيذِ
إِلَى الْعَرَبِ فَيُصَلِّي بِهَا ، وَيُصَلِّي الْعِشَاءَ ، ثُمَّ يَشْتَعِلُ بِالْقُرْآنِ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ ، ثُمَّ يَنَامُ الثُّلُثَ
الْأَوْسَطَ ، ثُمَّ يَقُودُ الثُّلُثَ الْآخِرَ كُلَّهُ إِلَى الصُّبْحِ .

الأصل :

ارْهَدْ فِي الدُّنْيَا بِمَصْرُكَ اللَّهُ عَوْرَاتِهَا ، وَلَا تَفْعَلْ فَنَسْتَ بِمَعْمُولٍ عَلَيْكَ .

* * *

الشيخ :

أمره بالزَّهْدِ فِي الدُّنْيَا ، وَحَمْلِ جِزَاءِ الشَّرْطِ تَبْصِيرَ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ عَوْرَاتِ الدُّنْيَا ، وَهَذَا حَقٌّ ، لِأَنَّ الرَّاغِبَ فِي الدُّنْيَا عَاشِقٌ لَهَا ، وَالْعَاشِقُ لَا يَرَى عَيْبَ مَعشُوقِهِ ، كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

وَعَيْنُ الرَّاغِبِ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيْمَةٌ وَلَكِنْ عَيْنُ السَّاعِطِ تُنْذِي الْمَسَاوِيَا^(١)
فَإِذَا رَهَدَ فِيهَا فَضْدَ سَحِطَهَا ، وَإِذَا سَحِطَهَا نَصَرَ عِيُونَهَا مُشَاهِدَةً لَا رَوَايَةَ .
ثُمَّ سَهَاءٌ عَنِ الْعَفْلةِ ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّكَ عَيْرٌ مَعْمُولٌ عَلَيْكَ ، فَلَا تَعْمَلْ أَتَى عَنْ نَفْسِكَ ،
فَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ وَأَوْلَاهُمْ أَلَّا يَفْعَلَ عَنْ نَفْسِهِ لَيْسَ بِمَعْمُولٍ عَنْهُ ؛ وَمَنْ عَلَيْهِ رَقِيبٌ
شَهِيدٌ بِمَا قَسَمَهُ عَلَى الْفِيلِ وَالْمَقْبَرِ^(٢) .

(١) هو عبد الله بن معاوية ، الأعمى ١٢ : ٢٦٤ (نسخة دار الكتب) .

(٢) القنبل : ما يكون في شق النواة ، والقبر : انقرة . لئلا في ظاهر النواة .

(٣٩٨)

الأصل :

تَكَلَّمُوا تُعْرِفُوا ، فَإِنَّ الْمَرْءَ مَحْبُودٌ تَحْتَ لِسَانِهِ .

الشرح :

هذه إحدى كلماته عليه السلام التي لا قيمة لها ، ولا يقدر قدرها ؛ والمعنى قد تداوَله الناسُ قال :

وكانت ترى من صلاتك معجباً رادته أو قصه في التكلم^(١)
لسان العتي نصف ونصف فوالله فلم يتق إلا صورة اللحم والدم
وكان يحى بن خالد يقول . ما جاس إلى أحد قط إلا هنته حتى يتكلم ، فإذا
تكلم إما أن تزداد تلك الهيبة أو تنقص .

(١) بيان بهر ، من معناته شرح رورى ٩٤ ، وبيان أيضا للأحجب بن قيس ، وانظر
شرح العيون ١١٢

الأصل :

يَعْمَ الطَّيْبُ الْمِسْكَ ، خَفِيفٌ نَحْمُهُ ، عَطِرٌ رِيحُهُ .

[فصل فيما ورد في الطَّيْب من الآثار]

الشرح :

كان النبي صلى الله عليه وآله كثيرًا لتطيب بالمسك وغيره من أصناف الطَّيْب .
وجاء في الخبر الصحيح عنه : « حُسِبَ إِلَىَّ مِنْ دِيَارِكُمْ ثَلَاثُ : الطَّيْبُ ، وَالنِّسَاءُ ، وَقُرْةُ عَيْنِي
فِي الصَّلَاةِ » .

وقد رُوت لفظاً أمير المؤمنين عليه السلام عن مرفوعة . ونحوها : « لَا تَرُدُّوا الطَّيْبَ
فَإِنَّهُ طَيْبُ الرِّيحِ ، خَفِيفُ الْحَمَلِ » .

سَرَقَ أَعْرَابِيٌّ نَافِجَةً مِنْكَ ، هَبْلُ لَهُ : « وَمَنْ يَبْعُلْ يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ^(١) ،
قال : إِذَنْ أَجَاهَا طَيِّبَةُ الرِّيحِ ، حَمِيصَةُ الْحَمَلِ .

وفي الحديث المرفوع أنه عليه السلام بايع قومًا كان بيد رجلٍ منهم رَدْعٌ ^(٢) خَنُوقٌ ،
فبايعه بأطراف أصابعه ، وقال : « خَيْرُ طَيْبِ الرِّجَالِ مَا ظَهَرَ رِيحُهُ وَخَفِيَ لَوْنُهُ ، وَخَيْرُ طَيْبِ
النِّسَاءِ مَا ظَهَرَ لَوْنُهُ وَخَفِيَ رِيحُهُ » .

وعنه عليه السلام في صفة أهل الجنة : « وَتَحَامِيرُهُمُ الْأَلْوَةُ » ^(٣) ، وهي العودُ الهندى .

وروى سهل بن سعد عنه عليه السلام : « إن في الجنة لمرآفا من منك مثل مراع دوابكم هذه » .

وروى عنه عليه السلام أيضا في صفة الكوثر : « جاله ليلك - أي جانيه - ورخصه الثوم ، وحصابؤه اللؤلؤ ^(١) .

وقالت عائشة : كأنني أنظر إلى وبيص الميثك في مفارق رسول الله صلى الله عليه وآله وهو محرم ^(٢) .

وكان ابن عمر يستحير يعود غير مطرئ ويحمل معه الكافور ، ويقول : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يصنع .

وروى أسد بن مالك قال : دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عدنا والوقت صيب ، فمري ، فخرجت أمي بثارورني فجلت نسلت عرقه ، فاستيقظ وقال : يا أم سليم ، ما تصنعين ؟ قالت : هذ عرقك نخله في طيننا ، فإنه من أطيب الطيب ، ونرجو به بركة صبياتنا ؛ فقال : أصبت .

ومن كلام عمر : لو كنت تحرأ ما حنرت غير العطر ، إن فاني رنحه لم يفتي رنحه .

ناول المتوكل أحد من أي فن فارة يمشك ، فأنشده :
 لن كان هذا طيب وهو طيب لقد طينته من يدك الأامل
 قالوا : سميت العالية عاية ، لأن عبد الله بن جعفر أهدى لمأوية قارورة منها ، فسأله ، كم ألقى عليها ، فذكر مالا ، فقال : هذه غالية ، فسميت غالية .

شم مالك بن أسماء بن خارجة قراري من أخته هند بنت أسماء ريح غالية ، وكانت تحت الحجاج ، فقال : علمني طيبك ؛ قالت : لا أفضل ، أريد أن تعلمته

(٢) الوبيص : البريق .

(١) الثوم : البدر . وهي من « د » .

جَوَارِيكَ ! هُوَ لَكَ عِنْدِي مَا أَرَدْتَهُ ، ثُمَّ صَحَّكَتْ وَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا تَعَمَّنِي إِلَّا مِنْ شِعْرِكَ حَيْثُ قُلْتَ :

أَطِيبُ الطَّيِّبِ طَيْبُ أُمِّ أَبِي فَرَسْلِكٍ بِعَنْزٍ مَسْعُوقٍ
خَلَطَتْهُ نَوْدُهُا وَبَسِ هُوَ أَحْوَى عَلَى الْيَدَيْنِ شَرِيقٍ
وَرَوَى أَبُو قِلَابَةَ قَالَ : كَانَ أَبُو مَسْعُودٍ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ عَرَفَ مَنْ فِي الطَّرِيقِ أَنَّهُ قَدْ مَرَّ مِنْ طَيْبٍ رِيحِهِ .

وَرَوَى الْحُسَيْنُ بْنُ رَبِيعٍ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : رَأَيْتُ ابْنَ عَمَّاسٍ حِينَ أَحْرَمَ وَالْعَالِيَةَ عَلَى صَلَاتِهِ كَأَنَّهَا الرَّبُّ .

أَوْ لَمْ التَّوَكَّلْ فِي طَهْرِ نَبِيهِ ، فَلَمْ تَكُنْ الْيَمِينُ هَالِ لِيَحْيَى بْنِ أَكْتَمَ : انْصَرِفْ أَيْهَا الْقَاصِي ، قَالَ : وَلَمْ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُمْ يَرِيدُونَ أَنْ يَخْلِطُوا ؛ قَالَ : أَحْوَجَ مَا يَكُونُونَ إِلَى قَاضٍ إِذَا خَلَطُوا ، فَاسْطَرَفَهُ وَأَمَرَ أَنْ تُنْقَلَبَ لِحْيَتُهُ ؛ فَعَمِلَ ؛ فَقَالَ يَحْيَى : إِمَّا لَكَ ! صَاعَتِ الْعَالِيَةَ ، كَانَتْ هَذِهِ تَسْكِينِي دَهْرًا لَوْ دُعِيتُ إِلَى ، فَأَمَرَ لَهُ بِرَوْزِقٍ لَطِيفٍ مِنْ دَهَبٍ مَمْلُوءٍ مِنْ عَالِيَةٍ وَدُرٍّ حَمُورٍ ، فَأَحَدَهُمَا وَأَنْصَرَفَ .

وَرَوَى عِكْرَمَةُ أَنَّ ابْنَ عَمَّاسٍ كَانَ يَطْلِي حَصَدَهُ بِسِكِّ ، فَإِذَا مَرَّ بِطَرِيقٍ قَالَ النَّاسُ : أَمْرٌ ابْنُ عَمَّاسٍ أَيْمٌ لِلِسِكِّ ؟

وَقَالَ أَبُو الصَّحْحَى : رَأَيْتُ عَلَى رَأْسِ بْنِ الرَّبِيعِ مِنْ لِسِكِّ مَا لَوْ كَانَ لِي لَكَانَ رَأْسُ مَالِي . لَمَّا تَنَى عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمَلِكِ أُسْرِجَ فِي مَسَارِحِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ الْعَالِيَةَ إِلَى أَنْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ .

كَانَتْ لِأَبْنِ عَمْرِو بْنِ مُدَقَّةٍ مِنْ مَلِكِ بَنِي كَنْدَلٍ بَيْنَ رَاحَتَيْهِ هَنْفُوحٌ رَاحَتُهَا ^(١) .
كَانَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي إِمَارَتِهِ لِلدِّينَةِ بِحَمَلِ الْمَلِكِ بَيْنَ قَدَمَيْهِ وَبَعْدَهُ ، فَقَالَ فِيهِ الشَّاعِرُ بِمَدْحِهِ :

لَهُ نَمَلٌ لَا تَطْطِي الْكَلْبَ رِجْلُهَا ^(٢) وَهِيَ وَصِيتٌ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ تُنْمِتُ

(١) يوكها يعني راحته ؛ أي يعلها . (٢) يعني : يستميل . والبيت لكثيره انظر خزائن الأدب : ١٤٧

تسمع عمرو قول مُحَيِّمِ عَبدِ بنِ الحُثَّاحِ :

وَهَتَّ كَيْمَالُ آخِرِ اللَّيْلِ قَرَّةً وَلَا تُوبَ إِلَّا دِرْعَهَا وَرِدَائِيَا ^(١)

فَارَالُ بُرْدِي طَيِّبًا مِنْ نَيْسَهَا مَدَى الْخَوْلِ حَتَّى أَسْجَعَ الْبُرْدِيَالِيَا

فَقَالَ لَهُ : وَيَحَاثُ ! إِنَّكَ مَقْتُولٌ ، فَلَمْ تَمُصْ عَلَيْهِ أَبَدًا حَتَّى قُتِلَ .

قَالَ الشَّعْبِيُّ : الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ تَزِيدُ فِي الْعَقْلِ .

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَيْدٍ يَتَخَلَّقُ بِالْحَقِيقِ ، ثُمَّ يَجْلِسُ فِي الْمَجْلِسِ .

وَكَانُوا يَسْتَجِيبُونَ إِذَا قَامُوا مِنَ اللَّيْلِ أَنْ يَمْسَحُوا مَقَادِيمَ لِحَافِهِ الطَّيِّبِ .

وَأَشْتَرَى تَمِيمُ الدَّارِيُّ سِتْرَةَ سِتْرَةِ مِائَةِ دِرْهَمٍ ، وَهِيَ طَيِّبَةٌ ، فَكَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ

تَطْيَبَ وَلَبَسَ حُلَّتَهُ ، وَقَامَ فِي الْمَجْلِسِ .

وَقَالَ أَسَى : يَا حَمِيلَةَ ، هَبِّي لَنَا طَيِّبًا أَسْجَعُ ، فَإِنَّ ابْنَ أُمِّ ثَابِتٍ إِذَا جَاءَ قَبْلَ

بَدِيِّ - يَمِينِي ثَابِتُ الْبُنَانِيِّ .

وَقَالَ سَمْنُ بْنُ قُتَيْبَةَ : لَقَدْ شَمَمْتُ مِنْ فَلَاحِ رَائِحَةِ أَطْيَبِ مِنْ مَشْطَةِ الْعُرُوسِ الْحَسَنَاءِ

فِي أَنْفِ الْعَاشِقِ الشَّقِيقِ .

وَمِنْ كَلَامِهِ مَعَ الصَّالِحِينَ : اعَاشِقِ رَجُلًا وَلَوْ نَصَّحَ بِالْعَالِيَةِ .

عَرَصَتْ مَدِينَةُ لَكْنَه فَحَالَتْ هُ : أَسَتْ لِقَائِهِ :

فَارَوْصَةُ بِالْخَوْلِ طَيِّبَةُ النَّدَى يَمُجُّ النَّدَى جُثْعَاهُهَا وَعَرَارُهَا

بِأَطْيَبِ مِنْ أَرْدَانِ عَمْرَةَ مَوْهِيًا وَقَدْ أَوْقَدْتُ بِالسَّنْدَلِ الرُّطْبَ نَارُهَا

لَوْ كَانَتْ هَذِهِ الصَّنْفَةُ لَرَانَحِيَّةٌ تَحْتَلِي الْحُلَّةَ لَطَامَاتٍ ، هَلَا قُلْتُ كَمَا قَالَ سَيِّدُكَ ^(٢)

أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

ألم تر يافى كلاً جنت طارفاً وجدت بها طيباً وإن لم تطيب^(١)
وقال الزمخشري : إن النوى المنقح بالمدينة ينتاب أشرافها للواضع التي يكون فيها
التماسا لطيب ريحه ، وإذا وحلوا ريحة بالعراق هربوا منها لخبثها ؛ قال : ومن اختلف
في طرقات المدينة وحده رائحة طيبة ونئة^(٢) عجيبة ؛ ولذلك سُميت طيبة ، والريحية بها
تحمّل في رأسها شيئاً من بيع وملاقيمة له ، فتعد له خيرة لا يملها يت عروس من
ذوات الأقدار .

قال : ولو دخلت كل غالية وعطر قصبة الأهواز وقصبة أطاكية لوجدتها قد تغيّرت
وفسدت في مدة يسيرة .

أراد الرشيد المقام في أطاكية ، فهل له شبح منها : إنها ليست من بلادك ، فإن
الطيب الفاجر يتغير فيها حتى لا يُدفع منه بشيء ، والسلاح يصدأ فيها .
سيراف : من بلاد فارس ، لها فقة طيبة .

فأرة الملك دؤبة شبيهة بالخشف^(٣) تكور في ناحية تبت تصاد لأجل سرتها ،
فإذا صادها الصائد عصب سرتها بعصب شديد وهي مدلاة ، فيجتمع فيها ذب ، ثم
يذبحها ، وما أكثر من يأكلها ، ثم يأخذ السرة فيدفعها في الشعر حتى يستحيل
الدم المحتن فيها مسكاً ذكياً بعد أن كان لا يرام نكناً ، وقد يوحد في السيوت
حِرْذَانٌ شُودٌ يقال لها : فأر الملك ليس عندها إلا رائحة لازمة لها .

وذكر شيخنا أبو عثمان الخياط قال : سألت بعض أصحابنا المعترلة عن شأن الملك ،
فقال : لولا أن رسول الله صلى الله عليه وآله تطيب بالملك لما تطيبت له ، لأنه دم ؛ فأما

(٢) النة : الرائحة مطلقاً .

(١) ديوانه ٢١

(٣) المشد و ص .

الزباد فليس مما يقرب ثيابي ، فقتله : قد يرتفع الجذدى من لبن خنزيرة فلا يحرم لحمه ، لأن ذلك اللبن أشتعال لحما ، وخرج من تلك الطييمة ، وعن تلك الصورة ، وعن ذلك الاسم ، وكذا لحم الجلالة ، فاليسك غير الدم ، وانخل غير الخمر ، والجوهر لا يحرم لذاته وعييه ، وإنما يحرم للأعراض والاعمال فلا تفرز^(١) منه عند ذكرك الدم ، فليس به بأس .

قال الزمخشري : والزباد هرة . ويقال لذئبع ، وهم الذين يحتلبون الرئاد ياربئع ، الرباد مات ، قيصب .

وقال أن حرمة الطبيب في المباح^(٢) : الرئاد طيب يؤخذ من حيوان كالسور يقال : إنه وسع في راحها .

وقال الزمخشري : العرياق طعنة على الماء لا ينوي أحد معده ، يقذفه البحر إلى البر فلا يأكل منه شيء إلا مات ، ولا يقره طائر إلا نقي مقاره فيه ، ولا يقع عليه إلا نصت أظفاره ، والبحريون والمطارون ربما وجدوا فيه المتقار والطمر .

قال : والنال ، وهو سمكة طولها حمسون دراعا ، يؤكل منه اليسير فيموت .

قال : وسميت ناسا من أهل مكة بقولون . هو صمغ^(٣) ثور في بحر الهند ، وقيل : هو من رند بحر مرنديب ، وأجوده الأشهب ، ثم الأزرق ، وأحونه الأسود .

وفي حديث ابن عباس : لبس في العمر ركاة ، إنما هو شيء يذمره البحر ، أي يدفعه .

(١) تفرز منه : تاعده .

(٢) كتاب تلهاج لابي حنيفة الطبيب ؛ منه نسخة بخطوطه بدار الكتب رقم ١٠٧ - طب .

(٣) صمغ الثور : نجوه .

فأما صاحب المهاج في الطب فقال : العنبر من عين في البحر ، ويكون جاحم أكبرها وزنه ألف مثقال ، والأسود أرباً أصنافه ، وكثيراً ما يوجد في أجواف السمك التي تأكله وتموت ، وتوجد فيه شهوة .

وقال في الميك : إنه سرّة دابة كالطبي ، له دنان أبيضان مغمقان إلى الجانب الإنسي كقرنين . جاء في الحديث المرفوع : « لا تمسوا إماماً فله مساعد الله ، وليخرجن إذا خرحن كفلات » أي غير متطيّبات^(١) .

وفي الحديث أيضاً : « إذا شهدت إحد كُن العشاء فلا تمس طيباً » ؛ والمراد من ذلك ألا تهيج عليهن شهوة الرجال .

قال الشاعر :

والميك ينسا تراه ممتهاً بهز عطارة وساحته

حتى تراه في عارضى ملك أو موضع التاج من مقلقه

الصنوبرى في استهداء الميك :

الميك أشبه شيء بالشباب مهب بعض الشباب لبعض العضة الأس

يقال : إن رجلاً وجد قرطاساً فيه اسم الله تعالى ، فركمه ، وكان عنده دينار ، فاشترى به منكاً ، فطبخه ، فرأى في منم قائل يقول له : كما لميت اسمي لأطيين ذكرك .

قال خالد بن صفوان ليريد بن المهلب : ما رأيت صدأ للعفر ، ولا عتق العنبر بأحد أليق منه لك ، فقال : حاحتك : قال : من أخلى في حبسك ، فقال : يسبقك إلى النزل .

شاعر :

كَانَ دُحَانَ النَّدَى مَا بَيْنَ بَحْرِهِ بِقَايَا ضَلَبٍ فِي رِيَاضٍ شَقِيقٍ

قالوا : خيرُ العُودِ المندلي ، وهو منسوبٌ إلى مندَلِ قريةٍ من قرى الهند ، وأجودُهُ أصلُهُ ، وامتنعانَ رطبُهُ أن ينطع فيه نقشُ الخاتم ، واليابسُ تنصع عنه النار ، ومن خالصية المندلي أن رائحته تثبت في الثوب أسبوعاً ، وأنه لا يقبل ما دامت فيه .

قال صاحبُ المنهاج^(١) : العود عروقُ أشجارٍ تُقْلَع وتُدفن في الأرض ، حتى تنضج ، منها الحشيشة والقشربة ، ويبقى العودُ الحالم ، وأجودُهُ المندلي ، ويحلب من وسط بلاد الهند ، ثم العود الهندى ، وهو أفضل على المندلي لأنه لا يولد القمل ، وهو أعقب بالثياب . قال : وأفضلُ العود أرسبُهُ في الماء ، والطاى ردى .

قال أبو الصبّاس الأعمى :

لَيْتَ شَعْرِي مِنْ أَيْنَ رَانَحَهُ لِمَنْ لَكَ وَمَا إِنْ أَحَالَ بِالْخَيْفِ أَنْسِي
حِينَ غَاثَتْ سَوْ أُمِّيَّةً عَنْهُ وَلَهَا يَلِيلٌ مِنْ بَنَى عَبْدٍ كَتَمَسَ
خُطْبَاهُ عَلَى الْمَنَابِرِ قُرْمَا عَلَى الْخَيْلِ قَالَةٌ غَيْرُ خُرْمَسَ
بِخُلُومٍ مِثْلِ الْخَلِّ رِدْرَدِ وَوَحْوِهِ مِثْلِ الدَّانِيْدِ مُلْسِ

للصَّبِّ بْنِ عَلَسٍ^(٢) :

تَبِيتَ الْمَلُوكُ عَلَى عَثَمَاهَا وَشَيْئَانِ إِنْ عَصَبَتْ تَعْتَبُ^(٣)
وَكَاثَمُهُدٍ بِالرَّاحِ الْغَاطِمِ وَخَلَّاقُهُمْ مِنْهَا أَعَذَبُ

وَكَالَيْكَ تُرْبُ مَقَامِهِمْ وَتُرْبُ قُبُورِهِمْ أَطِيبُ

أخذه العباس بن الأحنف فقال :

وَأَمَّا إِذَا مَا وَطِئْتَ التُّرَابَ كُلَّ تَرَابِكَ لِلنَّاسِ طِيبًا

وهنا بعضُ الشعراء العتال في أبنام عمر ، ووقع عليهم ، فقال في بعض شعره :

ثَوْبٌ إِذَا آمَوْا وَنَعَزُوا إِذَا غَرَوْا فَأَنْتَ لَمْ تَغْرُ وَلَسْنَا دَوَى وَغَرِ

إِذَا التَّاحَرُ الدَّارِيُّ جَاءَ مَعَارِئُ مِنْ أَيْسَرِ رَاحَتِي مَعَارِقِهِمْ تَحْرِى

فقبض عمرُ على المال وصادَرَهُمْ .

قالوا في الكافور : إنه ما لا في شجر مكفور فيه يمررونه بالحديد ، فإذا حرق إلى

ظاهر ذلك الشجر صرَّه أهواء فانسقد كالصمغ الجامدة على الأشجار .

وقال صاحب المنهاج^(١) . هو أصناف منها نصصوري^(٢) ، والزباجي^(٣) ، والأرادي ،

والإسفركي^(٤) الأزرق ، وهو المختلط بحشبه ، وفيه من شجرته عطمة تُظِلُّ أكثر من

مائة فارس ، وهي بحرية ، وحشب الكافور أبيض إلى الحمرة خفيف ، والزباجي يوحده

في بلد شجرته قِطْعٌ كالثَّشْبِ ، فإذا شققت الشجرة تماثر منها الكافور .

الند : هو العاينة ، وهو العمود المطري بالنسك وبقدر ودهن النار ، ومن الناس من لا

يصيفُ إليه دهن النار ، ويحمل عوصه الكافور ، ومنهم لا يصيف إليه الكافور

أيضا ، ومن الناس من يركب العاينة من مسك وعود الكافور ودهن الينلور

قال الأصمعي : قلت لأبي الهيثم الأعرابي : كيف تقول : ليس الطيب إلا بالنسك ؟

فلم يجعل الأعرابي ، وذهب إلى مذهب آخر ، قال : فأين أنت عن العبر ؟ فقلت :

كيف تقول : ليس الطيب إلا بالنسك والعبر ؟ قال : فأين أنت عن البان ، قلت : فكيف

(١) المنهاج : ورقة ١٧٧ .

(٢) قصور : جزيرة سرعديب . انظر المفردات لابن سدر ج ٤ ٤٢ ص ٦٠٤ .

(٣) نسبة إلى ملك اسمه رباح انصرمهاية الأثر ج ١١ ٣٩٤ .

(٤) كفا في قانوناس سيد وشرح الأدوية المفردة للكافور في وسهاية العرب ج ١١ ٢٩٤ .

تقول : ليس الطيب إلا المسك والمنبر والبان ؟ قال : فأين أنت عن أذهان بحجر - يعني
الجمامة ، قلت : فكيف تقول ليس الطيب إلا المسك والمنبر والبان وأذهان بحجر ؟
قال : فأين أنت عن فارة الإبل صادرة ؟ فرأيت أني قد أكرتُ عليه ، فتركتُه قال :
وفارة الإبل ريحها حين تصدرُ عن الماء . وقد أكلتُ المسب الطيب .

وفي فارة الإبل يقول الشاعر :

كأن فارة مسك في مباتها إذا بدا من ضياء الصبح تنشرُ
كان لأبي أيوب الرزدي ورير منصور دهن طيب يذعن به إذا ركب إلى المنصور ،
فلما رأى الناس عسته على منصور وطاعته نه فيها يريد ، حتى إنه ربما كان يستحصره
ليوقع به ، فإذا رآه تبسم إليه وطابت نفسه قالوا : دهن أبي أيوب من عمل السعرة ،
وصربوا به مثل ، فقالوا لمن يطلب على الإنسان : معه دهن أبي أيوب .
أعرابي : فيها مدرك كفت ومشر أمف .

وقال عبيدة بن أسماء بن خارجة الفراري :

لو كنتُ أحل خيراً حين رزتكُم لم ينكر الكلبُ أني صاحبُ الدار
لكن أتيتُ وريح المسك قد مضى والعمير الورود مشبوبا على النار
فأنكر الكلبُ ريحي حين عطاني وكان يأنف ريح الرق والقار
قال الأصمعي : ذكر لأبي أيوب هؤلاء الذين يتشتمون ، فقال : ما علمتُ أن القذر
والذفر من الدين .

ريحُ الكذب مثلُ في التنن ، قال الشاعر :

ريحها ريحُ كلابٍ هارشتُ في يومٍ ظلُّ

وقال آخر :

يزدادُ لؤما على المديح كما يزدادُ نثر الكلاب في المطر

وقالت امرأة امرئ القيس له وكان مُدْرَكًا عبد الله : إذا عرفت عرفت ربيع
كَلْب. قال : صدقت ، إن أهلي أُرْصَعُونِي مَرَّةً سَنَ كَلْبَةٍ .

قال سَلَمَةُ بْنُ عِيَّاشٍ ، يَقُولُ لَجَعْرِ بْنِ سَلِيحَانَ :

فَإِشْمِ أَنْفِي رِيحُ كَفَرٍ رَأَيْتَهَا مِنْ تَسِ إِلَّا رِيحُ كَفَكْ أَطِيبُ

فَأَمَرَ لَهُ نَافِلٌ دُبَارًا وَمِائَةً مِثْقَالًا مِنَ الْمِسْكِ وَمِائَةً مِثْقَالًا مِنَ الْعَبْرِ .

وَجَّهَ عَمْرُوهُ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ بَرِيدًا فَاشْتَرَتْهُ ، كَانَتْهُمُ امْرَأَةٌ عَمْرُوطِيًّا بِدَايِرٍ وَحَمَلَتْهُ
فِي قَارُورَتَيْنِ وَأَهْدَتْهُمَا إِلَى امْرَأَةِ مَلِكِ الرُّومِ ، فَرَحِمَ الْبَرِيدُ إِلَيْهَا وَمَعَهُ مِلَّةُ الْقَارُورَتَيْنِ
جَوَاهِرٌ ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا عَمْرُوهُ ، وَقَدْ صَنَعَ الْجَوَاهِرُ فِي حَضْرَتِهَا ، فَقَالَ : مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا ؟
فَأَحْبَرَتْهُ ، فَضَمَّ عِنْدَهُ ، وَقَالَ : هَذَا لِلْمُسْلِمِينَ ؛ قَالَتْ : كَيْفَ وَهُوَ عِيَّاشٌ هَذِيئِي ؟ قَالَ :
يَبْنِي وَيَبْنِي أُنُوكَ ، فَقَالَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَكَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ دِينَارُكَ ، وَالسَّاقُ لِلْمُسْلِمِينَ
حَمَلَةٌ لِأَنَّ بَرِيدَ الْمُسْلِمِينَ حَمَلَهُ :

قِيلَ خَدِيجَةُ بِنْتُ الرَّشِيدِ : رُسِلَ الْعَمَّاسُ بِرِجْلِ عَمْرِو بْنِ الْيَاسِ ، مَعَهُمْ زَيْنَبُ بْنُ يَحْيَى
وَحُلَانُ . فَقَالَتْ . تَرَاهُ نَعَثَ إِلَى بَاقِلَاءَ ؟ فَكَشَفَ رِجْلَهُ عَنْ حُرَّةٍ مَمْلُوءَةٍ عَالِيَةٍ فِيهَا مَسْحَاةٌ
مِنْ ذَهَبٍ ، وَإِذَا رُقْعَةٌ : هَذِهِ جِرَّةٌ لَمْ يَصِبْتُ فِيهَا وَأَحْتَبُ فِي حَزَائِنِ بَنِي أُمَيَّةٍ ، فَأَمَّا
أَحْتَبُ فَمَسَّبَ عَلَيْهَا الْخُلَفَاءَ ، وَأَمَّا هَذِهِ فَلَمْ أَرَ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَا مِنِّي .

(٤٠٠)

الأصل :

ضَعُ فَخْرَكَ ، وَاحْطُطْ كِبْرَكَ ، وَادْكُرْ قَبْرَكَ .

البُزْجُ :

قد تقدم القولُ في المحبِّ والكبرِ والفتورِ .

[نبذ مما قيل في التَّيِّه والفتور]

في الحديث المرفوع : « إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عِيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَحَرَهَا بِالْأَبَاءِ ، النَّاسُ لِأَدَمَ ، وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ ، مُؤْمِسٌ تَقَى ، وَفَاجِرٌ شَقَى ، لِيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَتَفَاخَرُونَ بِرِجَالٍ إِنَّمَا هُمْ عَمَلٌ مِنْ عَمَلٍ جَهَنَّمَ أَوْ لِيَكُونَ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنْ جَعَلَاتٍ^(١) » تدفع النَّتَنُ بِأَنْفِهَا .

ومن وصيته صلى الله عليه وآله إلى عليّ عليه السلام : « لَا فَرَّ أَشَدَّ مِنَ الْجَهْلِ ، وَلَا وَحْشَةُ الْفَحْشِ مِنَ الْمُحْتَبِ » .

أتى وائلُ بنُ حُجْرٍ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله فاقطعه أرساً ، وأمر معاوية أن يمضي معه فيريته الأرض ويعرضها عليه ، وبكثها له ، فخرج مع وائل في هاجرة

(١) الجعلات : جمع جعل ؟ يضم فتح - دويبة معروضة تقشى الأمكة القدرة

شاوية ، ومشى حنفاً باقية فأحرقته الرماضاء ، فقبض : أردفني : قال : لست من أرداف
للوك ، قال : فادفع إليّ نعليك ، قال : ما محلّ يمشي يابن أبي سُفْيَان ، ولكن أكره
أن يبلغ أقبال^(١) الذين ألتك لبست على ، ولكن امش في ظلّ باقتي محبّك بذلك
شرفاً ، ويقال : إنه عاش حتى أدرك زمّ معاوية فأجلسه معه على سريره .

قيل لحكيم : ما الشيء الذي لا يحسن أن يقال وإن كان حقاً ؟ فقال : البحر .

حبس هشامُ بن عبد الملك العرزدق في سجن خالد بن عبد الله القسريّ ، فوجد
جرير إلى خالد ليشفع فيه ، فقال له خالد : ألا يسرك أن الله قد أخرى العرزدق ؟ فقال :
أيها الأمير ، والله ما أحب أن يخزيه الله إلا بشمريّ ، وإنما قدمت لأشفع فيه . قال :
فاشفع فيه في ملائكون أحرزى له^(٢) ، فشفع فيه ، فدعا به فقال : إني مطيعك
شفاعة جرير ، فقال : أسير قسريّ ، وطليق كلّي ، فبأى وجه أظاخر العرب بعدّها ؟
ردّني إلى السجن .

ذكر أعرابيّ قوماً فقال : ما بالوا نأملهم شيئاً إلا وقد وطئناه بأحامص أقدامنا ،
وإن أقصى مناهم لأدنى فقالنا .

نظر رجل إلى بعض ولد أبي موسى يمتثل في مشيته ، فقال : ألا تروئن مشيته ؟ كأن
أباه خذع عمرو بن العاص !

وسمع العرزدق أبا بُردة يقول : كيف لا أنبخت وأما ابن أحد الحكيمين ، فقال :
أحدهما مائق ، والآخر فاسق ، فكان ابن أبيهما شئت .

نظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أبي دُجّانة وهو يقبخت بين الصّفين ، فقال :
« إن هذه مشية ينفذها الله إلّا في هذا الوطن » .

(١) الأقبال : جمع قبيل ؛ وهو اللّاء . (٢) في د : « أدل له » ؛ وهو مستقيم أيضاً .

لما بلغ الحسن بن علي عليه السلام قول معاوية : إذا لم يكن الهاشمي جوادا والأموي حليما والموآمي شجاعا والمخزومي نياها لم يشبهوا آباءهم ؛ فقال : إنه والله ما أراد بها النصيحة ، ولكن أراد أن يُعفى بنو هاشم ما في أيديهم فيحتاجوا إليه ، وأن يشجعوا بني الموآم فيقتلوا ، وأن يتيه بنو مخزوم فيقتلوا ، وأن يحلم بنو أمية فيُحتشم الناس .
كان قاضي القضاة محمد بن أبي الشتر راب الأموي تائها ، فبعثه عند الأعلى البصري فقال :

إني رأيتُ محمدا متشاوسا مستصعرا لجميع هذي الناس^(١)
ويقول لما أن تنفس حاليما نمسا له يملو على الأفسار
ويج الحلاقة في حواب الحيتي تنن حور ليحي بني العباس !
بعض الأموية :

إداتانه من عبد شمس رأيتُهُ بنيه فرشحه لكل عظيم
وإن تاه تياا سواء فإنه بنيه لحق أو بنيه للوم
بعض الأموية أيضا :

السنا بي مروان كيف تبدلت بنا الحال أودارت علينا الدوائر
إذا ولد للولود منا تهلت له الأرض واهتزت إليه للابر
بعض التياهين :

أتية على إنس البلاد وحيتها ولو لم أجد خلقا أتية على نفسي
أتية فلا أدري من التيه من أنا سوى من يقول الناس في وحي حنسي
فإن زعموا أني من الإنس مثلهم فلي عيب عير أني من الإنس

بعض الآلوية

لقد نازعنا من قريش عصابةً بتمطُّ خُطودٍ وامتدادِ أصابع
فما ننازنا العُخْرَ قَصَى لنا عليهم بما تهوى نداء الصوامع
ترانا سُكُوراً والشَّهيدُ بفصنا عليه أذانُ الناسِ وكلِّ جامع
ما نرسل الله لاشكَّ جدُّنا وأنَّ يديه كالنجوم الطوالع

كان 'عمارة' من حمرة بن ميمون مولى بني نضال مثلاً في النية؛ حتى قيل: أتته من 'عمارة'. وكان يتولى دواوين السِّقَّاح والمصور، وكان إذا أخطأ مضى على خطئه تكبرا عن الرجوع، ويقول: نقص وإبرام في حالة واحدة، الإصرار على الخطأ أهون من ذلك.

وافخرت أم سلمة المحرومة امرأة السِّقَّاح ذات ليلة تقومها على السِّقَّاح، وبني محزون يصرب بهم المثل في الكبر والنية، قال: أما أحضرُكِ الساعة على غير أهنية مولى من موالى ليس في أهلك مثله، فأرسل إلى 'عمارة'، وأمر الرسول أن يُعجِّله عن تغيير رية، فجاء على الخال التي وحده عليها الرسول في ثياب ممسكة مزهجرة بالذهب، وقد علف لحيته بالعالية حتى قامت، فرمى إليه سقَّاح يمدُّه ذهب مملوء عالية، فلم يلتفت إليه، وقال: هل ترى لها في لحيته موصفاً؟ فأخرجت أم سلمة عقداً لها ثميناً، وأمرت خادماً أن يضعه بين يديه، فقام وتركه، فأمرت الخادم أن يمتعه به، ويقول: إنها تسألك قبوله، فقال للخادم: هو لك، فأصرف بالعقد إليها، فأعطت الخادم فكاكه عشرة آلاف دينار، واسترحفه، وعجبت من نفس 'عمارة'، وكان 'عمارة' لا يدلُّ للحنفاء وهم مواليه ويُنْبِئهم عليهم.

نظر رجل إلى المهدي ويده في يد 'عمارة'، وهما يمشيان، فقال: يا أمير المؤمنين

مَنْ هَذَا؟ قَالَ : هَذَا أَخِي ، وَابْنُ عَمِّي عُمَارَةُ بْنُ حَنْزَلَةَ ، فَلَمَّا وَلَّى الرَّجُلُ ذَكَرَ الْمُهْدِيَّ
الْكَلِمَةَ كَالْمَارْحِ لِعُمَارَةَ ، فَقَالَ عُمَارَةُ : وَاللَّهِ لَقَدْ أُنْطَعِرْتُ أَنْ تَقُولَ : مُوَلَايَ فَأَنْفَسَ
يَدِي مِنْ يَدِكَ ، فَتَبَسَّمَ الْمُهْدِيُّ .

وَكَانَ أَبُو الرَّبِيعِ الْعَسَوِيُّ أَعْرَابِيًّا جَافِيًّا تَبَّهَا شَدِيدَ الْكِبَرِ ، قَالَ أَبُو الْعَتَّاسِ الْمُبَرَّدُ
فِي الْكَامِلِ : فَذَكَرَ الْجَاظُ أَنَّهُ أَتَاهُ وَمَعَهُ رَجُلٌ هَاشِمِيٌّ ، قَالَ : قِيَادِيْتُ : أَبُو الرَّبِيعِ هَذَا ؟
نَخْرُجُ إِلَيْكَ وَهُوَ يَقُولُ : حَرَجَ إِلَيْكَ رَجُلٌ أَكْرَمَ أَسَاسٍ ، فَلَمَّا رَأَى الْهَاشِمِيَّ اسْتَحْيَا وَقَالَ :
أَكْرَمُ النَّاسِ رَدِيفًا ، وَأَشْرَفُهُمْ حَايِدٌ ^(١) . - رَأَى ذَلِكَ أَبُو مَرْثَدَ الْعَسَوِيُّ ، لِأَنَّهُ كَانَ
رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَحَافِيَّ أَبِي نَكْرٍ - قَالَ : حَدَّثَنَا سَاعَةَ ثُمَّ نَهَضَ
الْهَاشِمِيَّ فَقَالَ لَهُ : مَنْ خَيْرُ أَحَاقٍ ؟ قَالَ : النَّاسُ . وَاللَّهِ ، قُلْتُ : مَنْ خَيْرُ النَّاسِ ؟ قَالَ :
الْعَرَبُ وَاللَّهِ ؛ قُلْتُ : فَمَنْ خَيْرُ الْعَرَبِ ؟ قَالَ : مُصَرٌّ وَاللَّهِ ؛ قُلْتُ : فَمَنْ خَيْرُ مُصَرٍّ ؟
قَالَ : قَيْسٌ وَاللَّهِ ؛ قُلْتُ : فَمَنْ خَيْرُ قَيْسٍ ؟ قَالَ : بَعْثَرٌ وَاللَّهِ ، قُلْتُ : فَمَنْ خَيْرُ بَعْثَرٍ ، قَالَ :
عَنْيَ وَاللَّهِ ، قُلْتُ : فَمَنْ خَيْرُ عَنْيَ ؟ قَالَ : الْخَاطِبُ لَكَ وَاللَّهِ ؛ قُلْتُ : أَفَأَتَتْ خَيْرُ النَّاسِ ؟
قَالَ : إِي وَاللَّهِ ؛ قُلْتُ : أَيْسَرُكَ أَنْ تَكُونَ نَحْبَتَ يَرْبَدَ بْنِ الْمُهَاسِبِ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ
قُلْتُ : وَلَكِ أَلْفُ دِينَارٍ ؛ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ؛ قُلْتُ : فَتَأْتِي دِينَارٌ ؛ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ؛ قُلْتُ : وَلَكِ
الْجَلَّةُ ، قَالَ : فَطَرَّقَ ثُمَّ قَالَ : عَلَى أَلَا تَلِدَ مِنِّي ، ثُمَّ أُنْشَدَ :

تَأْتِي لِيَعْصُرَ أَعْرَاقِي ^(٢) مَهْدِيَّةٌ مِنْ أَنْ تَنَاسَبَ قَوْمًا غَيْرَ أَكْهَاءَ
فَإِنْ بَكَرَ دَاكُ حَتَّى لَا مَرَدَّ لَهُ فَأَذْكَرُ حَذِيفَةَ فَإِنِّي غَيْرُ أَثَاءٍ ^(٣)

(١) قَالَ أَبُو الْعَتَّاسِ : قَوْلُهُ : « وَأَشْرَفُهُمْ حَسَا » ؛ كَانَ أَبُو مَرْثَدَ حَلِيبَ حَنْزَلَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ .

(٢) فِي د . « أَحْلَاقٍ » وَالْعَنَى عَلَيْهِ يَنْتَعِمُ أَبْصًا

(٣) قَالَ أَبُو الْعَتَّاسِ : « قَوْلُهُ : « فَأَذْكَرُ حَذِيفَةَ » أَرَادَ حَذِيفَةَ بْنَ بَدْرٍ الْأَعْرَابِيَّ ؛ وَلِأَنَّهُ ذَكَرَهُ مِنْ
بَيْنِ الْأَشْرَافِ لِأَنَّهُ أَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ بِأَ ؛ وَذَكَرَ بَعْثَرَ بْنَ سَعْدٍ بْنِ قَيْسٍ ، وَهَؤُلَاءِ مَوْرِثُونَ بَيْنَ عَطْفَانِ بْنِ
سَعْدٍ بْنِ قَيْسٍ

(٤٠٣)

الأصل :

كلُّ مُقْتَصِرٍ عَلَيْهِ كَافٍ .

• • •

البيان :

هذا من باب القناعة ، وإن من اقتصر على شيء وقنع به ، فإنه قد كفاه ، وقام
مقام الفضول التي يرغب فيها المتزعمون ؛ وقد تقدم القول في ذلك .

بسم الله الرحمن الرحيم

(٤٠٤)

الأصل :

الْمِيَّةُ وَلَا الدِّنْيَةُ ، وَالتَّقَلُّ وَلَا التَّوَسُّلُ .

• • •

الشرح :

قد تقدم من كلامنا في هذا الباب شيء كثير ، وقال الشاعر :

أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَمَعُ الْقُلُوبِ	وَلَمَّعُ مَاءُ الْقُلُوبِ لِلْمَالِخَةِ ^(١)
أَحْسَنُ بِالْإِنْسَانِ مِنْ ذَلِكَ	وَمِنْ سَوَالِ الْأَوْحِ الْكَالِخَةِ
فَاسْتَفِنِ بِاللَّهِ تَكُنْ ذَا غَنَى	مُعْتَبِطًا بِالصَّعَةِ الرَّاحَةِ
فَالرَّهْدِ عِزًّا وَالتَّقَى سُودًا	وَذَلَّةَ النَّفْسِ لَهَا فَاضِحَةٌ
كَمْ سَالِمٍ صَبَحَ بِهِ تَعْنَةً	وَقَاتِلٍ عَهْدِي بِهِ نَارَةٌ
أَمْسَى وَأَمْسَتْ عِنْدَهُ قَبِيَّةٌ	وَأَصْبَحَتْ تَنْذِبُهُ نَائِمَةٌ
طَوَى لِمَنْ كَانَتْ مَوَازِيهُ	يَوْمَ يَلَاقِي رَبَّهُ رَاجِعَةٌ

وقال أيضا :

لَمَعُ النُّمَادِ وَخَرَّمُ الْقَنَادِ	وَشَرِبُ الْأَجَاجِ أَوْانُ الْقَلَمِ
عَلَى الْمَرْءِ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ يُرَى	ذَلِيلًا نَخْلَقِي إِذَا أَعْدَمَا
وَأَخِيرُ لِمَنْفِكَ مِنْ مَنْظَرٍ	إِلَى مَا بَأْيَدِي النَّشَامِ الْعَمَى

قلت : لحاء الله ، هلا قال : بأيدى الرجال !

(١) القلب بضمين : جمع قلب ؛ وهو البئر .

(٤٠٥)

الأصل :

مَنْ لَمْ يُعْطَ قَاعِدًا ، لَمْ يُعْطَ قَائِمًا .

•••

الشرح :

مراده أن الرزق قد قسمه الله تعالى ، فمن لم يرزقه قاعدا لم يحب عليه القيام والحركة .

وقد جاء في الحديث : إنه صلى الله عليه وآله بلول أعرابيا كتمه ، وقال له : « خذها ولو لم تأت بها لأنتك » .

وقال الشاعر :

جـرى قـلم القـصـاء بما يـكـونُ فـيـنَ لتـحـركُ والسـكـونُ
جـنـونُ مـسـك أن تـسـى لـرـزق و يـرـدق في غـشـاوتـه أـلـجـينُ

الأصل :

الدَّهْرُ يَوْمَانِ : يَوْمٌ لَكَ ، وَيَوْمٌ عَلَيْكَ ، فَإِذَا كَانَ لَكَ فَلَا تَبْطُرْ ، وَإِذَا
كَانَ عَلَيْكَ فَاصْبِرْ .

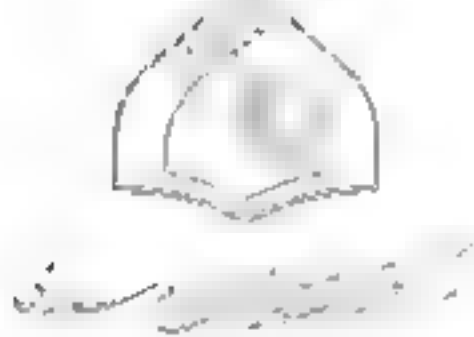
الشرح :

قدينا قبل هذا المعنى : الدهر يومان : يوم بلاء ، ويوم رخاء . والدهر : ضرمان :
حبرة وعبرة . والدهر وقنان : وقت سرور ، ووقت شور^(١) .
وقال أبو سفيان يوم أحد : يومٌ بيوم نذر ، والدنيا دُول .
قال عليه السلام : فإذا كان لك فلا تطر ، وإذا كان عليك فاصبر .

قد تقدم القول في ذم البطر ومدح الصبر ، ويحمل ذم البطر هاهنا على محامين .
أحدهما البطر بمعنى الأشر ، وشدة المرح ، بطر الرجل بالكسر يبطر ، وقد أبطره المال ،
وقالوا : بطر فلان مميته ، كما قالوا : رشيد فلان أمره . والثاني البطر بمعنى الخيرة والدهش ،
أى إذا كان الوقت لك فلا تقطن زمانك بالخيرة والدهش عن شكر الله ومكافأة النعمة
بالطاعة والعبادة . والحمل الأول أوضح .

أراد حذيفة بن يسار العزكري ، وكان سيد قيس في زمانه (١) .

رأى عمرُ رجلاً يمشي مُرخياً يديه ، طارحاً رِجليه ، يتسحتر ، فقال له : دع هذه المشية ،
فقال : ما أطيق ، فحمله ثم حلاه ، هترك التسحتر ، فقال عمر : إذا لم أجلد في هذا فقيم
أجلد ؛ فجاء الرجل بعد ذلك فقال : جراك الله يا أمير المؤمنين خيراً ، إن كان إلا شيطاناً
سُلط على فأذهب الله بك .



الأصل :

خُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَتَاكَ ، وَتَوَلَّ عَمَّا نَوَّلَى عَنْكَ ، فَإِنْ أَتَتْ لَمْ تَعْمَلْ فَأُجِزْ
فِي الطَّلَبِ .

الشرح :

كان يقال : احمل الدنيا كحريم التواء حصل منه ما يرضع لك به ، ولا تأس هل
مادفمك عنه ؛ ثم قال عليه السلام : فإن لم يعمل فأجزل في الطلب ، وهي من الأعطاط
النبوية : « لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا ، فَاجْهَلُوا فِي الطَّلَبِ »
قيل لبعض الحكماء : ما المعنى ؟ نص : قلّة تميتك ، ورضاك بما يكفيك .

الأمنل :

رُبَّ قَوْلٍ ، أُنْفَذَ مِنْ صَوْلِ .

•••

البنج :

قد قيل هذا المني كثيرا ، فيه قولهم :

• والقول ينفذ ما لا تنفذ الأبر •

ومن ذلك : القول لا تملكه إذا تم ، كالسهم لا تملكه إذا رمى ، وقال الشاعر :

وقافية مثل حد السما رقيق ونذهب من قاتها

تخيرتها ثم أرسلتها ولم يطق الناس إرسالها

وقال محمود الزقاق :

أتاني منك ما ليس على مكروهه صبير

فأعصيت على عميد وكب بعضي القتي الحمر

وأدنتك بالهجر فإأذبك الهجر

ولأردك عما كا رنت الصنع والسير

فلما اضطررتي للكره واشتد في الأمر

تناولتك من شعري بما ليس له قدر

فحزنت جناح العر لما منك الضر

إذا لم يصلح الحبر أم رأأصلحه الشر

وقال الرضى رحمه الله :

سَامَضُ بِالْأَقْوَالِ أَعْرَاضُ قَوْمِكُمْ وَالْقَوْلُ أَيْبٌ لَدَى حِدَادٍ^(١)
يُرَى لِقَوَائِي وَالسَّمَاءُ حَلِيَّةٌ عَلَيْكُمْ بَرُوقٌ بِحَقَّةٍ وَرِيَادُ
وقال أيضا :

كَمَمْتُ لِسَانِي أَنْ يَقُولَ وَإِنْ يَقُلْ فَعَلَى الْخِرَازِ الْعَصْبِ إِنْ فَارَقَ النِّمْدَا^(٢)
وَإِنْ بَرُودًا لِلْمَخَازِي مَعْدَةٌ فَمَنْ شَاءَ مِنْ ذَا الْحَيِّ أَسْعَتْهُ بُرْدًا
قَلَانْدٌ فِي الْأَعْيَاقِ بِالْعَارِ لَا تَهِي عَلَى مَرَّةٍ أَيَّامَ الزَّمَانِ وَلَا تَقْصِدَا
إِذَا صَلَّيْتُ بَيْنَ الْفَنَاءِ قَضَيْتُ الْقِنْدَا وَإِنْ دَرَقْتُ فِي السَّرْدِ قَطَعْتُ السَّرْدَا^(٣)

(١) ديوانه : ٣١٢

(٢) ديوانه ١ : ٣٠٩ كمت : شددت . وخرار العصب : السيف القاطع .

(٣) صلعت : صوتت . والسرد : المدروع

الأصل :

إِنَّ لِلْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ حَقًّا ، وَإِنَّ لِلْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ حَقًّا ، فَحَقُّ الْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ أَنْ يُطِيعَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي مَخْصِيْفَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَحَقُّ الْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ أَنْ يُحْسِنَ تَنَمُّهُ ، وَيُحْسِنَ أَدَبَهُ ، وَيُعَلِّمَهُ الْقُرْآنَ .

البُخْرُج :

أما صدر الكلام من قول الله سبحانه : ﴿ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لِلْمَصِيرِ ﴾ وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِيعَهُمَا ^(١)

[طرائف حول الأسماء والكنى]

وأما تعاليم الوالد الزلل القرآن والأدب فأمر به ، وكنىك القول في تسميته باسم حسن ؛ وقد جاء في الحديث : « تسموا بأسماء الأسياء ، وأحب الأسماء إلى الله عند الله وعبد الرحمن . وأصدقها حارث وهمام . وأقبحها حَرْب ومُرَّة » .

وروى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وآله : « إني أُنَادِيكُمْ بِأَسْمَائِكُمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ ، فَأَحْسِنُوا أَسْمَاءَكُمْ » .

وقال عليه السلام : « إذا سَمَّيْتُمْ قَعْبُدُوا أَيَّ سَمَاءٍ بِبَيْكُم عَبْدَ اللَّهِ وَنَحْنُ مِنْ أَسْمَاءِ
الإضافة إليه عزَّ اسمُهُ .

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يعبّر - بعض الأسماء ، سَمَّى أبا بكر عبدَ الله ،
وكان اسمُهُ في الجاهلية عبدَ الكعبة ، وسَمَّى ابن عوف عبد الرحمن ، وكان اسمُهُ عبد
الحارث ، وسَمَّى شُعْب الصَّلَاة شُعْبَ الهدي ، وسَمَّى يَثْرِبَ طَيْبَةَ ، وسَمَّى بنِي الرَّبِيعَةِ بنِي
الرُّشْدَةِ ، وبنِي معاوية بنِي مُرْشِدَةٍ .

كان سعيدُ بنُ المسيَّب بن حَرْثٍ الخزرجي أحدَ الفقهاء المشهورين ، أتى جَدُّهُ
رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له : ما اسمك ؟ قال : حَرْثٌ ؛ قال : لا ، بنِ أُمِّ
سَهْلٍ ، فقال : لا ، بل أُمَّا حَرْثٍ ، عاودَهُ فَبِهَا ثَلَاثًا ، ثُمَّ قال : لا أُحِبُّ هَذَا الْاسْمَ
السَّهْلُ يَوْمًا وَيَوْمًا ، فقال : فَأَتَيْتُ عَمْرًا ، فَكَانَ سَعِيدٌ يَقُولُ : فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُ
بِذَلِكَ الْحُرُوفَةَ فِينَا .

وروى جابر عنه عليه السلام : « ما من بيت فيه أحدٌ اسمه محمد إلا وسَّعَ اللهُ عليه الرِّزْقَ
فإذا سَمَّيْتُمُوهم به فلا تُصِرُّوهم ولا تُشْتَرِمُوهم ، ومن وُلِدَ له ثَلَاثَةٌ ذَكَرُوا ولم يسمَّ أَحَدَهُمْ
أَحَدًا أو مُحَمَّدًا فقد حَفَانِي . »

أبو هريرة عنه عليه السلام ، أنه سَمَّى أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ اسْمِهِ وَكُنْيَتِهِ لِأَحَدٍ .

وروى أنه أذن لعَلِيٍّ بنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام في ذَلِكَ ، فَسَمَّى اللهُ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَفْصَةِ
مُحَمَّدًا ، وَكُنَّاهُ أُمَّا الْقَاسِمِ .

وقد رَوَى أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ أَبْنَاءِ الصَّحَابَةِ جُمِعَ لَهُمْ بَيْنَ الْاسْمِ وَالْكُنْيَةِ .

وقال الزَّيْنَعْبَرِيُّ : قد قَدَّمَ الخَلْعَةَ وَغَيْرُهَا مِنَ الْمُلُوكِ رِجَالًا بِحُسْنِ أَسْمَائِهِمْ ، وَأَقْصَوْا
قَوْمًا لَشَاعَةِ أَسْمَائِهِمْ ، وَتَلَقَّى لِلدَّحْ وَالْقَدَمِ بِذَلِكَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ .

وفي رسالة الجاحظ إلى أبي الفرج نوح بن سلمة : قد أظهر الله في أسمائكم وأسماء آبائكم وكنائكم وكنى أجدادكم من برهان القائل الحسن ، وفي طيرة السوء ، ما جمع لكم صنوف الأمل ، وصرف إليكم وجوه العذاب ، فاشمأؤكم وكنائكم بين فرج وبجاح ، وسلامة وفصل ، ووجوهكم وأحلاف ، وفق أعرافكم وأفعالكم ، فلم يضرب التفاوت فيكم نصيب .

أراد عمر الاستعانة برجل ا فسأله عن اسمه واسم أبيه ، فقال : سراق بن طالم ، فقال : تسرق أنت وبطلم أبوك ! فلم يستمن به .

سأل رجل رجلاً : ما اسمك ؟ فقال : عمر ؛ قال : أو من ؟ قال : أبو الميخس ؛ قال : ابن من ؟ قال : ابن القرات ، قال : ما يسمى لصديقك أن يلقاك إلا في رزوق .

وكان بعض الأعراب اسمه وثاب ، وله كلب اسمه عمرو ، فجهاه أعرابي آخر فقال :

ولو هبنا له الله من التوفيق أسبابا
لسمى نفسه عمراً وسمى الكلب وثابا

قالوا : وكلما كان الاسم غريباً كان أشهر صاحبه أمتع من تعلقوا به ^(١) به قال رؤبة :

قد رَفَعَ العَجَاجُ ذَكَرِي فادعني باسمي إذا الأسماء طالت تكفيني
ومن هاهنا أخذ المقرئ قوله يمدح الرضى ومرتضى رحمهما الله :
أتم ذوو النسب القصير فطولكم باد على الكبراء والأشراف ^(٢)
والراح إن قيل ابنه العنب اكتفت ناب عن الأسماء والأوصاف

وسأل النّسابة البكرى رؤية عن نسبه ولم يكن يعرفه ، قال : أما ابن العجاج ؟
قال : قصرت وعرفت .

صاح أعرابي بعبد الله بن جعفر : يا أماه المفضل ! قيل : ليست كنيته ، قال : وإن
لم تكن كنيته فإنها صفتة . نظر عمرُ إلى حارية له سوداء تبيكي فقال : ما شأنك ؟
قالت : ضربني ابنك أبو عيسى ، قال : أوقد تنكّي بأبي عيسى ! على به ، فأحضروه ،
فقال : ونمّث ! أكان لعيسى أب فحكى به ! أتدري ما حكى العرب ! أبو سلة ،
أبو عرقطة ، أبو طلحة ، أبو حطلة ، ثم أدبه .

لما أقبل قحطبة بن شبيب نحو ابن هيرة أراد ابن هيرة أن يكتب إلى
سروان محبرة ، وكره أن يسميها ، فقال : قيسوا اسمها ، فوجدوه هبط حق ، فقال .
دعوه على هبته .

قال برصوما الزامر لأمه : ونمّث ! أما وجدت لي اسماً تسوّى به غير هذا ! قالت :
لو علمت أمك تحالس الخلفاء والملوك سميتك يريد بن مريّة .

قيل لبعض صبيان الأعراب : ما اسمك ؟ قال : قراد ، قيل : لقد ضيّق أموك
عليك الاسم ، قال : إن ضيق الاسم لقد أوسع الكنية ، قال : ما كنيّتك ؟
قال : أبو الصعاري .

نظر للثامون إلى علام حسن الوجه في الموكب ، فقال له : يا غلام ، ما اسمك ؟ قال :
لا أدري ، قال : أو يكون أحد لا يعرف اسمه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، اسمي الذي
أعرف به « لا أدري » ؛ فقال للثامون :

وَسَمَّيْتَ لَا أَدْرِي لِأَنَّكَ لَا تَدْرِي بِمَا فَعَلَ الْحَبُّ لِلْبُرْخِ فِي صَدْرِي

ولد لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ولدٌ ذكر ، فبُشِّرَ به وهو عند معاوية

قال محمد بن صدقة المقرئ طيموت بن المززع: صدق الله فيك اسمك ! فقال له: أحوجك الله إلى اسم أبيك .

سأل رجل أبا عبيدة عن اسم رجل من العرب ، فلم يعرفه ، فقال : كَيْسَانُ غلامه : أما أعرفُ الناس به ، هو خراش أو خدش أو رباش^(١) أو شىء آخر ، فقال أبو عبيدة : ما أحسنَ ماعرفته يا كيسان ! قال : إى والله ، وهو قرشي أبصا ، قال : وما يدريك به ؟ قال : أما ترى كيف احتوشته الشيبات من كل جانب ! قال الفرزدق :

وقد تلتني الأسماء في الناس والكفى كثيرا ولكن مئزرا في الخلائق^(٢)

رأى الإسكندر في عسكره رجلا لا يزال ينهرهم في الحرب ، فسأله عن اسمه ؟ فقال : اسمي الإسكندر ، فقال : يا هذا ، إما أن تغير اسمك ، وأما أن تغير فعلك .

قال شيخنا أبو عثمان : لولا أن القدماء من الشعراء سمّوا الملوك وكنّوها في أشعارها ، وأجازت واصطاحت عليه ما كان جراه من فعل ذلك إلا العقوبة : على أن ملوك بني سَامان لم يُكنّوا أحد من رعايلها قط ، ولا سمّوها في شعر ولا خطبة ، وإنما حدث هذا في ملوك الحيرة . وكانت الجلاء من العرب لسوء أذنها وغلظ تركيبها إذا أتوا النبي صلى الله عليه وسلم خاطبوه باسمه وكنيته ، فأما أسماء فكانت مخاطبتهم له : يا رسول الله ؛ وهكذا يجب أن يقال للملك في مخاطبة : يا خليفة الله ، وبأمر المؤمنين .

وينبغي للداحل على ذلك أن يتلف في مراعاة الأدب ، كما حكى سعيد بن مرة الكندي ، دخل على معاوية فقال : أنت سعيد ؟ فقال : أمير المؤمنين سعيد ، وأنا ابن مرة . وقال المأمون للسيد بن أسب الأردي : أنت السيد ؟ فقال : أنت السيد يا أمير المؤمنين ، وأما ابن أنس .

(١) ب : ديس . (٢) ديوانه ٥٧٨ ، وروايته . ولكن لا تلاقى الخلائق .

شاعر :

لَعَمْرُكَ مَا الْأَسْمَاءُ إِلَّا عِلَامَةٌ مَسْرُومٍ حَيْرَ الْمَلَارِ ارْتَمَاعُهَا
 كَانَ قَوْمٌ مِنَ الصَّعَابَةِ يَحَاطَبُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « يَا نَبِيَّ اللَّهِ » بِالْهَمْزَةِ ،
 فَأَنْكَرَ ذَلِكَ وَقَالَ : « لَسْتُ بِنَبِيِّ اللَّهِ ، وَلَكِنِّي بَنِيُّ اللَّهِ » .
 وَكَانَ الْحَضْرِيُّ إِذَا ذَكَرَ الْحَشَمِيَّ الشَّاعِرَ يَقُولُ : دَاكُ الْعَثِّ الْعَمِي .
 وَكَانَ صَاحِبُ رِبِيعٍ يَتَشَتَّى ، فَارْتَمَعَ بِهِ سَعْمَانُ . اسْمُ أَحَدِهِمَا عَلِيٌّ ، وَالْآخَرُ
 مَعَاوِيَةُ ، فَاتَّخَذَ عَلَى مَعَاوِيَةَ قَصْرَ بِهِ مِائَةَ سَوَاطٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ اتَّخَذَتْ عَلَيْهِ حِجَّةً ، فَمِطَّنَ مِنْ
 أَيْنَ أَتَى إِذْ قَالَ . أَصْلَحَكَ اللَّهُ ! سَرَّ حَضْرِي عَنْ كُنْيَتِهِ ، فَإِذَا هُوَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ .
 وَكَانَتْ كُنْيَةُ مَعَاوِيَةَ مِنْ أَبِي سُفْدَانَ . فَطَعَنَهُ وَصَرَّخَتْ مِائَةُ سَوَاطٍ ، فَقَالَ لِصَاحِبِهِ : مَا أَجَدْتَهُ
 مَنَى بِالْأَسْمِ اسْتَرْجَعْتُهُ مِنْكَ بِالْكُنْيَةِ .

يستعدّ للججاج عند تصوّر النفس صورة العشوق ، فإذا قد صار تصوّر النفس مؤثراً فيما هو خارج عنه ؛ لأنها ليس حالة في البدن ، فلا يستعد وجود نفس لها جوهر مخصوص بخلاف لغيره من خواهر النفوس تؤثر في غير بدنها ، ولهذا يقال : إن قوماً من الهدى يقتلون بالوهم ؛ والإصابة بالعين من هذا الباب ، وهو أن تستعين النفس صورة مخصوصة وتتعبّ منها ، وتكون تلك النفس حينئذ حياء ؛ فيعمل جسم تلك الصورة مطيعاً لتلك النفس كما يتفعل البدن للتسم .

وفي حديث أمّ سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله رأى في وجهه جارية لها سبعة^(١) ، فقال : « إن بها نظرة فاسترقوا لها » .

وقال عوف بن مالك الأشجعي : كما ترفى في الجاهلية ، فقلت : يا رسول الله ، ما ترفى في ذلك ؟ قال : « اعرضوا على رؤسكم فلا بأس بالرفق ما لم يكن فيها شرك » .
كان بأس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في سفر ، فأتوا بحمي من أحياء العرب ؛ فأستصافوهم فلم يصيغوهم وقالوا لهم : هل فيكم من راق ، فإن سيد الحمى لبيع ؟ فقال رجل منهم : نعم ، فأنابه فرقاء بماتمة الكذب فعزى ، فأعطى قطعاً من النعم ، فأبى أن يقبلها حتى يأتي رسول الله صلى الله عليه وآله ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله ، وقال : وعيشك ما رفيت إلا بماتمة الكذب ، فقال : « ما أدراك إنها رقية ! خذوا منهم ، واضربوا إلى معكم بسهم » .

وروى بريدة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وقد ذكرت عنده الطيرة : « من عرض له من هذه الطيرة شيء فليقل : اللهم لا خير إلا طيرك ، ولا خير إلا خيرك ، ولا إله غيرك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » .

وعنه عليه السلام : « ليس منا من تطير أو تطير له ، أو تكهن أو تُكهن له » .

(١) السعة : قروح تخرج على رأس الصبي . واسترقوا : أي طلبوا من يربّيها

أنس بن مالك يرفعه : « لا عدوى ولا طيرة ، ويُعجِبني الغال الصالح » ؛ قالوا : فما الغال الصالح ؟ قال : الكلمة الطيبة .

وعنه عليه السلام : « تفاءلوا ولا تطيروا » .

وروى عبد الله بن بُريدة ، عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان لا يتطير من شيء ، وكان إذا نمت عاملاً سأل عن اسمه ، فإذا أعجبه سر به ، ورمى بشر ذلك في وجهه ، وإن كره اسمه رُميت الكراهة على وجهه ، وإذا دخل قرية سأل عن اسمها فإن أعجبه ظهر على وجهه :

بنو عبيد الله بن زياد بصرة داراً عطية ، فمر بها بعض السراة ، فرأى في دهليزها صورة أسد و كلب و كغش ، فقال : أسد كالح ، و كغش طامع ، و كلب ناصع ، والله لا يجمعها ؛ فلم يلبث عبيد الله فيها إلا أياماً يسيرة .

أبو هريرة يرفعه : « إذا ظنتم فلا تحفقروا ، وإذا تطيرتم فامضوا ، وعلى الله فتوكلوا » . وقال عليه السلام : « أحسها لعل ، ولا برؤ قدرا ، ولكن إذا رأى أحدكم ما يكره فليقل : اللهم لا يأتي بالחסات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بك » .

وقال بعض الشعراء :

لا يَمْلَمُ لِرَدِّ نَيْلٍ ما بَصَّحَهُ إلا كواد ما يَجْرِي به العالُ

والعالُ والزجر ولكم أن كلهم مصالون ودون العيب أقفالُ

وعن النبي صلى الله عليه وآله : « القيافة والطرق والطيرة من الخبث » .

ابن عباس يرفعه : « من اقتبس علماً من الحوم اقتبس شعبة من السحر » .

أبو هريرة يرفعه : « من أتى كاهناً فصدقه فيما يقول فقد بَرى عما أنزل الله على

أبي القاسم » .

شاعر :

لَعَرُّكَ مَا تَدْرِي الطَّوَارِقُ بِالْحَصَى وَلَا زَاكِراتُ الطَّيْرِ مَا اللَّهُ صَانِعُ^(١)
وقال آخر :

لَا يَقْصِدُكَ عَنْ بِنَا خَيْرَ تَعْقَادِ الْعِزَامِ^(٢)
فَقَدْ غَدَوْتُ وَكُنْتُ لَا أَعْدُو عَلَى رَأْيٍ وَحَالِمِ
فَإِذَا الْأَشْأَمُ كَالْأَيَا مِنْ وَالْأَيَّامِ كَالْأَشْأَمِ
وَكِدَاكَ لَا خَيْرَ وَلَا شَرَّ عَلَى أَحَدٍ بِدَائِمِ

تفأهل هشام بن عبد الملك بنصر بن سيار فقلده خراسان ، فبقى فيها عشر سنين .
وتفأهل عامر بن إسماعيل قاتل مروان بن محمد باسم رجل لقيه ، فسأله عن اسمه ،
فقال : منصور بن سعد ، قال : من أي العرب ؟ قال : من سعد العشيرة ، فأستصحبته
وطلب مروان فطفر به وقتله .

وتفأهل المأمون منصور بن بسم فكان سبب مكاتبه عنده .

قالوا : إنا أصل اليد اليسرى القسري ؛ إلا أنهم أبدلوا اليسرى من اليسر تفاؤلا .
سهرذ بن ضرار :

وَأَنِّي أَمْرٌ لَا تَقْشُرُ ذَوَاتِي مِنَ الذَّنْبِ بَعْوَى وَالْمَرَابِ الْحَبْلِ
السُّكْمِيَّتِ :

وَلَا أَمَّا مَن يَرْجُرُ الطَّيْرَ هَمَّةً أَصْحَاحُ عُرَابٍ أَمْ تَعْرِضُ ثَلَبُ^(٣)
وقال بعض العرب : خرجت في طلب باقة صنت لي ، فسمعت قائلا يقول :
ولئن بعثت لها بُنَا فَمَا الْبَغَاءُ بِوَاجِدِيْنَا^(٤)

(١) لبيد ، ديوانه ١٧٢ (٢) ميمون الأحبار ١ - ١٤٩ ، ونسبها إلى الرقش .

(٣) الماشنيات ٢٦ . (٤) لبيد ، ديوانه ٣٧٣ .

فلم أتطير ومصبت لوجي ، فلقبي رجل قبيح الوجه به ماشئت من عاهة ؛ فلم أتطير
وتقدمت فلاححت لي أكمة ^(١) فسمعت منها صائحا :

• والشر يلقى مطايح الأكرم •

فلم أكرث ولا اثنيت وعلوتها ، فوجدت باقى قد تفاجت ^(٢) للولادة فستجتها ^(٣) ،
وعدت إلى منزلي بها ومعها ولدها .

وقيل لعل عليه السلام : لا تحارسهم اليوم فإن القمر فى القرب ، فقال : قمرنا
أم قمرهم !

وروى عنه عليه السلام أنه كان يكره أن يسافر أو يتزوج فى تحاق ^(٤) الشهر ، وإذا
كان القمر فى القرب .

وروى أن ابن عباس قال على منبر النخلة : إن الكلاب من الحن وإن الحن من
ضعفاء الحن ؛ فإذا عشيتكم منهم شيء فأتقوا إليه شيئا أو اطردهوه ، فإن لها أنفس سوء .
وقال أبو عثمان الجاحظ : كان عماء العرس والمهد وأطباء اليونانيين وذوهاة العرب
وأهل القهربة من بارلة الأمصار وحذاق المتكلمين يكرهون الأكل بين يدي الساع
يحافون عيوسها لئلا يلقى فيها من التهم والشراء ، ولما ينحان عند ذلك من أجوافها من البحار
الردى ، وينفصل من عيونها مما يد حائط الإنسان نقض بنية قلبه وأفسده . وكانوا
يكرهون قيام الخدم بالثياب والأشربة على رؤسهم خوفا من أعينهم وشدة ملاحظتهم
إيهم ؛ وكانوا يأمرؤن ياشبعهم قبل أن يأكلوا ، وكانوا يقولون فى الكلب والستور
بما أن يطرده أو يسئل بما يضرح له .

(١) الأكمة : الوسخ يكون أشد ارتفاعا مما حوله ، وأخر عيون الأخبار ١ : ١١٥ .

(٢) قاحب : وسعت ما من رحلتها (٣) سمعتها أى أوليتها .

(٤) الحاق مثله . آخر الشهر أو ثلاث يال من آخره ، أو أن يستتر القمر فلا يرى عدوه ولا
عشيه ، سمي عافا لأنه طلع مع الشمس معقه .

وقالت الحكماء : نفوسُ السباع أُرِداُ النفوس وأحسها فرط شرها وشرها ، قالوا :
وقد وجدنا الرجل يصير الحية نمصا فيموت الصرب والحية ، لأن سم الحية فصيل منها
حتى خالط أحشاء الصارب وقلبه ، ونفذ في مائة حسنة .

وقد يُرِيم الإنسانُ النظر إلى العين المحرقة فتعترى عنه حُمرة ، والتأوب يُعْدِي
إعداء ظاهراً ، ويكره دبو الطميث من اللبن لتسوطه ، لأن لها رائحةً ومُخاراً يُفْسِدُ
اللبن السوط^(١) .

وقال الأصمعي : رأيت رجلاً غيوماً^(٢) كان يذكّر عن منه أنه إذا أعجبه شيء
وجد حرارة تخرج من عينه .

وقال أيضاً : كان عندما غيوماً فرأى أحدهما يحرق من حجارة ؛ فقال : والله ما رأيتُ
كاليوم حوصاً ! فاندفع فلقين ، فمرّ عليه الثاوي ، فقال : وأيّك لقلنا صررت أهلك
فيك ! فتطاير أربع فائق .

وسمع آخر صوت بول من وراء حدار حائط ، فقال : إلك كثير الشغب ، فقالوا :
هو أسك ؛ فقال : أوه انقطع ظهري ! فقيل : لا بأس عيه إن شاء الله ، فقال : والله
لا يَبُول بعدها أبداً ، فما بال حتى مات .

وسمع آخر صوت شخب ناقة بقوة فاجمته ، فقال : أيتها هذه ، فورتوا بأخرى
عنها ، فهالكنا جميعاً ، المورى بها والمورى عنها .

قال رجل من خاصة المصور له قبل أن يقتل أنا مسلم بيوم واحد : إني رأيتُ
اليوم لأبي مسلم ثلاثاً تعاقبت له منها . قال : ما هي ؟ قال : ركب فوقت فلدسوته

(١) الغمامة : الحائض ، والسوط : المخلوط .

(٢) الغيوم : الشديدة الإصابة بالمرض .

عن رأسه ، فقال للنصور : الله أكبر ! تَمَعَا والله رأسه ، فقال : وكَيْبَاهِ فَرُسُهُ ، فقال :
الله أكبر ! كَبَا والله جَدُّهُ ، وأَصْلَدَ زَنْدُهُ ، في الثالثة ؟ قال : أنه قال لأصحابه : أنا
مقتول ، وإنما أخادع نفسي ، وإذا رَجَلٌ يُسَادِي آخر من الصحراء : اليوم آخر
الأجل يا فلان . فقال : الله أكبر . انغمى أحله إن شاء الله : وانقطع من الدنيا أثره .
فَقَتِلَ في غَدِ ذلك اليوم .

تمحَّرَ النابغةُ الذبيانيُّ للعرو - واسمه زياد بن عمرو - مع زبَّان بن سيار الفَرَارِي - فلما
أراد الرحيل سقطت عليه حَرَادَةٌ متطيرة ، وقال : ذات لَوَيْنِ نَجْرَد ، غُرِي من خرج ،
فأقام ولم يَلْتَفِتْ رَتَانِ إلى طَيْرِنِهِ ، فذهب ورَجَمَ عَائِماً ، فقال :

تَطَرَّ طَمْسِيَّةٌ يَوْمًا رِيَادًا لتَحْبِرُهُ وما فيها حَيْرٌ^(١)
أَقَامَ كَأَنَّ لِقَامًا مِنْ عَادٍ أَشَارَ لَهُ بِحِكْمَتِهِ مُشِيرٌ
تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا طَيْرَ إِلَّا عَلَى مَتَطِيرٍ وَهُوَ الثَّوْرُ
بَلَى شَيْءٌ يُوَافِقُ نَحْوَهُ شَيْءٌ أَحَابِيثًا وَمَاطِسَةً كَثِيرٌ

حضر عمر بن الخطاب الموسم ، فصاح به صائح : يا خليفة رسول الله ، فقال رجل
من بني لَهَبٍ ! وهم أهل عِيَافَةَ وَزَجْرٍ : دعاه باسم مَيْتٍ : مات والله أمير المؤمنين عليه السلام ،
فلما وقف الناس للجمار إذا حصاةٌ صَكَتْ صَلَعةً نَعْمَرُ ، فَأَدْرَى مِمَّا ، فقال ذلك القائل : أشعر
والله أمير المؤمنين ، لا والله ما وقف هذا الموضع أبدًا ، فَتَنَبَّلَ عمر قُلَّ أَنْ يَحُولَ الحَوْلُ ،
وقال كثير بن عبد الرحمن :

تَيَمَّتَ لِهِنَا أَسْمَى الْعِلْمِ عَمَدَهَا وَقَدْ صَارَ عِلْمُ الْعَاطِفِينَ إِلَى لَهَبٍ^(٢)

(١) الحيوان ٣ : ٢٤٧ .

(٢) عيون الأخبار ١ : ١٤٩ .

كان للعرب كاهنان اسم أحدهما شيق ، وكانت نصف إنسان ، واسم الآخر
سطيع ، وكان يطوى على الخصر ، وبكلمات كل معجوبة في الكهانة ، فقال
ابن الرومي .

لك رأى كأنه رأى شيق وسطيع قريبى الكهان
يتشب الميوب عما توارى سيور حلية الإنسان

وقال أبو عثمان الجاحظ : كان مسيلة قبل أن يفتن يدور في الأسواق التي كانت
بين دور العرب والعجم كسوق الأبله وسوق بقة وسوق الأنبار وسوق الحيرة يلتبس
تعل الخيل والبرنجات واحتيال أصحاب الرقي والعزائم واستجوم ، وقد كان أحكم علم
الحرارة وأصحاب الزجر والخط ، فمعد إلى بيضة فصب إليها حادفا فاطما ، فلات ،
حتى إذا مدها الإنسان استطالت ودقت كاسلك : ثم أدخلها فارورة طيقة الرأس وتركها
حتى انصمت واستدارت وحمدت ، فعادت كهنتها الأولى ، فأخرجها إلى قوم وهم أعراب
واستفواهم بها ، وفيه قيل :

ببضة فارور وراية شادين ونوصيل مقطوع من الطير حادق

قالوا : أراد راية الشادين التي يصبها لصق من القير طاس الرقيق ، ويعمل لها ذبا
وجناحين ويرسها يوم الريح بحيث يطويل .

كان مسيلة يعمل رايات من هذا الخس ، ويمتق فيها الجلاجيل ، ويرسها تبالا
في شدة الريح ، ويقول : هذه الملائكة نزل على : وهذه خشخشة الملائكة ورحاها ،
وكان يصل حناح الطير للقصوص يرش معه فيضير ويستوى به الأعراب .
شاعر في الطيرة :

وأمنع الياسمين المضر من حذري عليك إذ قيل لي نصف اسمه ياس
وقال آخر :

أهدت إليه سرجاً جلاً فتطيراً منه وظل مفكراً مستعبداً^(١)
خوف العراق لأن شطر هجائه سرجاً وحق له بأن يتطيراً
وقال آخر :

يا ذا الذي أهدى لنا سوسناً ما كنت في إهدائه معنا
يصف اسمه جوف قد سدى باليت أن لم أر السوسناً
ومثله :

لا ترى طمسول دهوى أهوى الشقائقا
إن يكن يسه الخلدو در فصف اسمه شقا

وكانوا يتناولون بالأسر اللوامه ، ويتطهرون من الترحس لسرعة انقصائه ،
ويسمونه العذار .

وقال العباس بن الأحنف :

إن الذي سماك يامنيتي بالترجس العذار ما أنصفا
لو أنه سماك بالأسه وفيت إن الأس أهل الوفا

خرج كثير يريد عزة ومعه صاحب له من هدهد ، فرأى غراباً ساقطاً فوق بانه
يذيف ريشه ، فقال له التهدي : إن صدق الطير فقد ماتت عزة ، فوافى أهلها وقد أخرجوا
جنازتها ، فقال :

وما أعيف الهدى لا در ذره وأرجره للطير لا عز ناصر^(٢)
رأيت غراباً ساقطاً فوق بانه يذف أعلى ريشه ويطير

(١) يهيجراً ؛ أي سالت عذرة ، أي دمرته . (٢) عيون الأحرار ١ : ١٤٨

قال غرابٌ لا غرابٍ ، وبانةٌ رُبِّي ، وقد من حبيبٍ ثَمَّ شَرِيٌّ
وقال الشاعر :

وَسَمِيَتْهُ يَحْيَى لِيَحْيَا وَلَمْ يَكُنْ إِلَى رَدِّ حُكْمِ اللَّهِ فِيهِ سَبِيلُ
بَيَّضْتُ فِيهِ الْعَالِ حِينَ رُفِقَتْهُ وَلَمْ تُدِرْ أَنَّ الدَّلَّ فِيهِ يَمِيلُ

• • •

فَأَمَّا الْقَوْلُ فِي السَّحْرِ فَإِنَّ الْعُقَمَاءَ يُشْتَبِهُ وَيَقُولُونَ : فِيهِ الْقَوَدُ ، وَقَدْ حَاءَ فِي الْحَبْرِ
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سَحَرَهُ لَبِيدٌ مِنْ أَهْلِ يَهُودَى حَتَّى كَانُوا يُحْيِيْنَ بِهِ أَنَّهُ
يَعْمَلُ الشَّيْءَ ، وَلَمْ يَنْعَمْ .

وَرَوَى أَنَّ امْرَأَةً مِنْ يَهُودٍ سَحَرَتْهُ شَعْرَ وَفُصَّاصَ طُفْرٍ وَحَقَلَتِ السَّحْرَ فِي نَرٍ ،
وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى دَلَّهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَمَاتَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَاسْتَحَرَّحَهُ وَقَتَلَ الْمَرْأَةَ .

وَقَوْمٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَتَّبِعُونَ هَذَا عَمَلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَيَقُولُونَ : إِنَّهُ مَعْصُومٌ
مِنْ مِثْلِهِ .

وَالْعِلَاسَةُ تَزْعُمُ أَنَّ السَّحْرَ مِنْ آثَرِ الْفَسْرِ اسْطِغَاةً ، وَأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ فِي
النَّفُوسِ نَفْسٌ تَوْثَرُ فِي غَيْرِ نَدَسِهَا لِلرَّضِ وَالْحَتِّ وَالنَّفْصِ ، وَمِنْ ذَلِكَ ، وَأَصْعَبُ
الْكُؤَاكِبِ يَحْمِلُونَ الْكُؤَاكِبَ فِي ذَلِكَ تَأْثِيرًا ، وَأَصْعَبُ حَوَاصِ الْأَحْبَارِ وَالنَّاسِ
وغيرها يُسَيِّدُونَ ذَلِكَ إِلَى الْحَوَاصِ ، وَكَلَامُ أَمِيرِ مُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَالٌّ عَلَى نَصَحِيحِ
مَا يُدْعَى مِنَ السَّحْرِ .

وَأَمَّا الْعَدَوِيُّ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « لَا عَدَوِيَّ فِي الْإِسْلَامِ » .
وَقَالَ مَنْ قَالَ : أَعْدَى نَعْمًا نَعْمًا - بِعَنِ الْإِبِلِ : « فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلُ ؟ » وَقَالَ : « لَا عَدَوِيَّ
وَلَا هَامَةَ وَلَا ضَرَّ » ، فَالْعَدَوِيُّ مَعْرُوفٌ ، وَالْهَامَةُ : مَا كَانَتِ الْعَرَبُ تَرْعَاهُ فِي الْقَوْلِ

لا يؤخذ شأريه ، والصَّعْر : ما كانت العرب تزرعه من الحبة في التفل تَعَص عند الجوع .

[نكت في مذاهب العرب وتخيلاتها]

وسندكرها هنا سُكناً مُتعةً من مذاهب العرب وتخيلاتها ، لأن الموضع قد ساقنا إليه ، أشد هشام بن الكلبي لأمية بن أبي الصلت :

سنة أرملة تَبْرُح بالنسا من ترى للعصاة فيها صريرا^(١)

لا على كوكب تنوء ولا ريب من جنوب ولا ترى طخرورا^(٢)

وبُفْقُون ماقرة السهل للطور د مهابيل حشية أن تمورا

عاقدين الثيران في مسكن الأذ بالسمها لكي تهيج العجورا

سَلْع ما ومشبه عشر ما عايل ما وعالت السيفورا

يروي أن عيسى بن عمر قال : ما أدري معنى هذا البيت ! ويقال : إن الأصمعي

صحف فيه ، فقال : « وعالت السيفورا » بالعين المعجمة ، وفسره غيره فقال : عالت بمعنى

أثقلت البقر بما حملتها من السلع والعشر ، والسيفور : القر . وعالت : غالب ، أو مثقل .

وكانت العرب إذا أجدبت وأمسكت السماء عنهم وأرادوا أن يستمطروا عمدوا

إلى السلع والعشر لحرموها وعقدوها في أذاب القر ، وأضرموها فيها الثيران ، وأصعدوها

في جبل وعير ، واتعموها يدعون الله ويستنقونه ؛ وإنما يصرمون الثيران في أذاب

البقر تغاولا للبرق بالار ، وكانوا يسوقونها نحو المغرب من دون الجهات . وقال أعرابي :

شعنا بببقور إلى هطل الحيا فلم يُعن عنا ذاك بل زادنا جدبا

فعدنا إلى رب الحيا فأحارنا وصيرحدث الأرض من عديده خصبا

(١) شعراء الصغرية ٢٣٥ ، ن وصعدة وعجوة . (٢) الطخروور : القطع من السحاب .

وقال آخر :

قُلْ لِيْنِي مَهْشَلْ أَحْمَابِ الْخَوَزِ : أَنْضُرُ الْعَيْثَ جَهْلًا بِالْبَقَرِ !
وسَلْعَ مِنْ عِدَدِكَ وَعُشْرُ لَيْسَ بِذَا يُحْدِلُ الْأَرْضَ الْمَطَرُ
ويمكن أن يُحْمَلَ تَفْسِيرُ الْأَصْمَعِيِّ عَلَى مَحَلِّ مَجْبُوعٍ ، فيقال : غَالَتْ بِمَعْنَى أَهْلَكَتْ ،
يقال : عَالَهُ كَذَا وَاعْتَالَهُ أَيْ أَهْلَكَهُ ، وَغَالَتْهُمْ عُورٌ ؛ بِمَعْنَى التَّيْبَةِ ، وَمِنْهُ الْعَصَبُ
عُورُ الْحَلَمِ

وقال آخر :

لَمَّا كُنُوزُ الْأَرْضِ أَذْنَابُ الْقَرِ : بِالسَّعِ الْمَقْرُودِ فِيهَا وَالْعُشْرُ
وقال آخر :

يَا كُفْلُ قَدْ أَنْقَلْتَ أَذْنَابَ الْقَرِ : بِسَعِ يَعْقِدُ فِيهَا وَعُشْرُ
• فَبِلَ تَحْمُودِيْنَ مَبْرُوقٍ وَمَطَرُ •

وقال آخر يعيب العربَ بِفِعَالِهِمْ هَذَا :

لَا دَرَّ دَرَّ رَحَالٍ خَابَ سَعِيَهُمْ يَسْتَمِطِرُونَ لَدَى الْإِعْسَارِ بِالْعَشْرِ
أَحَاعِلُ أَنْتَ يَبْقُورًا مَسْلَعَةً ذَرَبَةً لَكَ بَيْنَ اللَّهِ وَالْمَطَرِ
وقال بعضُ الْأَدْكِيَاءِ : كُلُّ أُمَّةٍ قَدْ تَحَذَوُا فِي مَذَاهِبِهَا مَذَاهِبَ مِلَّةٍ أُخْرَى ، وَقَدْ
كَانَتْ الْهِنْدُ تَرْغُمُ أَنَّ الْقُرْمَ مَلَأَتْكَ ، سَخَطَتْهُ عَلَيْهَا لِحَقْلَيْهَا فِي الْأَرْضِ ، وَأَنَّ لَهَا
عِنْدَهُ حَرَمَةً ، وَكَانُوا يُطْلَعُونَ الْأَنْدَادَ حُثْنَانَهَا^(١) ، وَيَمْسِيُونَ الْوَحْوَ سَوْرَهَا وَيَحْمِلُونَهَا
مُهَوَّرَ رِيسَاتِهِمْ ، وَبِتَرٍّ كَوْنُ سَهَائِي حَمِيعُ حَوَالِمٍ ، فَمَعْلٌ أَوَائِلَ الْعَرَبِ حَذَوُوا هَذَا الْحَذْوُ ،
وَاتَّهَجُوا هَذَا الْمَلَأَتْ .

(١) الْأَخْنَاءُ : جَمْعُ حَنْتَةٍ ، وَهِيَ الْمِرَّةُ الْهِنْدِيَّةُ

والعرب في البقر خيال آخر ، وذلك أنهم إذا أوردوها فلم يرد ضربوا الثور ليقتحم
الماء ، فتقتحم البقر بعده ، ويقولون : إن الحن تصد البقر عن الماء ، وإن الشيطان يركب
قرني الثور ، وقال قاتلهم :

إني وقتي سئيكاً حين أغفله كالثور يصرب لما عافت القم^(١)
وقال نيسل بن حري :

كذلك الثور يصرب بالهروى إذا ما عافت القم الطماء
وقال آخر :

كالثور يصرب لسور^(٢) إذا تجمت القم^(٣)
فإن كان يس إلهداً يس ذلك فيجب من القم ولا تمذهب من مذهب العرب :
لأنه قد يجوز أن تمتنع البقر من الورود حتى يورد الثور كما تمتنع الصم من سلوك
الطريق أو دخول الدوير والأخبية حتى يتقدمها الكش أو اليس ، وكالمحل نسم
اليمسوب ، والكراكي تنس أميرها ، ولكن الذي تدل عليه أشعارها أن الثور
يرد ويشرب ولا يمتنع ، ولكن البقر تمتنع وتناف الماء وقد رأت الثور يشرب ،
حينئذ يصرب الثور مع إجابته إلى الورود فتشرب البقر عند شربه ، وهذا هو العجب ،
قال الشاعر :

فإني إذن كالثور يصرب جفه^(٤) إذا لم ينف شرباً وعافت صواحبه^(٥)
وقال آخر :

فلا يجمعوني كالبقير وفحلها بكسر صرباً وهو لورد طائع^(٦)
وما دئمه إن لم يرد نقراته وقد فاجأها عند ذلك الشرائع^(٧)

(١) للسبك بن اسكة ، واليت من شواهد ابن عقل ٢ : ٢٨٧ .

وقال الأعشى :

لكالثور والجنى يُضرب وجهه وما ذنته إن عافت الماء مشرباً (١)
وما ذنته إن عافت للمساء باقراً وما أن يعاف الماء إلا ليضرباً
فالواي تفسيره : لما كان أمتاعها يتعقد نصرب ، حزن أن يقال : عافت الماء
لنصرب ، وهذه اللام هي لام العاقبة ، كقوله : « يدوا الموت » ، وعلى هذا فسر أصحابنا
قوله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْإِنسِ ﴾ (٢) .

• • •

ومن مذهب العرب أيضا تعليق الحلّى والجلجل على اللديع برؤن أنه يُعيق بذلك ،
ويقال : إنه إنما يعلق عليه لأنهم برؤن [أنه] إن دام بسرى السم فيه فبهلك ، فشملوه
بالحلّى والجلجل وأصواتها عن التوم ، وهذا قول النصيرين شميل ، ومعهم يقول :
إنه إذا علق عليه حلّى الذهب برّاً ، وإن علق الرصاص أو حلّى الرصاص مات .
وقيل لبعض الأعراب : تريدون شهرة ؟ فقال : إن الحلّى لا تشهر ، ولكنها
سنة ورثاها .

وقال الباعة :

فبت كأتى ساورتن صبيحة من ثرقش و أياها السم باقِع (٣)
يسهّد من ليل التمام سليمها ليحلّى السساء و يديه قعاقِع
وقال بعض بني عُذرة :

كأتى سيم ناله كغم حيسف ترى حوله حلّى النساء موضعاً

(٢) سورة الأعراف ١٧٩

(١) ديوانه ٩٠ .

(٣) ديوانه ٥١ .

وقال آخر :

وقد غلّوا بأشطل في كل موضع وعروا كما عرّ السليم الجلاجيل

وقال جميل وظرف في قوله ، ولو قاله العباس بن الأحنف لكان طريفا !

إذا ما لديع أبرا الحلى داه فحليتك أمتى يا بنيمة دائيا (١)

وقال عويمر البهاني وهو يؤكّد قول أنضر بن شميل :

فت ممتنى بالموم كائن سليم نني عنه الرقاد الجلاجيل

ومثله قول الآخر :

كأن سليم شهد الحلى عبة فراقب من يسيل التمام الكواكبا

ويشبه مذهبهم في ضرب النور مذهبهم في العرّ بعيب الإبل فيكوى الصحيح

ليبرا السقيم . وقال النافعة :

وكلمتني ذنب أمري وتركته كذي العرّ يكوى غيره وهو رابع (٢)

وقال بعض الأعراب :

كن يكوى الصبح يوم برأ به من كل جرأ الإهاب

وهذا البيت يُعطّل رواية من روى بيت النافعة « كذي العرّ » نعم اسين ، لأن العرّ

بالضم قرع في مشاعر الإبل غير الحرب ، والعرّ بالفتح الجرب معه ، فإذا ذكّر

الشعر على أنه يكوى الصحيح ليبرا الأجرب فالواجب أن يكون بيت النافعة

« كذي العرّ » بالفتح .

ومثله هذا البيت قول الآخر :

فالزمتني دنبا وغيري جرأ حاتيك لا يكوى الصحيح بأجربا

إلا أن يكون إطلاق لفظ الحرب على هذا المرض المخصوص من باب الحاز لمشايعته له .

ومن تحيلات العرب ومذاهبها أنهم كانوا يفتشون عين المخل من الإبل إذا بلغت
الفا ، كأنهم يدفعون العين عنها ، قال الشاعر :

فَقَانَا عِيُونًا مِنْ فُجُولِ سَهْلٍ وَأَنْتُمْ بَرَعَى الْهُمِ أَوْلَى وَأَحْدَرُ
وقال آخر :

وَهَتَّهَا وَكُنْتَ ذَا امْتِنَانٍ تَقَفَّا فِيهَا أَعْيَنَ الْبُغْرَانِ
وقال الآخر :

أَعْطَيْتَهَا الْفَا وَلَمْ تَخَلْ بِهَا فَفَقَاتَ عَيْنَ فَحِيلِهَا مُتَنَافَا
وقد طعن قوم أن بيت الفرزدق وهو :

عَسَيْتُ بَانِقِي وَالْمَعَى وَبَيْتِ الْمُحْتَبَى وَالْحَافَاتِ^(١)

من هذا الباب ، وليس الأمر على ذلك ، وإنما أراد بالحق قوله لجرير :

وَلَسْتُ وَلَوْ فَقَاتُ عَيْبِكَ وَاحِدًا أَحَدًا كَقَطِطٍ أَوْ أَنَا مِثْلُ دَارِمٍ^(٢)
وأراد بالمعنى قوله لجرير أيضا :

وَأَلَيْكَ إِذْ تَسْمَى لِتُدْرِكَ دَارِمًا لَأَنْتَ الْمَعَى بِأَجْرِيرِ الْمَكَلَفِ^(٣)
وأراد بقوله : « بيت المحتبى » قوله :

بَيْتُ زُرَّارَةَ مُحْتَبٍ يَفْنَاهُ وَنُحَاشَعُ وَأَسْرَ الْفَوَارِسِ نَهْلُ^(٤)
وبيت الحافات ، قوله :

وَمَعْصَبٌ بِالتَّحِ بِحَقِّ فَوْقَ حِرَاقِ لُبْرُكِهِ تَحْيَسُ جَحْفَلُ^(٥)

(١) ديوانه ١٣١ والحافات البيت . (٢) شرح ديوانه : « أو أما مثل نهشل » .

(٣) ديوانه ٤٣٦

(٤) ديوانه ٧١٥ و شرح الديوان . والحافات يريد قوله :

وَأَيْنَ تَقْصَى الْمَالِكِ أُمُورَهَا بِحَقِّ وَأَيْنَ الْحَافَاتُ الْأَوَامِعُ

قال أبو ليث : « بحر الفرزدق في هذا البيت على جرير » لأن العرب كانت إذا بلغ لأحدهم ألف صير
فقا عين صير منها ؛ فإذا تمت ألفان أعماه ؛ فالتجر عليه ككرة ماله »

فأما مذهبهم في البلية ، وهي ناقةٌ تُعقلُ عند القبر حتى تموت ، فمذهبٌ مشهور ، والبلية أنهم إذا مات منهم كريمٌ بقوا ناقةً أو نعير ، ففكسوا عنقها ، وأداروا رأسها إلى مؤخرها ، وتركوها في حفرة لا تغام ولا تسقى حتى تموت ، وربما أحرقت بعد موتها ، وربما شيعت وملئ جلدُها ثمنا . وكانوا يزعمون أن من مات ولم يُبل عليه حشر ماشيا ، ومن كانت له مئة حشر راكبا على مائة ، قال حريبة^(١) بن الأشيم الغنصى لآبِه :

بأسندٍ إما أهليكن فإني أوصيك إن أبا الوصل الأقرب
لا أعرف أباك يحشر خلقكم نعبا يُمرّ على اليدين وبسكب
واحمل أباك على مسير صابر وتقر الحبيشة إنه هو أصوب
ولعل لي مما جمعت مطيئة في الحشر أركبها إذا قيل أركبوا
وقال حريبه أيضا :

إذا ميت فادفني بماء ماها سيوى الأصرحين أوفوز راكب
فإن أنت لم تغفر على مطيئتي فلا قام في مال لك الدهر حارب
ولا تدفني^(٢) في صوى واذنبي بدئومى تنزوا عليها الجنادب

وقد ذكرت في مجموعي للسمى « بالعتقري الحسن » أن أبا عبد الله الحسين بن محمد ابن جعفر الخالع رحمه الله ذكر في كتابه في آراء العرب وأديانها هذه الأبيات ، واستشهد بها على ما كانوا يعتقدون في البلية ، وقالت : إنه وهم في ذلك ، وإنه ليس في هذه الأبيات دلالة على هذا المعنى ، ولا لها به تعلق ، وإنما هي وصية لولده أن يغفر مطيئته بعد موته ؛ إما ليكتيل يركبها عبرة بعده ، أو على هيئة القران كالهدى المقور

بمكة ، أو كما كانوا يبتغون عند القصور ، ومدحهم في العقر على القبور ، كقول رباب الأنجم
في المديرة من المآب :

إن الساحة والمروحة صُنفاً قبرا بمرور على الطريق الواضح^(١)
فإذا مررت فسريره فاعقره به كرم الحجاب وكل طرفه سابع^(٢)
وقال الآخر :

نفرت قلوصى عن حجارة حرة بُنيت على طلق اليدى وهوب^(٣)
لا تغرى يانق منه بنة يرثيب خمر مسفر لحروب
لولا السار وبعد حرق منه لك كتبها نعبو على العرقوب

ومذهبهم في العقر على القصور مشهور ، وليس في هذا الشعر ما يدل على مذهبهم في
البلية ، فإن طن طن أن قوله : « أو يموز راكب » ، فيه إيحاء إلى ذلك ، فليس الأمر
كما ظنه ، ومعنى البيت ادعى علاقة حذاء مقطوعة عن الإرس ، ليس بها إلا الذئب
والغراب ، أو أن يعتسف راكبها المعارة وهي المهكة ، سموها معارة على طريق الحال ،
وقيل : إنها تسمى معارة من فوز أى هتك ، فليس في هذا البيت ذكر البلية ، ولكن
الحال أحط في إيراده في هذا الباب ، كما أحط في هذا الباب أيضا في إيراده قول مالك
ابن الرئب :

وعطل قلوصى في الركب فاتها سُرد أكامداً وتبكي نواكيا^(٤)
فظن أن ذلك من هذا الباب الذى نحن فيه ، ولم يرد الشاعر ذلك ، وإنما أراد

(٢) بعده في الشعر والشعراء :

(١) الشعر والشعراء ٢٩٧

وانصح حوايب قبره بدمائها فلقد يكون أحادىم وذبايح

(٣) من أبيات رباب ربيعة بن مكرم ، تنسب إلى سرور بن الخطاب ، وتنسب لحسان أيضاً ؛ وانظر

الأمانى ١٦ : ٥٨ ، ٥٩ (طبعة دار الكتب) . (٤) أمان لثاني ٣ : ١٣٨

لَا تَرَكُوا راحلتى بمدى ، وعطوهم بحيث لا يشاهدوا أعادى وأصاديق ذاهبة جائية
تحت رأكبها، فبشيت العدو وبساء لصديق ، وقد أخطأ الخالع في مواضع عدة من هذا
الكتاب ، وأورد أشعاراً في غير موضعها ، وظن مناسبة لما هو فيه ، فيها ما ذكرناه ،
ومنها أنه ذكر مذهب العرب في الحلّى ووصفه على اللديع ، واستشهد عليه
بقول الشاعر :

بُلافي من تذكر آري نلى كما يلقى السليم من لعداد^(١)
ولا وحه لإيراد هذا البيت في هذا الموضع ، فالعداد مُعاودة الاسم المسموع في كل
سنة في الوقت الذى لُدع فيه ، وليس هذا من باب الحلّى سبيل .
ومن ذلك إيراد قول المرزوق « عَنْكَ بِالْمَقْي »^(٢) في باب قى عيون
المحول ، إذا بلغت الإبل ألفاً ، وقد تقدم شرحنا لموضع الوهم في ذلك . وسد ذكر
هاهنا كثيراً من المواضع لنى وهم فيها إن شاء الله .

ومما ورد عن العرب في اللية قول مصمم .
أُبْنَى رَوْدَى إِذَا فَارَقْنِي فِي الْقَبْرِ أَحْلَةً رَحَلَ قَاتِرِ
لِلنَّعْتِ أَرْكَهَا إِذَا قِيلَ لَكُمْ مَسْتَوْثِقِينَ مَعَ لَحْشِرِ الْحَاشِرِ
وقال عويم التمهاني :
أُنَى لَا تَنْسَى لِيَّةَ إِنِّهَا لِأَبْنِكَ يَوْمَ نُشُورِهِ مَرْكَوبِ

(١) اللسان ٤ : ٧٢٤ . (٢) وهو قوله :
عَنْكَ بِالْمَقْي وَسَقَى وَيَسِرِ الْمُحْتَمِي وَالْحَافِقَاتِ

ومن تحيلات العرب ومذاهبها ما حكاه ابنُ الأعرابي قال : كانت العرب إذا فرت
الناقة فسميت لما أمها سكنت من النعار ، قال الرازي :

أقولُ والوَجْناه بي تَقَعَمُ وَسَكُ قُلْ ما اسمُ أمها ياءُكُمْ
عَلَيْكُمْ : اسمُ عبْدٍ له ، وإِتما سأل عبْدَه ترفعا أن يَعْرِفَ اسمَ أمها ، لأنَّ العبيد
بالإبل أعرف ، وهم رُعاتُها .
وأنشد التكري .

فقلتُ له ما اسمُ أمها هاتِ فاذعُها تُحَدِّثُ رَبَّنَا روعُها ورعارُها

ومما كانت العرب كالجمعة عليه الهامة ، وذلك أنهم كانوا يقولون : ليس من ميت
يموت ولا قتيل يُقتل ، إلا ويخرج من رأسه هامةٌ ، فإنَّ كان قَتِيلٌ ولم يُواحدْ شأره
بادت الهامةُ على قَتْرِهِ استعوى ، فإني صَدِيقٌ ، وعن هذا قال النبي صلى الله عليه
 وآله : « لا هامة » .

وحكى أن أبا ريد كان يقول : الهامة مشددة الميم إحدى هَوَامِ الأرض ، وأنها
هي التلوة المذكورة .

وقيل . إنَّ أبا عبيد قال . ما أَرَى أبا ريد حَفِظَ هَدا ، وقد يُسمونها الصدى
والجمع أصداء ، قال :

• وكيف حَيَاةُ أصداء وهام •

وقال أبو ذؤاد الإيادي :

سَطَّ الموتُ والمُتُونُ عليهم فأنهم في صَدَا المقابرِ هام^(١) ؟

وقال بعضهم لاينه :

ولا تَرْقُورُ لى هامةٌ فوقَ مَرْقَبِ فإنَّ رُقَاءَ الهَامِ لَعَرُ عَائِبُ
تُنَادِي ألا اسْقُونِي وكلَّ صَدَى به وتلك التى تبصّرُ منها الدُّوَابُّ

يقول له : لا تترك نأرى إن قتت ، فإنك إن تركته صاحت همتى : اسقونى ، فإن كل صدى - وهو ها هنا العطش - نأبت ، تلك التى تبصّرُ منها الدُّوَابُّ ، لصوتها وشِدَّتِها ، كما يقال : أمرٌ يُشيبُ رأسَ وير تختمل أن يريد : أمرُ الأمرِ عليه وهو مقبور إذا لم يثار به ، ومختمل أن يريد به صدوة الأمر على انسه ، يعنى أن ذلك عارٌ عليك ، وقال ذو الإصبع :

يا غَمْرُوا لَآ تَدْعُ شَنِى وَمَقَصِّقِ أصْرِكَ حَيْثُ تَقُولُ الهَامَةُ اسْقُونِي^(١)
وقال آخر :

هَبَارَتْ إِنْ أَهْلَكَ وَلَمْ تَرَوْ هَمَّتِي نَابِلِي أُمْتُ لَا قَبْرَ أَعْطَشُ مِنْ قَبْرِى^(٢)

ويمختمل هذا البيت أن يكون خارجاً عن هذا المعنى الذى نحن فيه ، وأن يكون روى هامة الذى طلبه من ربه هو وصلُّ لَيْلَى وهامى الدنيا . وهم يَكُونُ عما يشفيهم بأنه يُروى هَامَتَهُمْ .

وقال مفلح الذَّقَمَصِّى :

وإنَّ أَحَاكِمَ قَدْ عَمِتْ مَكَانَهُ سَفَحَ قُبَاً تَسِفِي عَايَهُ الْأَحَاصِرُ
له هامةٌ تَدْعُو إِذَا الْقَبْلُ جَنَّبَهَا تَسِي عَصِيرِ هَلْ لِلْهَلَالِ نَائِرُ
وقال نَوْبَةُ بْنُ الْحَمِيرِ :

ولو أَنَّ لَيْلَى الْأَحِيلِيَّةَ سَفَتْ حَتَّى وَدُونِي جَدَلٌ وَصَفَاخُ

لَسَأَلْتُ نَسِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ زَقَا إِلَيْهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَاحِغٌ^(١)

وَقَالَ فَيْسُ بْنُ الْمَوْحِ ، وَهُوَ الْمُخْتُونُ :

وَلَوْ تَلَقَى أَسَدَاؤُنَا بَعْدَ مَوْتِنَا وَمِنْ دُونِنَا مَنْ مِنْ الْأَرْضِ أُنْكَبُ^(٢)

لَنَظَّلَ صَدَى رَمْسِي وَإِنْ كُنْتُ رِمَّةً لِصَوْتِ صَدَى لَيْلَى يَهْشُ وَيَطْرَبُ

وَقَالَ مُخَيَّدُ بْنُ ثَوْرٍ :

أَلَا أَهْلَ صَدَى أُمِّ الْوَلِيدِ مَكَلَّمٌ صَدَى إِذَا مَا كُنْتُ رَمْسًا وَأَعْطَا^(٣)

وبما أظله الإسلام قولُ العربِ بالصَّغَرِ ، رُغموا أن في البطن حَيَّةٌ إذا جاع الإنسان عَصَّتْ على شُرْطُوفِهِ وَكَنَدَتْ ، وقيل : هو الجوع نَمِينُهُ ، لبس أُنْهَاهُ نَعْفَنَ بَعْدَ حَصُولِ الْجُوعِ ، فَأَمَّا لَفْظُ الْحَدِيثِ : « لَا عَدُوَّ وَلَا هَامَةَ وَلَا صَغَرَ ، وَلَا غَوْلَ » ، فَإِنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ صَغَرَ بْنِ الْمُنْثَى قَالَ : هُوَ صَغَرُ الشَّهْرِ الَّذِي نَعَدَ الْحَرَمَ ، قَالَ : سَبَّيْ عَلَيْهِ السَّلَامَ عَنْ تَحْرِيمِ الْحَرَمِ إِلَى صَغَرِ يَمِينِي مَا كَانُوا يَعْلَمُونَ مِنَ النَّاسِ ، وَلَمْ يَوَاقِفْ أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَبَا عُبَيْدَةَ عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ ، وَقَالَ الشَّاعِرُ :

لَا يَتَأَرَى لِيَا فِي الْقَدْرِ بَرْقُهُ وَلَا يَمَعُ شُرْطُوفِهِ الصَّغَرُ^(٤)

وَقَالَ بَعْضُ شُعَرَاءِ بَنِي عَنَسٍ يَذْكُرُ قَيْسَ بْنَ هَجَرَ النَّاسِ وَسَكَنَ الْفِيَايِ

(١) ديوان الخماسة - بشرح التبريزي ٣ : ٢٦٧ .

(٢) ديوانه ٤٦ ، وروايته : * ومن دون رمسنا من الأرض سكب * .

(٣) ديوانه ٣٠ .

(٤) لأعشى بامقة ؟ السكامل للمرد (٤ : ٦٥) ، والزرويه به :

لَا يَتَأَرَى مَا فِي الْقَدْرِ بَرْقُهُ وَلَا تَرَاهُ أَمَامَ الْقَدْرِ يَهْتَمِرُ

لَا يَمِيزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنٍ وَلَا وَصْبٍ وَلَا يَمَعُ عَلَى شُرْطُوفِهِ الصَّغَرُ

وَأَنسَ بِالْوَحْشِ ، ثُمَّ رَأَى لَيْلَةً فَارَا فَعَسَا إِلَيْهَا ، فَشَمَّ عِنْدَهَا فَتَارَ اللَّحْمَ ، فَفَارَعَتْهُ
شَهْوَتُهُ ، فَظَلَمَهَا وَقَهَرَهَا ، وَمَالَ إِلَى شَجَرَةٍ سَلَّمَ لَمْ يَزَلْ يَكْدِمُهَا وَيَأْكُلُ مِنْ خَبْطِهَا^(١)
إِلَى أَنْ مَاتَ :

إِنْ قِيًّا كَانَتْ مِيقَتُهُ كَرَمٌ وَالْحَيَّ مَنْطَاقُ
شَمَّ نَارًا بِالْمُحْوَى فَهَوَى وَشُجَاعَ الْبَطْنِ يَحْتَفِقُ
فِي دَرِيْسٍ لَيْسَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ حَوْرٍ ثَوْبُهُ خَلَقُ

وقوله : « بالهوى » اسمُ موضعٍ يَعْنِيهِ .

وقال أبو النجم العجلي :

إِنَّكَ يَا خَيْرَ فِتْنٍ مَتَدَيَّ عَلَى رَمَانٍ مَسْنِيَةٍ بِمُحَمَّدٍ
• عَمَّا كَفَضَ صَفَرٍ بِكَدٍّ •

وقال آخر :

أَرَدْتُ شُجَاعَ الْبَطْنِ قَدْ تَعَلَّمْنِيهِ وَأَوْثَرَ غَيْرِي مِنْ عِيَالِكَ بِالْعَلَمِ

• • •

ومن خرافات العرب أن الرجل مهم كَانَتْ إِذَا أَرَادَ دَحْولَ قَرْيَةٍ نَخَافَ
وَبَاءَهَا أَوْ حَنَّا وَقَفَ عَلَى نَاسِهَا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا فَتَهَيَّأَ نَهِيْقَ الْحَارِ ، ثُمَّ عُلِقَ عَلَيْهِ
كُتُبُ أَرْزُبٍ ، كَأَنَّ ذَلِكَ عُودَةٌ لَهُ وَرُقِيَّةٌ مِنَ الْوَبَاءِ وَالْجُنِّ ، وَيَسْمُونَ هَذَا النَّهِيْقَ
التَّشْيِيرَ ، قَالَ شَاعِرُهُمْ :

وَلَا يَنْفَعُ التَّشْيِيرَ أَنْ حُمَّ وَاقِعٌ وَلَا زَعَزَعٌ يُعْنَى وَلَا كُتُبُ أَرْزُبٍ

وقال الهيثم بن عدي : خَرَجَ عُروَةُ بْنُ الْوَرْدِ إِلَى خَيْرٍ فِي رُقَّةٍ لِيَتَارَوْا ، فَلَمَّا
قَرَّبُوا مِنْهَا عَشَرُوا ، وَعَافَ عُروَةُ أَنْ يَمْعَلَ فَعَلَهُمْ ، وَقَالَ :

(١) الخط هنا : الورد .

لعمري لئن عشت من جيفة الردى هنيئاً حبراً نبي الجزوع^(١)
 فلا وألت تلك العوس ولا أتت قولا إلى الأوطان وهي جميع
 وقالوا ألا أهنأ لا نضر كحبيب ودنك من فعل اليهود ولوع
 الولوع بالضم : الكذب ، ولع الرجل إذا كذب ، فيقال إن رفقته مرصوا ومات
 بعضهم ، ونحا عروة من الموت والمرض .
 وقال آخر :

لا يُنجيك من حمام واقع كعب تعلقه ولا تمشير

ويشاه هذا أن الرجل مهم كان إذا حصل في فلاة قلب قيمه وصق يديه كأنه
 يومئذ بهد إلى إنسان ، فيبتدي ، قال لعمرك :

قلت نياي والطور حولي ونزني رجل محو كل سبيل
 فلا يا بلأى ما عرفت حلتني وأصرت قعدا لم يصب دليل
 وقال أبو العباس الطائي :

فرو أبصرتني بلوى طاري أصق بالبار على السان
 فأقلب تارة خبوا رداي وأصرح نارة بأبي فلان
 لقلت أبو العباس قد دهأ من الحنان حالمة بيمان
 والأصل في قلب الثياب التفاؤل بقلب الحال ، وقد جاء في الشريعة الإسلامية نحو
 ذلك في الاستسقاء

ومن مذهب العرب أن الرجل منهم كان إذا سافر عمداً إلى خيوط معقده في غصن
شجرة أو في ساقها ، فإذا عاد نظراً إلى ذلك حيط فإن وحده بحاله علم أن زوجته لم
تحنه ، وإن لم يحده أو وجدته تحولا قال : قد حانتني ، وذلك العقد يسمى الرثم ، ويقال :
بل كانوا يقدون طرقاتاً من غصن الشجرة يطرف غصن آخر ، وقال الرازي :

هل يمسك البرم إن همت بهم كثرة ماتوصي وتفتاد الرثم (١)
وقال آخر :

حانتني رأيت شيباً تعرفه وغرة حلفها والتم
وقال آخر :

لا تحسن رثاماً عقدتها طليك عها باليقين الصادق
وقال آخر :

يمثل عمرؤ بالرتام قلبه وفي الحى طي قد أحتت تحريمه
فما صمت تلك الوصايا ولاحتت عليه يوى مالا يحب رثامه
وقال آخر :

ماذا الذي تفتك الرثام إذ أصبحت وعشقها ملارم
وهي على لذاتها تدوم يزورها طيب الفؤاد عارم
• بكل أدواء النساء عالم •

وقد كانوا يقدون الرثم للحصى ويرون أن من حلتها انتقلت الحصى إليه ،
وقال الشاعر :

حلت رثيمة فكنت شهرا أكيد كل مكروء الدواء

(١) الرثم (رتم) من غير رنة .

وقال ابن السكيت : إن العرب كانت تقول : إن المرأة ليقلات وهي التي لا يعيش لها ولد ، إذا وطئت القتل الشريفة عاش ولدها ، قال بشر بن أبي حازم :
تَطْلُلُ مَقَابِيتُ النِّسَاءِ تَطَاهُ يَقْسِرُ الْأَيْلَاقُ عَلَى اللَّوْءِ مِثْرَارُ^(١)

وقال أبو عبيدة : تتخطاه ليقلات سبع مرات ، فذلك وطلوها له .
وقال ابن الأعرابي : يمررون به ويعنون حوته وقيل : إنما كانوا يفتلون ذلك بالشريف يقتل غدرًا أو قودا .

وقال السكيت :

وَتَطْلِيهِ الْمَرْزُوتُ الْمَعَالِي تَأْتِيهِ الْقُمُودُ نَسْدُ الْقِيَامِ
وقال الآخر :

تَرْكَبُ الشَّعْثَمِينَ رَمْلٍ حَتَّى تَرَوْنَ ~~مَقَابِيتُ~~ مَقَابِيتُ النِّسَاءِ
وقال الآخر :

نَفْسِي الَّتِي تَمْشِي الْمَقَابِيتُ حَوَاهُ يُطَابُ لَهُ كُنْهًا هَصْبًا مُهْمًا
وقال آخر :

تَبَاشَرَتِ الْمَقَابِيتُ حِينَ قَالُوا ثَوَى هَمْرُوسُ مَرَّةً بِالْخَمِيرِ

• • •

ومن تحييلات العرب وسراقاتها أن العلام يسهم كان إذا سقطت له من أحدها بين السبابة والإبهام وأستعمل الشمس إذا طلعت وقذف بها ، وقال : يا شمس أبليني سرج أحسن منها ، وليخرني طلعا يابك ، أو تقول : « يا بؤله » ، وهما جميعا شعاع الشمس قال طرفة :

• سَفَنَةُ إِيَّاءُ الشَّمْسِ (١) •

. وإلى هذا الخيال أشارَ شاعرُهم بقوله :

شَادِنٌ يَحْمِلُو إِذَا مَا ابْتَسَمَتْ عَنْ أَقَارِحِ كَأَقَارِحِ الرَّمْلِ غَرَّةُ
بَدَلَتْهُ الشَّمْسُ مِنْ مَبِيتِهِ بَرْدًا أَيْضًا مَقْصُولَ الْأَشْرَةِ

وقال آخر :

وَأَشْنَبُ وَاضِحٌ عَذْبُ لُثَايَا كَانَتْ رُصَانَةُ صَاوِي الْمَدَامِ
كَتَبَتْهُ الشَّمْسُ لَوْ نَا مِنْ مَنَاطِهَا فَالْحَاحَ كَأَنَّهُ بَرَقَ الْفَقَامِ

وقال آخر :

هَذِي أَشْرِي عَذْبُ أَفْدَقِي تَعَرَّدَتْ بِهِ الشَّمْسُ حَتَّى عَادَ أَيْضًا مَامِصَا
وَالنَّاسُ الْيَوْمَ فِي صَبِيَّائِهِمْ عَلَى هَذَا لِلذَّهَبِ .

وَكَاثِلُ الْعَرَبُ تَعْتَفِدُ أَنْ دَمَ الرَّئِيسِ يَشِي مِنْ عَمَّةِ الْكَلْبِ الْكَلْبِ ؛

قال الشاعر :

نُسَاءُ مَكَارِمٍ وَأَسَاءُ جُرَحٍ دِمَاؤُهُمْ مِنَ الْكَلْبِ الشَّعَاءِ
وَقَالَ عَدُوُّ اللَّهِ بْنِ الرَّزَّازِ الْأَسَدِيُّ :

مِنْ حَبِيرِ بَيْتِ عَمِيَاءٍ وَأَكْرَمِهِ كَاثِلُ دِمَاؤُهُمْ تَشِي مِنْ الْكَلْبِ
وَقَالَ الْكُمَيْتُ :

أَحْلَامُكُمْ لَسَقَامِ الْخَمَلِ شَمِيَّةٌ كَا دِمَاؤُكُمْ تَشِي مِنْ الْكَلْبِ

وَمِنْ تَحْيَلَاتِ الْعَرَبِ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا حَافُوا عَلَى الرَّجُلِ الْخُونِ وَتَعَرَّضَ الْأَرْوَاحُ

(١) البيت بنحوه :

سَفَنَةُ إِيَّاءُ الشَّمْسِ إِلَّا تَأْتِيهِ أَسَفٌ وَلَمْ تَكْدَمْ عَلَيْهِ بِأَيْمِدِ

الحبيثة له نجسوه بتعليق الأقدار عليه ، كخزينة الخبيص وعظيم اللوثى ، قالوا : وأنفع من ذلك أن تعلق عليه طاميت عظام موتى ، ثم لا يراها يومه ذلك ، وأشدو للمزق العبدى :

« أن عندي جارتين وراقياً وعق أنجسنا على اللعن
قالوا : والتنعيس يشي إلا من العشق ، قال أعرابي :
يقولون علق يالك الحسير رمة وهل ينفع التنعيس من كان عاشقاً !
وقالت امرأة : و نجست ولدها فلم ينفعه ومات !

نحش لو ينفع التنعيس وللنوت لا تقوته النفوس
وكان أبو مهدي يعلق في عيقه العظيم والصوف حذر الموت ، وأشدوا :
أتوتى ما نحس لم ومسحس قلت لم ما قدر الله كأن

•••

ومن مذاهيمهم أن الرجل منهم كان إذا خدّرت رجليه ذكر من يجت أو دعه
فيذهب خدّرها .

وروى أن عبد الله بن عمر خدّرت رجله ، فقيل له ادع أحب الناس إليك ، فقال :
يا رسول الله .

وقال الشاعر :

على أن رجلى لا يزال أمذلاًها مقيماً بها حتى أحبك في يكرى
وقال كثير :

إذا مذلت رجلى ذكرتك أشنى بدعوى من مذلي بها فيهن^(١)
وقال جميل :

وأنت لعيسى قرّة حين نلتى وذكرك يشفيني إذا خدّرت رجلى^(٢)

وقالت امرأة :

إذا خَدِرَتْ رَجُلِي دَعَوْتُ أَنْ مَصَّبَ
فَإِنْ قُلْتُ عَدَا اللَّهُ أَحَلَّى فُتُورُهَا
وقال آخر :

صَبَّ حَبَّةٌ إِذَا مَرَّ جُلُهُ خَسَدِرَتْ
نَادَى كَتَبْتُ حَتَّى يَذْهَبَ الْخَدَرُ
وقال المؤمل :

وَاللَّهِ مَا خَدِرْتُ رِحْلِي وَلَا عَثَرْتُ
إِلَّا دَكْرَتُكَ حَتَّى يَذْهَبَ الْخَدَرُ
وقال الوليد بن يزيد :

أَتَيْتُ هَانِئًا كَيْلًا ^{مُعْنَى} إِذَا خَدِرْتُ لِرَجُلٍ دَعَا

وسطر هذا الوهم أن الرجل منهم كان إذا احتلحت عينه قال : أَرَى مَنْ أَحْبَبَهُ ،
فإن كان غائبا توقع قدومه ، وإن كان بعيدا توقع قرابه .

وقال بشر :

إِذَا احْتَلَحْتُ عَيْنِي أَقُولُ لِعَيْنِي
فَتَاةٌ سَيَّعَمْرُو مَهَا الْعَيْنُ تَلْعَمُ^(١)

وقال آخر :

إِذَا احْتَلَحْتُ عَيْنِي تَبَقَّتْ أُنَى
أَرَاكِ وَإِنْ كَانَ الْمَزَارُ بَعِيدَا

وقال آخر :

إِذَا احْتَلَحْتُ عَيْنِي أَقُولُ لِعَيْنِي
لَرُؤْيَيْهَا تَهْتَاجُ عَيْنِي وَتُطْرِفُ

وهذا الوهم باقٍ في الناس اليوم .

• • •

ومن مذاهبهم أن الرجل منهم كان إذا عَشِقَ وَلَمْ يَسْلُ وَأَغْرَطَ عَلَيْهِ الْعِشْقَ سَمَّاهُ

رجلٌ على ظهره كما يحمل الصبي ، وقام آخر فأنهى حديدة أو ميلاً ، وكوى به بين
اليتيم فيذهب عشقه فيما يزعمون .
وقال أعرابي .

كويتم بين راسي جَهلاً ودر القلب يصرمها العرام
وقال آخر :

شكوتُ إلى رفيقٍ اشتياقي في ، في وفد جمع دواء
وحاءا بطبيب ليكوباني ولا أبني - عديتهما - اكنوا
ولو أنيا بلسي حبيب حاءا لعاصاني من الثم الشعاء
واستشهد الخالم على هذا المسمى قول كثير .

أعاضرت لو شهدت غداة بئتم ~~عنون العسل لك على وسادي~~
أويت لماشي لم نرجيه بواقسدة تلذع بالزناد

هذا البيت ليس بصريح في هذا الباب ، ويحتمل أن يكون مراده فيه المعنى المشهور
الطروق بين الشعراء من ذكر حراره الوجد وتدعيه ، وتشبيهه بالمار ، إلا أنه قد
روى في كتابه حذر ، يؤكد المقصود أندي عراء ودعاه ، وهو عن محمد بن سليمان
ابن فليح ، عن أبيه ، عن جده ، قال : كنت عند عبد الله بن جعفر ، فدخل
عليه كثير وعليه أثر علة ، فقال عبد الله : هذا بك ؟ قال : هذا ما فأت في أم
الحويرث ، ثم كشف عن ثوبه وهو مكوى ، وأشد :

عما الله عن أم الحويرث دسها علام نسي وتكى دوائيا !
ولو آذوني قبل أن يرقموا لفت لهم . ثم الحويرث دائيا

وَمِنْ أَرْهَامِهِمْ وَتَحْيَلَاتِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا أَحَبَّ امْرَأَةً وَأَحْبَبَتْهُ
فَشَقَّ بَرْقُعَهَا ، وَشَقَّتْ رِدَاءَهُ ، صَدَّحَ حَبَّهَا وَدَامَ ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلَا ذَلِكَ فَدَحَّ حَبَّهَا ؛ قَالَ
سُحَيْمٌ عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ :

وَكَمْ قَدْ شَقَقْنَا مِنْ رِدَاءِ مَحَبَّرٍ وَمَنْ بَرْقَعَهُ عَنْ طَامِلَةٍ غَيْرِ عَاسٍ ^(١)
إِذَا شُقَّ بُرْدُ شُقِّ بِالْبَرْدِ بَرْقَعٌ ذَوَالِيكَ حَتَّى كَلَّنَا عَيْرَ لَا بَسِيرِ
رَوْمُ سَهْدِ الْفَيْلِ بُقْيَا عَلَى الْهَوَى وَالف الْهَوَى يَفْرَى سَهْدَى الْوَسَاوِسِ
وَقَالَ آخَرُ :

شَقَقْتُ رِدَائِي يَوْمَ رُقَّةٍ طَالِجٍ وَأَمْسَكْنِي مِنْ شُقِّ بَرْقَعَةٍ ، السَّحْقَا
فَمَا بَارَ هَذَا الْوُدَّ يَسْدُ يَسَا وَيَمْحَقُ حُلَّ الْوَصْلِ مَا يَسَا تَحْقَا

وَمِنْ مَذَاهِبِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ أَكْلَ لَحُومِ الشَّاعِ تَرِيدُ فِي الشَّعَاعَةِ وَالْقُوَّةِ ،
وَهَذَا مَذْهَبُ طَيْئٍ ، وَالْأَطْبَاءُ يَسْتَقْدُونَهُ ، قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَبَا الْمَعَارِكِ لَا تُنْعِبْ مَا كَلَيْتَ مَا تَطْنُ أَنْتَ تُنَلِّقُ مِنْهُ كَرَارَا
فَلَوْ أَكَلْتَ سِبَاعَ الْأَرْضِ قَاطِنَةً مَا كُنْتَ إِلَّا جَبَانِ الْقَلْبِ حَوَارَا
وَقَالَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ - وَأَكَلُ فُزَادِ الْأَسَدِ لِيَكُونَ شَعَاعًا - فَعَدَا عَلَيْهِ بِمِرْفَجَرَحَةٍ :
أَكَلْتُ مِنَ اللَّيْثِ الْمَصُورِ قُوَّةً لِأَصْبَحَ أَحَرَّيْ مِنْهُ قَدَا وَأَقْدَمَا
فَأَذْرَكَ مِنِّي ثَارَهُ بَابِنِ أَخِيهِ فَيَالِكَ ثَارَا مَا أَشَدُّ وَأَعْظَمَا
وَقَالَ آخَرُ :

إِذَا لَمْ يَكُنْ قَسْبُ الْعَتَى غُدْوَةَ الْوَعَى أَصَمَّ قَطْبُ اللَّيْثِ يَسْ نَافِعِ

وما نفع قلب الليث في حومة الوغى إذا كان سيف المرء ليس قاطعاً !

• • •

ومن مذاهبهم أن صاحب العرس المهقوع إذا ركبته فغرق تحته اغتلت امرأته وطمحت إلى عبده ، والحققة : دائرة تكون بعرس ، وريثاً كانت على الكنف في الأكثر ، وهي مستقبحةٌ عندهم ، قال بعضهم لصاحبه :

إذا غرق المهقوع المرء أنمطت حليته وازداد حرٌّ عانيها
فأجابه صاحبه :

قد يركب المهقوع من لبس مثله وقد يركب المهقوع دوج حصان^(١)

• • •

ومن مذاهبهم أنهم كانوا يؤقنون الكار حنف المسافر الذي لا يحبون رجوعه ،
يهولون و دعائهم : أمدد الله وأسحقه ، وأوقد ناراً أثره ! قال بعضهم :
صحت وأوقدت للعجل نارا ورّد عليك الصبا ما أستمرا
وكانوا إذا خرجوا إلى الأسواق أوقدوا ناراً بينهم وبين المتزل الذي يريدونه ، ولم
يوقدوها بينهم وبين المنزل الذي خرجوا منه ! تدوّلوا بالرجوع إليه .

• • •

ومن مذاهبهم المشهورة تعيق كعب الأرنب ، قال ابن الأعرابي : قلت لزيد من
كثرة : أتقولون : إن من علق عليه كعب أرنب لم تفره حيان الدار ، ولا عمار الحى ؟
قال : إى والله ، ولا شيطان الحماطة ولا جار العشرة ، ولا غول القعر . وقال
أمرؤ القيس :

(١) اللسان (حقق) دون نسخة .

أَبَاهِدُ لَا تَكْجِرُ نُوحَةً عِيْسَه عَقِيقَتُهُ أَحْسَنًا (١)
مَرْمَعَةً بَيْنَ ذُبَابِهِ نَهْ عَمَّ يَبْعِي أَرْسَهَا
لِيَجْعَلَ فِي رِجْلِهِ كَهَنَهَا حِدَارَ اللَّيْسَةِ أَنْ يَعْطَا
وَالْحَمَاطَةَ . شَجَرَةٌ ، وَلَمْشِيرَةٌ ، بَصِيرَ الْمَشْرِقَةِ . وَهِيَ شَجَرَةٌ أَيْضًا .

وقال أبو محمَّد : كَانَتْ بَعْرَبُ نَعْفَةٍ عَلَى لَحْيَتَيْ سَيِّئٍ نَعْلَبَ وَسَيِّئٍ هَزْدَ خَوْثًا مِنْ
الْخَطْفَةِ وَالنَّطْرَةِ ، وَيَقُولُونَ : بَيْنَ حَتْبَتَيْ أَرْضَتِ صَبِيٍّ قَوْمٌ فَلَمْ يَنْجُ عَيْبِهِ ، فَلَا مَهَا قَوْمُهَا
مِنْ الْخَلْقِ فِي ذَلِكَ : فَقَالَتْ بَصِيرَةُ بَابِهِمْ :

كَأَنَّ عِيْسَه بَعْرَةً لَعَالَتْ وَهِيَ رَزَّةٌ

• وَالْخَيْضَرُ حَيْضَرُ لَشْمَرَةٍ •

وَالشَّمْرَةُ شَيْءٌ يَسِيلُ مِنَ الشَّمْرِ كَقَدَمِ الْعَرَبِ ؛ وَكَانَتْ الْعَرَبُ إِذَا وَلَدَتْ الْمَرْأَةَ أَحَدُوا
مِنْ دَمِ الشَّمْرِ - وَهُوَ صَمْعُهُ الَّذِي يَسِيلُ مِنْهُ - يَقَطُّوهُ بَيْنَ عُنْتَيْ النِّسَاءِ ، وَحَطُّوا عَلَى وَجْهِ
الصَّبِيِّ حَطًّا ، وَيَسْمَوْنَ هَذَا الصَّمْعَ السَّائِلَ مِنَ الشَّمْرِ الدَّوْدَمَ ؛ وَيُقَالُ بِالذَّالِ الْمَحْصَةُ أَيْضًا ،
وَتَسْمَوْنَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الَّتِي تُنْمَقُ عَلَى الصَّبِيِّ - التَّمَرَاتُ .

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَحْمَرَ الْأَصْمَحِيِّ : إِنْ نَعَسَ الْعَرَبُ قَالَ لِأَبِي : إِذَا وَلِدْتُ لَكَ وَادًّا
فَنَعَّرْ عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَيْ ، وَمَا التَّعْبِيرُ ؟ قَالَ : عَرَبٌ أَسَمَهُ ؛ هُوَ لِدُّ لَهُ وَلِدْتُ فَتِيَاهُ قُنُقْدَا ،
وَكَلَامُهُ أَبَا الْمَدَاءِ ؛ قَالَ : وَأَشَدُّ أَيْ :

كَالْخَمْرِ مَرَجُ دَوَائِهَا مِهَامِيهَا تَشْنِي الصُّدَاعَ وَتُبْرِي الْمَنْحُودَا (٢)
قَالَ : يَرِيدُ أَنَّ الْقُنُقْدَ مِنْ مَرَاكِبِ الْجِلْسِ ؛ فَدَاوَى مِنْهُمْ وَلَدَهُ تَمَرًا كَبِهِمْ .

ومن مدهامهم أن الرجل منهم كان إذا ركب متفارة وحاف على نفسه من طوارق الليل عمد إلى واري شجر فأباح راحلته في قرارته ، وعقها وحط عليها حطاً ثم قال : أعود بصاحب هذا الوادي ، وربما قال . بمظلم هذا الوادي ، وعن هذا قال الله سبحانه في القرآن : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ (١) .

واستعاذ رجل منهم ومعه ولد فأكله الأسد ، فقال :
 قد استعدنا بمظلم الوادي من شر ما فيه من الأعدى
 • فلم يُجِرْنا من هزير بني عادي •

وقال آخر :
 أعود من شر البلاد البعيد
 أشد من معظم تميم
 أصبح بأوى سبي ردود
 ذي عيرة وكاهل شديد
 وقال آخر :

ياجن أجراع اللوى من عالج
 عاد يكتم سارى الطلام الهالج
 • لا ترهقوه بئوى هائج •

وقال آخر :
 قدمت صيها لمظلم الوادي
 مني من سحوة الأعدى
 • راحلتني في جاريه وزادي •

وقال آخر :
 هيا صاحب الشجر اهل أنت ماني
 من صائف نازل بفانكا

وإنك للحنان في الأرض سيدٌ ومثلك آوى في الظلام الصعاليكا

ومن مدهبهم أن المسافر إذا خرج من بلده إلى آخر فلا ينبغي له أن يلتفت ، فإنه إذا ألتفت عاد ، فذلك لا يلتفت إلا لعشق الذي يريد العود ؛ قال بعضهم :
دع التلفت يا مسعود وأرم بها وحة الهواجر تأمن راحة البلد
وقال آخر ؛ أشده الخالغ :

عيل صبرى لا شمسية لنا طال ليلى ومز قرناي
كلما سارت المطايا بسامية لا تنفت والفت وراني

هذان البيتان ذكرهما الخالغ في هذا الباب ، وعسى أنه لا دلاله فيهما على ما أراد ، لأن التلفت في أشعارهم كثير ، ومُرَادهم به الإلابة والإعراب عن كثرة الشوق ، والتأسف على المفارقة ، وكون الراحل عن المنزل حيث لم يمكنه المقام فيه بجماعه يُدبِّعه نَصْرَه ، ويتزود من رؤيته ؛ كقول الرضى رحمه الله :

ولقد صرت على طولهم ورؤومهم بيد اللى هت^(١)
فوقت حتى ضج من تعب بصوى وليج بعدلى الركب
ونفت عي فسد حبيت عى الطلول تامت القلب

وليس يقصد بالتلفت ههنا التذوُّن بالرحوع إليها ، لأن رؤومها قد صارت ههنا لبد البلى ، فأى فائدة في الرحوع إليها ! وإنما يريد ما قدمنا ذكره من التحنين والتذكُّر بما مضى من أيامه فيها ، وكذلك قول الأول :

تَلَفْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَحَدَّثْتِي وَحِثْتُ مِنَ الْإِصْغَاءِ لَيْتًا وَأَحَدًا^(١)
وَمِثْلَ ذَلِكَ كَثِيرٌ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي الْمَذْهَبِ الْأَوَّلِ :

تَلَفْتُ أَرْجُو رَجْعَةً بَعْدَ بَيْعِي مَكَانَ التَّمَاثِي زَائِدًا فِي بِلَاقِيَا
أَرْجُو رُحُوعًا بَعْدَ مَا حَالَ بَيْسًا وَيَسْكُمُ حَرْنُ الْفَلَا وَالْعِيَايَا
وَقَالَ آخَرٌ ، وَقَدْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فَتَلَفْتُ إِلَيْهِ .

تَلَفْتُ تَرْجُو رَحْمَةً بَعْدَ فُرْقَةٍ وَهَبَاتٍ مِمَّا تَرْتَجِي أُمُّ مَارِيَا
أَلَمْ تَعْلَمِي أَيْ حَسْرَةً عِيَانَهُ إِذَا كَانَ مِنْ أَهْوَاءِ عَيْرٍ مَلَايَا

وَمِنْ مَذَاهِبِهِمْ ، إِذَا بُرِثَ شَعَّةُ الْعَصِي حُلًّا عَلَى رَأْسِهِ ، وَبَادَى بَيْنَ بَيْتِ الْحَيِّ
الْحَلَا الْحَلَا ، الطَّعَامُ الطَّعَامُ ، فَتَلْقَى لَهُ السَّاءُ كَيْسَرَ الْخَيْرِ وَأَقْطَاعَ التَّمْرِ وَاللَّحْمِ فِي الْمُسْحَلِ .
ثُمَّ يَلْقَى ذَلِكَ لِلْكَلابِ فَنَأْكُلُهُ فَيَبْرَأُ مِنَ الْمَرَضِ ، فَإِنْ أَكَلَ صَبِيًّا مِنْ لَصِيدَانِ
مِنْ ذَلِكَ الَّذِي أَقْبَاهُ لِلْكَلابِ تَمْرَةً أَوْ لُقْمَةً أَوْ لَحْمَةً أَصْبَحَ وَقَدْ بُرِثَ شَعَّةُ
وَأَنْشِدْ لَامِرَاءَ :

أَلَا حَلَا فِي شَعَّةٍ مُشْقُوقَةٍ هَذَا قَصَى مُسْخُلًا حُقُوقَةٍ

وَمِنْ مَذَاهِبِهِمْ أَنَّ الرَّحْلَ مِنْهُمْ كَانَ إِذَا طَرَفَتْ عَيْنُهُ شَوْبَ آخَرِ مَسَاحِ الطَّارِفِ عَيْنِ
الْمَطْرُوفِ سَبْعَ مَرَّاتٍ ؛ يَقُولُ : فِي الْأُولَى : يَا أَحَدَى حَامَتِ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَفِي الثَّانِيَةِ : مَا شَتَيْنِ
جَاءَتَا مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَفِي الثَّالِثَةِ ثَلَاثَ حَتَّى مِنْ مَدِينَةٍ ، إِلَى أَنْ يَقُولَ فِي السَّابِعَةِ : نَسِعَ
جَنَّتِنِ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَتَبَرَّأَ عَيْنُ الْمَطْرُوفِ .

(١) لُصْمَةُ بَيْنَ عَمْدِ اللَّهِ ، دِيْوَانُ الْحَاسَةِ . - بِصَرْحِ الصَّرِيحِ ٣ : ١٩٩

وفيه من يقول : بإحدى من سبع جن من المدينة ، باثنتين من سبع ، إلى أن يقول بسبع من سبع .

ومن مذاهبهم أن المرأة منهم كان إذا عسر عليها حاطت الكاح نشرت جاباً من شعرها ، وكحلت إحدى عينيها محلقة للشعر المنشور ، وحككت على إحدى رجليها ويكون ذلك ليلاً ، وتقول . بالكاح ، أبي الكاح ، قبل الصبح ؛ فيسهل أمرها وتزوج عن قريب ، قال رجل لمديقه وقد رأى امرأة تفعل ذلك :

أما ترى أمك نبي ساءاً قد نشرت من شعرها الأقدام
ولم توف مقلتها كحلاً رقع رجلاً وتخط رجلاً
هذا وقد شاب سوها أصلاً وأصبح الأصغر منهم كحلاً
خذ القطيع نمت سيمها الذلاً خربها به تترك هذا العيلاً

وقال آخر :

قد كحلت عينا وأغفت عينا وحككت ونشرت قرينا
• تظن رينا ما تراه شيئاً •

وقال آخر :

تصني ما شئت أن تصني وكحلي عينيك أو لا دعي
ثم احجلي في البيت أوفى الحمم مالك في بئ أرى من مطم

ومن مذاهبهم كانوا إذا رحل صيف أو غيره عنهم وأحواؤا ألا يود كسروا

شيتا من الأواني وراءه ، وهذا مما فعله أساسُ اليومُ بُصا ، قال بعضهم :
كسرَ ما القدر بعد أي سوايح فهددَ وقد رما ذهبَ ضياعاً
وقال آخر :

ولا تكسر الكيزان في إر صيف ولكننا قميه زاداً ليرجى
وقال آخر :

أما والله أن نبي نيل كذاون بالشرف اليافع
أما ليس تكسر خلف صيف أوانيهم ولا شعب القيصاع

ومن مداهمهم قولهم : إن من ولد في القراء تنقمت عرلته^(١) ، فكان كالمختون .
ويحور عندما أن يكون ذلك من خواص القمر ، كأن من خواصه إبلاء الكتان ،
وإبتان اللحم ، وقد روى عن أمير المؤمنين عليه السلام . إذا رأيت العلام طويل العرلة فأقرب
به من السؤدد ، وإذا رأيت قصير العرلة كأنما حنّه ، أقصر فأبعد به .

وقال امرؤ القيس لقيصر ، وقد دخل معه مخم فرآه أقلف :
إني حلفتُ بيميننا غير كاذبة لأت أعلف إلا ما حق القمر^(٢)

ومن مداهمهم الشاوم بالمطاس ، قال امرؤ القيس :
• وقد اغتدي قبل المطاس^(٣) بهيكل •

وقال آخر :

(١) العرلة : العفة ، وهي الحدة في رأس الإحليل قبل الختان .

(٢) البيت مهملة :

(٣) ديوانه ٢٨٠

وقد اغتدي قبل المطاس بهيكل شديد مبيع الجنب قمر النطق

وحرى إذا وجهت فيه عروية مصيت ولم يجسث عنه العواطين

ومن مذاهبهم قولهم في السماء . لا عشت إلا عيش القراد ! يضربونه مثلاً في الشدة والصبر على الشقة ، ويترحمون أن القراد يعيش سطنه عاماً وبطهره عاماً ، ويقولون : إنه يترك في طينة ويرمى بها الحائط فيبقى سنة على سطنه ، وسنة على ظهره ولا يموت ، قال بعضهم :

فلا عشت إلا كعيش القرا دعاماً يطن وعاماً يظهر

ومن مذاهبهم كانت النساء إذا غاب عنهن من يحسنه أحزن تراباً من موضع رجله ، كانت العرب تزعم أن ذلك أسرع لرجوعه .

وقالت امرأة من العرب - واقبضت من أثره :

بارب أنت جارو سسرة وجار خصيتي وجار ذكرك

وقالت امرأة :

أخذت تراباً من موطن رجلك غداة غداً كما يؤوب مسلماً

ومن مذاهبهم ، أنهم كانوا يستون العشا في العين الهدبد ، وأصل الهدبد ، اللبن الخائر ، فإذا أصاب أحدهم ذلك عمد إلى سنام ففطع منه قطعة ومن الكبد قطعة ، وقلاهما ، وقال عند كل لقمة يأكلها بعد أن يمسح وجهه الأعلى بسنائه :

فيا سناما وكبد ألا أذهبها بالهدبد^(١)

ليس شفاء الهدبد إلا السنام والكبد

(١) انظر السنان ٤٦ : ٤٦

قال : فيذهب العشا بذلك .

ومن مذاهمم اعتقادهم أن الورد والقند والأرب والطبي واليزنوع والنعام
مراكب الجن يمتطونها ، ولهم في ذلك أشعار مشهورة ، ويؤمنون أنهم يرون الجن
ويطاهرونهم ويحاطبونهم ، ويشاهدون الموت ، ورث حاسوها وتزوجوها ، وقالوا : إن
عمرو بن بزروع تروح العول وأولدها نين ، ومكثت عنده دهرأ ؛ فكادت تقول له :
إذا لاح البرق من جهة بلادى - وهى حمة كدا - فاستره عى ، فإني إن لم تستره عنى
تركت ولدك عليك ، وطيرت إلى بلاد فومى ، فكان عمرو بن بزروع كلما برق البرق
عطى وجهها بردائه فلا تستره ؛ وإلى هذا النصف أشعر أبو العلاء المعرى في قوله يذكر
الإبل وحنيتها إلى البرق :

طربت لصوت الدارق السعالى	سددت وهما ما لم يوالى ^(١)
تمت تحو الأصار حتى كأنها	سارت من هنا وتم صوتى
إذا طال عنها سرها لوزموسها	تمد يه في صدور عوالى
تمت قوقا والصراة أمامها	تراب لها من أينق وحنال
إذا لاح إيمصر سترت وحوها	كأنى عمرو والمطى سمالى
وكم هم بصو أن يطير مع العند	إلى الشام لولا حننه يعالى

قالوا : فمما عمرو بن بزروع عنها ليلة وقد مع برق فلم يسترو حها ، فطارت وقالت له

وهى تطير :

أسيك عليك تخرو إني آتق برق على أرض السعالى آلتق^(٢)

(٢) شروح سقط الزند ١٦٨

(١) سقط الزند ١١٦٢

ومهم من يقول : ركتُ نعباً وطارت عليه - أى أسرعَتْ - فلم يُدْرِكْها . وعن هذا قال الشاعر :

رأى رِقاً فأوصعَ فوقَ نَكْرِ
فلايكَ ما أسالَ ولا أعلماً^(١)
قال : فسو عمرو بن يربوع إلى اليوم يُدْعَوْنَ بنى السَّعْلاة ، ولذلك قال الشاعر يهجوهم :

يا قَتَحَ اللهُ بنى السَّعْلاةِ عمرو بن يربوع شِرَارَ النَّاتِ^(٢)

• ليسوا بأبطالٍ ولا أُنْكَيَاتِ •

فأبدلَ السَّيِّئَ تاءً ، وهى لغة قوم من العرب .

ومن مذاهم في العول قولهم . إنها إذا ضربتُ صرنة واحدة السَّيِّئَ هلكَتْ ، وإن ضُربتُ ثانية عاشت ، وإلى هذا المعنى أشارَ الشاعرُ بقوله :

قالت : ثنُّ ، قلتُ : لها رَوْبُداً مَكَائِكَ ، إتقِ ثنَّتُ الجِبانِ

وكانت العرب تسمي أصواتَ الجِنِّ العربِ وتقول : إن الرجل إذا قَتَلَ قُتْعُذاً أو وَرَّلاً لم يَأْمَنْ الجِنُّ على قَتْلِ إله ، وإذا أصابَ إلهَ خَطْبٍ أو دلاءَ سَحْلٍ على ذلك ، ويرغمون أنهم يسمعون الهاتِفَ سلك ، ويقولون مثله في الجان من الحيات ، وقته عندهم عظيم .

ورأى رجلٌ منهم جانا في قعر نِيرٍ لا يستطيع الخروجَ منها ، فَنَزَلَ وأخْرَجَها منها على حَظَرٍ عظيم ، وعمَصَ عَيْنَهُ لئلا يرى أين يدخل ، كأنه يريد بذلك التقرب إلى الجن .

(١) شروح سقط الرند ١١٦٨ . بوحر أبي زيد ١٤٦ ، وروايته : ردماً أسال وما أعلماً .

وقال أبو عثمان الخاضع : وكانوا يُسْثُون من يُخَوِّد منهم الناس عاصراً ، والجمع عُثَر ، فإن تعرض للصبيان فهو رُوح ، فإن حُث وتعرَّم فهو شيطان ، فإن زاد على ذلك فهو مَارِد ، فإن زاد على ذلك في القوة فهو عِفْرِيْت ، فإن سَهَر و لطف و صار حيراً كَلَه فهو مَلَك ؛ و بفاصوليت بينهم ، و يمتدون مع كل شاعر شيطاناً ، و يسمونهم بأسماء مختلفة ؛ قال أبو عثمان : وفي النهار ساعات يُرى فيها الصغيرُ كبيراً و يُوجد لأوساط القِيافي و الرَّمالي و الحِرار مثل الدَّوى ، وهو طبع ذلك الوقت ، قال ذو الرمة :

إذا قال حادٍ بها لتزيمٍ تشاو صرَّ لم يكن إلا دوى المسامير^(١)

وقال أبو عثمان أيضاً الدين بكروب عرفت الجُرَّ و تقول الصلان : إن أثر هذا الأمر واشداً هذا الخيال أن القوم لما يزلوا بلاد الوَحش عمت فيهم الوحشة^(٢) ، ومن امرد و طال مقامه في البلاد الخلاء استوحش ، ولا سيما مع قلة الأشغال و فقد المذاكرين ؛ و الوحشة لا تقطع أتمها ؛ لا بالتمنى و الأفكار ، و ذلك أحد أسباب الوحش^(٣) .



ومن عجائب اعتقادات العرب ومذاهبها اعتقادهم في الدُّبَّك و العُراب و الحمرة و سب حرّ - وهو الهديل - والحية ، فهم من يعتقد أن لنحن هذه الحيوانات تعلقات ، ومنهم من يزعم أنها نوع من الجن ، و يعتقدون أن سهيلاً والرُّهرة ، الصَّبَّ والدُّبِّب والصنع مسوخ ، ومن أشعارهم في مراكب الجن قول بعضهم في قنعدٍ رآه كَيْلًا :

ها يُعْجِبُ الْجَنَابَ مَلِكٌ عَدِمَتْهُمْ وفي الأسد أفراسٌ لهم و عجائب^(٤)

أيسرجُ يزبوعٌ و يلحَم قنفذٌ لقد أعوزتكم ما علت العجائب !

(٢) كد ل : الحيوان ، وفي ب : الوحشة . .

(٤) الحيوان ٦ : ٢٤٠ .

(١) ديوانه ٣٦٠

(٣) الحيوان ٦ : ٢٤٩

فإن كانت الحِتان جُنتْ فالحرسى ولا ذنب للأقوام والله غالب^(١)
ومن الشعر المنسوب إلى الجن :

وكل المطايا قد ركننا فلم نجد أله وأشهى من رُكوب الأراب
ومن عصر قوطٍ عن لي فر كننه أبادرُ سرنا من عطاءه قوارب^(٢)
وقال أعرابي يكذب بذلك :

أستمع الأسرار راكبٌ فَنَقْذِرُ لقد ضاع سرُّ الله بأُمِّ مَعْدِرِ

ومن أشعارهم وأحاديثهم في رواية الجن وخطابهم وحنانهم ما رواه أبو عثمان
الجاحظ لسير بن الحرث الصُّبَيْهِيَّ

وبارٍ قد حصأتٌ بعبدةٍ ومن بدارٍ لا أريدُ بها مقاماً^(٣)
سوى تحليل راحلةٍ وعين^(٤) أكلتهم بحافة أن تنام
أتوا ناري قلتُ : مَنْونٌ أستم ؟ فقالوا : الجن قلتُ : رُمُوا ظلاماً

وزعمون أن عمير بن صبيعة رأى غلاماً ثلاثة يلمسون نهارة ، فوثب غلامٌ منهم
فقام على عاتق صاحبه ، ووثب الآخر ، فقام على عاتق الأعلى منهما ، فلما رأهم كذلك
حمل عليهم فصدّهم فوقعوا على ظهورهم وهم يصحكون ، فقال عمير بن صبيعة : فما
سهرتُ يومئذ بشجرة إلا وسيمتُ من تحتها ضحكا ؛ فلما رجع إلى منزله مريض
أربعة أشهر .

(١) الحيوان : « ولا ذنب للأقوام » .

(٢) الضم فوط : دابة يخافها عامة ؛ وهي ضرب من الظباء .

(٣) الحيوان ٤ : ٤٨٩ ، ٦ : ١٩٦ ، وبادر أبو زيد ؛ وفيه : « شمير بن الحرث الصبي » والظر

الخرانة ٣ : ٣ ، والجحش ١ : ٩٤ ، وليدان ١ : ٣٧ . حصأت : أشمت .

(٤) قوله : « سوى تحليل راحلة » ، أراد سوى راحلة أكلت بها فيها بعد حلة الجن .

وحكى الأصمعي عن بعضهم أنه خرج هو وصاحب له يسيران ، فإذا غلام على الطريق ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا مكين قد قطع بي ، فقال أحدهما لصاحبه : أردفه خلعت ، فأردفنه ، فالتفت الآخر إليه فرأى معه يتأخج نارا ، فشد عليه بالسيف فذهبت النار فرجع معه ، ثم التفت فرأى معه يتأخج نارا فشد عليه فذهبت النار ، فعقل ذلك سرارا ، فقال ذلك العلام : قاتلكما الله ! ما أجده كما ! والله ما فعلتها بأدنى إلا وانحلح فتأداه ، ثم عاب عنهما فلم يلقا حبره .

وقال أبو البلاد الطهمي - ويروى لتأبط شرا :

لَهَان عَلَى حَمِينَةٍ مَا أَلَانِي	مِن الرُّوْعَاتِ يَوْمَ رَحَا بِلَانٍ ^(١)
لَقِيتُ النُّوْلَ تَسْرِي فِي ظَلَامٍ	بَسَبَ كَالْعَبَاءِ صَحَصَحَانٍ ^(٢)
فَقُلْتُ لَهَا : كَلَامًا يَقْصُرُ أَرْضِي	أَخُو سَقَرُ خَلَّى لِي مَكَانِي ^(٣)
فَشَدَّتْ شِدَّةً بِحَوِي فَاهْوَى	لَمْ كُنْ بِمَقْصُولٍ يَمَانِي
فَقَالَتْ : رِذْ قُلْتُ : رُوَيْدَا إِنِّي	هَلْ أَمَثَلِيهَا ثَبِتَ الْجَنَانِ

والذين يروون هذا الشعر لتأبط شرا يروون أوله :

أَلَا مَنْ مُبْدِعٌ فَتَيَاتِ جَهَنَّمَ	عَا لَاقِيتُ عِنْدَ رَحَا بِلَانٍ
بَأَنِّي قَدْ لَقِيتُ النُّوْلَ تَلَوِي	بِمَرَّتِ كَالصَّحْبَةِ صَحَصَحَانٍ
فَصَدَّتْ فَاتَّحَيْتُ لَهَا نَصَبٍ	حُسَامٍ غَيْرِ مَوْثِبٍ يَمَانِي
فَقَدَّ سَرَاتِهَا وَالْبَرْكَ مِنْهَا	غُرَّتْ لَلْيَدَيْنِ وَلِلْحِرَانِ ^(٤)
فَقَالَتْ : نَرْ قُلْتُ لَهَا : رُوَيْدَا	مَكَانِكَ إِنِّي ثَبِتُ الْجَنَانِ

(١) الحيوان ٦ : ٢٣٤ ، واصر الأمان ١٨ : ٧١ ، ٢١٣ ، ومعجم البلدان ٨ : ٢٣١ . ورعا بِلَان :

(٢) الصَّحَصَحَان : ما استوى من الأرض .

موضع في بلاد هذيل .

(٤) اسيرة ، بالفتح ، الطير ، والبرك : الصدر .

(٣) القص : المهرول قد قصه السر .

ولم أنفك مصطحجاً لدينها لا نظراً مصبها ماذا دهاني
إذا عتيان في رأسٍ دقيق كَرَأْسٍ إهْرَ مشقوق اللسان
وساقاً محدجٍ وسان كَسْبٍ وثوب من عباء أو شنان
وقال الهزاني :

وتزوجت في الشيعة عولاً لمرآلٍ وصَدَقْتُ رِقَّةً حَرَّ (١)
وقال الجاحظ : أصدَقها الحر يطيب ريحها ، والعرال لأنه من مراكب الجن .
وقال أبو عبد بن أئوب العنبري أحد نصوص العرب :

تقول - وقد أَلَمْتُ بِالْإِنْسِ لَمَّةً محصنة الأطراف حرس الخلاجل (٢)
أهذا خديس العول والذئب الذي بهم برزت الحبال الكراكل (٣)
رأت حلق الدرس أسود شاجياً من القوم تأسا كريم الشمائل (٤)
تسود من آتاه فتكائهم وإطعامهم في كل عباء شامل (٥)
إذا صاد صيدا رمة نمره وشيكا ولم ينظر نمل المراحل (٦)
وهي كهن الصقر ثم يرسه تكفيه رأس الشيعة التماثل (٧)

ومن هذه الأبيات .

إذا ما أراد الله دُلَّ قبيطه رماها بنشيت الهوى والتخادل
وأول عخر القوم عما يؤوهم تقاعدهم عنه وطول التواكل
وأول حنث للاء حنث نرايه وأول لؤم القوم لؤم الخلائل

(١) الحيوان ٦ : ٢٢٥

(٢) الحيوان ٦ : ١٦٧ وحرس الخلائل : كناية عن

(٣) الكراكل : جمع حركة : وهي الحية ، الجسم التامة والخلق

امتلاء الساق

(٤) الدرس : الباي من الثياب . وق الحيوان : « خلق الأدراس » .

(٥) الصراء : اللبة الحدة . (٦) الحيوان : « نصب المراحل »

(٧) المراس : المسح والدلك ، والشيعة : بنة

وهذا الشعر من جيد شعر العرب ، وإنما كان غرضنا منه مُتصفاً بأولئك ، وذكرنا
سائر ما فيه من الأدب .

وقال عُمَيْدُ بْنُ أَبِي بَرٍّ أَيْضاً فِي الْمَعَى الَّذِي مَحَنَ بَصْدَهُ :

وَصَارَ حَلِيلَ الْعَوْلِ بَعْدَ عَدَاوَةٍ صَبَّ وَرَثَةُ الْقِعَارِ الْبَسَاسُ^(١)

وقال أيضاً :

فَلَمَّا دَرُّ الْعَوْلِ أَمَى رَفِيقَهُ لِصَاحِبِ قَفْرِ فِي الْمَهَامَةِ يُذْعَرُ^(٢)

أُرْتِيتُ سَخْنٌ سَخْنٌ بَعْدَ لَحْنٍ وَأَوْقَدْتُ حَوَالِي رِيرَانًا تَنُوحُ وَتَرْهَرُ

وقال أيضاً :

وَعُولًا قَفْرِي ذَهَكَرٍ وَأَمَى كُنَّ عَلَيْهَا قِطْعُ السَّحَابِ^(٣)

وقال أيضاً :

مَدَّ لَاقَتِ الْعِرْلَانُ مَعَى نَبِيَّةٍ وَفَدَّ لَاقَتِ ابْنِ بِلَانَ مَعَى الْمَلِكَةِ وَاهِيَا^(٤) .

وقال التَّهْرَانِيُّ فِي قَتْلِ الْعَوْلِ :

ضُرْتُ صِرَةً فَصَارَتْ هَاءٌ فِي يَحَاقِ الْقَمَرَاءِ آخِرَ شَهْرِ^(٥)

وقال أيضاً ، يرغم أنه لما نثي عليها القرب عشت :

فَنَثَيْتُ وَالْمَقْدَارُ يَحْمُرُ مِنْ أَهْلِهِ فَلَيْتَ يَمِينِي يَوْمَ ذَلِكَ شَلَّتْ !

وقال تَائِطُ شَرًّا بِصِيفِ الْعَوْلِ وَيَذْكُرُ أَنَّهُ رَاوَدَهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَمْتَمَتْ عَلَيْهِ فَقَتَلَهَا :

فَأَصْحَتُ وَالْعَسُولُ لِي جَارَةٌ فَيَا جَارَةَ أَسْتِ مَا أَغْوَلَا

(٢) الحيوان ٦ : ١٦٥

(٤) الحيوان ٦ : ١٦٦

(١) الحيوان ٦ : ٢٣٥

(٣) الحيوان ٦ : ١٥٩

(٥) الحيوان ٦ : ٢٣٣

وصالتهما بصمتها قالتوت فكان من الرأي أن تقتلا
فجلاهما مرهما صليما أبان للرفق واللفصلا
عطار بقحب ابنة الجن ذا شفاش قد أخلق الحملا
فن يك يسأل عن جارتى فإن لها باللوى منزلا
عطاة أرض لها حنان من ورق الطلع لم تفرلا
وكت إذا ماهمت أبتهت وأخرى إذا قلت أن أفصلا

ومن أناجيبهم أنهم كانوا إذا صالت علة الواحد منهم وظنوا أن به مسأ من الجن ،
لأنه قتل حبة أو بر يوعا أو قنفذا ، عمنوا حملا من طين ، وحملوا عليها حوالق ، وملثوها
حيلة وشعيرا وتمرا ، وجعلوا تلك الجمال في باب جحر إلى جهة المغرب وقت غروب
الشمس ، وباتوا ليلتهم تلك ، فإذا أصبحوا بطروا إلى تلك الجمال الطين ، فإن رأوا أنها
نماها قالوا : لم تقبل الدية ، فزادوا فيها ، إن رأوها قد نساقطت وتدد ما عليها من الميرة
قالوا : قد قبلت الدية ، وأسدلوا على شفاء اللريص وضربوا بالدف ، قال بعضهم :

قالوا وقد طال عنائي والسقم إحمل إلى الجن جلالات وضرم
فقد فعلت^(١) والسقام لم يرم فبالذى يملك برقي أعطيهم
وقال آخر :

فيا ليت أن الجن جازوا جمالي ورزح عني ماعناني من السقم
وباليتهم قالوا أنطنا كائ ما حوت يملك في حرب علس وفي سلم
أعزل قاسي بالذى يرصونه فيا ليتني عوفيت في ذلك الزعم

وقال آخر :

أَرَى أَنْ جَنَّاتِ التَّوْبَةِ أَصْبَحُوا وَهُمْ مِنْ غَضَبَانِ عَلَى وَاسِعٍ
حَلَّتْ وَلَمْ أَقْلُ إِلَيْهِمْ حَالَةً لَكُنْ عَنْ قَلْبٍ مِنَ السُّقْمِ تَالِفٍ
وَلَوْ أَنْصَفُوا لَمْ يَطْلُبُوا عَسِيرَ حَقِّهِمْ وَرَأَى مَنْ أَمْنَاهُمْ بِالْإِنصَابِ
تَعَطُّوا شَرِبَ الْأَرْضَ عَنَى وَلَوْ نَدَّوْا لَأَصْبَحَتْ سَهْمٌ آمِيًا غَيْرَ حَائِفٍ

وكانوا إذا غمَّ عليهم أمرُ العاصِمِ لم يعرفوا * حيدراً حاموا إلى نيرِ عادية^(١) أو حميرِ
قديمٍ وبادوا فيه . ياملان ، أو ما أياهم ثلاث مرات ، ويرغمون أنه إن كان ميتاً لم
يَسْمَعُوا صَوْتاً ، وإن كان حياً سَمِعُوا صَوْتاً رَمَحَتْهُ قَهْوَةٌ وَهِيَ ، أو سَمِعُوا مِنَ الصَّدَى ، قَسُوا
عليه عقيدَتَهُمْ ، قال بعضهم :

دَعَوْتُ أَمَا لِيَعْوَارِي فِي الْخَمْرِ دَعْوَةٌ وَآسِنُ صَوْتِي بِالْقَدَى كَبُ دَاعِيَا
أَطْلَنَ أَيْ لِيَعْوَارِي فِي قَمَرٍ مُطَمِّمٍ نَحْمَرُ عَلَيْهِ الدَّارِيَاتُ السَّوَابِيَا
وقال :

وَكَمْ بَادِيَتُهُ وَاللَّيْلُ سَاجِرٌ بِعَادِيٍّ الْبَشَرِ فَا أَحَا

وقال آخر :

غَابَ فَلَمْ أَرْحُوهْ إِيَّابَا وَتَحْمَرُ لَا يَرْجِعُ لِي جَوَانَا
وَمَا قَرَأْتُ مُذْنَأَى كِتَابَا حَتَّى مَتَى أَسْتَفِيدُ الرَّكَابَا
* عَنْهُ وَكُلُّ يَتَمَعُّ يَلْطَبَا *

وقال آخر :

ألم تعلني أتي دعوتُ مُحشماً من الجفر والظلاء بادِ كسورها
مجاونتي حتى طننتُ بآته سيطلم من خوفاء صبي حدورها
لقد سكنتُ نفسي وأبقتُ آته سيقدم والذنيا محابِ أمورها

وقال آخر :

دعواهُ من عاديةٍ نصَّ ماؤها وهذم جاليتها أختلافُ عصورِ
فرَدَ جواها ماشككتُ بآته قرب إليها بالإياب يصيرُ
أقوى في البت الثاني ، وسكن « نصَّب » ضرورةً كما قال :
• لو عَصَرَ منه البانُ وملك انتَصَرَ •

• • •

ومن أعاجيبهم أنهم كانوا في الحرب ربما أخرجوا النساء فيعلن بين الصنفين
يروون أن ذلك يُطلق نارَ الحرب ويؤدُّهم إلى اليأس .

قال بعضهم :

لقبونا بأبوالِ النساءِ حمالةً ونحن نلأقهم ببصيرِ قواضبِ
وقال آخر :

بالتُ نساءُ بني حُرَاشةٍ حبيبةً مِنّا وأدبرت الرجالُ شلالاً
وقال آخر :

بالتُ نساؤهم واليصرُ قد أخذتُ منهم ما حِذَّ يستثنى بها الكلبُ
وهذان البيتان يُمكن أن يراد بهما أن النساء يئسن خيفةً وذُعراً ، لا على المعنى
الذي نحن في ذكره ، فإذاً لا يكون فيهما دلالة على المراد .

وقال الآخر :

هيهات ردّ الخيل بالأوال : غَدَتُ في صُور السَّعَالِ

وقال آخر :

جَمَلُوا الثُّيُوفَ لِلشَّرَفِةِ مَهُمُ نَوَّلِ النَّبَاءِ وَقَلُّ ذَاكَ غَنَاءِ

فأما ذِكْرُهُم عَرِيفَ الْجَنِّ في المفاوز والسَّابِيبِ فكثير مشهور ، كقول بعضهم :

وخرقي تَحَدَّثَ غِيظُهُ حَدِيثَ الْمَدَارِي بِأَسْرَارِهَا

وقال آخر :

وَدَوْبُهُ سَنَبَ سَمَلَقٍ مِنْ الْيَدِ تَعْرِفُ جِنَانُهَا^(١)

وقال الأعشى :

وَسَهْمَاءُ تَعْرِفُ جِنَانُهَا مِنْهَا لَهَا أَحْيَاتٍ سُدُمُ^(٢)

وقال :

وَلَدِيَّةٌ مِثْلَ ظَهْرِ الثُّرَيْسِ مُوسِقٍ لِلْجَنِّ بِالْبَيْلِ فِي حَافَاتِهَا رَجَلُ^(٣)

وقال آخر :

• بَيْدَاءُ فِي أَرْحَابِهَا الْجَنُّ تَعْرِفُ •

وقال الشرق بن القطامي : كَانَ رَجُلٌ مِنْ كُتُبٍ يَقَالَ لَهُ عُبَيْدُ بْنُ الْحَمَّارِمْ - شَجَاعًا ،

وَكَانَ نَازِلًا بِالسَّيَاوَةِ أَيَّامَ الرَّبِيعِ ، فَلَمَّا حَسَرَ الرَّبِيعَ وَقَالَ مَاؤُهُ وَأَقْبَعَتْ أَوَاؤُهُ ، تَحْتَمِلُ إِلَى

وَادِي نَسْلِ ، فَرَأَى رَوْصَةً وَعَدِيرًا ، فَقَالَ : رَوْصَةٌ وَعَدِيرٌ ، وَحَطْبٌ يَسِيرُ ؛ وَأَنَالَ مَا

(٢) ديوانه ٢٩

(١) اسطق : القناع المصنوع .

(٣) ديوانه ٤٤ .

حَوَيْتُ مَحِيرَ ، فَنَزَلَ هُنَاكَ ، وَلَهُ امْرَأَتَانِ : اسْمُ أَحَدَاهُمَا الرَّبَابُ ، وَالْأُخْرَى خَوْثَةُ ،
فَقَالَتْ لَهُ خَوْثَةُ :

أَرَى مَلِدَةً قَفَرًا قَبِيلًا أَبِيئُهَا وَإِنَّا لَنَخْشَى إِنْ دَجَا اللَّيْلُ أَهْلَهَا
وَقَالَتْ لَهُ الرَّبَابُ :

أَرَأَيْتَ بِرَأْيِي فَاسْتَمِعْ عَنْكَ قَوْلَهَا وَلَا تَأْمَنْ جَنَّ الزَّيْفِ وَجَهْلَهَا
فَقَالَ مَجِيئًا لَهَا :

أَلَسْتُ كَأَيِّهَا فِي الْحُرُوبِ مُجَرَّبًا شُجَاعًا إِذَا شَبَّتْ لَهُ الْحَرْبُ مَحْرَبًا
سَرِيعًا إِلَى الْمَيْحَةِ إِذَا تَحَمَّلَ الرَّغَا وَتَسَمَّ لَا أَعْدُو الْعَدِيرِ مَنَكَبًا
ثُمَّ صَعِدَ إِلَى جَبَلٍ تُبَلِّغُ عَرَأَى شَيْئَةً وَهِيَ الْأَنْثَى مِنَ الْقَنَافِدِ - فَرَمَاهَا فَأَقْصَمَهَا^(١) وَمَعَهَا
وَلَدُهَا ، فَارْتَمَتْهُ ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ هَتَبَ بِهِ هَانِفٌ مِنَ الْجَنِّ :

يَا ابْنَ الْحَارِسِ قَدْ أَسَدْتَ حَوْرَنَا وَرَكْتَ صَاحِبَهَا بِأَمْرِ مُقْطِعِ
وَعَقَرْتَ لَفْحَتَهُ وَقَدَّتْ قَمِيمَهَا قَوْدًا عَنِيفًا فِي السَّيْعِ الْأَرْفَعِ
وَنَزَلْتَ مَرْنَعِي شَارِتًا وَطَامَتَا وَالطَّلْمُ فَاعِلُهُ وَخِيَمُ الرَّتَعِ
فَلَطَطْتُكَ بِالْأَدَى أَوْ لَيْتَنَا شَرٌّ يَحْتَنِكُ وَمَا لَهُ مِنْ مَدْفَعِ
فَأَجَابَهُ ابْنُ الْحَارِسِ :

يَا مَدْعَى ظُلُمِي وَلَسْتُ بِظُلَامٍ أَسْمَعَ لَدَيْكَ مَقَالِيئِي وَتَسْمَعُ
إِنْ كُنْتُمْ جِنًّا ظَلَمْتُمْ قَتَعْدُ عَفِرْتُ فَشَرُّ عَقِيدِي فِي مَطْرَعِ
لَا تَطْمَعُوا فِيمَا لَدَى فَمَا لَكُمْ فِيمَا حَوَيْتُ وَحُزْنُهُ مِنْ مَطْمَعِ
فَأَجَابَهُ الْجَنِّي :

يَا ضَارِبَ اللَّقْعَةِ بِالْعَصَبِ الْأَفْلَ قَدْ جَاءَكَ الْمَوْتُ وَأَوْفَاكَ الْأَجَلَ

(١) أَقْصَمَهَا : قَتَلَهَا وَكَتَلَهَا

وصافك الحين إلى جنّ تبلى فاليوم أتويت وأعينك الحيل^(١)
فأجابه ابن الحارث :

يا صاحب اللقعة هل أنت بحل منيع مني فقد قلت الخلخل
وكثرة المنطق في الحرب قتل هيبت فمقاما من القوم تطل^(٢)
ليث لبوث وإذا هم فعل لا يرهب الجس ولا الإس أحل
• من كان بالعقوة من جن قبل^(٣) •

قال : فسمعهما شيخ من الحن ، قال : لا والله لا نرى قتل إسماعيل مثل هذا ثاب
القلب ماضي العريمة ، فقام ذلك الشيخ وحيد الله تعالى ثم أشد :

يا ابن الحارث قد نزلت بلادنا فأصبت منها مشربا ومناما
فبدلتنا ظنا بمقر قهوجنا وأنت من بلاد الحن فقلت كلاما
فأعمد لأمر الرشد واحتب الردى إنا نرى لك حرمة وذياما
واغرم لصاحبنا قهوجا متعا فلقد أصبت بما فعلت أذاما
فأجابه ابن الحارث :

الله يعلم حيث يرفع عرشه أتى لأكره أن أصيب أذاما
أما ادعواك ما ادعيت فأنتى حتّ البلاد ولا أريد مقاما
فأسمت فيها مالنا ونزلت بها لأريح بها طهرنا أذاما
فليند صاحبكم علينا نعطه ماقد سألت ولا نراه غراما
ثم عزم للحن قهوجا متعا للقصد وولدها .

وهذه الحكاية وإن كانت كذبا إلا أنها تتضمن أدبا ، وهى من طرائف

(١) القمام : السيد .

(٢) الحين : الملاك .

(٣) العقوة : الحلة .

أحاديث العرب قد كثرناها لأدبها وأمتاعها ؛ ويقال : إن الشرق بن القطامي كان يصنع أشعاراً وينحلها غيره .

فأما مذهب العرب في أن لكل شاعر شيطانا يلقي إليه الشعر فذهب مشهور ، والشعراء كافة عليه ، قال بعضهم :

أني وإن كنتُ صغير السنُ وكان في العين نورا عني
فإن شيطاني أمير الجن يذهب بي في الشعر كل فن
وقال حسان بن ثابت :

إذا ما ترعرع فينا السلام فما إن يقال له : من هوة ؟
إذا لم يمد قبل شد الإزار فذلك فينا الذي لا هوة
ولي صاحب من بني الشيبان فطورا أقول وطورا هوة
وكاوا يزعمون أن اسم شيطان الأعشى مسحل ، واسم شيطان الخنجل عمرو ،
وقال الأعشى :

دعوتُ خايلٍ مسحلا ودعوا له جهنم جد عالمه جين للذم^(١)
وقال آخر :

أقد كان حتى الفرزدق قدوة وما كان فينا مثل فحل الخنجل
ولا في القوايل مثل عمرو وشيخه ولا بعد عمرو شاعر مثل مسحل
وقال المرزوق يصف قصيدته :

كأنها الذهب المقيس حبرها لسان أشعر خلق الله شيطانا

وقال أبو النجم :

أني وكل شاعرٍ من البشرِ شيطنة أُنشِ وشيطاني ذكرُ
وأبشد الخالعُ فيما نحن فيه لبعض الرثجَازِ :

إن الشياطين أتوني أربسةً في غَسَّ الليلِ وفيهم زُوبةٌ
وهذا لا يدلُّ على مانعٍ بصلده من أمرٍ شعرٍ وإلقائه إلى الإنسان ؛ فلا وجه
لإدخاله في هذا الموضع .

ومن مذاهبهم أنهم كانوا إذا قتلوا الثمنَ خافوا من الجن أن يأخذوا بثأره ،
فيأخذون زُوبةً ويُفثونها على رأسها ، ويقولون : ردتْ راثَ ناثرك
وقال بعضهم :

طرحنا عليه الرُّوثَ والرَّجْرُ صادقُ فراثَ علينا ثأره والطوائلُ
وقد يُدرُّ على الحية المقتولة يسيرُ رمادٌ ، ويقال لها : قتلتِ العينَ فلا تَأَرِّ لكِ ؛ وفي
أمثالهم لئن ذهب دمه هدرًا : وهو قتيلُ العينِ ، قال الشاعر :

ولا أكنْ كقتيلِ العينِ وسَطَكمْ ولا ذبيحةَ تشريقٍ وتَسْحارِ

فأما مذاهبهم في الخمرات والأحجار والرُّق والعرائم مشهور ، ففها السُّلوانة -
ويقال السُّلوة - وهي خرزة يُسقى العاشقُ منها فيسَلُو في زعمهم ، وهي ينصاه
شعافة ، قال الراجز :

لو أشربُ السُّلوانَ ما سبَّيتُ ما بينَ عنيَ عنكمْ وإنْ غيبتُ
السُّلوانَ : جمعُ سُلوانة .

وقال اللحياني : السُّلوانة تُرابٌ من قبر يُسقى منه العاشق فيَسْلُو ، وقال عروة .
ابن حزام :

جعلتُ لعراف اليمامة حُكْمَهُ وعراف نجدٍ إنْ هُما شَقِيَانِي
فَقَالَ لِمِ : نَشَى مِنَ الدَّاءِ كُلِّهِ وَقَامَا مَعَ الْمَوَادِ بِبَشْدِرَانِ
فَاتَرَكَامِنْ رُقِيَّةٍ بِعِرْفَانِهَا وَلَا سَلَوَةٍ إِلَّا وَقَدْ سَقِيَانِي
وقال آخر :

سَقَوْنِي سَلَوَةً فَفُوتُ عِهَا سَقَى اللَّهُ الْمَنِيَّةَ مَنْ سَقَانِي
أَي سَلَوْتُ عَنْ السَّلَوَةِ وَاشْتَدَّ بِي الْعِشْقُ وَدَامَ . وقال الشمرل :

وَلَقَدْ سَقَيْتُ سَلَوِي وَكَأَنَّمَا قَالَ لِلدَّوِي لِلْحَيَالِ سَهَا أَرَدَدِي

•••

وَمِنْ خَرَزَاتِهِمُ الْهِنَمَةُ يُجْتَنَّبُهَا الرِّجَالُ وَتُعْطَمُ بِهَا قُلُوبُهُمْ ، وَرُقِيَّتُهَا : أَخَذَتْهَا الْهِنَمَةُ ؛
بِالْقِيلِ زَوْجٍ وَبِالنَّهَارِ أَمَةً .

وَمِنْهَا الْقَطْطَةُ وَالْقَبِيَّةُ وَالذَّرْدَيْسُ ؛ كُلُّهَا لاحتلاب قلوب الرجال ، قال الشاعر :

جَمَعَنْ مِنْ قَبْلِ لَهْنٍ وَقَطْطَةٍ وَالذَّرْدَيْسِ تَمَامًا فِي مَنْطَرٍ
فَأَقَادَ كُلَّ مَشْدَبٍ مَرَمٍ الْقَوَى يَلْبَاهِرُ وَكُلَّ جَلْدٍ شَيْظَمٍ^(١)

وقيل : الذَّرْدَيْسُ خَرَزَةٌ سوداء يتعصب بها النساء إلى شوكتهن ، توجد في
القُبُورِ الْعَادِيَةِ ، وَرُقِيَّتُهَا : أَخَذَتْهَا بِالذَّرْدَيْسِ ، تُدْرِكُ الْعَرَقَ الْيَبِيسَ ، وَتَذَرُ الْجَدِيدَ
كَالدَّرَيْسِ ، وَأَنْشَدَ :

قَطَطْتُ الْقَيْدَ وَالْخَرَزَاتِ عَنِّي فَمَنْ لِي مِنْ عِلَاجِ الذَّرْدَيْسِ !

وأصل الذرد يس الداهية ، وقيل إلى هذه قوة تأثيرها .

•••

ومن خَرَازِمهم الفِرْزَحلة ، أنشد ابن الأعرابي :

لا تَنفَعُ المرزَحلةُ القِجَارَا إذا قطعنا دونهما للفاوِرا

وهي من خَرَازِم الصَّراثر ، إذا لبسها المرأة ما إلىها معها دون ضررتها .

ومنها خَرَزة العُقرة تشدّها للرأة على حَقْوَيْنِ فتُسمَعُ الحبل ، ذكر ذلك ابنُ التَّكَيْتِ في إصلاح المَطَق .

ومنها اليَنْجَلِب ، ورُقَيْتُهَا : أَحَدُهُ بِالْيَنْجَلِب ، فلا يُرْم ولا يَمِب ، ولا يَزَلْ
عند الطَّنْب .

ومها كَرَارٍ ، مَبْنِيَّةٌ عَلَى الكسر ، ورُقَيْتُهَا : يَا كَرَارِ كَرْبِهِ ، إِنَّ أَقْبَلَ فُزْرِيهِ ، وَإِنْ
أَدْرَ قُصْرِيهِ ، مِنْ فَرْحِهِ إِلَى يِهِ .

ومنها المَهْرَة ورُقَيْتُهَا : يَا مَهْرَة أَهْرِيهِ ، مَنْ أَسِنَهُ إِلَى يِهِ ، وَمَالِهِ وَنَيْبِهِ .
ومنها الخَصْمة حرزة للدَّحُول على السَّطْلان وحصومة ، تُحْمَلُ نَحْتَ فَصِّ الخَلَامِ
أَوْ فِي زَرْقِ القَيْصِ أَوْ فِي حَاثِلِ السِّيف ، قَالَ سَعْدُ بْنُ

يُحْيَى غَيْرِي حَصَّةٌ فِي لِقَائِهِمْ وَمَالِي عَيْكُمُ حَصَّةٌ غَيْرُ مَنْطِقِي
ومنها الوَحِيهة ، وهي كَالْخَصْمة حمراء كَالْعَقِيقِ

ومنها المَطْفَة ، حَرَّةُ المَطْف ، وَالْكَحْنة ، خَرَرَهُ سَوْدَاءُ تُحْمَلُ عَلَى الصُّبْيَانِ لِدَفْعِ الْعَيْنِ
عَنْهُمْ ، وَالْقَصْلَة خَرَّةٌ بِيضَاءُ تُحْمَلُ فِي عُنُقِ الْعُرْسِ مِنَ الْعَيْنِ ، وَالْقَطْطَة خَرَّةٌ يَمْرَضُ
بِهَا الْعَدُوُّ وَيُقْتَلُ ، ورُقَيْتُهَا : أَحَدَتَهُ بِالْقَطْطَة ، يَا ثَوْبَاءُ وَالْمَطْطَة ، فَلَا يَرَالُ فِي تَعْنَةٍ ، مَنْ
أَمْرِهِ وَتَكْنَسُهُ ، حَتَّى يَزُورَ وَتَمَتَّ .

ومن رُقام الحُب : هَوَايَ هَوَايَ ، البرقُ والسحابة ، أخذته بمركن ، فقبه تمكّن .
أخذته بإبرة ، فلا يزل في عبّره . خَلِيَّتَه يَشْنِي^(١) ، قلبه لا يهدأ . خَلِيَّتَه بِمِرْد ، فقلبه لا يبرُد .
وترقّ الفارك زوجها إذا سافر عنها فقول : بأقول القمر ، وظلّ الشجر ، شمال تشله ،
ودبور تدبره ، ونكباء تنكبه ، شيك فلا انتمش ؛ ثم ترمي في أثره بحصاة ونواة
وروثه وبكرة ، وتقول : حصاة حصّت أثره ، نواة أنأت داره ، روثه راثّ خبره
لقمته بيمرة .

وقالت فارك في زوجها :

أَتَبَعْتُ إِذْ رَحَلَ الْعَيْسَ صَحْنِي بعد التواة روثه حيث أنتوى
• الروث للوثى وللنأى الثوى •

وقال آخر :

رَمَتْ خَلْفَهُ لَمَ أَرَأَتْ وَشَكَ بَيْنَهُ نَوَاةٌ تَلْتَهَا رَوْتُهُ وَحَصَاةٌ
وَقَالَتْ : نَأَتْ مِنْكَ الدِّيَارُ فَلَادَنْتُ ورائت بك الأخبار والرجعات
وَحَصَّتْ لَكَ الْآثَارُ بَعْدَ ظُهُورِهَا ولا فارق الترحال منك شتات
وقال آخر مخاطب امرأته :

لَا تَقْذِفِي خَلْقِي إِذَا الرِّكْبُ أَغْتَدَى روثه عَيْرٍ وَحَصَاةٍ وَنَوَى
لَنْ يَدْفَعَ الْقَدَارُ أَسْبَابُ الرُّقَى ولا التهاويل على جِنِّ الْقَلَا

هذا الرجز أورده الخالغ في هذا المعرض ، وهو بأن يدلّ على عكس هذا المعنى أولى ،
لأنّ قوله : «لَنْ يَدْفَعَ الْقَدَارُ أَسْبَابُ الرُّقَى» ، ولا بالتهاويل على الجن «كلام يُشِيرُ بِأَن قَذَفَ الْحَصَاةَ
وَالنَّوَاةَ خَلْفَهُ كَالْمَوْذَةِ لَهُ ، لَا كَمَا تَفْعَلُهُ الْفَارِكُ الَّتِي تَمْنَى الْفِرَاقَ .

• • •

فأما مذهبهم في القيافة والزجر والكهانة واختلافهم في السامح والبارح ، وتشاعهم باللفظة والكلمة وتأويلهم لها وتيمّنهم بكلمة أخرى ، وما كانوا يفعلونه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى فكله مشهور معروف لا حاجة لنا إلى ذكره ههنا .

فأما لفظ أمير المؤمنين عليه السلام في قوله : « نشره » ، فإن النشرة في اللغة كالعودّة والرقية ، قالوا : نشرت فلانا تنشيروا ، أى رقيته وعودته . وقال الكلبي : إذا نشر للشفوع فكأنما أنشط من عقل ، أى يذهب عنه ما به مربكاً .

وفي الحديث أنه قال : « فلعن طلياً أصابه » ، يعنى ميخراً ، ثم عودته ، « قل أعوذ بربّ الناس » ، أى رقيه ، وكذلك إذا كتب له النشرة . وقد عدّ أمير المؤمنين عليه السلام أموراً أربعة ذكر منها النشرة ، ولم يكن عليه السلام ليقول ذلك إلا عن توقيف من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم الجزء التاسع عشر من شرح نهج البلاغة يؤتى إلى المحرر
وبليه الجزء العشرون

فهرسالموضوعات

صفحة	
٧-٠٠٠	تابع ماورد من حكمه عليه السلام ومختار أجوبة مسائله وكلامه
٤٧-٤٥	فصل في الحياء وما قيل فيه
٦٢-٦٠	مثل من شجاعة على عليه السلام
٦٤-٦٢	قصة غزوة الخندق
٩٤-٩١	ماجرى بين يحيى بن عبد الله وعبد الله بن مصعب عنده الرشيد
١٠٠، ٩٩	من كلامه عليه السلام لكليل بن زياد النخعي وشرح ذلك
١٢٤-١١٦	نبذ من غريب كلام الإمام على وشرحه لأبي عبيد
١٣٩-١٢٤	نبذ من غريب كلام الإمام على وشرحه لابن قتيبة
١٤٣-١٤٠	خطبة منسوبة للإمام على خالية من حرف الألف
١٨٤، ١٨٣	من كلامه عليه السلام في وصف صديق وشرح ذلك
١٩٠-١٨٤	نبذ من الأقوال الحكيمة في ححد القناعة وقلة الأكل
٢٣١-٢٢٧	نبذ من الأقوال الحكيمة في الفقر والغنى
٢٤٩، ٢٤٨	نبذ من الأقوال الحكيمة في الوعد والمطل
٢٩٧-٢٨٧	نبذ من الأقوال الحكيمة في وصف حال الدنيا وصروفها
٣١٨-٣١٦	أقوال مأثورة في الجود والبخل
٣٣٠-٣٢٦	نبذ مما قيل في حال الدنيا وهوانها واغترار الناس بها

صحة	مما ورد في الطيب من الآثار
٣٥١-٣٥١	بذ مما قيل في التيه والفخر
٣٥٧-٣٥٢	مراثف حول الأسماء والكنى
٣٧١-٣٦٥	أقوال في العين والسعر والمدوى والطيّرة والفعال
٣٨٢-٣٧٢	نكت في مذاهب العرب وتخيّلها
٠٠٠-٣٨٣	



مركز تحقيقات كتاب ویر علوم اسلامی